



المجلد
الثالث
العدد
الرابع
أبولو
مجلة فنية لخدمة الشعر العربي
لسان حال جمعية ابولو
تصدر مرة في كل شهر
وسنتها عشرة اشهر
ديسمبر سنة ١٩٣٤
صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
أحمد زكي أبوشادي
الادارة
بشارع الملك المعز رقم ٩
بضاحية المطرية بمصر
التليفون
٦١١٩٦
و ٤٠٤٥٦
مطبعة التعاون



فى الميــــدان

ربما ختمنا بهذا العدد الممتاز المجلد الثالث من هذه المجلة كما نختم بختام هـذه السنة جميع جهودنا العامة الى غير عودة . وقـد أشار محرر زميلتنا (الامام) فى عددها المؤرّخ أول ديسمبرالى تصميمنا على ذلك فيما كتبه عن ندوة الثقافة والحكومة الحاضرة ، إذ أشار الى ما عانيناه من متاعب وتضحيـات كثيرة لا يقاس بجانبهـا ما لقيناه من بعض التعضيد والتشجيع من شتى الحـكومات ازاء أعمالنا العلميـة والفنية والأدبية ، فان المعـاكسات المتنوّعة والاساءات الجمـة التى أصابتنا من الحـكوميين وغيرهم فاقت كلّ حـدود الاحتمال ، ومع ذلك صمدنا لها واكتفينا بالشكوى الى دولة رئيس الحـكومة الأسبق وصبرنا الى اليوم الذى تعود فيه شمسُ الحرية الصادقة الى الظهور مرتقبين أن نُنصَفَ فيه الانصافَ الواجب .

وقد عاد هذا اليومُ وبرّأنا ذمتنا بالـكتابة فى شـأن ذلك الى الرئيس الجليـل صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا وبمقابلته مقابلةً طويلةً ومقابلة غير واحد من وزراء الدولة وكبرائها ، وبذلك مهّـدنا لختام حياتنا العامة فى هذا المجال بعد سنوات عديدة فى الخدمة الصحفية ما بين علمية وفنية وأدبية ، محتملين وحدنا الخسائر الـكبيرة والديون الـكثيرة مؤدّين جميعَ تعهّـداتنا فى غير أسف على أىّ تضحية بل فى أسفٍ فقط على عدم استطاعتنا المادية على الاستمرار اذا لم ننل الانصافَ الذى نرجوه .

وقد رأى القراء كيف أننا فى أشدّ الأوقات حرجاً وبالرغم من قيودنا الرسميـة لم يفتنا الدفاع عن كرامة الزعماء والانتصار للديمقراطية والاشادة بجهد رئيس الوفد ، ومع ذلك لقينا من بين كبار أدبائنا وأذنابهم مَن لم يتعفف عن عكس الآية ومحاولة تجريح وطنيتنا باختلاقاته وأوهامه ، وكان الأولى به أن يضرب المثل بشجاعتنا الأدبية ووفائنا وأن لا يسترسل للأهواء والضغائن فلا يخلط بين الأدب والسياسـة ولا يحتمى فى الافتراء والدسيسة .

ورأى القراء الذين اطلعوا على مجلة (الدجاج) كيف حارب بعضُ كبار الموظفين (من ذوى العلاقات المعروفة التي ضجّت منها البلاد وخلعت نيرّها أخيراً) جهودنا الفذّة لخدمة الدجانة المصرية ، بحكم أهوائهم الشخصية ، كما يعرف قراء (مملكة النحل) كيف حوربت أعمالنا فى النحالة محاربة عنيفة بالرغم من صادق خدمتنا وآرائنا التى نوّهت بها اللجنةُ الماليةُ لمجلس النواب الى حدّ تقريع وزارة الزراعة ، ومع ذلك لاتزال الفوضى ضاربة أطنابها ولا يستحي المعاكسون والمسيئون الينا من الاستمرار على هذه الحالة المخجلة .

ورأى القراء كيف أن مجلة (الامام) على ما لها من المزايا الأدبية وخدمة الأدب الشعبي كانت بين المجلات المضطهدة التى لم تظفر باعلانات قضائية ولا بأيّ مؤازرة .

ورأى القراءُ كيف أنّ مجلة (أبولو) بقيتْ سنتين كاملتين لا تجد ذرةً من تشجيع وزارة المعارف ، وقد أُدخل فى روع معالى وزيرها السابق أن الوزارة تعضّدها ! ولمّا ذُكر لمعاليه أن الحقيقة عكس ذلك ، وأن من العيب أن تعضّدها الهيئاتُ الأجنبيةُ وحكومة العراق وتضنّ بذلك الحكومة المصرية حاول معاليه تصحيحَ هذه الحالة ، وبالرغم من هذه المحاولة كانت مؤازرة الوزارة لهذه المجلة محدودة جداً كأنها فى حُكم العدم ولم تتعدّ المؤازرة قيمتها المعنوية تقريباً ! ومع نصوع هذه الحقيقة لم يتورّع الأنانيون والدسّاسون عن تشويهها والطعن فى تصرفاتنا وكرامتنا بدل المناداة بانصافنا إن كانوا مخلصين حقاً للأدب ، وقد شملت حملتهم علينا جملةَ صحف فأظهروا براعة فى حبّ الهدم بقدر ما أظهروا من عجز فى التعاون الأدبي والبناء . ولم يخجل نفرٌ منهم مِن تكريم مَن توجّه فى وفدٍ إلى صدقى باشا تقرّباً الى دولته على حساب الوفد وقد تغنّوا حينئذ طويلاً بشتيمة الوفد ومداهنة صدقى باشا الى أبعد حدودِ المداهنة !

ورأى القراءُ بالاجمال كيف أنّ مشروع (ندوة الثقافة) ومجلاتها يسدّ فراغاً كبيراً فى الثقافة العصرية بمصر ، وكيف نال تعضيد اخواننا العرب فى سورية ولبنان وفلسطين والعراق وتونس وبقية العالم العربى ، وكيف اجتذب الكثيرين من أعلام الأدب والعلم ومن الاختصاصين فى الصناعات الزراعية ، ومع ذلك حُرِمَ المؤازرةَ الماليةَ الواجبةَ ولم ينل الاّ جزءاً مما يستحق لا يكفى لشتى الالتزامات ، وليس رجال العلم والأدب عامةً بأهل اليسار الذين يستطيعون التكفّل بها وحسبهم تبرّعهم بجهودهم الفكرية فى كرمٍ وحماسةٍ .

وقد كان من السهل علينا احتمال كل هذا فى عهدٍ احتملت الأمةُ ما احتملتْ فيه من أضرار ومساوىء ، وإن كان طبيعياً أن لا ننتظر المعاكسة فى أىّ وقتٍ ما دامت أعمالنا بعيدة عن السياسة وما دام الجميعُ يدّعون أنهم مناصرونا وقد كان فى مقدمة من ادعى ذلك نفس صدقى باشا مباهياً بغيرته على النهضة الاقتصادية بل والثقافية عامة ! ولكن ليس من السهل علينا احتمال ذلك فى هـذا العهد الجديد بعـد أن أصبحت لمصر حكومةٌ شعبية بالمعنى الصحيح ، وبعد أن عرضنا على زعيم الأمة الذى تستند الحكومةُ الى تعضيده قسوةَ ظروفنا وحرجَ مركزنا ، فاذا انتهت شكوانا الى غير جدوى أو الى غير مناصرةٍ كافيةٍ كما كانت شكوانا الى زعيم الحكومة الأسبق بغير جدوى فلن يلومنا منصفٌ على هذا الاعتزال الذى قد نضطرّ اليه اضطراراً .

نعم ، إزاء هذه الحالة لم يكن لنا مَفرٌّ من القرار الذى انتهينا اليه ، وأكبرُ عزاء لنا أن الجهود التى بذلناها فى هذه السنين الطويلة — سواء فى انجلترا أو فى مصر — بعيدة الأثر الاصلاحى . واذا كنّا قد نضطر الى اعتزال الحياة العامة من جراء الظروف القاسية الأليمة التى لا قِبَلَ لنا بما تخلقه من استحالةٍ ماديةٍ ، فليس فى نيتنا التخلى عن أىّ شىء من أعمالنا المستقلة سواء أكانت أدبية أم علمية أم فنية ما دامت فينا بقيةٌ من عافيةٍ ، تاركين عند الله والوطن كلّ تضحياتنا وآلامنا .

الدكتور طه حسين

يسرنا أن نعلم أنّ الدكتور طه حسين على وشك العودة الى كلية الآداب ، فهو جديرٌ بهذا الانصاف بعد أن جنت السياسةُ جنايتها عليـه وعلى غيره من أفاضـل الرجال . وقد نشأت من جراء ذلك خصومةٌ بين الدكتور طه ومعالى حلمى عيسى باشا وزير المعارف السابق ، والواقع أن المسألة أبعدُ من أن تتعلق بحلمى عيسى باشا شخصياً وانما هى تنصبّ على النظام البائد بحذافيره وبما انطوى عليه من سيئات . ولا نحتاج الى الاشتغال بالسياسة لنقرر هذه الحقيقة الغنية عن التعريف فحسبنا ما نما فى ظل ذلك النظام من تنابذ وأحقاد بين رجالات الوطن حتى انتهت الحياةُ الحزبيـة الى فتنة شعواء وصارت كراماتُ الزعماء تداس فى غير حساب ، وبتنا نتلهف لظهور دكتاتور مصلح منقذ يردّ الامورَ الى نصابها . وقد كان هذا فى شخص صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا الذى يستند حكمه أساسياً الى قوة الوفد ممثل الأمة المصرية ،

كما يستند الى حسن التفاهم الصادق مع جـلالة الملك الرئيس الأعلى للدولة والذى تتمثل فيه الآن صفة المستبد العادل ، الى أن يعود الحـكم الدستورى الـكامل على يدىْ الوفد المصرى الأمين .

فى هذه الظروف التى نودّع فيها تجاريبَ الماضى الأليمة التى خدعت غيرَ واحدٍ من كبراء المصريين وأذكيائهم فانغمسوا طوعاً أوكرهاً فى الصراع الحزبى البغيض ، فى مثل هذه الظروف لا نرتاح لانصاف أىّ رجل مغبون أكثر من ارتياحنا لانصاف الدكتور طه حسين الذى أعلنّا تـكراراً محبتنا وتقديرنا له فى جميـع الظروف التى تقلب فيها . وكيف لا نرتاح لذلك ونحن نرى الى جانب انصـافه الشخصى انصافاً للادب الذى يمثله بعد أن رأينا تورُّطه فى السياسة التى لم تُخلق لها يُسىء اليـه أبلغَ الاساءات ، ويخلق له أشنعَ العداوات ، ويجعله يتهاون فى كتاباته وأحكامه ويمهّد لارضاخ الأدب للاعتبارات السياسية شرّ إرضاخ ؟

إن من أكبر وأعجب جنايات العهد الماضى جناياته على الأدب من أنصـار ذلك العهـد ومن خصومه على السواء ! وقد لقينا نحن العنت الـكثير من كلا الفريقين ، ورأينا كيف يستطيع أىُّ صعلوكٍ يتمسّح فى السياسة وأى كاتب سـياسى مأجور أن يُسىء الى كرامة الأدباء المنصرفين الى الأدب ويكيل لهم التُّـهمَ المختلفة جزافاً دونِ أن يخشى حساباً من أحد ، ما دام زملاؤه السياسيون ينصرونه بالحق وبالباطل ويجاملونه بأى ثمن ولو جنوا على كرامات الأدباء النزيهين !

فازاء هذه الحالة نغتبط لعودة الدكتور طه الى حظيرة الجامعة التى هى أولى به ، ونعدّ ذلك نصراً مزدوجاً له وللأدب والأدباء .

الشعر والثقافة العالمية

قرأنا كلمـة حديثة للأديب الفاضل محمـد عبد القادر حمزة فى صحيفة (البلاغ) المصرية يتّهم فيهـا شعراء الشباب بالتقليد الأعمى للأدب الغربى ويقول : « وقد لاحظتُ هـذا التقليد الأعمى مرات كثيرة فيما قرأته من المؤلفـات والدواوين الأخيرة ، وأذكر أننى سجلتُ هذه الملاحظة أثناء تعرُّضى بالحديث لبعض الشعراء الذين أخرجوا دواوينهم منذ عـدة شهور ، فقد رأيتُ فى هـذه الدواوين قصائد كثيرة كان النقل فيها واضحاً كلّ الوضوح رغم أنّ هؤلاء الشعراء حاولوا أن يضعوا فوق الروح الغربية التى نقلوا عنها ستراً من البيئة المصرية لتصطبغ قصائدهم

بالصبغة المصرية وليكون شعرهم ثمرة جهودهم الشخصية لا ثمرة جهود شخصيات أخرى . ولعلّ أوضح خطأ شاهدته وشاهده غيرى من النقاد هو ضعف الأسلوب واللغة التى ينظم بها هؤلاء الشعراء ، فهم فقراء فى ألفاظهم وأساليبهم يكثرون من الخطأ اللغوى فى مواضع عديدة ويفسدون المعنى القوىّ بما يسوقونه من ألفاظ عامية لا يجدون غيرها فى أذهانهم للتعبير عما يجول فى خواطرهم من معانٍ أو أفكار، وبذلك تفقد القصيدة قوتها وسحرها ويحسّ القارىء لمؤلف العطف أو الرثاء بدل الاعجاب والثناء . وهؤلاء الشعراء مسبوقون الى تمصير قصائدهم بما كان يصنع بعضُ المتصلين بالمسرح المصرى عند ما يعجزون عن تأليف مسرحيات ناجحة تمثل الحياة المصرية تمثيلاً صحيحاً متفقاً مع الواقع فتراهم يعمدون الى ترجمة المسرحيات الغربية ولكنهم لا ينسبونها لمن ألفوها بل يسندونها لأنفسهم والى البيئة المصرية ما داموا قد استطاعوا تبديلَ أسمائها بأسماء مصرية وتغيير مشاهدها أو حوادثها . فكل من الفريقين يفتعل شيئاً مصرياً ليس فيه إلا فضل النقل والتمصير . ولا شكّ أنّ قيام دولة الشعراء على هذا الأساس الخاطىء انما يضلّ بها السبيل ويجعل الشعر غير أهلٍ للتعبير عن حياة أمة كالأمة المصرية . وكيف تريد من شعر كهذا أن يلقى العناية والاحتفال فى مصر والشرق العربى وهو فى صميمه يعبر عن مجتمع آخر غريب عن مصر ؟ بل كيف نبغى من هذا الشعر نهضة أدبية وهو يحمل فى طياته الدليلَ القوىّ على فقر ناظميه فى اللغة والأسلوب والابتكار والخيال ؟ »

ورأينا أن هذا الحكم على شعر الشباب غيرُ عادلٍ لأنه نتيجة اطلاع محدود ، وأن المقارنة بين دواوين الشعر الحديثة والمسرحيات الجديدة لا محلّ لها من الاعتبار. فالواقعُ هو أن الشعر الحديث يتأثر بالثقافة العربية من ناحيةٍ وبالثقافة العالمية من ناحية أخرى ، فألوانه هى من ظلال هذا التفاعل ، وهى بناءً على ذلك ألوانٌ طبيعية لا تصنُّعَ فيها مطلقاً، بل لها جمالُها وانطباقُها على الحياة المصرية التى يعيشها أولئك الشعراء ، وهى مزيج من الروح الغربى (وهو الغالب) ومن الروح الشرقى ، فليس تعبيرُهم الصادق عنها هو التصنعُ وانما التصنُّعُ يكون بالتجرّد عن عصريتهم هذه . كذلك كان الحال فى عهد أبى تمام والمتنبى فقد كان شعرُهم معبراً عن الروح العربية وعن الحكمة الاغريقية التى ظفر عصرُها بها والتى لم يكن لهما أن يتجاوزاها .

وان اتهامَ شعراء الشباب باستعارة الشعر الغربى وبفقر اللغة والأسلوب والابتكار

والخيال مما لا يقوم عليه أيُّ دليلٍ . وحسبُنا أن نشير على سبيل المثال الى ما كتبه عن ديوان (الألحان الضائعة) للصيرفى كلٌّ من الأدباء محمد كامل حسين فى (الوادى) وطاهر الطناحى فى (البلاغ) وسيد قطب فى (الأهرام) ، فانّ جميع مؤاخذتهم مما لم يصعب تفنيدُه علينا أو على صاحب الديوان ، فلم تقم لهـا أيةُ قائمةٍ . وفى اعتقادنا أن الأديب الفاضل محمد عبدالقادر حمزة لا يمكنه أن يعزز دعاواه هـذه بالشواهد فان الحقائقَ جميعَها فى غير جانبه ، وفى دعاواه هذه تعسُّفٌ كبيرٌ . ولو أخذنا بها لوجبَ تطبيقها على النثر العصرى أسوةً بتطبيقها على النظم ، وهـذا ما لا يقول به أيُّ منصفٍ .

وليس عدمُ إقبال الجمهور على الشعر الجديد دليلاً على قلةِ حيوية هذا الشعر أو على افتعالهِ ، وانما هو دليلٌ على أن الجمهور فى درجةِ ثقافتهِ هو دون الجيل الجديد من الشعراء ومن الفنانين عامةً ومع ذلك فالمستقبل لهذا الجيل الجديد ، وعليه أن يعمل فى صبرٍ وتؤدةٍ للنهوض الفنى بالجمهور دون أن يضحيَ بفنه فى مجاراة التيار العام .

الذكريات المشجية

تزدحم الذكريات المشجية أمامنا : فمن أسفٍ عميق لفقـدان مصر بل العروبة شيخها العلامة الجليل احمد زكى باشا (وحفاوته بالشعر العربيّ لم تكن بالهيّنة) ، ومن حسرةٍ على خسارتنا الفادحة بفقد شاعرىْ الشبـاب محمد أبى الفتح البشبيشى المصرى وأبى القاسم الشابى التونسىّ ، ومن ألمٍ لما نراه من التهاون فى حقّ النابغين والاعلام من الادباء كالكاظمى ومحرم ونسيم وما يجرُّه هذا التهاون من تثبيط عزائمهم أو القضاء على آثارهم .

وسبقت العراقُ الاممَ العربيةَ الى الحفـاوة بشاعرها العبقرىّ أبى الطيب المتنبى لمناسبة الذكرى الألفية لوفاته (وموعدها فى العام الآتى) فكتب صديقنا المازنى فى « البلاغ » ينعى على أدباء العراق تهاونهم فى حقّ شاعرهم الكبير عبد المحسن الكاظمى وقصر حفاوتهم على الأعلام السابقين فى كل قطر عربيّ وفى مصر بوجه خاص ، وإلا فكيف يسوغ عقلاً أن تدوى الانديةُ بتمجيد شاعر مثل احمد محرم وكيف يبجله المسلمون ومع ذلك لا تتحرك مشيخة الأزهر ولا وزارة الأوقاف لمعاونة هذا الشاعر الاسلامى الفذّ على التوفر على تأليف إلياذته الاسلامية ؟

احتفل الفرسُ بذكرى صاحب الشاهنامة واحتفل الجرمان بذكرى شيلر ، ولم يكونوا منزّهين عن بخس أعلامهم حقّهم أثناء حياتهم ، ولكن أصحاب المواهب لا يُبخسون حقهم الآن عادة فى الامم الغربية الا اذا طاشت عوامل السياسة والنعرات الدينية وتلك أحداث وقتية . وأما فى مصر فما أهون شأن العلم والأدب متى كانا خالصين لوجه العلم والأدب الى أن تسمح الظروف بارغام المجتمع على تقديرهما ، وقلما تكون الظروفُ موانية وقلما يعيش أصحابهما فى غير العقبات والآلام ، وعلى هذا نقيس مَبلغَ نهضتنا الحقيقية .

شعر الشباب

نشرنا فى هذا العدد كما نشرنا من قبل ملاحظات نقدية على شعر الشباب لغيرِ واحدٍ من الأدباء وقد أُخذ على بعضهم تشابهُ المناحى والتأثر المتبادل ، ولا نرى هذا أمراً معيباً ما دام معترفاً به فان لتشابه النزعة والثقافة بعض الأثر فى ذلك . وانما العيبُ فى النكران والجحود وفى التنافس المزرى الذى لا يتفق والروح الفنية المهذبة . مثالُ ذلك أن يأتى أحدُهم ، وقد يكون شاعراً مجيداً بالنسبة لسنّه ومستحقاً للتشجيع ، فيغترُّ بسماحةِ المشجّعينَ ويُجنّ جنونه ، فاذا به يُلقى الحجارة يمنةً ويسرةً على مَن هم خيرٌ منه بل وعلى مَن يعدّون فى منزلةِ أساتذته ، واذا بنا نقرأ الاعلانات الجوفاء عن الروح الجديدة فى الأسلوب الرصين ، والشاعرية الناضجة والموسيقية الرائعة والصورة المشرّفة لشعر الشباب الممتاز ، الجامعة بين جدّة الاتجاه الفنى وكمال الأداء اللغوى ، الى آخر هذا التهريج ، حتى إذا اطلعنا على بعض هذه النماذج « المشرّفة » لم نجدها الا إغارةً وقحةً على دواوين الشعراء النابهين وانتهاباً بالجملة لمعانيهم وتراكيبهم ، ولو كان مثلهُ فى عصر صاحب (المثل السائر) لأغناه كلّ الغنى فى الاستشهاد بشعره على ضروب السرقات الشعرية ... ونحن نَبرأُ الى الفن من التغرير بأحد دع عنك هذا الشباب ، فنحن نبغض هذا الجحودَ والتبجّحَ ، ولا نحترم الشاعرَ الذى يظنّ من العظمة النفسية أن يجحدَ فضلَ غيرهِ عليه وأن يجازيه بالاهانة وإن اعتمدَ على المغرضين من الكتاب الذى يسمون السرقة ابتكاراً وابداعاً ! ولولا السياسةُ لما كان لأمثال هؤلاء الكتاب المغرضين أىُّ صوتٍ فى النقد الأدبى ، وكم للسياسةِ من جناياتٍ على الأدب .



شعر ابن الفارض

١ — وُلد أبو حفص عمر بن الفارض بالقاهرة في الرابع من ذى القعدة سنة ٥٧٦ وتُوفى بها فى اليوم الثانى من جمادى الأولى سنة ٦٣٢ ، وهو فى الأصل من أسرة حموية ، ولهذا الأصل أهمية فى طبع ذلك الشاعر ، فأهل الشام فى الأدب القديم تغلب عليهم رقة الطبع ، ولهم شغف بصور الجمال ، ونزعتهم الغزلية فيها لين يندر مثله فى مصر والعراق . وهذا الذى نقول به استوحيناه مما قرأنا لشعراء الشام فى المعانى الحسية والوجدانية ، وقد سبقنا الى هذا الحكم أبو بكر الخوارزمى إذ قال منذ عشرة قرون :

« ما فتق قلبى ، وشحذ فهمى ، وصقل ذهنى ، وأرهف حدّ لسانى ، وبلغ بى هذا المبلغ ، الا تلك الطرائف الشامية ، واللطائف الحلبية ، التى علقت بحفظى ، وامتزجت بأجزاء نفسى (١) » .

والحقّ أن ابن الفارض شخصية فريدة بين شعراء مصر ، وقد اشتركت فى تكوينه ثلاث بقاع : الشام وفيها أصله ، والحجاز واليه حنينه ، ومصر وفيها مقامه ، فهو شاعر مصر والشام والحجاز ، وله فى هذه الأقطار الثلاثة محبون يرونه مترجماً لأدقّ ما يضمرون من نوازع القلب والوجدان .

٢ — وابن الفارض مدين بخلود شعره الى نزعته الصوفية ، ولو لا التصوف لانطمس ذكره منذ زمان ، لأن له فى فنونه الشعرية أساتذة لا يُشقّ لهم غبار ، فله فى الخمريات منازع خطير هو أبو نواس ، وله فى الحنين الى الحجاز إمام لا نظير

---

(١) يتيمة الدهر ص ٨ ج ١ .

له ولا مثيل هو الشريف الرضى [1]، وله فى الصبابة سيّد هو العباس بن الأحنف، وما يكاد شعر ابن الفارض يخرج عن الصبابة والحنين والخمريات .

فالمعانى الرمزية عند ابن الفارض هى السر فى اقبال الناس على شعره ؛ ولولا ذلك لانصرفوا عنه ورأوه أخفّ من أن ينصب له ميزان .

وفى رأيى أن العناية بشعر ابن الفارض كانت فاتحة جديدة فى وزن المعانى ، بعد أن ظل الناس أزماناً طوالاً يحرصون قبل كل شىء على وزن الألفاظ ، وهو من وجهة الديباجة وقوة السبك شاعر ضعيف ، ولكنه من حيث المعانى فحل من الفحول لأنه استطاع الجمع بين الحقيقة والخيال ، والحقيقة عند هذا الشاعر هى الصورة الروحية ، أما الخيال فهو الصورة الحسية التى رمز بها الى المعنويات .

ويمتاز ابن الفارض بقوة الروح . وحسبنا أن نذكر أنه أُلهم فى منامه هذين البيتين :

وحياة أشواقى اليك وحرمة الصبر الجميل
ما استحسنت عينى سوا ك ولا صبوت إلى خليل

وهذان البيتان لا خطر لهما عند من يحفلون بجزالة الألفاظ . ولكنهما على جانب عظيم من القوة عند من يؤثرون المعانى ، وهل فى الحب أجلّ وأشرف من توحيد المحبوب ؟ إن الشاعر يقسم بأشواقه وبحرمة الصبر الجميل – وهو قسم لو تعلمون عظيم – يقسم أن عينه ما استحسنت سوى محبوبه ، وأن قلبه ما صبا الى محبوب سواه . وقوة المعنى والروح ظاهرة فى هذين البيتين ظهوراً قويّاً .

والنفس قد تلهج فى عالم الأحلام بمعان شتى فليس من الكثير أن يلهج ابن الفارض فى نومه بالمعانى الشعرية ، ولكن الكثير أن يتفق لعقله الباطن أن لا يتحدّث بغير توحيد المحبوب ، وتلك شارة الصدق ، والصدق هو الدعامة الأولى لقوة الروح .

٣ – شغل ابن الفارض بالشعر نحو أربعين سنة ، وذلك أمدٌ طويل ، فلا ينتظر مع هذا أن يصبغ شعره بصبغة واحدة ، وانما توجب طبيعة الأشياء أن يكون لشعر

---

(١) صح عندى أن ابن الفارض استوحى الشريف الرضى فى قصائده الحجازيات .

الصبا لون ، ولشعر الكهولة لون ، وقد كان الأمر كذلك ، فلابن الفارض قصائد تمثل الشباب ، وله قصائد لا تصدر عن غير الكهول .

والوحيُ واحدٌ في شعر ذينك العهدين ، وهو الحب ، وان كان يختلف بعض الاختلاف : فالحب في العهد الأول كان حباً حسياً ، ومن العسير أن تقول بغير ذلك فقد كان ابن الفارض في صباه مضرب الأمثال في نضارة الجسم واشراق الجبين ، وكان لابدَّ لمثله في جماله وشبابه من صبوات . وكان لا بدَّ أن توحي اليه تلك الصبوات بأشعار فيها ثورة وفيها حنين ... وإني لأعترف بأن من العسير أن نجد لذلك نماذج صريحة ، ولكن ماحاجتنا الى تلك النماذج ، وجمهرة شعره تؤيد هذا الرأي ؟ اننا لو غضضنا النظر عن التائية الكبرى وما نحا نحوها من شعره لرأينا الروح السائد في الديوان يمثل شعر الشباب ، ولو ألقيت جملة قصائده في ديوان آخر لما تنبه أحد الى تمثل الشوق الى الذات الالهية ، فان هذا الملحظ لم يخلقه الا التفكير في شخصية بن الفارض ، وقد شاع في المشرقين انها شخصية روحيه .

والحبُّ الحسي عند ابن الفارض كان أساس الحب الروحي ، وقد هدتنا التجارب الى أن المحبين في العوالم الروحية كانوا في بدايتهم محبين في الأودية الحسية ، والهيام بالجمال الالهي لا يقع إلا بعد الهيام بالجمال الحسي ، ولو شئت لضربت المثل بقصة ابراهيم حين رأى القمر فقال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، والمحبون في الأودية الحسية لا يتجهون الى العوالم الروحية إلا بعد أن تدلهم الدنيا على أن الجمال الانساني كالظل يتحول ويزول ، وأشعار ابن الفارض في جملتها تمثل معاني حسية ، هي في بعض الأحوال رمز للمعاني الروحية . وهذا الرمز تفرضه سيرة ابن الفارض وقد ذاق الكأسين فعرف الحب الحسي والحب الروحي ، ويكاد يكون من اليقين عندنا أن حبه الأول هو السر في قوة حبه الثاني ، لأننا نعرف الله أول ما نعرف عن طريق المحسوسات ، وكل جمال في عالم الحس هو تذكير بالجمال المكنون في عالم الروح . والمحسوسات نفسها لاتوحي الشعر الا حين تستعدُّ النفس لفهم ما فيها من الدلالات الوجدانية ، وأساس الحب هو التفاهم ، فالتمثال من المرمر قد يوحي الاعجاب ولكنه لايوحي العشق إلا إن تمثلنا مايرمز إليه من الروح . والصورة الجميلة الحية قد تمرُّ بلا حب ولا وجد حين نحرم التفاهم مع الشعراء . ألا تذكرون مايسمونه لغة العيون ؟ ان بعض العيون تتكلم بلا صوت فتوحي ماتوحي من الهدى والضلال .

وابن الفارض على هذا مدين الى الصور الجميلة التى ألهبت حواسه وهو يغدو ويروح فى ميادين القاهرة ، وأ كاد أرى بعينى أشباحاً تختال فى قصائده الصوفية ، وهو نفسه استغلّ الأساليب والصيغ التى اصطنعها شعراء الحب الحسى من أمثال ابن الأحنف وابن زيدون .

أليس من العجب أن تعجز جماهير الصوفية فى طوال الأزمان عن خلق لغة للحب الالٰهى تستقل عن لغة الحب الحسى كل الاستقلال ؟ ولم كان ذلك ؟ لأن الحب الالهىّ يغزو القلوب بعد أن تكون انطبعت على لغة العوام أصحاب الصبوات الحسية ، فيمضى الشاعر الى العالم الروحى ومعه من عالم المادة أدوات وأخيلة هى عظة فى تصوير عالمه الجديد ، ومثلهم فى ذلك مثل ابن الجهم حين غلبت عليه أخيلة البادية وهو يخاطب الخليفة فى بغداد .

ومهما يكن من شىء فابن الفارض شاعر عاشق توزّعت عواطفه بين عالم المادة وعالم الروح وهو فى أ كثر شعره يعبر عن نفس صافية استطاعت السيطرة على طوائف من الناس زمناً غير قليل .

٤ ـ وشعر ابن الفارض يتراوح بين الفطرة والتكلف ، ومن المحتمل أن يكون ماصنع ابن بنته بشعره هو سبب ذلك التكلف ، فقد سمعت أستاذنا المهدى رحمه الله يقول فى محاضراته بالجامعة المصرية إن ذلك السبط كان يضيف أبياتاً الى بعض القصائد . غير أنه يجب أن نفرق بين التكلف والضعف ، لأن التكلف كان يغلب على أ كثر الشعراء فى عصر ابن الفارض ، فما وسم من شعره بذلك الطابع لايمكن أن يشك فيه كله ، وانما يتطرق الشك الى ماظهر عليه الضعف كالذى وقع فى الهمزية التى مطلعها :

أرج النسيم سرى من الزوراء   سحراً فأحيا ميت الأحياء

ففيها كثير من التكلف ، ولكنها لاتخلو من قوة ، ولننظر هذه الأبيات :

ياساكنى البطحاء ! هل من عودة   أحيا بها ياساكنى البطحاء ؟
إن ينقضى صبرى فليس بمنقضٍ   وجدى القديم بكم ولا بُرَحائى
ولئن جفا الوسمىّ ماحل تربكم   فمدامعى تُربى على الأنواء
واحسرتى ! ضاع الزمانُ ولم أفز   منكم أهيلَ مودتى بلقاء

ومتى يؤمّل راحةً مَن عمره يومان يوم قلى ويوم تناء؟!
وحياتكم يا أهل مكة وهى لى قسم لقد كلفت بكم أحشائى
حبيكم فى الناس أضحى مذهبي وهواكمُ دينيَ وعَقد ولائى
يا لائمى فى حب مَن مِن أجله قد جدّ بى وجدى وعزّ عزائى
هلاّ نهاك نُهاك عن لوم امرىء لم يلف غير منعَّم بشقاء
لو تدر فيم عذلتنى لعذرتنى خفّض عليك وخلّنى وبلائى !

وهذا من الشعر المقبول ، ولكن هذه القصيدة ختمت بأبيات أرجح أنها من وضع ذلك السبط الذى أراد أن يزيد ثروة جده فأساء ، ولنقرأ هذه الأبيات :

واهاً على ذاك الزمان وما حوى طيب المكان بغفلة الرقباء
أيام أرتع فى ميادين المنى جذلاً وأرفل فى ذيول حباء
ما أعجب الأيام توجب للفتى منحاً وتمنحه بسلب عطاء
يا هَلْ لماضى عيشنا من عودة يوماً وأسمح بعده ببقاء؟
هيهات اخاب السعى وانفصمت عرى حبل المنى وانحلّ عقد رجائى
وكفى غراماً أن أبيت متيماً شوقى أمامى والقضاء ورائى

والديباجة واحدة ، أو متقاربة ، ولكن النفس تختلف اختلافاً شديداً يدركه الذوق ، وأخشى أن يكون تدخل ذلك السبط هو العلة فى أكثر ما وقع فى ديوان ابن الفارض من الاسفاف .

٥ ــ قلت ان التكلف كان كثيراً فى الشعر لعهد ابن الفارض . وكذلك نجده مفتوناً بفنون البديع من تورية وجناس وطباق ، وإن لم يسرف فى الشغف بتلك الفنون . وقد اتفق له مرة أن يمعن فى التكلف ، وذلك فى قصيدته الذالية ، فان قافية الذال صعبة جداً ، ولا يقبل عليها الشعراء الا متكلفين . والذى يراجع القوافى العربية يرى الشعراء لا يتخذون الذال قافية الا فى الأبيات والمقطوعات ، ويراهم لا يقصّدون قصائدهم بالذال الا فى النادر القليل ، أما ابن الفارض فقد بدا له أن يغرب ، وأن يدل معاصريه على امتلاكه لناصية تلك القافية الشَّموس ، فقال :

صدّ حمى ظمئى لمَاك لماذا وهواك قلبي صار منه جُذاذا

إن كان في تلفي رضاك صبابةً ولك البقاء وجدتُ فيه لذاذا
كبدي سَلبتَ صحيحةً فامنن على رمقي بها ممنونة أفلاذا
يا راميـــاً يرمي بسهم لحاظه عن قوس حاجبه الحشا إنفاذا
أني هجرت لهجر واش بي كمن في لومه لوّمٌ حكاه فهاذا (١)
وعليّ فيك من اعتدى في حَجره فقد اغتدى في حجره ملاّذا
غير السلو تجـده عندي لائمي عمن حوى حسن الورى استحواذا
ياما أميلحه رشاً فيه حَـلا تبديله حالي الحـــلىّ بذاذا
أضحى باحسان وحسن معطياً لنفـــائس ولأنفس أخّاذا

وما نحب أن ننقل القصيدة كاملة ، ويكفي أن نشير الى أنها تجاوزت الخمسين بيتاً فهي قصيدة طويلة،وطولها يشهد بما وقع فيها من التكلف . والشاعر حين يتخير قافية وعرة كقافية الذال يشغل عن المعاني ، ويتجه فكره الى البحث عن الألفاظ ، ونحن نعرف كيف تجني مثل هذه المحاولة على الشاعر ، وتصرف روحه عن الأجواء الشعرية ، وتحوّله الى صفوف «النظمة» بعد أن كان من الفنانين .

٦ ـ ومن الاتجاهات الفنية التي غلبت على ابن الفارض ميله الى « التصغير » وقد غلب عليه هذا الميل غلبة قوية ، بحيث نجد آثاره في جميع القصائد ، فأهل الحي وأهل الود هم غالباً « أهيل الحي وأهيل الود » :

يا أهيـل الودّ أنّى تنكرو نيَ كهلاً بعـد عرفاني فتيّ

وفي هذا البيت وحده تصغيران .

والظبي عنده ظُبَيّ :

هـل سمعتم أو رأيتم أسـداً صاده لحظ مهاةٍ أو ظُبَيّ

والهوى عنده هُوَيّ :

وضعَ الآسي بصـدري كفه قال: مالي حيلة في ذا الهوى

واللمى عنده لُمَيّ :

(١) في هذا البيت ركاكة ظاهرة ، وكذلك البيت الذي يليه .

آه ! واشوقي لضاحي وجهها وظما قلبي لذيّاك اللمىّ

وفي هذا البيت تصغيران .

والأرى ارىّ :

وأرى من ريحه الراح انتشت وله من وَلهٍ يعنو الأرىّ

وفي هذه القافية وحدها تصغيرات كثيرة ، وكذلك الحال في أكثر القصائد ، وربما كان ابن الفارض أكثر من اهتموا بالتصغير بين شعراء اللغة العربية وعند درس تصغيراته نراها مالت أحياناً الى التكلف أو الجناية على المعنى ، كالذي وقع في تصغيره الهوى والأرى . ولا يقف كلفه بالتصغير عند الأسماء ، بل يتعداه الى الإكثار من تصغير فعل التعجب كقوله :

ياما أميلح كل مايرضى به ورضابه ياما أحيلاه بفى

وكما يكثر عنده التصغير تكثر عبارة (لعمرك) وهي عبارة جاهلية فتن بها عمر بن أبي ربيعة فتنة شديدة وأنس بها ابن الفارض .

٧ ـ ومما شارك فيه ابن الفارض معاصريه الغرام بالألغاز ، واللغز ليس من الشعر في شيء ، انما هو نظم يراد به اختبار الذكاء ، ولذلك نرى اللغز بعيداً عن فن ابن الفارض الذي يعتمد على الروح .

وألغازه من الوجهة النظمية فيها الثقيل والمقبول . وقد راجعناها فلم نرض فيها عن شيء ، ويكفي هذا الشاهد في الإلغاز بحلب :

مابلدة في الشام قَلْبُ اسمها تصحيفه أخرى بأرض العجم

وثلثه إنْ زال من قلبه وجدته طيراً شجيّ النغم

وثلثه نصف وربع له وربعه ثلثاه حين القسم

ويمكن الرجوع في ديوانه الى الصفحات ١١١ — ١١٥ ففيها ما يكفي لتصوير هذا الجانب من فنونه النظمية .

٨ ـ وشارك معاصريه أيضاً في الاشارات النحوية ، وإن لم يسرف في ذلك ، وحسبنا هذا الشاهد :

نَصَباً أكسبني الشوقَ كما تُكسبُ الأفعالَ نَصباً لامُ كَيْ

وجانس فى هذا البيت بين النَّصب والنَّصَب فلم يصل بما تـكلف إلا لمعنى هزيل .

٩ ـ وابن الفـارض كأ كثر الشعراء لا يعيّن اسم الحبيب ، وإنما يدور حول طائفة من الأسماء ، فهواه حيناً عند سعاد كأن يقول :

ماشِمتُ البَشام إلا وأهـدى لفؤادى تحيـةً من سـعادِ

وحينا عند رُقىّ — مرخم رقية — كقوله فى اليائية :

خاطِبَ الخطب ِ دع الدعوى فما بالرُّقى نرقى الى وصل رُقىّ

وقد جرى اسم ليـلى فى شعره مرات كثيرة ، ولـكنّ أرق الاسماء عنده اسم « نعم » وهو يدور حوله بحنان :

اذا أنعمتْ ُنعمٌ علىّ بنظرة فلاأسعدت سعدى ولاأجملت ُجملُ

ومن لم يجُـدْ فى حب ُنعم بنفسه ولو جاد بالدنيا اليه انتهى البخلُ !

وقد ضرب بها المثل حين قال فى وصف الراح :

ويطرب مَن لم يدرها عند ذكرها كمشتاق ُنعمٍ كلما ُذكرت نُعمُ

ويتفق له أن يجمع أسماء مختلفة فى بيت واحد ، كما جمع بين «نعم وسعدى وجمل» فى البيت الذى مرّ آنفاً ، وكـقوله فى الجمع بين ريا وعتبة سلمى .

ُعتب لم تُعتِبْ وسلمى أسلمت وحمى أهل الحمى رؤية رَىّ

ومثل هذا البيت يدل على أن الأسماء ليست عنده إلا إشارات مبهمة لمـا يرمز اليه فى عالم الروح .

١٠ ـ ولقب ابن الفارض عند الصوفية لقبٌ طريف ، وهو «سلطان العاشقين» وقد شهد لنفسه بهذه السلطنة الوجدانيـة فى مواضع كثيرة ، فجعـل نفسه إمام العشاق ، ومحبوبه إمام الملاح ، حين قال :

كل مَن فى حِماك يهواك لـكن أنا وحدى بكل مَن فى حِما كا

ُفقتَ أهل الجمـال حُسناً وحسنى فبهم فاقةٌ الى معناكا

يحشر العاشقون تحت لوائى وجميع المـلاح تحت لواكا

وهو معنى جيد انتهبه أحد الزجالين فى العصر الحاضر فقال :

أنا في العشاق أميرٌ وأنت في الحلوين ملك

وجعل نفسه قدوةً في الحب للأولين والآخرين حين قال :

قل للذين تقدموا قبلي ومَن بعدي ومَن أضحى لأشجاني يرى
عني خذوا وبيَ اقتدوا وليَ اسمعوا وتحدَّثوا بصبابتي بين الورى

وجعل المحبين جنده حين قال :

نسخت بحبي آيةَ العشق من قبلي فأهل الهوى جندي وحكمي على الكلّ
وكل فتًى يهوى فاني إمامُه واني بريءٌ من فتًى سامعِ العذلِ

وهو في هذا المعنى بصوره المختلفة مسبوق بالشاعر الذي ألهمه فن الحجازيات ، وهو الشريف الرضي حين قال :

وإني لمجلوبٌ ليَ الشوق كلما تنفس شاكٍ أو تألم ذو وجدِ
تَعرَّضُ رسل الشوق والركب هاجد فتوقظني من بين نوّامهم وحدي

١١ — ولابن الفارض معانٍ كلف بها كلفاً شديداً ، ودار حولها طويلاً ، وأظهرُ ما اهتمَّ به وصف النحول ، وقد عرض له بصور كثيرة ، فيها المتكلف والمقبول ، فتارة يحدثنا أنه ضني حتى خفي عن العوّاد فيقول :

خفيت ضنى حتى لقد ضلّ عائدي وكيف ترى العُوّاد مَن لا له ظلُّ
وما عثرتْ عينٌ على أثري ولم تدع ليَ رسماً في الهوى الأعينُ النُّجلُ

وتارةً يحدثنا بأنه كاد يخفى عن نفسه فيقول :

أخفيت حبكمو فأخفاني أسًى حتى لعمري كدت عني أختفي !

وحيناً يترفق فيذكر أن جسمه ضني حتى كاد يشف عما يضمر من أسرار الهوى وانه ما زال يفني بالنحول حتى خفي عن برء الاسقام وبرد الأوام ، فيقول :

يشف عن الاسرار جسمي من الضنى فيغدو بها معنى نحولُ عظامي
صريح هوًى جاريت من لطفيَ الهوا سُحيراً فأنفاس النسيم لمامي
صحيحٌ عليلٌ فاطلبوني من الصَّبا ففيها كما شاء النحول مُقامي
خفيت ضنى حتى خفيت عن الضنى وعن برء أسقامي وبردِ أوامي

ولم يُبق منى الحبُّ غير كآبةٍ وحزن وتبريح وفرط سقام
ولم أدر مَن يدرى مكانى سوى الهوى وكتمان أسرارى ورعى ذمامى
لينج خلىٌّ من هوايَ بنفسهِ سليماً ويا نفسُ اذهبى بسلام !

والكلامُ عن الضنى والنحول كثيرجداً فى قصائد الشعراء ، ولكن إمعان ابن الفارض فى هذا المعنى جعله منخواصّه الشعرية ، وافتنانهُ فيه افتنانٌ طريف تظهر طرافته لمن يتأمل كيف قصَر الهوى على تعرف جسمه النحيل .. وليتذكر القارىء أن أكثر الشعر فى النحول ليس الا مظهراً من مظاهر الذكاء ، وحظ العاطفة فيه قليل ؛ فالحسين بن مطير يجمل جسمه أضعف من أن يهتزّ له عود الثمام فيقول :

فلو أن ما أبقيت منى معلّقٌ يعود ثُمام ما تأوّد عودها

والمتنبى يزعم أن جسمه لم يبقَ من آثاره غير الصوت ، فيقول :

كفى بجسمه نحو لاً أننى دجل لولا مخاطبتى إياك لم ترنى !

وقد بلغ أحد المولدين غاية الظرف حين قال :

عادنى ممرضى فلم ير منى فوق فرش السقام شيئاً يراهُ
قال لى : أين أنت ؟ قلت : التمسنى ! فبكى حين لم تجدنى يداهُ !

أما ابن الفارض فيجمع بين العاطفة والذكاء حين يتكلم عن النحول ، ومن التجنى أن نقول إن قطعته الأخيرة ليست إلا براعة فنية فى تلوين الخيال .

١٢ - وابن الفارض يشارك جمهور الشعراء فى الحديث عن طيف الخيال . ولكن صوره الشعرية فى هذا الباب تمتاز بألوان من القلق الروحانى ، لأنه يستصغر زيارة الطيف - وكان البحترى والمتنبى يريانها من مُتع الوصال ، ولننظر هذه الأبيات التى يصف فيها الخيال بالارجاف :

يا مانعى طيب المنام ومانحى ثوب السقام به ووجدى المتلفِ
عطفاً على رمقى وما أبقيت لى من جسميَ المضنى وقلبى المدنفِ
فالوجدُ باقٍ والوصالُ مماطلى والصبر فانٍ واللقاء مسوّفى

لم أخل من حسدٍ عليك فلا تُضِعْ ... سهرى بتشييع الخيال المرجفِ (١)
واسأل نجوم الليل هل زار الكرى ... جفنى، وكيف يزور مَن لم يعرف ؟

فهو يرى الطيف لا يروى الغليل ، وقد ذهب الى أبعد غايات الشره الروحانى إذ قال :

وإذا اكتفى غيرى بطيفِ خيالهِ ... فأنا الذى بوصاله لا أكتفى !

ونراه فى مكان آخر لا ينتظر طيف الحبيب فى النوم ، وانما يتصيده وهو يقظان ولننظر هذه الأبيات :

لك قربٌ منى ببعدكَ عنى ... وحُنوٌّ وجدتُه فى جفاكا
علَّم الشوقُ مقلتى سهر اللي ... ل فصارت من غير نوم تراكا
حبذا ليلةٌ بها صِدتُ إسرا ... كَ وكان السهادُ لى أشراكا
بات بدرُ التمام طيفَ محيا ... كَ لطرفى بيقظتى إذ حكاكا
فتراءيتَ فى سواكَ لعينٍ ... بك قَرَّتْ وما رأيت سواكا

وهذا الطيف أظرف الأطياف ، والشاعر يحدثنا بأنه يرى فى البعد قرباً ، وفى الجفاء حُنواً ، لأن محبوبه يبعد ويجفو عن عمـد ، وتعمدُ الهجر صورةٌ من صور الوصال ، ثم يحدثنا بأنه يتخذ السهاد شركاً يتصيد به طيف المحبوب ، ثم ينظر الى البدر فيرى فيه خيال محياه . ثم يهتف بهذا البيت :

فتراءيتَ فى سواكَ لعينٍ ... بك قرَّتْ وما رأيتُ سواكا

ومن طريف ما تلفت اليـه تعلقه بطيف المـلام ، حـين يعزّ عليـه طيف المنام ، إذ يقول :

أدِرْ ذكر مَن أهوى ولو بملام ... فانّ أحاديثَ الحبيب مدامى
ليشهد سمعى من أحب وإن نأى ... بطيف ملامٍ لا بطيف منامِ

---

(١) فى نسخة الديوان « تشنيع » والذى أحفظه « تشييع » وهو عندى أنسب وناشر الديوان فسر التشنيع بالتفريع .

فلى ذكرها يحلو على كل صيغةٍ وإن مزجوه بعذّلى بخصامِ

كأن عذولى بالوصال مبشرى وإن كنت لم أطمع بردّ سلامِ

فهو يتذوّق اللوم ويتشهاه لأنه يصله بصورة المحبوب ، وهو فى هذا مسبوق بقول دعبل :

أجد الملامة فى هواك لذيذةً حبّاً لذكرك فليلمنى اللوّمُ !

وهذا السبق لا يغض من فضل ابن الفارض لأنه تناول المعنى بروح مغمور بصدق الاحساس ، ودليل ذلك أنه يعود الى هذا المعنى من حين الى حين ، كأن يقول فى مخاطبة العذول :

أحسنت لى من حيث لاتدرى وإن كنت المسىء فأنت أعدلُ جائرِ

بدنى الحبيبَ وإنْ تناءت دارهُ طيفُ الملام لطرف سمعى الساهرِ

فكأن عذلك عِيسُ مَن أحببتهُ قدمتْ علىّ وكان سمعى ناظرى !

وهو فى هذه الأبيات يجعل السمع نظراً يرى به طيف الملام . والتكلف فى الصورة تكلف مقبول ، ومن التكلف ما يُقبل ، لأنه يمثل لنا أخص النواحى الوجدانية فى ابن الفارض ، وهو شغفه باستحضار صورة المحبوب . ألسنا نراه يشطر وجوده شطرين يحسد أحدهما الآخر ، ويجعل بصره يتمنى لو عاد سمعاً لينعم بأخبار الحبيب ، إذ يقول :

بعضى يغار عليك من بعضى ويحسُدُ باطنى — إذ أنت فيه — ظاهرى [1]

ويودّ طرفى إن ذكرت بمجلسى لو عاد سمعاً مصغياً لمسامرى !

١٣ — واستحضار صورة المحبوب من أسرار العبقرية فى شعر ابن الفارض ، فهو فى أكثر شعره لايشغلنا بنفسه كما يشغلنا بذلك الحبيب ، وانه ليرى روحه أصغر من أن تقدّم هديةً لمبشره بقدوم أهل هواه :

وحياتكم ، وحياتكم ، قسماً ، وفى عمرى بغير حياتكم لم أحلفِ

لو أن روحى فى يدى ووهبتها لمبشّرى بقدومكم لم أنصفِ !

---

(١) ظاهرى هو فاعل « يحسد »

وكل شيء في الوجود يمثل لروحه صورة الحبيب : فهو يراه في ملامة العذال ، وفي لمع البرق ، وفي نغمة العود والنـاي ، وفي مسارح الظبـاء ، وفي برد الصباح والأصيل ، وفي مساقط الأنداء ، على بساط الأزهار ، وفي أذيال النسيم ، ويراه في ثغر الـكأس وريق المدام ، ولا قيمة للغربة ولا معنى للانزعاج مادام في صحبة المحبوب :

تراه إن غـاب عـني كلُّ جارحـة ... في كل معنًى لطيفٍ رائق بهج
في نغمة العود والناي الرخيم إذا ... تآلفـا بين ألحان من الهـزج
وفي مسارح غـزلان الخـائل في ... بَرد الأصائل والاصباح في البَـلج
وفي مساقط أنداء الغمام على ... بساط نور من الأزهار منتسج
وفي مساحب أذيال النسيم إذا ... أهدى اليَّ سُحيراً أطيب الأرج
وفي التثاميَ ثغر الـكأس مرتشفاً ... ريقَ المدامة في مستنزهٍ فرج
لم أدر ما غربة الأوطان وهو معي ... وخاطري أين كنا غيرُ منزعج

وقد يقال ان استحضار صورة المحبوب واضح في كل قصائد النسيب ، وهـذا صحيح ، ولـكنه في شعر ابن الفارض أوضح ، والصبابة في تشبيبه تبلغ غاية القوة في كثير من الأحيان ، ولا نغالي اذا قلنا ان هذه الالتفاتة الوجدانية ممـا تفرد به ابن الفارض ، أليس هو الذي يقول في قوة عاتية :

وقلتُ لرشدي والتنسك والتقى ... تخلَّوا وما بيني وبين الهوى خلُّوا
وفرَّغتُ قلبي عن وجودي مخلصاً ... لعليَ في شغلي بها معها أخلو !

أرأيتم كيف يسعى الشاعر لتفريغ قلبـه عن وجوده الذاتي ، ويقصر خطراته النفسية على الشغل بالمحبوبة عساه يظفر من ذلك بخلوة روحية ؟

وانظروا كيف يبهركم وجه تلك المحبوبة وهو يمثل لـكم لألاءه بهذه الأبيات :

جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي ... فأصبح لي عن كل شغل بها شغلُ
فنافس ببذل النفس فيها أخا الهوى ... فان قبلتها منك يا حبذا البذل
فمن لم يَجُـد في حب نُعمٍ بنفسهِ ... ولو جاد بالدنيا اليـه انتهى البخل
ولولا مراعاة الصبابة غيرة ... ولو كثروا أهـل الصبابة أو قلوا

لقلت لعشاق الملاحة أقبلوا — اليها على رأيى وعن غيرها وَلُّوا
وان ذكرت يوماً فخرّوا لذكرها — سجوداً وان لاحت الى وجهها صلُّوا
وفى حبها بعت السعادة بالشقا — ضلالاً وعقلى عن هداى به عَقْلُ
ومن أجلها أسعى لمن بيننا سعى — وأعدو ولا أغدو لمن دأبه العذل
فارتاح للواشين بينى وبينها — لتعلم ما ألقى وما عندها جهل
وأصبو الى العذال حبّاً لذكرها — كأنهمُ ما بيننا فى الهوى رسل
فان حدثوا عنها فكل مسامع — وكلى إن حدثتهم ألسنٌ تتلو
تخالفت الأقوال فينا تبايناً — برجم ظنون بيننا ما لها أصل
فشنع قومٌ بالوصال ولم تصلْ — وأرجف بالسلوان قومٌ ولم أسل
فما صدق التشنيع عنها لشقوتى — وقد كذبت عنى الأراجيف والنقل
وكيف أرجِّى وصل من لو تصورتْ — حماها المنى وهماً لضاقت بها السُّبْل
وإن وعدت لم يلحق الفعلُ قولها — وإن أوعدت فالقول يسبقه الفعل
عدينى بوصلٍ وامطلى بنجازهِ — فعندى اذا صح الهوى حسنَ المطل
وحُرمة عهدٍ بيننا عنه لم أحل — وعقدٍ بأيدٍ بيننا ماله حَلُّ
لأنت على غيظ النوى ورضى الهوى — لدىّ وقلبى ساعة منك ما يخلو

وهذه القطعة لا تحتاج الى تعليق ، وقد نقلناها على طولها لأهميتها فى تأييد ما نقول به من غرام هذا الشاعر باستحضار صورة المحبوب ، وهى فى أنفسنا حية كل الحياة . ولا يرى فيها فتوراً أو ركاكة إلا مَن يقصُر وجدانه عن ادراك ما فيها من معانى الشوق والحنان .

ولننظر لوعةَ الوجد فى ختام هذا القصيد ، وهى تمثل ذلك المعنى أصدق تمثيل :

تُرى مقلتى ، يوماً ، ترى من أحبهم — ويُعتبنى دهرى ويجتمع الشمل
وما برحوا معنًى أراهم معى فان — نأوا صورةً فى الذهن قام لهم شكل
فهم نصب عينى ظاهراً حيثما سروا — وهم فى فؤادى باطناً أينما حلوا
لهم أبداً منى حنوٌّ وإن جفوا — ولى أبداً ميلٌ اليهم وإن ملوا

١٤ ــ والصبابة الصادقة تواجه مَن يقرأ ديوان ابن الفارض فى مواضع كثيرة ، برغم ما يقع فيه أحياناً من التعمل والاسفاف ، وأكثر الناس يعرفون الفائيــة التى يستهلها بهذا الابتهال :

قلبي يحدثني بأنك متلفي ... روحى فداك عرفتَ أم لم تعرف!

لم أقض حقّ هواك إن كنت الذى ... لم أقض فيه أسًى ومثلى من يفى

ما لى سوى روحى وباذل نفسه ... فى حبِّ من يهواه ليس بمسرف

فلئن رضيت بها فقد أسعفتنى ... يا خيبة المسعى اذا لم تسعف !

ومن هذا الباب قصيدته الميمية التى يشرح فيها كيف طاب له الافتضاح ، ولذّ له الاطّراح ، وكيف رضى بالذلة بعد العزة ، وحلا له التهتك وخلع العذار وارتكاب الآثام بعد النسك والتقوى ، الى أن يقول :

أصلّى فأشدو حين أتلو بذكرها ... وأطرب فى المحراب وهى إمامى

وبالحج ان أحرمتُ لبيتُ باسمها ... وعنها أرى الامساك فطر صيامى

أروح بقلب بالصبابة هائم ... وأغدو بطرفٍ بالكآبة هامِ

وفى كل عضوٍ فىّ كلُّ صبابةٍ ... اليها وشوقٌ جاذبٌ بزمامى

ولو بسطت جسمى رأت كل جوهر ... به كل قلب ، فيه كل غرام

ولما تلاقينا عشاءً وضمنا ... سواء سبيلىْ دارها وخيامى

وملنا كذا شيئاً عن الحى حيث لا ... رقيبٌ ولا واش بزور كلام

فرشتُ لها خدى وطاءً على الثرى ... فقالت لك البشرى بلثم لثامى

فما سمحت نفسى بذلك غيرةً ... على صونها منى لعزّ مرامى

وبتنا كما شاء اقتراحى على المنى ... أرى الملك ملكى والزمان غلامى

وهذا المنظر بعينه مرّ بقصيدة للشريف الرضى . وكلا الشاعرين يتحدث عن العفاف . أما الشريف فيذكر أنه قضى الليل مع محبوبته فى عناقٍ عفيفٍ :

بتنا ضجيعين فى ثوبَىْ هوًى وتُقًى ... يلفّنا الشوق من فرع الى قدم

وبيننا عفةٌ بايعتها بيدى ... على الوفاء بها والرعى للذمم

أما ابن الفارض فقد اقترح أن يبيتا على المنى ، وتلك أقصى غاية العفاف .

١٥ - ومن أهم قصائد ابن الفارض قصيدة « شربنا على ذكر الحبيب » وهى قصيدة رمزية بلا جدال . والخمر فيها خمر الحقيقة التى شغفت الصوفية وملأت قلوبهم بألحان الوجد والحنين .

ومن أجل هذا نرى مبالغاته مقبولة كل القبول حين يصفها بالقدرة على كل شىء :

وإن خطرت يوماً على خاطرى امرىء ... أقامت به الأفراح وارتحل الهمّ
ولو نظر الندمان ختم إنائها ... لأسكرهم من دونها ذلك الختم
ولو نضحوا منها ثرى قبر ميت ... لعادت اليه الروح وانتعش الجسم
ولو طرحوا فى فىء حائط كرمها ... عليلاً وقد أشفى لفارقه السقم
ولو قرّبوا من حانها مُقعداً مشى ... وتنطق من ذكرى مذاقتها البُكم
ولو عبقت فى الشرق أنفاس طيبها ... وفى الغرب مزكومٌ لعاد له الشم
ولو خضبتْ من كأسها كفُّ لامس ... لما ضلّ فى ليل وفى يده النجم
ولو جُليتْ سرّاً على أكمهٍ غداً ... بصيراً ومن راووقها تسمع الصُّمُّ
ولو أن ركباً يمموا تُرب أرضها ... وفى الركب ملسوعٌ لما ضرّه السم
ولو رسم الراقي حروف اسمها على ... جبين مصاب جُنَّ أبرأه الرسم
وفوق لواء الجيش لو رُقم اسمها ... لأسكرمَن تحت اللوا ذلك الرسم

وهذه الخمرة العالية هى خمر الحقيقة ، وهى الذات الالهيّة التى تقول للشىء كن فيكون :

يقولون لى صفها فأنتَ بوصفها ... خبيرٌ ، أجل ! عندى بأوصافها علم
صفاءٌ ولا ماءٌ ، ولطفٌ ولا هوًى ... ونورٌ ولا نارٌ ، وروحٌ ولا جسم
تقدم كل الكائنات حديثها ... قديماً ولا شكل هناك ولا رسم

وهل فى عالم المعانى أدق وأبرع من هذا الالتفات الطريف إذ يقول هذا الشاعر النشوان :

وقالوا شربت الأثم ! كلا ، وإنما ... شربت التى فى تركها عندىَ الاثم !

هنيئاً لأهل الدير كم سكروا بها ... وما شربوا منها ولكنهم همّوا

وهذا البيت يعين أنها خمر الحقيقة ، ولو أراد خمر أبي نواس لما صح له أن ينكر شرب الرهبان من تلك الراح ، وكيف والرهبان كانوا سادة الشاربين ، والى دياراتهم كان يحج عشاق الرحيق ؟!

والشاعر يحدثنا بأن الرهبان همّوا بشرب تلك الخمر ، خمر الحقيقة ، وهذا حق : فقد كان الصوفية يرون الرهبان أئمة التنسك لو صحّ لهم دين ، وقد وردت كلمة « راهب » في مقام التعظيم في قول الرشيد « كان أبو العباس عيسى بن علي راهبنا وعالمنا أهل البيت[1] » .

وابن الفارض يمضي فيقول :

وعنديَ منها نشوة قبل نشأتي ... معي أبداً تبقى وإن بَليَ العظمُ

وهذه النشوة التي سبقت الوجود ليست كتلك النشوة التي وقعت في قول أحد المتحذلقين :

أسكر بالأمس إن عزمت على الشر ... ب غداً ... إن ذا من العجبِ !

وانما هي نشوة من يؤمن بخلود الروح ويعتقد أن لها نشوات قدسية قبل الخلق وبعد الموت :

فلا عيش في الدنيا لمن عاش صاحياً ... ومَن لم يمت سكراً بها فاته الحزمُ

على نفسه فليبكِ من ضاع عمره ... وليس له فيها نصيبٌ ولا سهمُ

١٦ — ولا يسع من يهتم بدرس ابن الفارض أن يغفل التائية الكبرى ، وهي في نحو ستمائة بيت ، وقد نظمها تحت وحي التصوف ، وهي قصيدة يغلب عليها التكلف وفيها مع ذلك مواقف مضمخة بعبير الروح ، كأن يقول :

وما ظفرت بالودّ روحٌ مراحةٌ ... ولا بالولا نفسٌ صفا العيش ودّتِ

وأين الصفا ؟ هيهات من عيش عاشق ... وجنة عدنٍ بالمكاره حفّتِ !

وكان يقول في خطاب الحقيقة السرمدية :

وعن مذهبي في الحب ما ليَ مذهبٌ ... وإن ملتُ يوماً عنه فارقت ملتي

ولو خطرت لي في سواك ارادةٌ ... على خاطري سهواً قضيت بردّتي

لك الحكم في أمري فما شئت فاصنعي ... فلم تكُ الا فيك ، لاعنك رغبتي

(١) تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٥٠

١٧ ــ والمتأمل فى شعر ابن الفارض من الوجهة الفنيـة يراه تأثر ببعض التأثر باللغة المصرية ، فهو يجمع الفعل حين يكون الفاعل جمعاً ، وذلك معروف عن المصريين فى لغة التخاطب ، وإن كان لا يفعل ذلك إلا حين تقهره ضرورة شعرية .

١٨ ــ وبمناسبة مصر نذكر أنها لا تمر فى شعره إلا قليلا ، فقد كان هواه كله فى الحجاز ، وأظهر موضع مرّ فيه اسم مصر هو قوله فى التشوق الى أهل نجد :

يا أهل ودى هل لراجى وصلكم	طمعٌ فينعم باله استرواحا
مذ غبتم عن ناظرى لىَ أنةٌ	ملأَت نواحى أرض مصر نواحا
واذا ذكرتكمُ أميل كأننى	من طيب ذكركمُ سقيت الراحا
واذا دُعيتُ الى تناسى عهدكم	ألفيت أحشائى بذاك شحاحا

١٧ ــ ومؤرخو الأدب العربى لا يرون ابن الفارض من الفحول ، وفى ظنى أنْ سيفكر فيه ناس بعد قراءة هذا البحث . على أن ابن الفارض لا ينتظر أن يحييه المؤرخون فقد حَيِيَ على ألسنة الجماهير حياة قوية ، ولا أزال أذكر كيف كان يحتشد الناس فى بيت الصواف بحىّ سيدنا الحسين ليسمعوا الشيخ حسن الحويحى ، وهو يتغنى بهذه الأبيات :

مابين معترَكِ الأحداق والمهج	أنا القتيـل بلا إثم ولا حرج !
ودّعتُ قبل الهوى روحى لما نظرت	عيناىَ من حسن ذاك المنظر البهج
لله أجفان عينٍ فيك ساهرةٍ	شوقاً اليك وقلب بالغرام شج
عذب بما شئت غير البعد عنك تجد	أوفى محب بما يرضيك مبتهج
وخـذ بقية ما أبقيت من رمق	لاخير فى الحب إن أبقى على المهج !

وقصيدة « تِهْ دلالا ً فأنت أهل لذاكا » يسمعها الجمهور فى « اسطوانة » للشيخ على محمود ولا تزال قصائد ابن الفارض متعة السامرين فى سهرات الصوفية .

وقد اهتم رجال من المؤلفين المشهورين بدرس ديوانه وشرحه ، وفى ذلك الحياة كل الحياة . كل شىء حىّ فى ابن الفارض حتى قبره ، وقد زرته مرة فرأيته مزدحماً بأفواج المبتهلين ؟

زكى مبارك



أبو القاسم الشابى

نظرة فى شعره عامة

يتساءل الناقد الانكليزى الكبير ماثيو أرنولد فى دراسته عن كيتس « هل كان كيتس شيئاً آخر غير كونه شاعراً ؟ » ولو جاز لنا أن نستعير منه هذا السؤال لقلنا « هل كان أبو القاسم الشابى شيئاً آخر غير كونه شاعراً ؟ » — ذلك أن أبا القاسم كان فناناً بكل ما تحوى هذه الكلمة من معنى .

فالشاعر المطبوع هو ذلك الذى يستطيع فى لباقة وسهولة أن يصور لك خلجات النفس الإنسانية والطبائع البشرية المتباينة ويصقلها لك فى أداء واف وتركيب سليم وهكذا كان أبو القاسم يعمد الى تصوير تلك الاحاسيس ويجمع ما تبعثر منها ثم يخلع على ذلك روحه وطبيعته الشاعرية الفنانة ، ويتعمق فى تفسير هذه الاحاسيس الجياشة فى نفسه الكبيرة تفسيراً يجعلنا نقف معجبين بهذه العبقرية الفذّة الناضجة الممثلة فى شاب لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره . وإذا كان لنا من عزاء فهو أنه توفى فى سنّ قبض عندها شاعر من أكبر شعراء إنكلترا الرومانتيكيين المبرّزين فى القرن التاسع عشر هو جون كيتس ، وكأنّ القدر أبى إلا أن يمثل هذه المأساة ثانيةً فى القرن العشرين لجاء الشابى من أنبغ شعراء العربية وممن كان ينتظر منهم أن يعيدوا للشعر العربى شبابه القوى ، وابتلاه بما ابتلى به كيتس من قبل فراح ضحية داء أقضّ مضجعه ، وعجل بركابه إلى وادى الموت فى وقت تتطلع فيه الأعين إلى مستقبل معسول الآمال ، حافل بشتى ضروب التجديد والحياة على يدى أبى القاسم الشابى .

فلا عجب حينذاك إذا أحسّ مطالعوه بالهوة السحيقة التى خلفها موت أبى القاسم

وليس بين أيدينا للأسف مجموعة كاملة من شعره الناضج ، بل كل ما لدينا هو هـذه النتف القليلة التي كان ينشرها في أبولو [١] ، ومهما يكن من ضآلتها فهي تدل على أنها إنجاب شاعر مطبوع ، وفنان قد قارب نهاية العبقرية ، وأديب يحق للعربية أن تفخر بأن اضاف إليها ثروة من المعاني على جانب كبير من القوة والتأمل ، ولو أتيح لهذا الشاب ان يجد مستشرقاً يدرس أدبه لطلع على العالم الغربي بثروة لاشك أنه سيهلل لها إعجاباً وإكباراً ، وستصبح عبقريته وشاعريته موضع الاجلال والعظمة ، ذلك لأن أبا القاسم لم يكن من أولئك الشعراء الذين يسيرون على نهج من تقدمهم ، بل كان من أئمة فريق يتطلع على الدوام الى الامام ، وينظر الى محيط أعمق مما ينظر فيه شبان اليوم ويصوّر بريشته السحرية صور عالم لا تحدّه النظرة الواحدة ، ولا يستقصي ما فيه التأمل السطحي ، بل هو عالم جيّاش بشتى من ضروب الاحساس ، فتشعر وأنت تقرأ شعره أنك أمام فيلسوف يجلو صور الحياة المتباينة ، ويسمو عن هذا العالم المادي الى عالم عبقري الخيال ، تدوي فيه أناشيد الوجود ، وتغني فيه ملائكة الحبّ .

كان أبو القاسم شاعراً ، وشاعراً عبقرياً مطبوعاً ، ولكن قبل أن نتناول شاعريته بالتحليل نقف وقفة ساذجة صغيرة ونقول : من هو الشاعر ؟ وما فائدته للعالم ؟ ماذا يكون حالته لو خلا منه ؟

هذه الأسئلة وأمثالها تدور في خلد الكثيرين ، ويذهبون في الاجابة عنها مذاهب شتى متشعبة النواحي، بيد أنا نقدم بين يدي القارىء كلمة صغيرة عن ماهية الشاعر . أول من يطالعنا من الأمم التي خلد الشعر آثارها الاغريق القدماء فنراهم يسمونه «الخالق» ذلك لأنه يعمد الى خياله وتفكيره وإحساسه وتذكره ويؤلف بين أشتاتها ، ويجعلها كلها تتحد في إبداع صورة جديدة التكوين لم يسبقه اليها أحد ، فهم ينظرون الى الشاعر نظرة فيها شيء من التقديس والتأليه ، وليس بعد هذه المرتبة منزلة لطامع يتطلع الى درجات سامية من الجلال . ولو أنك بحثت في شعر أبي القاسم لوجدته يبدع من خياله الفذ صوراً فتانة لم يسبقه اليها أحد وحسبك أن

(١) تفضل علينا صديقنا الشاعر التونسي صديق طاهر سعدي بكتاب يسمى (الأدب التونسي في القرن الرابع عشر) وفيه مجموعة لا بأس بها من شعر ابي القاسم رجعنا إليها فله خالص الشكر .

تطالع له قصيدته المسماة «صلوات فى هيكل الحب» أو «فى ظل وادى الموت» لترى أية عبقرية وأى إعجاز فى المعانى وابتكار فى الأخيلة ، والا فمن هذا الذى استطاع قبل أبى القاسم أن يأتى بهذه المعانى النادرة كقوله :

أنت ... ما أنت ؟ أنت رسم جميل عبقرىٌّ من فنِّ هذا الوجود
فيك ما فيه من غموض وسحر وجمال مقدَّس معبود
أنت روح الربيع تختال فى الدنيا فتهتز رائعات الورود
وتهبّ الحياة سكرى من العطر ويدوى الوجود بالتغريد

ولو شئنا الاستدلال على ذلك لعرضنا شعره جميعاً أمام أعين القرّاء .

لقد رأيت فيما سبق نظرة الاغريق نحو الشاعر وتعريفهم إياه ، والآن لنمض بك الى الأمة اللاتينية ، فتراها تطلق عليه كلمة Wates ومعناها (النبى) وبذلك وضعت الشاعر فى مرتبة النبوّة ، ذلك لأن كلا من الشاعر والنبى مكلف بتأدية رسالة جديدة لم يأت بها أحد قبله .

هذا هو الشاعر كما يراه الاغريق إلَهاً والرومان نبياً ، وكلا النظرتين فيها تنظيم لشأنه ، ورفعة من قدره ، واجلال له ولرسالته التى كلف بتأديتها ، ولعلك ترى تنيسون يصوّر الشاعر صورة مستمدّة من صميم نفسه ووجدانه فيقول : ولد الشاعر فى محيط ذهبى ، تتلألأ فوقه النجوم المذهبة ، وقد ركبت نفسه على حقد الحقد ، والازراء بالمكر وعشق الحب [1] وانما استدللت بهذه القصيدة بمناسبة ما قصه علىَّ الزميل الكريم الشاعر التونسى صديق طاهر سعدى من أن أبا القاسم كان ناصع السريرة ، لا يكنّ لاحد ما حقداً ، فلا عجب اذا بكته تونس والجزائر ، ولا غرو اذا قام الشعراء والادباء بتأبينه .

(١) راجع هذه القصيدة كاملة فى ديوان تنيسون تحت عنوان The Poet حيث يقول :

The Poet in a golden clime was born,
With golden Stars above;
Dowr'd with the hate of hate, the scorn of scorn,
The love of love.

* * *

كثيراً ما يتجرّد الشاعر عن مادية الحياة ، وينساب بنظره وخياله الى عوالم يصورها له الفكر ، فيرى بعقله الباطن ما تعجز العين المجرّدة عن رؤيته ، ولعلنا اذا أردنا محجة الحق وجادة الصواب قلنا إن الشاعر المبدع الخالق لابد له من إحساس قويّ يدفعه ، ثم يمده هذا الشعور الجارف الى تكوين الافكار التى تتكوّن منها القصيدة ولقد نحسّ بذلك قوياً وتلمس أثر هذا وصحته فى شعر أبى القاسم ، غزلا كان أم وجدانياً ، ومن مظاهر شاعريته القوية تلك الموهبة التى عرف كيف يستغلها فكانت بعض كلماته المفردة تخلق فى مخيلة القارىء عالماً آخر ، وترسم صوراً قوية واضحة كما فى قوله :

أنتِ تحيين فى فؤادى ما قد ... مات فى أمسىَ السعيدِ الفقيد
بعد أن عانقتْ كآبة أيا ... مى فؤادى وألجمتْ تغريدى

ثم هو يشعر بذلك شعوراً لايستطيع أن ينكره أو يتجاهله ، وكيف ينكره أو يتجاهله وهو يحسّ به كأنه الموج الصاخب الثائر يلهو بالسفينة وسط الخضم المزبد وقد ينكره وقد يتجاهله ولكن شاعريته وأحاسيسه يكشفان الستر فيقول :

فى فؤادى الغريب تخلق أكوانٌ ... من السحر ذاتِ حسنٍ فريد
وشموس وضاءةٌ ونجوم ... تنثر النور فى فضاء مديد
وربيع كأنه حلم الشاعر ... فى سكرة الشباب السعيد
ورباة لاتعرف الحلك الداجى ... ولا ثورة الخريف العتيد
وطيور سحرية تتناغى ... بأناشيد حلوة التغريد
وقصورٌ كأنها الشفق المخضو ... بُ أو طلعة الصباح الوليد
كل هذا . . . يشيده سحر عينيكِ ... والهام حسنك المعبود
لحرامٌ عليك أن تهدمى ما ... شاده الحسن فى الفؤاد العميد
فالالـه العظيم لايرجم العبدَ ... اذا كان فى جلال السجود

* * *

ولأبى القاسم قصيدة أسماها (ألحانى السكرى) وربما أحسّ القارىء فى العنوان

نفسه شيئاً من قوة الابتكار ، وروعة التجديد فى المعنى ، وتلك من الميزات التى طبع عليها أبو القاسم ، وان هاتين الكلمتين لحسب لتصوّر ان لسامعهما وادياً سحرياً تتغنى فيه ملائكة الحب ، وتدوى فيه أغاريد الشباب المعسول ومثل هذا ، غير أنا نترك العنوان ونمضى الى جوهر القصيدة ولبها فنرى الشاعر فيها يصوّر المحبين كالطائر فى الافق الساجى . ولعلكم تتبينون الرمزية (symbolism) فى قوله :

نحن مثل الربيع تمشى على أر ض من الزهر والرؤى والخيال
فوقها يرقص الغرام ويَلْهو ويغنى فى نشوة ودلال

وكما فى قوله :

أيها الدّهر ، أيها الزمن الجارى الى غير وجهة وقرار [1]
أيها الكوْن ، أيها الفلك الدوّا ر بالفجر والدجى والنهار
أيها الموت أيها القدر الأعمى قفوا حيث أنتم أو فسيروا
ودعونا هنا تغنى لنا الأحلا م والحب والوجود الكبيرُ
واذا ما أبيتمُ فاحملونا ولهيب الغرام فى شفتينا
وزهور الحياة تعبق بالعطر وبالسحر والصّبا فى يدينا

وإنا لنلمح بين ثنايا هذه الأبيات السالفة روح الثورة والتمرّد . ولكن أيّة ثورة وأى تمرد يزأر بهما ذلك الشاب الشيخ ؟ . . . انها ثورة على كل ما فى الوجود وتمرّد الساخر بالحياة ، بل والعطف والحسرة على من فيها ، فما أشبهه فى ذلك بسقراط ، فقد سخر هو الآخر من جهل القادة وإن كان رثى لهم فى نفس الوقت ، وإنا لنحس بجانب هذا فى تلك الأبيات بعاطفة وجدانية تبعثه الى أن يصيح هذه

---

(١) لعلنا نرى مظاهر الشبه الكبير بين شاعرنا الشاب فى هذا البيت ومايليه وبين قول الشاعر الانكليزى الشاب بيرسى بيش شلى فى قصيدته «الزمن» حيث يقول :

Unfathomed Sea, whose waves are years !
Ocean of time whose waters of deep woe
Are brackish with the salt of human tears :

الصيحة الداوية فى أذن الدهر ومسمع الحياة ، فسواء لدى الشاعر أن يقف الدهر أو يتابع سيره ، وسواء لديه الحياة والموت . ثم ها هو ذا يهزأ بالسكون والموت وبكل ما على سطح البسيطة من قوى مادام هو بجانب حبيبته ، وهو يهتف بهؤلاء جميعاً أن اتركونا فى وحدتنا تغنّى لنا الأحلام والحبّ والوجود . ولكنه يرجع الى نفسه فيرى نفسه أضعف من أن يقف موقفاً سلبياً إزاء هذه القوى المتكالبة عليه . فيتقهقر ولكن فى تأثرّ فيصرخ بها جميعاً إن أبوْا أن يتركوهما فى وحدتهما القدسية فليحملوهما ولهيب الغرام فى شفتيهما يؤجج فيها عاطفة الحب ويذكى مشعلها الخفاق فى قلبيهما الفنيين .

وهو فى حبه يتفانى الى النهاية فيرى أن الغرام أسمى هبة يهبها الله للشاعر، وماذا يكون الامر لو نضب معين الحب وجفّ ورده ؟ فما الحيـاة الا أنفاس الحب وليست الا ألحاناً منغومة موقعة على قيثارته السحرية . انّ هـذا الحب هو الذى يصفه شكسبير « بأنه وشيجة الخـلود الأبدية ، لاتنال منها العواصف الهوجاء ، وهو النجمة اللالاءة للمدلج السارى فى غياهب الظلام ، وهو الذى يحمل النفس الى وادى الخلود ، حيث تظل على قيد الحياة الى الابد » .

ولسنا نعجب اذا رأيناه يتفانى فى حبه ، ويقدّس هذا الغرام الوليـد ، ولسنا نلومه على أن يبكيه وقد ألقى فى لحده مسجّى تطوف حوله الذكريات الحزينة ، وتنبعث أنغامه الحنون فاذا فى الفؤاد ثورة قلّ أن تنطفىء ، وانما تخمد الىحين ، كأنها اللهب يتأجج تحت الرماد ، غير أنا نلوم الشاعر حين يقول لنا إنه يحتقر المجد وأوهام الحياة وإن كنّا نتسامح فنغفر له ذلك حين نرى فيه الاخلاص ممثلاً فى قوله :

لستُ يا أمسيَ أبكيكَ لمجدٍ أو لجاهْ
فانا أحتقر المجـــدَ وأوهام الحياهْ
أو لعمر بلغت منه الليـالى منتهاهْ
وتلاشت فى خضمّ الزمن الطاغى قواهْ
فانا ما زلت فى فجر شبابى أو ضحاهْ

فى هذه الأبيات الخمسة يعرض علينا صورة نفسه وقد رغبت عن المجد والجاه وكل ما يشغل النفوس ، وليس يبكى عمره وهو مازال فى فجر عقـده الثالث ينعم

بالشباب الغض ، والامل الباسم ، ويأمل فى الحياة آمالاً طروبة مشبوبة بقوة الحس.
إذن فما الذى يبكيه ، وما الذى يؤلمه ، وهو ينعم بكل ماشاء ؟

الجواب عند أبى القاسم نفسه ، فهو يبكى ...ويبكى... ولندعه يقص علينا ذلك :

إنما أبكيك للحب الذى كان بهاهْ
يملأ الدنيا فأنّى سرت فى الدنيا أراهْ
فاذا ما لاح فجرٌ كان فى الفجر سناهْ
واذا ما غرّد طيرٌ كان فى الشدو صداهْ
وإذا ما ضاع عطر كان فى العطر شذاهْ
واذا ما رفّ زهر كان فى الزهر صباهْ
فهو فى الكون جمالٌ يملأ الافق ضياهْ
عبقرى السحر ممراح وديع فى سماهْ
ينسج الاحلام فى قلبى بأضواء الحياهْ
ويغنينى فأنسى فى مسرّات غناهْ
كلّ ما فى الكون من حزنٍ وأفراح عداهْ

وقد يطلع علينا أبو القاسم فى مسوح الفيلسوف الذى ينظر الى الحياة نظرة فيها شىء من اللذة ونواح من الألم فيهتف من أعماق قلبه الفتىّ مستصرخاً هذه الجراح الدامية ، هاتفاً بها أن كفّى عن نواحك وأنينك ، ولكن أنّى لها أن تصيخ الى هذه الصرخات التى لا تلبث أن تتلاشى فى خضم الحياة ! فهو يقول :

اسكنى يا جراحْ واسكتى يا شجونْ
مات عهد النواحْ وزمان الجنونْ
وأطلّ الصباحْ من وراء القرونْ

ثم يصف لنا ما حواه هذا القلب الخافق بمعانى الحب الهاتف للجمال ، المتغنى للشباب السعيد والآمال الباسمة وربيع الحياة قد زينته يد السحر الصناع فتجلى لعين الشاعر فى صورة قدسية الخيال ، مشبوبة العاطفة فيقول :

في فؤادي الرحيبْ معبدٌ للجمالْ !
شــــيدته الحياةْ بالرؤى والخيالْ !
فتلوتُ الصـــلاةْ في خشوع الظــلالْ
وحرقتُ البـخورْ وأضــأتُ الشموعْ

وكأنّ أبا القاسم في هذه القصيدة قد أحسّ بقرب منيته وأن ركبه قد تهيأ لوادي الردى ، وأن سفينة العمر وشك الاقلاع الى ساحل المهات ، حيث تنعم خالدة في ملـكوتٍ صوّره لها خيالها الشعري القوي ؛ فنراه يعلن للملأ أن حينه حان ، وأن وقت أفول نجمه آن ، وكلما قرأت أبياته هــذه أحسست عاطفة لا أدري بمــاذا أصفها وكيف أصفها ، ولا أستطيع تصويرها ، هي مزيج من الألم الحاد لفقــده ، والاعجاب المطلق بشاعريته حين يقول :

من وراء الظلامْ وهــدير المِيــاهْ
قد دعاني الصباحْ وربيــع الحيــاهْ
يا له من دعاهْ هزّ قلبي صداهْ !
لم يعــد لي بقاهْ فوق هذي البقاعْ

ويقول في نهايتها :

الوداعَ الوداعْ ! يا جبالَ الهمومْ !
يا ضبابَ الأسى يا فجــاجَ الجحيمْ
قد جرى زورقي في الخضمّ العظيمْ
ونشرتُ القــلاعْ فالوداعَ ! الوداعْ !

وهو يذكرني في هــذا الموقف بشاعر مصري ودع الحياة وهو ما زال في شرخ الصبا ونضارة العمر وميعة الشباب ، وآثر أن يختصر الطريق وذلك هو احمد العاصي فله قصيدة تتناول نفس هذا الموضوع .

ولنرجع الى أبي القاسم فنقول إن ما تحت أيدينا من شعره الذي تناول فيه هذا الضرب من الشعر قصيدتان إحداها بعنوان « قلب الأم » والأخرى أسمــاها « في ظل وادي الموت » . أما الأولى فهي في رثاء طفل صغير ، وانه لمن الحق أن أقول

إنى قرأت هذه القصيدة قبل نشرها فتخيلت هذا الطفل الوليد ورثيت له ، وقرأتها مرة أخرى وثالثة فأحسست نفس الشعور الذى اصطخب فى جوانحى عند قراءتها أول مرة ، وإذ عدت اليها بعد موت أبى القاسم أحسست فيها قوّة وعاطفة جياشة متفجرّة ، وشعرت بالألم العميق يحزّ فى نفسى ، وكأنما كان شاعرنا الشابى يرثى فيها نفسه ويبكى مصرع الانسانية ، ويذكر كيف انقضى الصحاب وعادوا الى لهوهم ومجونهم ، وتلاشت ذكراه عند الجميع وأسدل النسيان عليه ستاراً كثيفاً فجعلوه دبر آذانهم ، غير أن هناك بين هذه الجموع المشيّعة كلها قلباً واحداً لم يستطع ولن يستطيع النسيان أن يجد اليه سبيلا ، أتدرون لمن هذا القلب ؟

انه قلبُ الأم !... نعم قلب الأم الذى لا يندمل جرحه .

يا له من بائس صرعته آلام الحياة ولم تبق عليه الأيام أو تذر ، بل انقضّت عليه انقضاض النسر على فريسته ، وقد أنشب فيها مخالبه المعفرة بدماء السرور ، وأوغل منقاره فى شغافه فمزقه ، وألقى به مضرّجاً فى غياهب الزمن العتىّ فيصرخ أبو القاسم بهذا الميت ويقول إن قلب أمك هذا :

يصغى لنغمتك الجميلة ، فى خرير الساقيهْ
فى أنّة المزمار ، فى لغو الطيور الشاديهْ
فى ضجّة البحر المجلجل ، فى هدير العاصفهْ
فى لجة الغابات ، فى صوت الرعود القاصفهْ
فى آهة الشاكى وضوضاء الجموع الصاخبهْ
فى شهقة الباكى يؤجّجها نواح النادبهْ
فى فتنة الشفق الوديع ، وفى النجوم الباسمهْ
فى رقة الفجر البديع ، وفى الليالى الحالمهْ
فى رقص أمواج البحيرة تحت أضواء النجومْ
فى سحر أزهار الربيع وفى تهاويل الغيومْ
فى مشهد الغاب المجرّد والورود الهاويهْ
فى ظلمة الليل الحزين وفى الكهوف العاريهْ

أعرفتَ هذا القلب فى ظلماء هاتيك اللحودْ
هو قلب أمك : أمك السكرى بأحزان الوجودْ

أرأيتم الى أى حدٍّ يصف الشابى حزن هذا القلب المفجوع ، وهو يرى صورة فقيده فى كل ما تقع عليه من صور الطبيعة التى لم يفته استغلالها كمظهر من مظاهر الحزن وهى فى ذاتها مبعث السرور والجمال ، ثم هو يذكرنا بأن هذا القلب سيقضى حياته طريد الآلام والأهوال والذكرى ، كلما عصفت به الذكريات تأجّجت نيران الحزن واصطخبت أمواج الأسى ، وهو بين هذا وذاك كالسفينة تتلاعب بها الأعاصير الهوجاء ؟ ... ونحن الشباب ربما لم نكن لنشعر بهذا الحزن ، غير انى أحسسته قوياً وإن لم يكن لى ولد ، أحسست بالألم يفرى نفساً حين تذكرت أبا القاسم فخلته يبكى شبابه اللدن وقد هصرته رياح الموت ، فغيب فى قاع الثرى وهو مازال فى بُرد الشباب الغضّ ، وإن الابداع كل الابداع فى قوله يصف أمه الحزينة بأنها سكرى ؟ ولكن بماذا ؟ بأحزان الوجود !

بيد أنا نتساءل : أليس لهذا القلب الدامى مِن سلوى تنسيه هذا ، أوهلا فى استطاعته أن يتناسى فقيده ؟ الجواب عند أبى القاسم فى قوله :

لا ربة النسيان ترحم حزنه وترى بُكاهْ
كلاّ ! ولا الأيام تبلى فى أناملها أساهْ
إلا إذا ضفرت له الأقدار اكليل الجنونْ
وغدى شقياً ضاحكاً تلهو بمرآه السنونْ

وفى وصفه القلب بأنه « شقىّ ضاحك» صورة أبدع فى رسمها فكانت هيكلاً متجسداً ، فقد يستحيل اليأس قوة تجعل صاحبها هازئاً بالحياة ساخراً بما فيها ، فيضحك بملأ شدقيه ولكن ضحك اليأس والجنون ، ويعربد غير عابىء بما فى الكون من قوانين ، ولا عجب ، فالطير يرقص مذبوحاً من الألم !

* * *

أما قصيدته فى «ظل وادى الموت» التى أشرنا اليها سابقاً فنرى فلسفة الحياة والموت وصورة للتفكير العميق : من أين جئنا ولماذا والى أين ؟ وهذه الشواغل نفسها هى التى جالت بأدمغة المفكرين والفلاسفة منذ القدم ، غير أن أبا القاسم يمثل لنا صورة الموت كالرياح تقتلع الأطواد الشامخة والجبال الباذخة ، وتثير مياه

المحيط الهادئة حتى اذا تم لها ما تريد سكنت وهدأت ثورتها ... وعجيب لشاب فى الخامسة والعشرين أن يتجه تفكيره هذه الناحية المظلمة ، ولكننا نغفر له ذلك اذا علمنا أنه راح ضحيّة داء الصدر الذى زلزل حياته واجتثّ شجرتها المورقة الظلال ، ولنسمع اليه وهو يصف هذه المسائل الثلاث فى لغة سلسة جميلة حيث يقول :

نحن نمشى وحولنا هاته الأكوا ... ن تمشى لكن لأيّة غايه ؟
نحن نشدو مع العصافير للشمس ... وهذا الربيع ينفخ نايه ؟
نحن نتلو رواية الكون للمو ... ت ولكن ما ذا ختام الروايه ؟
هكذا قلتُ للرياح فقالت : ... سلْ ضمير الوجود كيف البدايه ؟

ثم يقول عن آماله المبعثرة فى أباديد الحياة ، ويتساءل عن جسده المنكود ، ويذكر أيامه وهو فى صحوة الصبا لم تطحنه الأيام ولم تنل من جسده الأرزاء فيقول عن قبره :

هاته ! فالظلام حولى كثيفٌ ... وضبابُ الأسى منيخٌ عليّا
وكؤوسُ الغرام أترعها الفجرُ ... ولكن تحطمت فى يديّا
والشبابُ الغريرُ ولى الى الما ... ضى وخلّى النحيبَ فى شفتيّا
هاته يا فؤاد ! انّا غريبا ... ن نصوغ الحياة فنّا شجيّا
قد رتعنا مع الحياة طويلاً ... وشدونا مع الشباب سنينا
وعدونا مع الليالى حفاةً ... فى شعاب الزمان حتى دمينا
وأكلنا التراب حتى مللنا ... وشربنا الدموع حتى روينا
ثم ماذا ؟ هذا أنا صرت فى الد ... نيا بعيداً عن لهوها وغناها
فى ظلام الفناء أدفنُ أيّا ... مى ولا أستطيع حتى بكاها
وزهور الحياة تهوى بصمتٍ ... محزنٍ مضجرٍ على قدميّا
جفّ سحر الحياة يا قلبىَ البا ... كى ... فهيّا نجرّب الموت هيّا !

ولست أعلق على هذه القصيدة أكثر من أن أقول أن ما فيها من تفكير قلّ أن يتاح الا للنادر، وهى تطلعنا على ناحية من نواحيه النفسية ليس المجال هنا لشرحها

وهو فيها أيضاً فيلسوف يبكى حظ الانسان ، ومن القصائد النادرة التى تمثل لنا هذا النوع قصيدة تسمى «مشعلة النوتى أوالروح الذابلة » سنتكلم عنها فى حينها نرى فيها الشبه الكبير بينها وبين قصيدة الشابى .

* * *

ولأبى القاسم الشابى ولع شديد بالطبيعة ، فهو يستغلها استغلالاً كلياً وجزئياً فى قصائده الرائعة ، وان مطالع شعره ليرى صورة باسمة من بلاده كما صورها فى شعره الفنان ، ولا يفوته أن يستشهد بالطبيعة فى ثنايا كثير من أشعاره ، وقد يقف موقف الخشوع أمام مظاهر الطبيعة القوية ولكنها وقفة الجبار المنهزم الأسير، وهو فى هذا الضرب يأتى لنا بمعان نادرة قد تستعصى على كثيرين ، وإن كنا نلمح فيها الرمزية واضحة . وإن أعجب فعجبى لهذا الشاب الذى يقف أمام الليل ، وتداخله الحيرة والعجب والخشوع والاطمئنان ، ويشعر باللذة والالم ، ويجيل بصره أمام هذا الجبار العنيد كأنه لغز القرون لا تعرف له سراً فيقول :

أيها الليلُ يا أبا البؤس والهو ل ويا هيكل الزمان الرحيبِ
فيك تجثو عرائس الأمل العذ ب تصلّى بصوتها المحبوبِ
فيثير النشيد ذكرى حياة حجبتها غيوم دهر كئيبِ
أنت يا ليلُ ذرة صعدت للكو ن من موطىء الجحيم الغضوبِ
فيك تنمو زنابق الحلم العذ ب وتذوى لدى لهيب الخطوبِ
يهجع الكونُ فى طمأنينة العصفو ر طفلاً بصدرك الغربيبِ [1]

وقد يظهر لنا فى مسوح الفيلسوف الناسك الذى خبر الحياة عن قرب فوضح له المبهم منها على الآخرين ، وافترع سرها ولمس ما فيها من أذى وألم ، ولا تفوته الحكمة الرائعة يستمدها من صميم نفسه ووجدانه حين يقول :

لا يغرنّك ابتسامُ بنى الأر ض فخلف الشعاع لذع اللهيبِ
لا تحاول أن تنكر الشجو ، انى قد خبرت الحياة خبر اللبيبِ
كن كما شاءت السماء كئيباً أىّ شىء يسر نفسَ الأريبِ ؟!

---

(١) قارن بين هذه القصيدة وبين قصيدة الشاعر شلى « Night » .

أنفوسٌ تموت شاخصـةً للـ هولِ في ظلمةِ القنوط العصيب؟!

وقد يثير شاعريته مرأى المساء وسكونه ، فاذا بروحه تحلّـق في عالم غير هـذا العالم الأرضي وترتفع عن مادية الحياة ، ويظل فـكره هكذا منساباً في أودية الخيال تحمله على أجنحتها ملائـكةُ الشعر الى مجاهل بعيدة عن عالمنا هذا ، فنراه يصوّر كل هذا بريشته السحرية أبدع تصوير ، وكأن هذا البيت المفرد الذي نسوقه أروع قصيدة تخلق في ذهن سامعها عالماً آخر إذ يقول :

ما سكونُ المساء الا أنينٌ ونشيدُ الصباح غيرُ نحيبِ

عجباً !... كيف يتأتى لشاب هكذا ما زال في فجر شبابه أن يرى هذه الصورة العابسة المتجهمة للحياة ؟ ترى ماذا يكون حاله لومد الله في حيـاته الى سن الشيخوخة ؟ كل ما نظنه هو أنه لو عاش لغنى لنا على قيثارته السحرية أبدع ألحانٍ يترنم بسحرها الوجود ، ويطمئن الى أنغامهـا الحزين ، ولا عجب فلهيب احتراق الشاعر هو شعلة الخلود ، غير أنه يصوّر لنا حزنه الأليم في بيتين :

يا لقلب تجرّع اللوعـةَ المرّ ةَ من جدولِ الزمانِ الرهيبِ

ومضت في صميمه شعلةُ الحز نِ فغشّـتْه من شعاع اللهيبِ

ويقول في قصيدة أسماها « الملل الأليم » :

سئمتُ الليـالي وأوجاعهـا وما شعشعت من رحيقٍ وصابْ

فأين الأماني وألحانهـا وأين الـكؤوس وأين الشرابْ ؟

لقـد سحقتها أكـفُّ الظلام وقد رشفتها شفاهُ السرابْ !

ولم ينس أن يبثّ شكواه من دائه العضال الذي استحكم فيه في كثير من قصائده وكيف لا يشكو وكيف لا يتألم وهو يرى المرض يصارعه ويسير به سريعاً الى ظلام الفناء ؟ فـكان يتشبث بالحياة ويودّ لو يرتشف كأسه منها كما يرتشف غيره ممن هم في مثل عمره ، ونراه يشكو الى الشعر هـذه العلة التي أودت به وما يلاقيه في مجـاهل الزمن من أشواك تقطع نياط قلبه وتخترق شغافه فتنساب قطرات دمه الجـار في نهر الحياة شعراً رائقاً عذباً سائغ المورد فيقول :

يا شعرُ : قلبي مثلما تدري شقيٌّ مظلمُ

فيه الجراحُ النجلُ يقطر مِن مغاورها الدمُ

جمدت على شفتيه أرزاء الحيـاة العابسة
فهو التعيس به مرارات القلوب البائسة
أبداً ينوح بحرقةٍ بين الأماني الهاوية
كالبلبل الغرّيد ما بين الزهور الذاوية !

ويخاطب قلبه أن تجلد فما نال لذّات الحياة الا الجسور ، ويهدّىء من روعه المضطرب ويطمئنه عله يكفّ عن صراخه وعويله فيهتف به :

يا قلبُ ! لا تسخط على الأيام فالزهرُ البديعْ
يُصغي لضجّاتِ العواصفِ قبل أنغام الربيعْ
يا قلب ! لاتقنع بشوك اليأس من بين الزهورْ
فوراء آلام الحياةِ عذوبةُ الأمل الجسورْ !

* * *

وللشابي قصيدة نظمها وقد ذهب مستشفياً في بلدة تدعى (عين دراهم) خلدها في شعره وهو يصوّر فيها نفسه بين شياهه وخرافه وأسراب الطيور فوق الأفنان تلقي ألحان الهوى ويلقن بعضها بعضاً أناشيد الحياة السعيدة . في هذه البلدة قضى الشاعر عهداً « شعرياً وديعاً خالصاً » للشعر والاحلام حيث الطبيعة العذراء والغابات الملتفة الهائلة والجبال الشمّ المجللة بالسنديان فيقول :

قد أفاق العالمُ الحيُّ ، وغنى للحياهْ
فأفيقي يا خرافي وهلمّي يا شياهْ
واتبعيني يا شياهي بين أسراب الطيورْ
واملأي الوادي ثغاءً ومراحاً وحبورْ
واسمعي همس السواقي وانشقي عطر الزهورْ
وانظري الوادي: يغشيه الضباب المستنيرْ
واقطفي من كلأ الأرض ومرْعاها الجديدْ
واسمعي شبّابتي تشدو بمعسول النشيدْ

نغمٌ يصعد مِن قلبي كأنفاسِ الورودْ
ثم يسمو طائراً كالبلبل الشادي السعيدْ !

فهو فى هذه الابيات السالفة يعرض علينا صورة مستحبة من صور الطبيعة الفاتنة وقد أخذت الارض زخرفها وازّينت ، والفجر قد انبثق عموده وغشى الوادى ذلك الضباب الرائع وما إخاله الا قصيدة ملموسة من صور الطبيعة ومما افتنّ فيه أبو القاسم افتناناً يجعلنا نقف معجبين بهذه العبقرية الرائعة . وصف العشب بأنه :

أرضعته الشمسُ بالضوء وغذّاهُ القمرْ (١)
وارتوى من قطرات الطلّ فى وقتِ السحَرْ

ولكن هذه النغمة الحزينة التى لمسناها واضحة وعرفنا السر فيها لا تلبث أن تتخذ لها مكاناً فى شعره حين يختم قصيدته قائلاً :

لن تملّى يا خرافى فى حمى الغابِ الظليلْ
فزمانُ الغاب طفلٌ لاعبٌ عذبٌ جميلْ
وزمانُ الناس شيخٌ عابسُ الوجهِ ثقيلْ
يتمشّى فى ملالٍ فوق هاتيك السهولْ
لكِ فى الغابات مرعاكِ ومسعاكِ الجميلْ
ولىَ الانشادُ والعزفُ الى وقتِ الاصيلْ
فاذا طالت ظلالُ الكلأ الغضّ الضئيلْ
فهلمّى نرجع المسعى الى الحىّ النبيلْ !

وبعد ، فهذه كلمة صغيرة ألممنا فيها اجمالاً بعبقرية ذلك الشاب الذى فقده الشعر

(١) فى هذين البيتين معنى رائع قلّ أن يتسنى الا للشاعر المفلق ، وقديماً أعجب النقاد بقولى شيلى :

A Sensitive Plant in a garden grew
And the young winds fed it with silver dew
And it opened its fan-like leaves for the light
And closed them beneath the kisses of night.

ولا حاجة بنا للتعليق فالشبه قوى ، وفى هذا دليل على عبقرية فقيد تونس .

العربي وقد كان يؤمل منه أن يزيده زيادة عظيمة تتمثل فيها روعة المعنى وابداع التفكير مع فلسفة قوية وعدم الاكتفاء بالنظرة السطحية بل كان يتعمق فيما يراه ويحسه وان له في شعره تراكيب تخلق أمام القارىء صوراً فتانة تدهش المطالع .

واذا كان من الواجب أن نلم بحياة الشاعر حتى يكون التأريخ حقاً فمن الأسف أن ليس تحت أيدينا ما نستمدّ منه صورة حقيقية أو أقرب إلى الحقيقية بالنسبة الى أبي القاسم ، وقد طالعنا حديثاً في مجلة (الرسالة) مقالاً بعث به الأديب التونسي حسن سياله أشار فيها إلى أن أبا القاسم إنما كان يكثر من قراءة كتابات جبران خليل جبران النثرية ، وكذلك جاء في الكتاب الآنف الذكر (الأدب التونسي في القرن الرابع عشر) ففيه معلومات شائقة يمكن للقارىء أن يكوّن منها صورة ولو أنها صغيرة إلا أنها تطلعُ القارىء على جانب من حياة أبي القاسم .

وفي هذا الكتاب نفسه يقول مؤلفه إن أبا القاسم كانت له طريقتان في نظم الشعر : أما الأولى فحين يحاكي القدامى وينهج على مناهجهم ، فيأتي قصيده على رويّ واحد وقافية واحدة ، كما يأتي بالكلام العربي الفصيح ، أما حين ينطلق من إسار التقليد فهو يشدو أغاني مستعذبة تحسّ فيها بصدى الروح الهائمة في جنان الخيال ، وفراديس الحسن والجمال ، ومما يطمئن نفس القارىء أن النوع الأول من شعر أبي القاسم قليل نادر ، وأكثره ما كان يطلق فيه نفسه على سجيتها دون قيد فيغني للحب والجمال والحرية ، ويحلق في أودية عميقة كلها سحر وفتنة ، وروعة وعظمة .

ومهما يكن من أمر الشعر في العصر الحديث ، فلا شك انه بدأ يتخذ وجهة تخالف الوجهة السابقة التي درج عليها معظم الشعر العربي في كثير من عصوره الماضية ، كما بدأ يتحرر من القيود الصناعية واللفظية ، ولم يبال بصرخات الفزع وصيحات الاضطراب المحمومة التي أرسلها أصحابها أنصار التقليد ليقيدوا من حدّة الشباب الثائر وليكبلوه بأغلال أبى أن يظل مقيداً بها فثار عليها محطماً إياها ، ورأينا صوراً فتانة في الشعر العربي الجديد ، سواء في مصر أو سوريا أو العراق أو سنغافورة أو تونس، وكان لأدباء المهجر الامريكي في ذلك يد لا تجحد آثارها ، فها نحن ذا نلمس في أشعارهم روح الفن متجلية في كتاباتهم النثرية والشعرية على السواء ، وهاهي ذي آثار جبران وكتابات الريحاني وإيليا أبي ماضي وميخائيل نعيمة والياس قنصل

كلها تشهد بما عليه أولئك الأدباء والشعراء من نفس أبت إلا أن تبث في الشعر العربي روح الفن قوية ، فاتجهت آثارهم اتجاهاً يخالف من عارضوهم بل هم ابتدأوا من حيث انتهى غيرهم فلا عجب اذا وجدنا في أبي القاسم هذه الروح الكريمة التي نحييها في شعره وذلك لتأثره بأدبهم .

أجل ... إن الشعر شعر في كل عصر ومصر، وليس في الشعر ما يسيء الى نهضته إلا ذلك التقليد الأعمى في المعاني ولو اقتصر الحال على الألفاظ لكان في ذلك جدوى وبعض نفع ولكن الامر تعدى ذلك الى الاغارة على الأخيلة القديمة ونسجها في كلمات موزونة مقفاة ، ولا شك أن هذا يرجع بطبيعة الحال الى ضعف ملكة الابتكار وضحولة التفكير الشخصي ، والزمن يتطور والانسان تابع للعصر الذى هو يعيش فيه ، فما دامت الحال هكذا وجب أن يشمله هو الآخر هذا التطور وأن يساهم فيه بنصيب ولو قليل ، حتى يتسنى له أن يساير الحركات الفكرية التي يتأثر بها الادب ، والتي تختلف باختلاف العصور والازمنة وطبيعة الشاعر ومؤهلاته العلمية والادبية بل والبيئة التي يحيا في ظلها لأنها تؤثر فيه تأثيراً ملموساً ، لا يمكن لأي شخص أن يتجاهله أو يتناساه .

كان أبو القاسم من ذلك الفريق الذى أبى أن يظل أسير ألفاظ وعبد تقليد ، فلم يعبأ بكل ما لاقاه من جحود فضله ، وثار على هذه المنظومات الرديئة ، وحاول أن يحلق في سماء الفكر العميق فكان له ما أراد ، وكانت له من ذلك ذخيرة أدبية ثمينة نلمس بعضاً منها فيما تحت أيدينا من شعره القوى ، واذا كان الرجعيون يعدونه ثائراً فما ذلك الا لأنه أطلق نفسه من القيود الغثة وأرسلها على سجيتها .

قد يسبق الشاعر جيله ، فينكر عليه مواهبه ، ويحاول أن يحطم عواطفه ، ويرسل عليه الشتائم غير مدقق التفكير ، ولو أنه نظر اليه نظرة مجردة عن العوامل الشخصية لرأى تحت هذا الرماد ناراً تتأجج ، وجمراً يتقد ، وعواطف ملتهبة ، ونفساً شاعرة ، واحساساً قوياً ، وروحاً تسمو عن معالم هذا الوجود المادى ، وتعبر الحياة الى وادى الخيال ، فترى بين عقلها الباطن ما يستحيل على النظرة المجردة السطحية أن تلمسه أو تشاهده . وفي القرن الماضي أنكر البعض على شلي عبقريته ، وحارب فن كيتس ، بل رأينا بن جونسون يقف موقف العداء ازاء أشعار توماس جراى ، وما كتبه في كتابه عن (حياة جراى) انما هو صورة للحقد [illegible] في النفس ، كما أنكر عليه قوة إبداعه في مرثيته التي كتبها في فناء

كنيسة بالريف[١] مع أن النقاد أجمعوا على عدّها أروع مرثية فى الأدب الانكليزى على الاطلاق . وهذا الموقف الذى وقفه جونسون من جراى يقفه اليوم أنصار التقليد وأعداء العبقرية من كلّ مجدّد فنّان مطبوع ما دام لا يحذو حذوهم ولا يسلك مسلكهم... فاذا رأينا اليوم من يقف موقف الاستنكار من شاعرية أولئك المجدّدين فليس ذلك بمستكثر ، وانما هؤلاء سيفضح أمثالهم ذلك الجيل الجديد حينما يأخذ فى التنقيب ، فيرى أية شاعرية نهبت ، وأية عبقرية حوربت ، كما كشفت عن عبقرية شلى وابداع كيتس وعظمة بيرون .

ولعلّنا ضربنا لك المثل بهؤلاء الشعراء لأمرين : الأول أنهم من شعراء الشباب فى القرن الماضى ، وما هى ذى آثارهم تفصح لنا عن عظمتهم ، والثانى أنه أنكر عليهم ما حاولوه من جهود لمسنا اليوم آثارها فى الشعر الانجليزى .

وأبو القاسم الشابى فنان يصوّر لقارئه صوراً من حياةٍ سحرية الاصائل ، فشعره ميثولوجيا فنية مبتكرة تدل على ما ركبت عليه نفسه من روح تأبى القيود المادية وانما تنطلق وتصور لنا أبدع الصور فى أنغام موسيقية يطبيك رنينها العذب ، فهو يهوى الطبيعة ويشبب بها فى سفره وهو عيشة للفن والشعر والا فكيف استطاع أن يصوّر لنا اهتزاز جسم الفتاة فى قوله :

كلُّ شىء موقع فيك حتى لفتة الجيد واهتزاز النهودِ

أو قوله يصف قدّها وما فيه من الابداع يغنينا عن تبيان روعته التى يلمسها القارىء فى ذلك الوصف الجميل ، مع ابتكار فى الخيال وجرأة فى التجديد ومحافظة على اللغة :

وقوام يكاد ينطق بالألحا ن فى كل وقفةٍ وقعودِ

لقد طالعنا له قصيدة فى (الرسالة) – عدد ٧١ – فاذا هو يثور على أولئك الذين رموه بالجهل وما كانوا واصفين سوى أنفسهم فرأينا ثورة الشباب ، وعواطفه الملتهبة ، وخواطره نحو هؤلاء ، وكما تبينا نفساً كأنها الجدول السلسال ينساب بين المروج فيميل الكلأ عليه ويقبله .

---

(١) راجع ترجمتنا إياها فى صفحة ٧٠٣ من المجلد الثانى من (أپولو) وقد ترجمها شعراً الشاعر م.ع. الهمشرى .

إن الشاعر المجدد المبتكر انما هو صدى وحى إلـهى ، وقد لمست ذلك واضحاً حينما عرضنا عليك ماهية الشاعر عند الاغريق والرومان ورأيت أنه خالق الجمال ، ومكلف بتأدية رسالة جديدة ، والا كان صدى لمن سلفه فلا يلبث الزمن أن يطويه فى ثناياه ، وتمضى آثاره وتتلاشى ، ذلك لأنه فى هذه الحال لا تكون له رسالة يطلع بها على الناس ويفقد شخصيته أو تضعف ذاتيته المعنوية .

تختلف الأذواق وتتباين فى إدراك روعة الشعر أو عدم روعته ، وقد تتفق فى بعض الأحيان على الحط من قيمة أثر ويكون ذلك نتيجة لقاعدة درج عليها البعض ولم تكن صحيحة من جميع النواحى أو على الأصح مبهمة غير محددة، فمن ذلك مثلا أن علماء البديع يقررون أن تقارب المخارج اللفظية فى الجملة الواحدة مما يضعف أثرها فى السامعين ، ويقلل من روعتها فى نفوس القارئين ، ولو جاريناهم على هذا لقلنا معهم أيضا هذا القول إزاء قوله تعالى « ولا تزر وازرة وزر أخرى » فاذا حاربنا هؤلاء الشعراء بأمثال هذه الأسلحة المفلولة لأفقدنا الأدب العربى ثروة كبيرة قد تنفجر بها على أيديهم ، وما الشاعر الا نفس يردده الوجود ، فيغنى له لحن الخلود ، وينشده أغانى الحب ، وكثيراً ما يتناول شاعران أو أكثر موضوعاً واحداً ، ويبدع أحدهما أكثر من الآخر ، ولا شك أن هذا راجع الى تأثر المجيد تأثراً قوياً ، وملابسته الموضوع ، واستلهامه نفسه أيضاً ، وتأثر عقله الباطن بهذا الأثر أو الحادث تأثراً جعله يبرع فى حياكة هندامه ، وعمق نظرته التى لا ترضى أن تأخذ الأشياء على علتها وانما تتعمق فى البحث ، وتظهر خفاياه وتجلوها جلاءً تاماً . ولعل الكثيرين من قراء الشعر ينسون أنفسهم حين يطالعون شعر أبى القاسم ، فهو يلهو بعواطفهم وخيالاتهم ، ويظهرهم على صور جديدة يجلوها للعيون ، لاشبهة فيها ولا غموض ، وهو فى تصوير آلامه من الحياة وآماله فيها يبدع إبداعاً قل أن نجد له نظيراً ، ذلك لأنه شاب والشباب فتنة وبهجة وهو يريد أن يستأثر بكل ما فى الوجود من جمال وحسن وفتنة وهو يحس فى نفسه بشعور جياش ثائر صعب عليه أن يوقفه عند حد ، ولكنه يرى نفسه وقد كبلته الحياة بقيود المرض ، وشلت من آماله ، فيأبى أن يتطامن لصولتها ويحاول أن يقهرها بما فى استطاعته من جهد ، ولكن أنى له ذلك وهى قد ألقت به صريعاً محطم الاعصاب يرى الأفنان أمامه رطبة ولا يستطيع أن يهصر عودها اللدن ؟... فليس عجباً بعد ذلك اذا سمعنا أبا القاسم يشكو ويئن ، ويكثر من الشكوى والأنين وكيف لا يشكو الحياة ولا يئن منها وهى تصميه

بسهامها الدامية ، وتحطم على صخره الحقيقة والمرض آماله الذهبية المجنّحة ، وتبعثر هذه الرغبات فاذا هي ذرات تحملها الريح ، ويلقى بها في جميع الجهات ، ولكنها تلتقى وتتحد ولكن أين ؟ في شعره وألحانه التي كتب لها الخلود .

ثم ماذا نرى في الشاعر ؟ أتريده أن يكون بوقاً يردد ما يقوله رجل الشارع ، وهو المكلف برسالة سامية جليلة ، أم تريده أن يكون ظلاً ينظم مايريده الغير ؟ كلا ولكن الشاعر حرّ فيما يكتب وينظم وليس لأحد أن يقيده بوقت أو مكان بل هو كالكروان أو البلبل أو العصفور حيثما راقته الطبيعة كان ، وأينما أثارت نفسه المرأى حنّ لها فغرّد ، ورسالة الشاعر تتألف من ثلاث : الحب والجمال والحرية ، وإن كان هازلت يقول : إنّ أبويْ الشاعر الحب والجمال ، فما ذلك إلا لأن أحدهما أو كليهما لا يتحقق إلا بالحرية ، أو إن شئت فقل لاتكون الحرية الا حيث الحق والجمال .

وأين تجد الحق أو الحرية أوالجمال أوالحب ؟ وأين تجدها جميعاً ؟

في الطبيعة والمرأة !

نعم ففي كليهما وحي ينبثق ويوحي الى الشاعر أغاني الخلود وترانيم الأبدية التي ترنّ في مسمع الدّهر فيخشع لوقعها ويخرّ ساجداً لجلالها ، وهذه هي الطبيعة التي صوّرها الشاعر السوري عمر أبو ريشة في قصيدته في رثاء حافظ ابراهيم حين يقول :

وُلِدَ الشاعر العظيمُ ملاكاً	أودع الوحيُ قبلةً فوقَ ثغرهْ
وسَمَتْ أمُّه الطبيعة تغذو	وتلقى سِرَّ الخلود بصدرهْ
ورمى الحبّ قلبه بنبالٍ	فجرت حولها منابعُ شعرهْ
فسرى شعره صدًى لهواه	صادقاً نلمس الشباب بوقْرهْ
ومشى في الحياة يقرأ فيها	أسطراً لم تكن تلوح لغيرهْ

فالطبيعة مورد للشاعر لا ينضب معينه ، ومَن هذا الذي ينكر أثرها الواضح في شعر وردسورث حتى إنّ النقاد سمّوه « شاعر الطبيعة » بل وهذا أثرها في ابن حمديس وابن خفاجه وأبي الطيب المتنبي ، وكيف يتجاهل الشاعر الطبيعة وهي تلك الأم الرءوم التي تحتضنه وتسرّ اليه معاني الخلد ، وترضعه لبان الهوى ، فالطبيعة بصورها الجذّابة تلهم الشاعر وتكشف له أستارها ، فيلج بابها فاذا عالم لا يفنى كتب الخلد لمن يعبره . وبوساطتها يتسنى للشاعر أن يجلو خبايا النفس ويفصح

عن طبيعة الوجود ، ويطالع خفايا هذا العالم الذى يجرى ولا ندرى مبتداه من منتهاه ، ويجد فى كنفها بواعث الشاعرية التى تجعلها تتدفّق فى غير حدّ ، وتأبى أن تقف فى مكان خاص ، ويستطيع الشاعر الملهم حينذاك أن يصوغ ما رأى فى صورة مادية ملموسة تظهر أثر الطبيعة .

وهنا تتشعّب نظرة الشعراء اليها شعبتين ، والفارق بينهما جسيم وله خطورته ، فهما وإن كانا يبدآن من نقطة واحدة إلا أن كلا منهما ينساق فى تيار يخالف التيار الآخر كل المخالفة ، ذلك أن النظرة الأولى التى تصوّر لك الطبيعة صورة فطرية فتذكر لك هذا الزرع الأخضر والكلأ الغضّ والأوراق الذابلة ، وتعطيك صورة « فوتوغرافية » غير منقوصة أو مبتورة للمشهد الذى تراه ، أما النظرة الأخرى فهى نظرة جديرة بالتمعن والتفكير ، وجديرة بالبحث والتنقيب على بعض أسرارها ، ذلك أنها نظرة تأبى أن تقف عند النظر الخارجى بل تحاول أن تستشفّ ما وراء هذا ، وتتغلغل فى ثنايا ما ترى تغلغلاً يمكنها من أن تطلع على العالم بمشهد رائع مبتكر غير معروف ، ومن شعراء هذا الفريق الشاعر الانكليزى وردسورث فهو فى أحدى قصائده المسماة «الشاعر والطبيعة» .

يقول : « أيهذا الطلل الدارس ، لقد كنت أسكن قربك غابراً ، ومكثت قريباً منك أربعة أسابيع فى الصيف ، ويا طالما رأيت شبحك قد انعكس على أديم المياه الهادئة التى حاكت المرآة والسماء صاحية والنسيم رخاء ، والأيام بهجة فى صفحة الزمن . لقد كنت أبغى أن أكون رسامك لأصوّر ما شاهدته فيك من أنوارى الفضية . أيهذا الطلل لشدّ ما أبغى أن أقيمك وسط كون يباين كوننا هذا فى ظل خضمّ بسام . آه يا بومنت يا أخى وحبيبى ! ها أنذا أبكيك وأعنّف البحر الثائر والشطوط المحلولكة والجارية التليدة وسط الأمواج الهدّارة تحت قبة السماء الصاخبة » .[1]

فأنت ترى من هذا أن الشاعر الانكليزى لم يقف عند وصف الصورة السطحية للبحر أو تصوير منظر السفينة وانما يستوحى من كل هذا صورة جديدة التركيب ، ويتغلغل فى تبيان عواطفه ويحللها تحليلا جميلا يأخذ بزمام النفس، ويتلاعب بالشعور

---

(١) كتب وردسورث هذه القصيدة الرائعة وقد شاهد صورة القلعة التى أبدعتها ريشة صديقه الفنان Beaument الذى ذكره فى سياق القصيدة .

والوجدان . وكذلك نرى هذا فى شعر أبى القاسم ، وقصيدته «من أغانى الرعاة» تظهر لقارئها أى عبقرية تنطوى تحت هذا الجسد المتهدم ، وقد أظهرنا شديد الصلة بينه وبين شلى فى هذه القصيدة وقصيدته عن «النبات الحساس» . وليرجع من شاء الى آثار أبى القاسم فكلها تفيض بهذا النوع من التحليل العميق الممزوج بالفلسفة . وان كان الحزن فى كثير من الاحيان طابع الشاعر فذلك لما هيأته له الطبيعة نفسها من آلام ، والتى ينسى فى حضنها آلامه وجراحه ، ويستقبل الحياة مبتسماً هاشاً لها طروباً محيياً إياها فى شعره القوىّ الرصين ، وانه لمن الحق الذى لا مراء فيه أن الانسان ينسى متاعبه وآلامه النفسية حينما يفزع الى الطبيعة فيجد فيها موئلاً يقيه آلام الحياة ، وينسيه متاعبها ويذهب عنه ما يحطم أعصابه المرهفة ، وهنا يجد الشاعر المجال أمامه متسعاً لأن يصوّر بريشته ما يجيش فى نفسه وما يحسّ به . وقد نفرد لذلك مقالاً خاصاً نتناول فيه شعراء الطبيعة ونقارن بينهم لنعرف الى أى مدىً أمكنها أن تؤثر فيهم ، ولا شك أن لشاعرنا العبقرىّ أبى القاسم شعراً يتناول مظاهر الطبيعة ولكن للاسف ليس فى استطاعتنا أن نبحث فيه لانه ليس لدينا ، وربما سهل ذلك على الناقد الادبى حينما يفزع الى قلمه ليكتب عن شعره اذا ما وجد شعره كاملاً بين ثنايا ديوان يحمل اسمه وحينذاك يتسنى لنا أن تكون هذه الاحكام أقرب الى الحقيقة مما هى عليه الآن .

ومما امتاز به أبو القاسم وحدة القصيد ، ومُطالع شعره يلمس ذلك فيرى أن القصيدة كلها متحدة الاجزاء قوية التركيب ثابتة الدعائم ، فلا تحسّ فى أبياتها نفوراً أو فى معانيها تشتتاً ، وذلك أمر يتطلب فى القصيدة .

وعلى أية حال فان العالم العربى لن يرى تلك الثغرة التى خلفها موت أبى القاسم ، ولن يلمس أثره واضحاً ، إلا حين يطلع على ديوان شعره كاملاً غير منقوص ، ونرجو أن يكون ذلك عن قريب ليرى أدعياء التقليد والقدامى أية روعة فى التجديد ، وليحسّوا بتلك الشعلة الخفاقة فى سماء الشعر والتى كتب لها الخلود والى روح أبى القاسم تحيات الاجلال ؟

حسن محمد محمود

فن الشابي

« هيا يا رعاة ! هيّا ! سيطلع القمر عما قليل وسيغمر نوره الكون وسنهتدى إلى أدونيس » – قالت فينوس هذا بينما كانت تتسلق شعاب الجبال الصامتة فى جهد عظيم – « إنه ظلام حالك أيتها الآلهة المحبوبة ، لقد دميت أقدامنا من الصخر ، وكلت أجسامنا من السير ، فلا نستطيع بعد الآن تقدّماً » .

كان طريقهم وسط الجبال قد احتجب عنهم القمر ولفهم الظلام فأصبحوا يضطربون فى سيرهم كأنهم أشباح الليل أو شياطين الدجى ، قد هبّت من نوحها ، تسرح فى عالمها المظلم الكريه .

« هيا يا رعاة هيا سيطلع علينا القمر عما قليل وسنهتدى الى أدونيس ! » – قالت هذا فينوس وقد كادت تلفظ آخر أنفاسها من التعب ولكنها صبرتْ وجالدتْ وسارت فى طريقها والرعاة يتبعونها صامتين كالظلال .

كان الطريق مقفراً حزيناً يبعث الرعب والهلع وكان الظلام يزيد فى رهبته وهوله فكان كل شىء ملائماً لوحدتهم وحزنهم ثم طلع عليهم القمر بلون شاحب كأنه الواجم الحزين الذى فقد حبيبته وأرسل عليهم أشعة حزينة باردة زادت أحزانهم عمقاً .

كان كل شىء ساكناً فكأن الطبيعة القوية الصخابة قد ماتت فى هذه البقعة الرهيبة وكأن هذا الوادى هو وادى ظلال الموت قد حرم حتى أرواح الأموات ترفرف فى سمائه .

استلقى الرعاة على الرمال وظلت فينوس تدير عينيها فيما وراء الجبال ، علها تستكشف أدونيسها العزيز ، وظلوا هكذا مغمورين بأنوار القمر صامتين ، كأن رهبة الطبيعة قد استلت منهم الأرواح وتركتهم أجساماً لا تقوى على الحراك ، ثم ما لبثوا أن قاموا يقتلعون أرجلهم اقتلاعاً وفينوس تتقدمهم حتى وصلوا أخيراً إلى « مقبرة شاعر قد شيّدت فى غير أوانها لم تبنها أيد بشرية فى حنان أو إجلال ولكن بنتها رياح الخريف بما حملته من أعشاب تجمعت فوق عظامه النخرة هرماً وسط البرية الموحشة . لقد عاش ومات وصدح فى وحدته ، لقد تاق الغرباء لأن

يسمعوا نبرات صوته العذبة . لقـد مضى قوياً مجهولاً ، وكم تاق أ ناس ٌ وتألموا غراماً لرؤية عينيه الفطريتين الساذجتين . ان ينابيع الفلسفة لم تبرح شفتيه الظامئتين لقد شعر وعرف كل أسرار الماضى والحاضر .

فلتبكوا يا رعاة فقد هبت العاصفة واقتلعت الشجرة وأسكت الموت شاعركم الوحيد!

فلتبكى يا خراف من كان يجيب تناديك !

فلتبكى يا طيور من كان يفصح عن أغانيك !

ولتصمتى يا رياح ، ولتقف يا نسيم فقد مات من كان يردد صداك !

أيتها الطبيعة فى الجبال والأودية ، فى البحار والغابات ، فى الليل والشفق ، فى النجوم والكواكب ، فلتبكِ لسانك الذى ينطق بك وقلبك الذى كان يخفق بحبك لقد جف ينبوع حياتى وكان قوياً جارفاً .

أيا بنات الوادى فلتبكين بلبلكن الذى كان يشجيكن بأعذب الالحان وحبيبكن الذى كان يسكركنّ بصوته الحنون » .

أجاب صوت من وراء الجبال : «إن أدونيس لم يمت ولكنه حى فى السماء ، انه لم يمت ولكنه ترك عالمنا الشرير ورغب فى عالم المجد الالهى حيث ينشد هناك أناشيد الخلود بجانب عرش الإله السامى وحيث قلبه لن يبرد وشعر رأسه لن يخطه المشيب » .

***

كل انسان له فى هذا العالم رسالة يؤديها ورسالة الشاعر هى أسمى أنواع الرسالات فهى رسالة العالم الاسمى للعالم الارضى وما الشاعر الا رسول أمين يحمل هذه الرسالة فهو الشخص الوحيد الذى يتصل بالعالمين عالم السماء بروحه واحساسه وعالم الارض بجسمه ومادته ، فما رسالة الشابى اذن ؟ ما الموضوع الذى اتخذه مادة لشعره أو بمعنى آخر بماذا نسمى الشابى ؟ أنسميه شاعر الأودية والرعاة أم شاعر الازهار والورود أم شاعر الحب والجمال أم شاعر الطبيعة والشباب ؟! انى لا إخال هذه الكلمات الامدلولات لشىء واحد هو القلب ، فما الازهار والورود وما الطبيعة وأوديتها وما الحب ولذائذه ؟ الا انعكاسات وأصداء ترن بين جوانب القلب الانسانى . فالعالم كله قلب وقلب الانسان هو قلب هذا العالم . قلب هذا العالم الاكبر الذى فيه تجمّع ومحور

هذا الـكون العظيم قلب الانسان هو عرش الاله الذى بناه لنفسه يتربعه كلما نزل من عالمه السامى الى عالم النـاس .

ما رسالة الشابى إذن ؟ إنى أميل الى الاعتقاد بأن رسالة الشابى هى رسالة القلب الانسانى الى عالمنا الانسانى ، ولكنى أحس بشىء من القلق وعدم الاستقرار لهذا الاعتقاد فانى أكاد لا أظفر برسالة كاملة مفصلة لهذا الشاعر الشاب . أنا لا أنكر سحر روحه وعظم تأثيرها وموسيقى أشعاره وما فيها من قوة وحركة، لا أنـكر تلك القوة الكامنة والشاعرية الخصبة الدافقة فى ذلك العقل العبقرى الشاب ولكن الموت لم يمهله حتى يستكمل نضجه فهو ينظر الى الطبيعة فى ظاهرها ولا يتعب كثيراً فى النفاذ الى قلبها ، ويلمس الطبيعة بحسه ومشاعره ولا يصل اليها بعقله وفكره ، هو شاعر يحس وليس فيلسوفاً يفـكر ، لذلك نسمع أصداء الطبيعة ترن فى شعره ونلمس آثارها تغمر ألفاظه ونعجب لتلك الجدّة والعذوبة والموسـيقى التى تفيض على شعره .

الشابى شاعر من طراز روسو وبيرون وشاتوبريان يرى الطبيعـة مأوى ومسكناً لروحه ومشاعره التى تأذت وتألمت . فاذا تغنى بالطبيعة فانما يتغنى بمظاهرها العامة : بجبالها وأوديتها وأشجارها وأزهارها ، وهو إذا قدّس الطبيعة فانما يقـدس فيها هذا الجانب الذى كنى عنه روسو « بجبال المقفرة الخالية وسحرها » ، وهو اذا أوى الى أحضان الطبيعة انما يفعل هذا زهداً فى دنيا الانسان وهروباً بمشاعره من أن تصطدم بحياة اليوم العادى :

ما لنا والـكؤوس نطلب منها ... نشوة والغرام سـحر وسـكرُ
خلّنا منـك فالربيع لنـا سا ... قٍ وهـذا الفضاء كأس وخمرُ
نحن نغدو بين المروج ونعدو ... ونغنى مع النسيم المغنى
ونناجى روح الطبيعة فى الـكو ... ن ونصغى لـكونهـا المتغنى

الشابى شاعر كبيرون يلجأ الى الطبيعة كراهية وبغضاً للانسان فكما أن بيرون يجد فى الجبال غذاء لشعوره وفى رؤية المدن وسماع ضجيجها أذى لسمعه وبصره كذلك يشير الشابى الى ما فى الطبيعة الصامتة من جمال وسحر إذ يقول :

لن تملىّ يا خرافى ... فى حمى الغابِ الظليلْ
فزمان الغاب طفل ... لاعب عذب جميلْ

وزمان الناس شيخ عابس الوجه ثقيلْ
يتمشّى في ملالٍ فوق هاتيك السهولْ

فالشابي يضيق بالناس وهو إن ماشاهم كان كارهاً وإن خالطهم كان حذراً ينظر اليهم نظرة ريب وشك ، وهذا شعور يصاحب كلّ انسان صُدِم في أمانيه سواء كان في حب أو حظ أو شهرة ، وغالباً ما يلازم هذا الشعور الشبان الذين يخرجون الى الحياة مفعمين آمالاً فلا يكادون يخطون الخطوة الأولى حتى يصدمهم الواقع فيرجعوا ساخطين متبرمين والقويّ منهم من صمد في الميدان :

في شعاب الزمان والموت أمشي تحت عبء الحياة جمّ القيودِ
وأماشي الورى ونفسي كالقبر وقلبي كالعالم المهدودِ
ظلمة مالها ختامٌ وهولٌ شائع في سكونها الممدودِ
واذا ما استخفني عبثُ النّا س تبسّمْتُ في أسى وجمودِ
بسمة مرة كأنيَ أستلّ من الشوك ذابلات الورودِ

هذا الشعور بالألم النفسي والضيق بالحياة والناس ، وهذا المنظار الأسود الذي يرى من خلاله الشابي الحياة هو بعينه الذي لازم بيرون طول حياته ، ولا أستطيع التكهّن لو امتدّ بالشابي أجله : أ كان يستبدل بالمنظار الأسود منظاراً أبيض شفافاً يريه العالم على حقيقته ويوقفه على ما فيه من جمال أم كان يحتفظ بمنظاره الأسود أو يستبدله بآخر أشدّ سواداً . هذا أمر ليس إلى الحكم عليه من سبيل فقد فصل الموت بيننا وبين الشابي وبين الشابي وبين الحياة فحال بيننا وبين الانتظار ، فعلينا الآن إذن أن نبحث عن سبب هذه الكراهية وهذا الضيق الذي استولى على هذا الشاعر الشاب حتى جعله يسخط على الحياة بمثل هذا السخط المرير . أكبر الظنّ أن هذه الحدّة في المزاج ، وهذه الحدّة في الشعر ، وهذه الحدّة في تلك الصيغة التي صبّ فيها هذا الشعور ، هذه الحدة التي غمرت هذا الشاعر طوال حياته القصيرة مرجعها التكوين الفسيولوجي ، فكلنا يعرف أن الرجل المريض الجسم غالباً ما يكون مريض الأعصاب فينور لأقل شيء ويحتدّ لأتفه الأمور ، وقد يكون هذا المرض أو النقص الطبيعي في الشخص سبباً في أن يجعله يضيق بالحياة بل ويكرهها . وهذا الشعور نفسه هو الذي لازم بيرون وكاد يفقده عقله في بعض الأوقات ، فالمرض أو النقص الطبيعي

ثم الاحساس بهذا النقص أو الشعور والتفكير فى ذاك المرض هما اللذان يتسلطان على الانسان وهما يستطيعان أن يخلقا من الهادىء الرزين إنساناً ثائراً متمرّداً . هذه الثورة وهذا التمرّد قد يظهران فى القول كما يظهران فى العمل ، وقد يصل هذا الشعور بالشخص لاسيما اذا كان ضعيف الارادة الى الجنون . هذه الحالة النفسية نجدها ظاهرة فى بيرون الذى كان نقص أحد قدميه ثم شعوره بهذا النقص مصدر كثير من الشقاء والألم له ، هذا الشعور بالنقص هو الذى جعله يصرخ حانقاً : « اذا ابتسمت لشيء فهو لكى لا أبكى ، لقد سرت فى طريق للحياة حالك قذر ، وساخت من العمر ثلاثاً وثلاثين فماذا أبقت لى هذه السنون ؟ لا شيء غير ثلاث سنين » . هذه الأبيات هى جماع فلسفة رجل قد استنزف كل مسرّات الحياة حتى وصل الى قرارة راسبها الشديد المرارة .

ولقد كان الشابى مصدوراً وكان يشعر بصدره دائماً يعمل فيه هذا المرض القتال فليس غريباً أن يضيق الشابى بالناس وليس غريباً أن يتبرّم بالحياة بل ليس كثيراً على شاعر غزير الاحساس يشعر فى قرارة نفسه بمصابه ويفكر فيه دائماً ، ليس كثيراً على شاعر وهب شاعرية خصبة كالشابى يرقب أفول نجمه شيئاً فشيئاً كلما تمكّن منه الداء ، ألاّ يرى فى الحياة إلا الجانب الأسود منها وأن يقول :

فاهجر الناس إنما الناس خلق مفسد فى الوجود غير رشيد
والسعيد السعيد من عاش كالليل غريباً فى أهل هذا الوجود

قلت إنّ الشابى كبيرون وروسو مفتون بمظاهر الطبيعة الخلابة كالجبال والأودية والمراعى ولكنه لم يصل الى قلب الطبيعة العميق بل استقر على سطحها كالغريب الآيب من سفر طويل لا يكاد يجتاز عتبة داره حتى يلقى بحمله وبنفسه . فالشابى قد تأذى كثيراً من الانسان وقد أصيب فى أعز شيء لديه وهو قلبه موطن إحساسه وشعوره فهو لا يكاد يترك دنيا الانسان ويصل الى رحاب الطبيعة حتى يكون السفر قد أضناه فلا يكاد يخطو بعض خطوات فى هذا العالم الجديد حتى يلقى بحمله ليستريح ، فهو لم يصل الى ما وصل اليه وردزورث فى نظرته وشعوره للطبيعة : فوردزورث اذا أنصت الى الطبيعة فانما ينصت الى صوت الانسانية ، وهو اذا تغنى بالطبيعة فانما يتغنى بالتزاوج الحقى بين عقل الانسان والكون . الطبيعة فى نظر وردزورث ليست الجبال والأودية والمراعى كما هى فى نظر بيرون والشابى ولكنها هى الروح الحقيقية الخالدة . وردزورث يرى أن الانسانية جزء من الطبيعة لا ينفصل : الانسان والطبيعة

شيء واحد وليس هناك انفصال ولا تمييز بين حيـاة الانسان وحياة الطبيعة . وردزورث يرى أن العالم والعقل الانساني طاقتان أو قوتان لعالم واحد . هذان هما الجانبان الحقيقيان الضروريان للـكمال الانساني ، هما امتزاج الروح المحدود بالتجربة الشخصية ، امتزاج أفكار الأبدية بأشياء اليوم العادى .

فالشابي شاعر الطبيعة الظاهرة ، شاعر مناظرها : انهارها جبالها أصدائها ، وليس شاعر أسرارها ، فهو يكلف بهذه المناظر ويحب ألا يتركها بل يودّ أن يصبح جزءاً منها ومن أجـل ذلك جاء شعره مفصحاً عن هذه المناظر ، فهو اذا أفصح فـكأن الطبيعة تفصح ، واذا أنشد فكأن العالم الطبيعي ينشد .

أجل ، لقد أفصح لنا الشابي عن أنغام الطبيعة المسموعة ، ولـكن للطبيعة أنغاماً صامتة ، وهذا مالم يصل اليه الشابي وربما كانت هذه الأنغام الصامتة أعذب وأكثر موسيقى من تلك الأسجاع المسموعة .

ومن الغريب أن يستقى هذا الشاعر من تلك الينابيع التى استقى منها وردزورث فيأتى شعر هذا الشاعر التونسى قوىّ الشبه بشعر هذا الشاعر الانجليزى الذى عاش قبله بأكثر من قرن .

فـكلا الشاعرين قد تغنى بالطفولة الأولى وشاد بسعادتها الحلوة العذبة ، وكلاهما قد ندم على فراقه لها . كلاهما يعتقد أن مجد الالـه العظيم قـد توارى عن الأرض بذهاب الطفولة ، وأن هذا المجد ونور الالـه السماوى يأخذ فى الابتعاد عن الأرض شيئاً فشيئاً كلما أخـذ الطفل فى النمو . فبعد أن يكبر الطفل ويصبح رجلا تجرفه الحيـاة الصاخبـة فى طريقها فينسى ماضيه الجميـل وأيامـه الأولى السعيدة ، فبينما الشابي يقول :

قد كنت فى زمن الطفولة والسذاجة والطهور
أحيا كما تحيا البلابل والجداول والزهور
لا تحفـل الدنيـا ، تدور بأهلهـا أو لا تدور
واليوم أحيا مرهف الأعصاب مشبوب الشعور
متأجج الاحساس ، أحفـل بالعظيم وبالحقـير
تمشى على قلبي الحيـ ـاة ويزحف الـكون الـكبير

إذ يقول وردزورث :

« قد أتى عليّ وقت كنت أرى فيه المراعى والحراج والجداول والأرض وسائر المرائى متشحة بالأنوار السماوية كأنها مجد وبعث لحلم ، وهى الآن غيرها بالأمس. دورى كيفما شئت ليلاً أو نهاراً . ان هذه الأشياء التى شاهدتها سوف لا أراها من جديد ، ما أحب الورد يغشيه القمر بنوره البهيج عند ما تصفو السماء من الغيوم ، وما أجمل المياه فى الليالى المرصعة بالنجوم ! إن ضوء الشمس ميلاد عظيم ، ولكنى أدرك مع ذلك حيثما ذهبت أن مجداً قد توارى عن الأرض .

أيها الطفل الصغير العظيم فى حمى ـ وليد السماء ـ الحرية التى ترفرف عليك ! لماذا تثير السنين بتلك الآلام المضنية لتجلب ذلك النير المحتم وتحارب سعادتك فى غير تبصر ؟

إن روحك سرعان ما تندمج بالأرض ، وتتسلط عليك العادة بأعبائها الثقيلة كالجليد ، العميقة كالحياة » .

صلوات فى هيكل الحب

تذكرنى هذه القصيدة « بانديميون » لجون كيتس حيث يقول كيتس فى مستهلها « إن الشيء الجميل فرح دائم ، إن سحره فى ازدياد ولن يتلاشى ، ولكنه يحتفظ لنا بخميلة هادئة نرتمى تحت ظلالها ويمدّ لنا نوماً مشبعاً بالأحلام الحلوة والأنفاس السليمة الهادئة » .

يرى الشابى فى هذه القصيدة ما يراه كيتس فى مستهل انديميون أن الحب مأوى آمن من قسوة هذا العالم ومن شروره :

عذبة أنت كالطفولة ، كالاحلام ،	كاللحن ، كالصباح الجـديد
كالسماء الضحوك ، كالليلة القمراء	كالورد ، كابتسام الوليـد
أى شىء تراك ؟ هل أنت فينوس	تهادت بين الورى من جديد
لتعيد الشبـاب والفرح المعـ	سول للعالم التعيس العميد ؟
أم ملاك الفردوس جاء الى الأرض	ليحيي روح السلام العهيد ؟
أنت ، ما أنت ؟ ! أنت رسم جميل	عبقرى من فن هـذا الوجود
فيك ما فيه من غموض وعمق	وجمال مقـدّس معبود

كل شيء موقّع فيك حتى لفتة الجيد واهتزاز النهود
أنت .. أنت الحياة في قدسها السامي وفي سحرها الشجيّ الفريد
أنت دنيا من الاناشيد والاحلام والسحر والخيال المديد
أنت فوق الخيال والشعر ؛ والفن وفوق النهى وفوق الحدود
أنت قدسي ومعبدي وصباحي وربيعي ونشوتي وخلودي

* * *

فشعره ترجمان لما يجول في ذلك الخاطر القوى الجبار من تصور دنيا جديدة ، دنيا بعيدة عن دنيانا ، دنيا أقرب الى دنيا الخيال منها الى دنيا الواقع . ولكنها على كل حال ليست دنيا العقل والمعنويات الدقيقة ولكنها مزاج من الحقيقة والخيال ، مزاج من الحس والفكر . فهو اذا تصور الحب لا يتصوره بين السحاب أو في أودية القمر ولكنه يتصوره في عالمنا . وليس عالمنا المملوء حقداً وبغضاً ، عالمنا المملوء شهوة وخبثاً ، ولكنه عالمنا النقي الذي خلص من كل الرذائل وتحرر من كل الشهوات ولم يبق فيه إلا الحب يسود ويتحكم .

فالشابي ليس مثالياً في حبه كشلي ، وليس حسياً كبيرون ، ولكنه شاعر قد وهب احساساً مرهفاً يحس بكل ما حوله وشعوراً دقيقاً جداً يأبى عليه المكث في هذا العالم فيلح عليه بالانفصال منه والتحليق في واد كله جمال وسحر . هذا الجمال ليس حسياً خالصاً وليس معنوياً صرفاً ولكنه ـ كما قلت ـ فيه من الحسية وفيه من المعنوية حظ كبير .

* * *

حقاً لقد قدم لنا الشابي صوره الشعرية في أسلوب شعر جميل حتى أصبح له أسلوب خاص مطبوع به نستطيع أن نميزه على شعراء هذا العصر : هذا الاسلوب الشعري الخاص هو صوره وتشبيهاته الجميلة كقوله :

عذبة أنت كالطفولة ، كالأحلام كاللحن ، كالصباح الجديد

هل هذه مجرد كلمات وضعت بجانب بعضها ؟ وهل سحر هذا التعبير الشعري موجود في موسيقى الكلمات وحسن اتساقها وملاءمتها أو توافقها لتحدث نغمة موسيقية بله توافقاً موسيقياً جميلاً ؟

إن جمال هذا التعبير بل خلوده ليس آتياً من الموسيقى الشعرية فحسب وليس آتياً من المعنى الشعرى السامى ، هذا المعنى البرىء كالطفولة ، العذب كالأحلام ، الموسيقى كاللحن الجديد ، كالصباح ، ولكنه آت من ارتباط اللفظ بالمعنى وامتزاج الصورتين الحسية والمعنوية : هذا الامتزاج القوى بل هذا التفانى أو التلاشى أو الموافقة التامة — سمّه ما تشاء — بين اللفظ والمعنى .

***

هذا هو الجديد فى شعر الشابى ، وهذا هو الذى يميزه على شعراء هذا العصر . فهو الشاعر الوحيد فيما أعتقد الذى استطاع أن يجول فى عالمين : عالم الحس أو الواقع الذى نشغله بأجسامنا ونملؤه بحواسنا وعالم الفكر والسمو الذى ندركه أو نحاول إدراكه والدنو منه بأفكارنا وأشواقنا ، واستطاع أن يقدم لنا صورة كاملة لهـذا الجمال المزيج فى كلام قوى وأسلوب شعرى دافق .

***

يا ابنـةَ النور ، إننى أنا وحدى ... مَن رأى فيكِ روعةَ المعبود
فدعينى أعيش فى ظلك العـذب ... وفى قرب حسنك المشهود
عيشةً للجمال والفن والالهـام ... والطهر والسنى والسجود !

***

ليس الجمال فى هـذه التعابير الشعرية فى موسيقى الـكلمات أو حسن وقعها فى الأذن أو سرعتها وحركتها وانسيابها أو ما فيها من حياة حية فحسب بل لما فيها من نماذج الحسّ وصوره ممتزجة بصور الذهن كقوله «يا ابنة النور» . ان هذا التعبير الشعرى الذى لم يخطر بذهن شاعر عربى على ما أذكر لا يولد فينا عاطفة حسية فقط ولا عاطفة ذهنية فقط ولـكنه يبعثنا على أن نفـكر ونحسّ معاً أو نحسّ ونفـكر معاً حتى ندرك هذه الصورة الجميـلة حقاً البديعة حقاً التى يريد الشاعر أن يتصورها . وهذه الصورة البديعة الجميلة لا يمـكن للحسّ وحده أو للفـكر وحـده أن يهتدى اليها بل لا بدّ من اقتران الحسّ والفـكر معاً .

لا بدَّ من عمل العاطفة والعقل معاً حتى نقف على هذه الصورة كاملة فى بهاها وجلالها وروعتها .

* * *

وبعد ، فهذه خطرات سريعة عاودتنى اليوم إذ ذكرتُ هذا الشاعر الشاب الذى لم يفسح له الزمان فى العمر فعصف بهِ عصفَ الريح العاتية بأوراق الخريف الساقطة ، فطويت من الوجود صفحة حافلة بكل معانى الشعر والحب والجمال وسكت بلبل صداح كان يشجى العالم بأغانيه العذبة وألحانه الشجيَّة .

هذه خطرات طافت بفكرى على ذكر هذا الشاعر الشاب الذى قضى ولم يكتمل نضجه بعد ، أنشرها اليوم علها تقوم ببعض الواجب نحو هذا الشاعر الغريب الذى لم تره عينى ولم تسمعه أذنى ولكن أحبَّه قلبي وكان نعيه شديداً على نفسى .

ولست أدعى أنى قمت بشيء نحو هذه العبقرية الشابة التى هوت من سماء مجدها كما تهوى جبابرة الملوك وأعاظم الدول ، فانى لأشعر حقاً بعجزى المطلق أمام هذه العظمة الخالدة ، وأعتقد فى قرارة نفسى بحرية تلك العظمة واستقلالها وغناها عن كل شرح وتمجيد ؟

نظمى خليل
(بكالوريوس فى الأدب الانجليزي)



عبد الحليم حلمي المصري[١]

ثالث الشعراء الضباط ، نضج وهو بعد في فجر أيام الشباب يطلب العلم في المدرسة الحربية . نظم أول ما نظم في الفخر وأكثر من ذكر العلم والسيف ، على أن صاحبنا وإن لم يقل أن الخيل والليل والبيداء تعرفه ، ولم يذكر الصلة الوثيقة التي تربطه



عبد الحليم حلمي المصري

بالسيف والقرطاس فاخراً بسيفه وقلمه ، فانه اعتز بأدبه ووثق من فروسيته في إسراف غير مملول ، وإلا فما بالك برجل لم يشهد الصراع إلا في الصور التي تلقن له في المدرسة ولا يستطيع أن يصول بسيفه إلا وسط الجدران الأربعة التي تحيط بفراشه ومع ذلك يقول من قصيدة غير طويلة :

(١) عن كتاب (شعراؤنا الضباط) الذي سيصدر في الشهر المقبل .

ألم تهزّك أشعارى ولى قلم … إذا جرى هزّ تيجان السلاطين

وصارم فى الوغى لو هجته انبعثت … له المقادير بين الكاف والنون ؟!

ويزعم الكثيرون أن هذه القصيدة أول ما قال عبدالحليم من الشعر وإن كان قد عاد فاقتطع بيتيه اللذين تمثلنا بهما هنا وأنشدها فى (نونيته) التى جاء فى مطلعها :

(لا ترشديني وخلى الشوق يهديني … لعل يدنيهمو ما كان يقصيني)

ولكنى لا أعتقد بحال ما أن هذه بداية شاعر ، بل هى صرخة شاعر فحل قد أكثر من الصياح .

والواقع أنك تجد فى شعر الطور الأول من حياة عبد الحليم نضوجاً وقوة لا تجدها فى شعر الكثيرين من أعلام القريض فى عصره ؛ وتكاد لهذا لاتحس بتبدل كبير فى شعره طوال أيام حياته ، إلا أنك ستجد أنه انصرف الى الأنين والشكوى والحنين الى مصر طوال حياته فى السودان ، فلما جاء مصر وخلا الى نفسه ليقرض الشعر حراً طليقاً بدأ الطور الثانى من حياته الشعرية فأكثر من المديح . ولعل شاعرنا أرغم على هذا من أجل الدنيا ... ولكن كانت هناك نواح كثيرة كان من الضرورى أن يساهم فيها بشاعريته الفذة ، على أن عبد الحليم قد بدأ فى أواخر أيام حياته يكتب تاريخ الخلفاء — أولى حلقات التاريخ الاسلامى — وكان هذا أثراً جيلا لو تمّ إلا انه مات قبل أن يتمه .

وشاعرنا هو عبدالحليم بن اسماعيل حسنى افندى . وُلد بناحية (فيشا) من أعمال (دمنهور) فى مايو عام ١٨٨٧[1] ودخل المدرسة الحربية بعد أن أتم دراسته الابتدائية وهو يحبو الى سن الشباب ، وبرحها بعد عامين فى يونيو عام ١٩٠٦ فى التاسعة عشرة من سنى حياته ، وأُلحق بالأورطة السادسة عشرة المشاة فى كسلا ، ولم تستمر حياته فى السودان طويلا ، وسأحدّثك عنها عند ما تصل الى شعر الشكوى والحنين الى مصر .

والواقع أن عبد الحليم بدأ طوره الأول بالشعر السياسى الذى كان يمتلىء وطنية . وحديثه عن الوطنية والحرية ليس حديث صناعة بل من وحى روحه ؛ واسمعه يتحدث الى الحرية من قصيدة طويلة جاء فى مطلعها :

(١) الجزء الخاص بمولده ونسبه ومالم ينشر من شعره قد تفضل بكتابته حضرة شقيقه عباس حلمى المصرى المهندس .

حلا لها البينُ فانجابت عن المقل ولم تودع قبيل السير من رجل

فيقول :

عودى ! أطلى علينا ! إننا نفر إن حلت عنا فانا عنك لم نحل

الدهر غيرنا حتى اذا بعدت بنا الديارُ غدت منا على دخل

نأوى اليها بنا مما بها ظمأُ وكلنا طلل يأوى الى طلل

أصبحت فى غير وادى النيل ثاوية والشمس فى الحوت غير الشمس فى الحمل

ماذا جنينا ونحن الواهنون كما قالوا وذو الوهن لا يجنى على البطل؟

فايه يا مصرُ إن جاروا وإن عدلوا قد ينشأ البرء أحياناً من العلل

وسترى شاعرنا يكثر من الزجر كما أكثر حافظ منه ، وسنسمعه يخاطب المصريين جملة . ولكن عبدالحليم لم يكن قاسياً ، ولن تجد السخرية اللاذعة التى عُرف بها حافظ وحدثتك عنها فى قصائده عن مأساة دنشواى وسقت لك مثالاً منها فى قوله (أمة النيل أكبرت أن تعادى — البيت) وقد تجد بعض العنف فى حملته ولكنه عنف ترضاه ولا تضيق به ، واسمعه يقول :

يا أمة أبصرت فى الصبر مكرمة أيحمد الصبر مضروماً من الشعل ؟

أراك ندابة فى كل حادثة والندب لم يجد صوب الحادث الجلل

وليس هذا إلا لأنه :

أتى زمانُ نهوض وانقضى زمنٌ كان البكاء يُرى فيه من الحيل

وإذن ماذا يجب على المصريين أن يفعلوا ؟ وأية نصيحة يبعث بها الشاعر الى مواطنيه ومصر أحوج ماتكون الى جهود أبنائها ؟ ويعرف عبدالحليم هذا كما يعرف أن مصر باتت مطمع الدول ، لكل فيها مغنم ، وكل يريد أن ينال كسباً ، فيقول :

فراقبوا الله يوماً فى كنانته إن الكنانة أضحت مطمع الدول

* * *

رأيت هنا عبدالحليم شاعراً من شعراء الحرية يبكى لأجلها ، ويتحدث عنها ، ويهيب بالمصريين أن يعرفوا لوطنهم حقه عليهم وأن يعملوا على تقدمه ، ولكن

صاحبنا لم يوقف شعره على مصر بل سلك سبيل البارودى وحافظ فى الحديث عن الشرق وعن «فروق» أقرب العواصم بعد القاهرة الى قلب الشاعر. وفى الاستانة كثرت المظالم وقيد الناس بالاغلال واقتيد الابرياء الى البوسفور يبعثون الى قاعه ، وضاق عبدالحليم بهذا كما ضاق به ولى الدين فحمل على عبدالحميد وعهده فى قصائد طوال تجدها كلها فى الجزء الأول من ديوانه ، وأروع ما تلقاه له عن هذا العصر المظلم فى حياة الشعب العثمانى قصيدته « خلع عبدالحميد » والتى جاء فى مطلعها :

ودّع وسلم فان الدهر حالان والتاجُ من رأس سلطانٍ لسلطانِ

وستجد فيها صفحة دامية من حياة الأهلين . واقرأ معى حديثه عن سيدة أحاط بها الجند فى دارها وقد انتصف الليل يسائلونها عن زوجها وكان الرجل قد فرّ من قبضة يدهم قبل أن يداهموه فى داره . وستحس معى بليلٍ مظلم وقد عصفت الريح بالاشجار وتساقط البرد يغطى أرض الطريق ونوافذ الدور ، وفى هذا الجو الأغبر وقفت المرأة المسكينة تصطك من البرد بين جند يتدثرون بأردية سميكة ، وكلهم طامع وحاقد ، وقد جاءوا يحملون أمر التعذيب والاعدام للرجل فما وجدوه وهم يظنون أن المرأة قد أخفته فى ناحية من البيت وهى تقسم وهم يصدّون ، وفى هذا يقول الشاعر :

الله فى ربة الخدر التى جلدت	والجند ما بين فتّاك وطمان [1]
طاعت لها العين حتى صار مدمعها	رياً لكل خميص البطن صديان
كم ساءلوها عن (المختار) فاعتصمت	بالله فى القول من إفك وبهتان
وكذبوها فقالت : قطعوا جسدى	انى ضحية أقسامى وإيمانى
كلاهما صان فى الدنيا لصاحبه	عهداً ، فدرّهما لله زوجان

وتسير بك القصيدة حثيثا دون أن تجد العنف الذى تراه واضحاً فى قصيدة ولى الدين عن العصر الحميدى . وستجد شاعرنا أبداً يتحدث الى عبد الحميد عن نعمائه ؛ ويذكره بأيامه الماضية قبل أن تنزل به النكبة وقبل أن تطوح بعرشه ثورة الشعب الذى ألهبت ظهور أفراده بالسياط وشويت جلودهم بالنيران ، فانقلبت الى شعلة مضيئة تقود الجحافل وراءها ، وقد ضمت قصائده الى

(١) الله مفعول لفعل محذوف تقديره اتقوا الله .

مانظمه الشعراء فى الحديث عن الثورة والدفاع عنهـا فى كتيب صغير تعلوه صورة مدحت أبى الدستور ، وأسوق لك هنا مثلاً منها فى قوله مخاطباً عبد الحميد :

شاهدت حولك أسواراً تفيض دماً كأنما قد بناها بالدم البانى
مدججات إذا قيل القتال سعى مقرونة السير بنياناً لبنيان
تظلهـا ساريات قطرها عجب من أنسر وشواهين وعقبان
لم تبسم الناس فى (تموز) من جذل الا وقد عبسوا فى شهر نيسان

وختمها أو كاد بقوله :

الملك للواحد القهار لا ملكٌ فينا ولا دولة تبغى على شان

وكما دافع عبد الحليم عن الاحرار العثمانيين ودعى الى معاونتهم ، حثّ الشرقيين على معاونة أهل طرابلس فى صراعهم مع الطليان ، وستراه يحادث (رشاداً) صاحب الامر فيقول :

بالسيف بالرمح بالقرطاس بالقلم صونوا حمى الملك واحموا حوزة العلم
يا صاحبَ التاج هذى أمة بدأت تدنس الأرض فاغسل أرضها بدم
فى الشرق جند اذا ناديت عن كثب عدا اليك على جنٍّ بلا لجم

وذكر الشاعر حياته فى الجيش وعاد يحنّ الى حومة الوغى ومزاحمة الفرسان ، وكان الشاعر قد ضاق بالحياة فى مصر كما ضاق بالحياة فى السودان فلم يصل الى بغيته عند ما جاءها يحمل عدته من النظم والقريض ، ولعل الشاعر كان يبغى الرحيـل الى طرابلس لأنه يقول من قصيدته :

فيما الاقامة فى مصر وتلك ربى يضيق فيهن صدرُ الرحب بالرحم
سيفى . جوادى . نجادى . عدتى . زردى قلبى . ثيـابى . أناتى . سطوتى . هممى
لا حبذا رقدة بالنيـل ناعمـة وحبـذا وقفة بالجيش من أمم
لا خـير فى العيش يطويه الفتى ألماً كم فرج الموت عن نفس من الألم
أستودع الله أهلى فى كنانته مستقصياً عنهـم مستوصياً بهم

ولم تقف جهود الشاعر عند هذا الحد فعاد يثير حمية أهل الشرق ويحرضهم على الجهاد . واقرأ معى قصيدته « تطوّع يا فتى الهيجا تطوّع » والتى جاء فى مطلعها :

سلام الله يا دار السلام ليخمد فيك ملتهب الضرام
فسيف الله فى كفّ الامام وجنـد نبيه مـلء الأكام

وفيها يقول :

تطوّعْ يا فتى الهيجـا تطوّعْ لأنت بعنبر الهيجاء مصقع
فصفها إن سلمت وقلْ وأسمِـعْ (فان القول ما قالت حذامِ)
ومهلاً (أمة الطليان) مهلا أزاد بنيك حلمُ الترك جهلا
ستمسح أرضكم جبـلا وسهلا ويخفق سـعيكم بين الانامِ
سلوا (اليونان) هل بلغت مرادا وهل ردت كتائبها جوادا
وهل لم تغرس الترك الوهادا قناً لهمو وتظفر بالمرامِ ؟
سلوا (الدبّ) الذى أفعى وكرّا أألشب فيهم نابآ وظفرا (١)
وإلاَّ كانت (الأتراك) جمرا تسيل عليه من مجرى الغمامِ ؟

واصطدم الجيشان ، وانتصر الترك والعرب وحملت الأنباء الى العـالم الاسلامى خبر هذا النصر فنظم عبد الحليم قصيدته الثالثة لذكرى هذا النصر وفيها يقول :

السيفُ يصنع ما لا تصنع الـكتبُ لا الحرب قول ولا صدق الظبى كذبُ
تخرّص القوم فى الهيجاء وارتعدت فرائص هدّ من أركانها اللجبُ
ومنتهى القول إن الحرب قائمة الترك نار لها أعداؤهم حطبُ
يا (أنور) ادع (نيازى) يصطحبك بهـا فالحرُ للحرّ فى الهيجاء يصطحبُ

***

والسياسة كما حدثتك هى أكثر ما نجـده فى ديوان شاعرنا النابغة ، واسمعه فى

(١) الدب كناية عن الروس .

قصيدته (المساجين) [1] يتوجع لحال اثنين طاح بهما الاحتلال الى السجن فيقول:

قالوا سجنا كما والنار قـد خمـدت — تالله قـد أوقدوا ما أخمدوا بكما
لو يستطيعون أن يأتوا بمعجزة — فليجعلوا الأفق ترباً والتراب سما
فى كل يوم سجين لو تئن له — قال (العميد) أثاروا فتنة عمما
هم ينقمون علينـا كل آونة — فهل على الشعب من بأس اذا نقما؟
خـذوا هنيئاً بلاد الله آهلة — الا الكنانة والبيتين والحرما
فيـا قطيني ظلام السجن لا جزعاً — لا يعرف البدر حتى يقطن الظلما

وتابع عبدالحليم شعره السياسى فى حولياته وتجد الكثير منها فى الجزء الأول من ديوانه ، وقد أوقف عبدالحليم هذه الحوليات على الحـديث عن مصر والشرق الأدنى ، وتستطيع أن تقول أن كلا منهـا كانت تاريخ العام وسجل الحوادث التى مرت طوال أيامه ، والغريب أن عبدالحليم لم يجمع هاته الحوليات فى كتاب واحد مع أنه داوم على انشادها فى حفل استقبال السنة الهجرية منذ عودته من السودان. وحوليات عبدالحليم أقدم المذكرات السياسية فى التاريخ المصرى الحديث ، وأسوق لك هنا واحدة منها نظمت فى حوادث عام ١٣٢٧ ، وثق اننى لم أتخيرها لك بل جاءت فى ديوانه بعد قصيدته (المساجين) ، وفى قصيدته هذه يتحدث عبد الحليم عن الدولة العلية : كريت ـ المرحوم أدهم باشا ـ العجم ـ الحالة فى مصر ـ صبح الأمير ـ الهجرة ، والقصيدة طويلة أبياتها سبعة وستون بيتاً ، واسمعه يخاطب شباب مصر فيها فيقول :

يا فتية النيل جدّوا السير تغتنموا — تلك العلى فهى تدعو كل مغتنمِ
ولا يمت عزمكم من عثرة عرضت — فصحة الرأى تمحو عثرة القـدمِ

---

(١) تجد هـذه القصيدة فى الجزء الأول من الديوان ص ١٠٨ ولكن الشاعر ساقها دون أن يذكر تاريخ قرضها ، ولعلنا لو تابعنا تنسيق ديوانه على حساب الأعوام لكان تاريخ نظمها قبيل عام ١٣٢٨ للهجرة ، ولقـد حاولنا أن نلم بطرف من الحادث فلم نستطع وعسى أن نجد من أصدقاء الشاعر من يستطيع أن يوجهنا الى الصواب فى الحديث عن أسباب قرضها .

لأنتم اليوم فى نصف السبيل فلا تردّكم عاديات الحادث العمم
المجد بالباب والمذلاج عنه بـه خطموه اذا استعصى فينحطم
ويدخل المجد خطاراً بموكبـه يصافح النـاس فى أثواب مبتسم

وأغلب ما حدثتك به من قصيد شاعرنا حتى اللحظة نظمه فى الطور الثانى من أطوار حياته ، ولكن لعلك تتوق الى أن أعود بك القهقرى الى شعر الطور الأول وهو بعد فى فجر أيام الشباب . ستجد عنفاً وقوة فى شعر الفخر ، وستجد طراوة ورقة فى شعر الغزل ، وستقع على كثير من وطنياته المليئة باخلاصه لوطنه وجهاده من أجله ، ولكنك ستجد فى شعر هـذا الأمد شيئاً كنت تظن شاعرنا براء منه وسترى أن الشاعر قد أكثر فى هـذه الأيام من الشكوى والأنين والحنين الى مصر ، ومصر ليست هذا البساط الاخضر من الأراضى الذى يقف عند حلفا ، بل هى وادى النيل كله من منبعه الى مصبه .

وشاعرنا يعتقد هذا ويؤمن به ولكنه مع هـذا ضاق بالسودان والحياة فيه ، ضاق به وهو لم يره بعد ولم يعرفه . وقف يودع اخوانه الطلبة عند ترقيته من المدرسة الحربية وقد شارفت أيامه فى القاهرة نهايتها فقال :

سألتنى متى يكون الرحيلُ إن دمعى على الرحيل دليلُ
ربَّ حالٍ تكون خير جواب وسؤالٍ جوابه التعليلُ
هزّنى البين للوداع فأجريـ ت دموعاً كأنهن (النيلُ)
لمت دمعى ولامنى فيـه غيرى فأنا فيـه عاذلٌ معـذولُ
أبدلت سعدىَ الليـالى بنحس والليـالى من طبعها التبديلُ
وهدتنى الى سـبيل جديد وجميع الـثرى لمثلى سبيلُ

ولم يقف شاعرنا عند هذا الحديث ، إذكان قد برح به الحزن كما يبدو لى لأنه تابع شكواه وهو يقول :

يا حمام السودان تهتف باسمى أنا مهما هتفت باسمى ملولُ

ولعل الشاعر قد أدرك إسرافه فى الشكوى فأراد أن يجـد لنفسه بعض العذر فيها فقال :

رُبَّ صبٍّ يرنو اليَّ غراماً وفؤادى بغيره مشغولُ
إن صدرى أدرى بسرى فسله كلُّ صدرٍ عن سره مسؤولُ

ولكن عبدالحليم كان يعرف أنه سائر الى السودان رضى أو رفض ، وإذن ماذا تجديه الشكوى وماذا يكسبه الأنين ؟ ولهذا عاد فى ختام قصيدته فتنامى شكواه وبدأ يتساءل عما اذا كان سيعود ثانية الى مصر، مصر بالمعنى الذى يقصده الشاعر: القرية التى ولد فيها والبلد الذى تثقف فيه ، فقال :

أيها الناعمون بالاً بمصر أترى يرتجى اليها قفولُ
فهى أجسادنا وما نحن إلا خلسة من ترابها أو فضولُ

وسار صاحبنا الى السودان وفيه عاود الشكوى والأنين ، وبدأ قصائده فى الحنين والتشوق الى مصر . وقف عند خور الجاش[1] يتحدث الى فتاة ، هى تهديه الطريق ولكنه لا يريد فان ما فى قلبه من شوق الى مصر يكفى ليهديه سواء السبيل ، بل لعل هذا الشوق يدنيه فيقول :

لا ترشديني وخلى الشوق يهديني لعلَّ يدينهمو ما كان يقصيني
وسائلى الخيل عنى وهى شاردة فى مهجة النقع أرويها وتظميني

وترى الشاعر هنا قد خرج من حديث الشوق والحنين الى الحديث عن خيل شاردة وسط غبار متطاير بالرغم من أنها تظميه، ثم يسرف فى ذكر هاته الخيل فيقول:

يصهلن حولى فيسبقن الصهيل ولا يردن بالقوم ماءً غير مضمونِ

ثم يعود ثانية الى فتاته التى تهديه الطريق الى الماء . ولكنه يريد ماء النيل ، النيل الذى يقول عنه عند ما جاء القاهرة :

يا نيل ليت اجاج الملح فيك جرى فحلو مائك جرَّ المر والألما !

ولكنه يقول عنه عند خور الجاش :

لا تسقنى الماء إذ يجرى وبى ظمأ على يديك فليس الماء يرويني
لى فى رُبى النيل رِئم كدت أعبدُه فى شرعة الحبِّ لولا شرعة الدين

(١) خور الجاش مجرى ماء عند كسلا .

ولكن النيل الذى يحن اليه الشاعر لا يحييه ، ويمر به ساكناً لأن النيل فى مصر هو النيل عند منبعه حيث يضيق الشاعر بالحياة ، ويدرك الشاعر هذا الصمت الذى يقابله به النيل فيقول :

أبيت ليلىَ أحنيه ومن عجب أنى أحيى حبيباً لا يحيينى

والواقع أنه يحق لك أن تحزن فما كان يجدر بشاعرنا أن يكون ملولاً من العمل فى بقعة من الأرض هى وطنه ولآبائه فى تربتها دماء وأجساد ، ولكن خذ هذه الناحية من حياة شاعرنا على أنها فترة النزعات ، وباعتبار خواطره شعراً ، وانقده من ناحية القياس واللغة ، ثم اتركه عند ما يصل بك الحديث الى نقد معانيه وأخيلته .

وشعر الأنين والشكوى كثير جمع بعضه فى الديوان ، ويذكر أصدقاؤه الكثير منه . وستعجب عند ما تعرف أن شاعرنا قد ترك خدمة الجيش عام ١٩٠٨ ليرجع الى مصر وكأنه قد قضى فى السودان عامين اثنين ، نظم خلالهما من شعر الشكوى ما تخاله لكثرته قد قيل فى عشرات الأعوام .

ويخلو ديوان الشاعر من حديث تدرك منه سبب هذا الملل وعلة هذا الضيق الذى غمر حياته عندما حان رحيله الى السودان ، ثم فاض عند ما أدرك أنه لاسبيل الى الفكاك من هذا الرحيل العاجل . ولكن الواقع أن شاعرنا كان يتمنى — وهو بعد فى غمرة الشباب — أن يكون ضابطاً فى الحرس الخديوى ، وكانت عدته لهذا شاعريته الفذة ، وتدرك هذا من كثرة مدحه للخديوى السابق وسترى التفنن فى المديح من النماذج التى سأسوقها لك ، ومما نجده بالاضافة اليها فى ديوانه ، ولكن حال دون هذا قرب شوقى من القصر وصاحب القصر ، وفشل عبد الحليم كما فشل حافظ . من أجل هذا ضاق الرجل بحياته بعد أن فقد أمله وفشل فى أمنيته .وتدرك أيضاً أن هذا هو السبب الأول لألمه وشكواه عند ما تعود الى الديوان فتجد أن الرجل لم ينصرف عن السودان جملة ، ولم ينسه بعد أن تركه بل أكثر من الحديث عنه ، واسمعه يقول فى الاحتفال برأس السنة الهجرية (سنة ١٣٢٧) :

مالى أرى السودان طعمة آكل ؟ هل أطمعتهم مصر فى السودان؟
أنسوا أسود النيل يوم تضرجوا بدم العدى حين التقى الجيشان
متواثبين كأنهم نشء القطا وعداتهم حب امرىء وسنان

متسابقين الى الحصون كأنها أوكارهم شيدت على الأفنان
متقاسمين العاديات كأنهم في الحرب مشتركان مختصمان[١]

وانتهى عبد الحليم من السودان والحياة فيه . جاء الى مصر التي قضى عامين يتشوق اليها ولكنه لم ينس الشكوى ولم ينس التبرم بالحياة ، ضاق بها في مصر كما ضاق في السودان ويحدثنا عن هذا من ألمّ بطرف من حال الشاعر في حياته فيقول : « وعاد عبد الحليم من السودان فعمل في الأوقاف ، ولم تستمر حياته في القاهرة طويلاً ففي عام ١٩١٣ نشرت له الأهرام قصيدته (بالأعين اقتلن لا بالمشرفيات) فحملت عليه المؤيد على زعم أن ما فيها قصد به الشاعر الطعن في أمير البلاد فحوكم وقضت دائرة مجدى باشا بحبسه شهوراً ثلاثة ، الا أنه برىء في دائرة المرحوم عزيز باشا كحيل ، وكان يدافع عنه الهلباوى بك ، ولكنه وإن نجا من أغلال القضاء لم ينج من سلطان الادارة فنقل الى قنا[٢] » ولحقه فيها عنت الحكومة . ولعله في هذه الفترة قال قصيدته في مديح شفيق باشا والتي جاء في مطلعها « سمىّ رسول الله منى تحية » ولم يجده هذا نفعاً فاستقال حتى ولى الأمر السلطان حسين كامل فمدحه ، واتصل بعده بجلالة الملك فؤاد الأول .

وكما لم ينس عبدالحليم الشكوى لم ينس سيفه الذى لم يغمده مرغماً بل ابتاعه بيراع ظن أن سينال منه غاية ما يأمل من حياة مكفولة الرزق ، ولكن الحظ الذى لم يواته في حياة الجندية لم يجبئه من يراعه الذى شهره ، وستجد أنه ذكر سيفه عند الحديث عن قلمه وسترى مبلغ ثقته بأدبه فيقول :

أغمدت سيفى لا كرهاً ولا فرقاً وابتعته بيراع غير مغمود
صلب الشباة على القرطاس ليّنها يدمى على ضعفه صمّ الجلاميد
إن شاء هدم أبراج النجوم وإن أراد نظم ما استودعن فى جيد
اليك أصرفه والطير تتبعه بالنوح طوراً وطوراً بالأغاريد

والشاعر هنا يمدح ولى الأمر فى عيد الفطر عام ١٣٢٧ للهجرة . ولكن لمن

---

(١) العاديات : من صفات الخيل وحلت هنا محل الأمم .
(٢) من رسالة للصديق عباس حلمى المصرى شقيق الفقيد .

النوح ولمن التغريد ؟ هنا ينصرف الشاعر الى نفسه بالنوح وشتان ما بين النوح والتغريد :

نوحٌ عليَّ وتغريد اليك ويا شتان ما بين بكائي وغرِّيدِ !

ولكن أين يمكن أن يأمن كثير البكاء صروف الدهر ، وأين يمكن أن تواتيه السعادة ؟ أجل فى ظل الملك . وماذا فى الحياة بعد هذا الظل الوارف يستظل به الناس لينعموا برغد العيش ؟ ولكن :

ما أرغد العيش فى ظل الملوك إذا خلت مراعيه من عذل وتفنيد !

والشاعر كما حدثتك كان يتوق الى العيش فى ظل صاحب العرش ، ولذا ما كان يريد أجراً على مديحه غير تلك الأمنية التى ملكت عليه نفسه حتى أمرضه الجهد:

وقفٌ عليك مديحى لا أروم به أجراً ولكن مُنًى فى نفس معمود

والواقع أن عبدالحليم قضى أغلب أيامه إثر عودته من السودان يمدح ، ولم يذكر شيئاً عن تكسبه بالشعر وإن كان أكثر من مديح الخديوى السابق وتعقبه بالتهنئة لمتباين الحوادث من رحيل أو عودة ، أو عيد أو حفل خيرى . والواقع انه من الصعب أن تتقبل هذا كله على حساب أن شعراء هذا العصر قد انصرفوا الى المديح فسلك عبد الحليم سبيلهم ، على أن فترة المديح تحدد الطور الثانى من أيام حياته ، فقد قضى الطور الأولى فى السودان يشكو ويئن ويحن الى مصر ، ويقرض شعراً فى الحماسة والفخر ، وجاء مصر فبدأ الطور الثانى وانصرف فيه الى المديح ، وجاء الرثاء على هامش شعر الطور الأول كما جاء الوصف على هامش الثانى .

قلت لك إن أغلب ما نظم عبد الحليم إثر عودته الى مصر مدح به عباس ، ولكنى مع هذا أفضل قصيدته التى مدحه بها وهو على أبواب الرحيل الى السودان والتى يقول فيها :

لك اللواءان فوق الانس والجانِ فاخذل عداتك من قاصٍ ومن دانِ
رب الاسود التى يوم الكريهة لا يرون اخوانهم فيها باخوان
اذا أطلت سيوف الجيش رابية أذكرتنا مازناً فى يوم سفوانِ
ملكت جنة مصر وهى مقفرة وكان رضوان فيها غير رضوانِ

فكنت فيها (أبا بكر) باندلس — وكنت فى ملك الفتح (بن خاقان)
يظلها النصر ما دامت أريكتها — يظل أعطافها (عباسها الثانى)
لبثت فى أمة السكسون تقرضها — عدلاً بعدل وعدواناً بعدوان
وكنت كالدهر لو أغفت لواحظه — له على الناس قلب غير وسنان

ولم يبرأ شعر صاحبنا من الاسراف ، ولكنك لاتضيق به بل سترضاه وستجد أنه غاية المديح فى شعر العصر الأخير . وستجد شاعراً أراد أن يمدح رجلاً فماذا يقول فيه ، وأى حديث يصفه به إن لم يقل إنه لا يختلف فى فضله اثنان ؟

لو كنت فى قوم نوح قبل دعوته — لم تغرق الأرض من فيها بطوفان
الدين مختلف فيه ومؤتلف — وأنت لم يختلف فى فضلك اثنان

وبقى يمدح صاحب القصر ولكنه أدرك بسرعة أنه يجب أن يصل الى بغيته عن طريق شاعر القصر ، فهو أقرب رجال القصر صلة بصاحبه ، وشوقى شاعر وبلاغته هى عدته ، ولهذا ستجده يضمه الى من فاخر الشعوب قبله بالبلاغة :

ذلت آبيةَ البلاغة فاغتدت — تمشى بطرسك مشية المتذلل
فاذا نخرت بها فان محمداً — قدكان يفخر بالكتاب المنزل
قد جاء بالمنثور آخر مرسل — وأتيت بالمنظوم أول مرسل

ثم يقارض الشاعر أمير الشعراء الثناء فيقول :

قربتنى حتى اذا استوزرتنى — أكبرت منزلتى بصدر المحفل

ولكن ماذا بعد هذا التقريب والاكبار :

ولبثت تجرى فى سماعى صافياً — من ماء شعرك كالرحيق السلسل
فتغض طرفك تارة عن عثرتى — وتقيلها طوراً بغير تدلل
فاذا تبنيت امرأً فانا الذى — يرعى الأبوة فى الزمان الحوّل

وتسير بك صفحات الديوان حثيثاً حتى تصل الى جزئه الثانى ، ولعلك تفكر فيما فعله شوقى للشاعر ... لا شىء ، إذ يعود شاعرنا فيتحدث الى شوقى إثر عودته من الاستانة عام ١٩١١ فيقول :

لقد أخلصت يا (شوقى) ودادى إليك وأنت توسعنى نفورا
فثق بيدىّ واذكرنى بخير إذا ما جئتَ مولانا (الأميرا)

واستند شاعرنا الى هذا الضرب من القصيد فى قضاء كل ما يعنّ له من أمر الحياة والعيش ، حتى طوحت به المقادير الى فنا كما قدمت لك وكان وزير الأوقاف أو مديرها أحمد شفيق باشا فقال من قصيدة طويلة :

سمىّ رسول الله منى تحية بأمثالها هذا الجلالُ خليقُ

وختمها أوكاد بقوله :

مِن الغبن أن تغضى وطرفك مبصر وتقسو على مثلى وأنت شفيقُ

وفى هذا بلا جدل نموذج رائع لمهارته فى التلاعب بالألفاظ .

* * *

والرثاء أقرب شعر عبد الحليم صلة بالسياسة والسياسيين ، وتحسّ بهذا عند ما يقابلك رثاء الزعيم الشاب فى بداية الجزء الخاص بالرثاء فى ديوانه . ويقصّ عليك شاعرنا حديثاً طويلاً عن هذا الرثاء ، فلقد قضى مصطفى كامل والشاعر مريض لا يقوى بصر البرء على رؤية جسمه فلما مرّ العام وأعاد الشعراء والكتاب رثاءه كان صاحبنا مقتول الخاطر مغلول القلم واليد ، ولم يكد يترك فراشه ورأى أن يقضى واجبه حتى واتاه الخيال بهذا الشطر وهو فى سنة من النوم « أقبرك أم قبر النبي أم البيت » وأغفى دون أن يجيش بخاطره الشطر الثانى ، فرأى فى نومه الفقيد العظيم يسائله « ألم تتذكرنى إلا اليوم » فأيقظته الدهشة وبدأ يكتب رثاءه فقال :

أهلاً بطيفك فى نومى يعاتبنى إن العتاب يقوى حرمة الرحم
تالله ما قصدت كفى ولا قلمى يوم الرثاء ولا أكبرتَ من شمم
لكن قضيت وشعرى فى طفولته واليوم تبدو عليه مسحة الهرم
فلم تكن ذلة تمحو إصابته إصابة الرأى تمحو زلة القدم

والقصيدة طويلة جاء فى مطلعها :

سمح الحاجر هطالاً عن الديم مهما كرمت فلم تحمد على الكرم

ولكن لماذا لا يحمد الزعيم على هذا الكرم لأنه :

مَن قام بالفرض إن لم يُجزَ صالحةً فحسبُه أنه ينجو من النقم

أقمت صرحاً أطال النشء قمته حتى تقاصر عنها أطول القمم

فمن تفيأ فى ظل (اللواء) فلا يخاف صرف الردى أو شدة الأزم

وخرج عبدالحليم من الحديث عن الزعيم الشاب إلى الحديث عن دعوته ، وسترى هنا خروج الشاعر من الرثاء الى المديح فيقول :

وقمت بالأمر فى عهد اذا بعثت فى أهله الرسل لم يؤمن فتى بهم

كأنما الدعوة الأولى التى انبعثت كانت طعاماً وكان الشعب كالنهم

وعاد عبدالحليم ثانية الى حديث السياسة ، والسياسة هى أول ما يجب أن يصحب رثاء المجاهد الأول ، ومن الواجب أن يتحدث الشاعر عن دعوته تذكرة للشباب :

كانوا يسومون مَرعى أنت ضيغمه فأبصروا أن مرعى الأسد لم يسم

ظنوك بالنيل ذا وهن فما انطلقت بك العناية حتى صحت فى الأجم

خرجت ليثاً فلم تترك بها ضبعاً إن الضعاف شداد فى عداتهم

غضوا العيون (بنى التاميز) إن على أرض الكنانة قصراً خافق العلم

وبالكثيب ضريحاً نستمد بما يوحى الينا حيال الحادث العمم

لم يدعه زائر إلا ويسمع من صفائح القبر صوتاً رنّ كالنغم

وختمها أو كاد بقوله :

قل للحجيج اذا أموا الحجاز قفوا بمصر إنّ بها باباً الى الحرم

لا يكمل الحج إلا أن يطوف به ويقرأ الآىَ فيه كلُّ مستلم

وهذا لعمرك غاية المديح وأروع ما قيل فى رثاء المجاهد الأول صاحب الصيحة الأولى للاستقلال .

* * *

على أنك فى دراسة شعر عبدالحليم ستبحث لأول وهلة عما يتصل وثيقاً بعمله ، وستجد فى البحث عن نماذج كتلك التى سقتها لك عند الحديث عن البارودى ولكنك لن تجد شيئاً منها ، فلم يصف شاعرنا المعارك ولم يتحدث عن السيف والرمح إلا على هامش الفخر ، ولم يذكر السيف والقلم إلا عند صيحته فى حرب طرابلس والتى سلك فى مطلعها سبيل المتنبى .

وأوقف وصفه على الحديث عن مصر : تحدث عن آثارها القديمة وتغنى بمشاهدها الحديثة . واسمعه يصف قصر أنس الوجود ويتحدث عن مصر يوم أن كان القصر يزدهر بأصحابه فيقول :

الدهر ملّ وآى الدهر كامنــــة	فى وجهك الطلق لا يبدو بها ملل
قرأت فيهن سر العــالمين فيا	شتان ما بين من قالوا ومن عمــلوا
كانوا اذا أبصروا شمس الضحى سجدوا	لها وإن أبصروا شمس الهدى عدلوا
هنالك التاج كانت كلما سطعت	بدوره طأطأت هاماتها الدول
وكنت كالشمس برجاً حول قبته	تسعى الـكواكب لاريث ولا مهل
وكانت الغيد فى نعماك رافلة	على منا كبهــا من سندس حلل
لحت (هوديس) تحت السيف فانتثرت	دراهم الشيب فى عطفيك والملل
فمن يجاريك فيما شدت يا (أنسٌ) ؟	المرء مرتحــل والذكــر مقتبل

ووصف الشاعر الشام وتحدث عن حفل أقيم لتكريم رجل عامل ووصف رحلة فى سفينة تمخر النيل يوم شم النسيم ، ولـكنك لن تجد فى كل هذا روحاً جديدة للشاعر . ستجد الروح القديمة الحزينة التى يشغلها حديث السياسة ، وأسـوق لك مثلاً من هذا الضرب من القصيد « شم النسيم على سطح النيل » ، وستجد أنك مرغم على قياسها باعتبار الضرب الذى ساقها فيه صاحب الديوان :

دع ذكرَ زمزم والحطيمْ	وادع المدامةَ والنديمْ
فالعمــــــر يوم للسرو	ر وألف يوم للهموم
ولربمـــــا جاء الزما	ن بغير ما يرجو الحكيم
أنا لا أنوح على الديا	ر ولا على الانس المقيم

وستقف هنا لتسائل نفسك : لماذا لا ينتحب الشاعر لوطن مغلوب على أمره ؟ ولعل الشاعر قد أدرك هذا لأنه يجيبك من توّه :

إن الديار ومن بهـا في ذمـة الله الكريم
(مصر) لمن يشتدّ سا عـده من الزمن القـديم

وينصرف الشاعر عن حديث النواح الى الوصف أو على وجه أصح لمبدأه فيقول :

فدع النواح وهاتها صفراء بيضاء الأديم
راح وريحان ورو ض زانه عود وريم
نطق الجماد بكفه والميت أنطقه اليتيم [1]
وجرت على أوتاره أطرافه جرى النسيم

***

وتجد في قصيد عبدالحليم نوعاً من الشعر القصصي ، وتلقى هـذا في أول الجزء الثـاني من ديوانه في قصيدتيه « عـبرة المقابر » و « بين القبور ميت يتـكلم » كما تلقى خواطره ونزعاته في الصفحات ١٣٤ — ١٤٤ من الجزء الثاني من الديوان وأغلبها مقتطع من رسائله الى أصدقائه ولـكنك لن تجد فيها جديداً يباين ما حدثتك عنه من الضروب التي نظم فيها. ولـكن ثق أنك ستقف بازاء قصيدته «ياعمر» وستعاود تلاوتها مرة إثر الأخرى ، ستجد روح الشاعر النزاعة الى الخير ، واسمعه يقول :

يا عمرُ أخشى أن تطو ل وأن يكون العيش مرّا
فأتح لعيني أن ترا جع في الشبيبة منـك سفرا
حتى أرى ما خط في صفحاته خـيراً وشرا
فاذا وجـدت الخـير أر جح من أخيـه بنيت قصرا
واذا وجـدت الشر أر جح من أخيـه حفرت قـبرا
ما أحسن الدنيـا اذا صدقت لنـا خَبراً وخُبرا

وأسلوب عبد الحليم سهل ، وعباراته سلسة ولا تحس بتكلف في شعره بل سلاسة

---

(١) يقصد باليتيم عيسى عليه السلام .

على طبعه وسليقته . وقد خلا شعره من الغرابة والتعقيد ، ويدل على المكانة التى كان سيصل اليها لولا وفاته المبكرة عام ١٩٢٢ فى الخامسة والثلاثين من سنى حياته .
وكان عبدالحليم ينظم القصيد فى غير عناء ، ولكن مع هذا لم يرو على البديهة سوى بيتين اثنين عند ما راح مع جماعة من أصدقائه يزورون الدكتور يوسف طلعت باشا فقيل لهم إنه مريض فأنشد لتوه :

قد مرضنا ولم نجد من دواء غير انا نزورُ ذاك الحكيما
وشددنا الرحالَ نرجو شفاء فوجدنا ذاك الشفاءَ سقيما

ويحفظ أصدقاؤه كثيراً من شعره الذى لم ينشر ، ويجمع الصديق الفاضل عباس حلمى المصرى الكثير من هذا القصيد لينشر فى جزء رابع يصدره من الديوان ، وأسوق لك منه هنا قصيدته « هارون الرشيد وسحابته » :

الشرقُ كان لنا ملكاً بأجمعه ونحن كنا بروض منه معطارِ
دانت لامرتنا الدنيا وساكنها وهاب سطوتنا ضرغامها الضارى
وطوّح الفتح بالنصر المبين لنا فالشمس محصورة منه بأسوارِ
نمسى ونصبح فيه وهى مشرقة كأنها شعلة فى الشكّ للسارى
وقولة قالها هرون حين رأى سحابة عرضت حبلى بمدرارِ
أطوى السماء وجدّى السيرَ راحلة فانما أنت فى أرضى وأمصارى
انى نزلت من الغبراء ناحية أتى خراجك محمولا الى دارى
فهكذا نحن كنا أهل مملكة ليست تحدّ بأسماع وأبصارِ
إذا تلمستها لم تلق باقية إلا أحاديث فى أفواه سحارِ
فلا تقل نحن كنا أهل مملكة قل تلك مملكتى أو تلك آثارى
فاليوم صرنا كأن الشرق ليس لنا داراً ولسنا به أصحابَ آثارِ
فما لنا غرباء فى مواطننا ونحن منها بجناتٍ وأنهارِ؟!

وممن حيّوا عبد الحليم تحيةً حارةً عند صدور ديوانه من شعرائنا الأحياء.

الدكتور أحمد زكي أبو شادي ، وهذه التحية مثبتة في ديوان أبي شادي الأول (أنداء الفجر) ، قال :

يا ناشرَ السحرِ في يومٍ بكيتُ به ... عذَّبتَ خِلاًّ بحكمِ الحبِّ لم يَنَمِ
ما كان ضرَّكَ لو أمهلتَنا زمناً ... فرقّةُ الشعر تُحيي ميّتَ الألمِ
مِنَ البيانِ شِفاءُ النفسِ سالِيَةً ... وما عرفتُ شفاءَ الصبِّ في القلمِ
يهفو الجمالُ لِشعرٍ قلتَ أعذبَهُ ... وتَبسِمُ الزَّهرُ في سُكرٍ وفي حُلُمِ
ورُبَّ قلبٍ — لمعنَى رُوحِهِ فِتَنٌ ... يَحْيا الجمالُ به — ناجٍ مِنَ العدَمِ
أحنو عليه وأتلوه كأنَّ به ... وعدَ الحبيبِ ، وأُدني لفظه لِفمي
فما عبستُ قليلاً في بدايتِهِ ... إلاّ طربتُ وولّى بعدَها ندمي
وأقدرُ الناسِ يُبكيهم ويُفرحهم ... مِنْ رُوحِهِ الحيِّ في شِعرٍ وفي نَغمِ

وفي هذه الأبيات يشير أبو شادي الى ما انتابه حينئذ من أزمة عاطفية لا تزال آثارها متمشيةً في شعره الحديث .

وطبع من ديوان الشاعر جزؤه الاول والثاني ونشرا في عامي ١٩١٠ و ١٩١١ وكتب مقدمة الجزء الأول الكاتب الشهير محمد صادق عنبر ثم نُشر الشاعر الجزء الثالث عام ١٩١٨ . وقد تريد أن ترقب هذا الاثر النفيس يوماً ما ، وتجده في دار الكتب الملكية برقم ٥٩١٣ آداب ولعلك تقضي في مطالعته ساعة ثق انك لن تأسف عليها ؟

عبد الفتاح ابراهيم



المتنبي وشعره

ما اسم المتنبي بالشيء الهين يذكر دون اكتراث ، ولا صيته بالقصير المدى ، لا يقام له وزن أو اهتمام ، بل هو عاصفة هوجاء عصفت في ميدان الآداب العربية ، فأثرت فيها وتغلغلت حتى أدق خلاياها ، وسيطرت على كثير من مبانيها وحواشيها .

تذكره فكأنك تذكر جباراً من جبابرة الوجود ، وتتلفظ باسمه فكأنك تتلفظ بآية من آية الخلود . وهو حقاً كذلك ، فلقد جمع في نفسه ما لم يجمعه عدة في أنفسهم جميعاً ، وما كان ابن السقاء - إن صح زعم الزاعمين - إلا فلتة فلتت في غفلة من الطبيعة . فأعوام ألف هجرية مررن واسمه يدوى بين المتأدبين والشعراء كأروع ما يكون ، وكأن رمح الاسدى قد غزه وصرعه في الأمس البارح ، يدوى بأشد ممن سبقه أو تلاه من قرضة الشعر وقوالة القصيد ، وقد شغل من جهد ، واستنزف من قوى ، واستغرق قوله من نقد وتمحيص مايضن بشيء منه على جمع كثير .

تقول المتنبي ، فيداخلك منه رهجة ، لا لما يتصل باسمه من تموجات النبوة ، ولا لما ينبعث من طياته من نفحات ما وراء الطبيعة ، وانما لما يأخذ - ما يتركه شعره من أثر - من مكامن ذاتك ، وما يثيره فيك بطبيعته ، حتى ما كان يكذب حقيقته ، ويداجى أحواله ، ويخفى عجزه . يتباهى بالجود وهو شحيح ، ويدعى المقدرة وهو الطموح حقاً ، لكنه منها على قلة وندرة ، ويشعرك بالقوة فتخاله قائداً هصوراً صؤولا يشد في ركابه العسكر المجر . فانظر اليه يمدح علي بن محمد بن سيار التميمي ، فيصول ويجول في الاعتداد بقوته ، ويتوعد ويهيمن :

أقل فعالى ، بله أكثره ، مجد ... وذا الجد فيه نلت أم لم أنل جد

سأطلب حقى بالقنا ومشايخ ... كأنهم من طول ما التثموا مرد

ثقال اذا لاقوا ، خفاف اذا دعوا ... كثير اذا اشتدوا ، قليل اذا عدوا

وطعن ، كأن الطعن لا طعن عنده ... وضرب ، كأن النار من حره برد !

اذا شئت حفت بي على كل سابح ... رجال (?) كان الموت في فمها شهد

فأنت تراه لا يتجنى إلا على وقائع الكلام ، ومعارك الألفاظ ، وانها لحمد قفيه على كل حال ففي نفسه الكبيرة هذه المنى ، وقد كان يسعى نحوها ، وكان يتوق اليها

وكان يرجوها بكل ما فى نفسه من قوة، فان لم ينلها واخفق ، فما هو بالملوم . ألم يعبر أبو القاسم الطبسى فى وصفه المتنبي عما كان فيه من طموح :

كان فى نفسه الكبيرة فى جيش ، ومن كبرياه فى سلطان (١)

ولكى نعطيك مثالاً نقول إنه جرت العادة بين الشعراء أن يمدّوا ذواتهم أدنى من ممدوحيهم ، أما هو فكان يرى ذاته واياهم سواسية إن لم يجدهم أقل منه بكثير كما عبر فى ظروف شتى غير أن الايام لم تواته ، فبسمت لهم وخذلته عن كيدٍ وحقد . لذا كان ينشدهم شعره قاعداً لا قائماً بين أيديهم مؤتماً بعادة الشعراء حتى انه عند ما أنشد سيف الدولة احدى قصائده المشهورة فى مدحه قال أحد الحاضرين ليكيده أمام الأمير: «لو أنشدها قائماً لأسمع ، فان أكثر الناس لا يسمعون» فقال المتنبي : « أما سمعت أولها : لكل امرىء من دهره ما تعوّدا ! » وهى حادثة من حوادث كبريائه العديدة . وقد رُوى عنه أيضاً : انه كان يقف لدى كافور وفى رجليه خفان ، وفى وسطه سيف ومنطقة ، ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق ، وهذا منتهى الطغيان والعجرفة خاصة من شاعر ، لدى سلطان كبير . ولم ينل ما ناله المتنبي أحد من الشعراء حتى الأخطل الذى كان كثير الادلال على عبدالملك ، حتى انه مرة طلب منه خمراً ، فأجابه عبدالملك : « أو عهدتني أسقى الخمر ؟ لا أمّ لك ! لولا حرمتك بنا لفعلتُ بك وفعلت » رغم حبه الكثير له كما انه لما أنشده قصيدته التى أولها :« خفّ القطين فراحوا منك أو بكروا ... » فكان عبدالملك يتطاول لكل بيت منها ، ثم قال : « ويحك يا أخطل ! أتريد أن أكتب الى الآفاق انك أشعر العرب ؟» ثم أمر بمولى يسير بين يديه ينادى : «هذا شاعر أمير المؤمنين ! هذا أشعر العرب ! » . ومع كل هذه الحظوة لم يكن الأخطل قادراً على فعل شيء مما كان يفعله المتنبي مع ملوك طغاة ، وكيف كان يدل بذاته عليهم وشتان بين تسامح بنى أمية وطغيان بنى حمدان والأخشيديين ! وانه لتدهشك فيه هذه القوى الاعتدادية ، وانه لتبهرك منه هذه الصفات المتينة ، ففى شعره ميزة ولكلامه وطأة ، قلما يمتاز بها شاعر ، أو قلما تصدر من سواه عن شعور صادق ، وإن صدرت ففى قصائد ، لا كما هى فى المتنبي فى كافة أقواله : فى الرثاء والمديح

---

(١) يروي أبو منصور الثعالبى فى (اليتيمة) هذا البيت عن صاحبه هكذا :

كان من نفسه الكبيرة فى جيش ، ومن كبرياء ذى سلطان

(أبولو)

والهجاء والحكم على السواء . ونحن طبعاً لا نعلم ما هية صدقه في قوله ، وحقيقة مدى صفاته الشامخة في طلب المعالي وحب السلطان والجاه . ففي زمانه لم يكن هنالك من يلم بعلم النفس كما نفهمه في هذا العصر حتى يترك لنا درساً وافياً أو نبذة ما ، ونحن في هذه الأيام نتحدث عن أناس عاشوا منذ مئات أو آلاف من السنين وليس لدينا الأدلة الوافية عن صفاتهم غير أحاديث وأخبار يعلم الله مدى مطابقتها للواقع ، فنحن نتكهن عن أحوال أولئك الناس ونكيّفها بحسب أفكارنا وقد نزيد ، وقد نقلل ، لأننا لا نعلم الظروف . ونحن نعلل أقوالهم ونحللها حسب آرائنا الخاصة دون أن نعلم أحوالها وهذه الأحوال هي نور يفيض علينا ، وينصب كاللهب فوق شخصية المرء الذي نبحث فيه ، فيبرزها لنا واضحة جلية ، ويا لها من أحوال نادرة ! ولست أعلم كيف نحلل لأنفسنا ، حين نقرأ كلمة أو بيتاً ، أو جملة لأحد من الناس وهي مبهمة أو معقدة تحتمل تأويل عدة ، فيتسنى لنا بعد ذلك الجزم بقصد معين لصاحبها في قولها ، نتوهمه من ذاتنا ، والله يعلم كم نشط عن الحقيقة ، وكم نبتعد عما عناه ! وقد يكون ذلك الشخص قالها عفواً ، ولم يخطر له ببال قط ما خطر لنا من مقاله ، لكننا نريد ذلك ، ونأبى الترجيح ، ونصرّ على التوكيد وأسفاه ! ثم نحن نقول إنه فعل ما فعل ، أو قال ما قال ، لأن صفاته كانت كذا وكذا ، ولا برهان لدينا إلا أحاديث قليلة تكاد تكون مبهمة لا تؤدي غاية معلومة ، لكثرة متناقضات أحوالها . فالمؤرخ العربي كان همه الأول أن يجمع أكثر ما يستطيع جمعه من شتات الأخبار ثم يضمها سوياً لا يهمه تنافرها أو تلاؤمها ولو كان معاصرها ، وعلى قارئها أن يستخلص ما يشاء ، فلا يسعنا والحال هذه إلا أن نحكم على الأعمال ذاتها كما نستخلص حقائقها نحن ، لكن دون أن نؤكد حكمنا .

لكن يشفع في المتنبي لدينا حادثة ، وحادثة واحدة ، ان صدقت دلتنا على ما رأيناه من صفاته في أعماله الباقية وفي أقواله ، وعلى ما يتحدث به الناس عن طموحه وبسالته ، وتجنبه ركوب مراكب العار والشنار ، ويحقق فيه قول الطبسي . وهذه الحادثة هي تلك التي انتهت بموته : فكلمة العبد له عند ما أراد الفرار : « لا يتحدث الناس عنك بالفرار وأنت القائل :

الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني   والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلمُ ! »

وردّه عليه : « قتلتني قتلك الله » ، فكرّه على الأعداء ، وموته تلك الميتة الفظيعة ، يصدق عليه شجاعته ، وابتعاده عما يحمل عليه تحدّث الناس بالسوء وازدرائهم به وتهكمهم عليه . ويجب علينا أن نقرّ أن الرجل كان قد ناهز الخمسين وأربى ، وربما أصيب بالوهن ، وأحسّ ذلك فى نفسه فأراد الفرار ، فلو كان قد أتم نيته لما كان عتب عليه أو ملام ، ولكننا لا نود أن نتلمس له المعاذير ، من باب التكهن والرجم بالغيب ، سيما وان هذه الحادثة لا نعلم الثقة التى رواها ، ومَن سمع كلام العبد وحكاه للناس ما دام الحديث تمّ فى معركة ، وقتل المتنبي وأصحابه كلهم مع العبد ذاته ؟ ! لكن لدينا رواية هى أكثر ثقة ، وأدعم أساساً ؛ بل هى الوحيدة التى تجلو الغوامض فى قتله عن ثبت ويقين ، وهى تدلنا كيف أوردته كبرياؤه حتفه ، كأن راوى الحادثة السالفة قد أخذ عنها شيئاً من روحها . فقد روى أبو نصر محمد الجبلىّ ، كما جاء (فى الصبح المنبى) : ما عرف عن مقتله ، وكان المتنبي صديقاً له ، ولسنا نريد أن نسرد هنا كلامه كله ، وانما نقنع بهذه السطور نقتطفها من روايته ، وكيف أراد أن يحول المتنبي عن عزمه بالسفر لئلا يقع فريسة لفاتك الأسدى ، فلم يتحول :

قال أبو نصر : فتلقيته وأنزلته فى دارى وسألته عن أخباره وعمن لقى فى تلك السفرة فعرّفنى من ذلك ما سررت به له ، وأقبل يصف ابن العميد وفضله وكرمه وعلمه ، وكرم عضد الدولة ورغبته فى الأدب وميله الى الادباء ، فلما أمسينا قلت : « يا أبا الطيب علام أنت مجمع ؟ » قال : « على أن اتخذ الليل مركباً فان السير فيه أخف علىّ » ، قلت : « هذا هو الصواب » رجاء ان يخفيه الليل ولا يصبح إلا وقد قطع بلداً بعيداً ، وقلت له : « الرأى أن يكون معك من رجال هذه البلدة الذين يعرفون هذه المواضع المخيفة جماعة يمشون بين يديك الى بغداد » فقطب وجهه وقال : « فما تريد بذلك ؟ » قلت : « أريد أن تستأنس بهم فى الطريق » قال : « أنا والجراز فى عاتقى فما بى حاجة الى مؤنس غيره » قلت : « الامر كما تقول ولكن الرأى الذى أشرت به عليك » فقال : « تلويحك ينبىء عن تعريض ، وتعريضك ينبىء عن تصريح فعرفنى جلية الامر » قلت : « ان هذا الجاهل فاتكاً الاسدى كان عندى منذ ثلاثة أيام ، وهو غير راض عنك لانك هجوت ابن اخته ضبة ، وقد تكلم بما يوجب الاحتراز والتيقظ ، ومعه أيضاً جماعة نحو العشرين من بنى عمه ويقولون مثل قوله » فقال غلامه : « الصواب يا مولاى ما أشار به أبو نصر خذ معك عشرين رجلاً يسيرون

بين يديك الى بغداد ، فان ذلك أحوط ! » فاغتاظ أبو الطيب من غلامه غيظاً شديداً وشتمه شتماً قبيحاً ، وقال : « والله لا أرضى أن يتحدث الناس بأني سرت فى خفارة أحد غير سيفى » .

قال أبو نصر : فقلت : « يا هـذا أنا أوجه قوماً من قبلى فى حاجة لى يسيرون بمسيرك وهم فى خفارتك » فقال : « والله لا فعلت شيئاً من هذا » ثم قال : « يا أبا نصر أبنجو الطير تخوّفنى ومن عبيد العصا تخاف علىّ ؟ والله لو أن مخصرتى هذه ملقاة على شاطىء الفرات ، وبنو أسد معطشون لخمس وقد نظروا الماء كبطون الحيات ، ما جسر لهم خف ولا ظلف أن يرده . معاذ الله ان أشغل فكرى بهم لحظة عين ! » فقلت له : قل : إن شاء الله » فقال : « هى كلمة مقولة لا تدفع مقضياً ، ولا تستجلب آتيـاً » ثم ركب فكان آخر العهد به ولما صحّ عندى خبر قتله وجهت من دفنه ودفن ابنه وغلمانه ، وذهبت دماؤهم هدراً ! » .

ألست ترى فى هذه الرواية وهى من صديق جليس للمتنبي كيف أن أنفته جنت عليه ، وكبرياءه أزهقت روحه ؟ وألست تلمس فيها لمس اليد ما تجلى فى شـعره من ضروب العجب والزهو والخيلاء ؟

إن أكن معجباً فعجبُ عجيبٍ لا يرى فوق نفسه من مزيدِ !

لو لم يك متكبراً محباً للعظمة ، مغرماً بالصيت ، وكانت كبرياؤه تأخذ عليـه كل فج وصوب ، لما ادعى النبوة ودعى النـاس الى الايمان به ، ولما ذهب الى كافور يتمسح به أملاً أن ينال منه ولاية على مقاطعة فى مصر ، ليتسنى له من بعدها ـ (ولنعد الى التخمين والحدس إن لم يكن منهما مفر هنا نظراً للمظاهر) ـ الايقـاع بكافور ، فشعر به الاسود فماطله ، ولما تغافل عن نصيحة صاحبه الجبلى ونفر من مصاحبتـه لاحـدٍ فى تلك الفيافى الموحشة . فالتوافق الذى يبدو هنا وفى أكثر الاحيان بين قوله وفعله من حيث الاستماتة فى حب المجد والعظمة والجاه والسلطان ـ لا من حيث الجود وكثرة الجنود والبنود وهو ليس منها على شىء صحيح ـ هو ما حقق لدينا قول الناس فيه ، وانها لما لا يتناظر فيها أحد .

ونحن نود هنا أن نتحدث عن متناقضاته ثم عن صفاته ، ونتطرق بعد ذلك الى ما يستقر فى شعره من الفوائد الخلقية التى يمتاز بها عن سواه .

لعل أبرز ما فى صفات المتنبي : الادعاء ، والادعاء الـكاذب شر مقتنى وأذل مرتشد .

غير اننا ننزه شاعرنا عنه ولا نراه يدعى عن عجز ووهن فى نفسه مثل غيره ، وهذه وقائعه وأفعاله تنبئنا بشهادات كثيرة لا نعرف قرب أغلبها أو بعده عن الحقيقة ، لكن الكثيرين يؤكدون صحتها ، فان كانت كذلك ونزلنا عند رأيهم وجدنا ادعاءه وخوفه من تخرصات الناس الذى حمله على ركوب المركب الخشن وتعرضه للاذى كما قال لغلامه : « والله لا أرضى أن يتحدث الناس بأنى سرت فى خفارة أحد غير سيفى » ومهما يكن من تخوفه من حديث الناس فلا ينفى انه كان فى قرارة نفسه شىء كثير من الشجاعة وهو القائل :

ما أبعد العيب والنقصان عن شرفى ... أنا الثريا ، وذان الشيبُ والهرم !

أتراك تريد ممن يصف ذاته بالثريا أن ينحط الى الثرى الى دركات السوقة فيقنع بالكفاف من العيش أو يفر من القتال وهو الذى يدعى أنه يأبى أن يعدّ بين من يعيش بينهم من الناس أهل زمانه ولو كانوا سادة وملوكا ، وانه كالتبر لا يضيره أديم الارض الذى يحيط به :

وما أنا منهم بالعيش فيهم ... ولكنْ معدِنُ الذهب الرغامُ !

أرانبُ غير انهم ملوكٌ ... مفتحةٌ عيونهم نيامُ !

ولكن الذى يدهشك فيه بعد كل هذا الادعاء ـ وكم له من جولات فيه ! ـ وما كلفه هذا الادعاء فى مواطن عدة من بدء ادعائه النبوة حتى حتفه، كما أسلف القول، أن نشهده يرضى بالتزلف الى كثير من الأمراء ، وينشد مدائحهم ، وأنت تعجب كيف يترفع عن الدنايا ، وكيف يعود فيلحف فى طلب المال من باب مدح الملوك والعظماء ، فتراه يتدنى حتى الى ذل السؤال ، ولو كان السؤال مسبوكاً فى صيغة الفخر، حتى لو راعينا ظروف زمانه ولجوء كافة الشعراء الى المديح واطراء الكبار، لا نقدر أن نغفل قوله لسيف الدولة :

أجِزْنى اذا أُنشدتَ شعراً ، فانما ... بشعرى أتاك المادحون مردَّدا !

ودعْ كل صوت غير صوتى ، فاننى ... أنا الطائر المحكىُّ ، والآخر الصدى

تركتُ السُّرى خلفى لمن قلّ ماله ... وأنعلتُ أفراسى بنعماك عسجدا

وقيَّدتُ نفسى فى ذراك محبةً ... ومَن وجد الاحسان قيداً تقيَّدا

إذا سأل الانسان أيامَه الغنى ... وكنتَ على بعدٍ جعلنناك موعدا

ومهما يكن من تغنيه بفضله ، ومضاء شاعريته ، وتهكمه على سائر الشعراء الذين يمدحون سيف الدولة ، أترانا لا ندرك فى أبياته هاته لهجة الالحاف فى الطلب وان المال هو الغاية والمنى والطلب ، وانه لولا المال لما ترك السرى خلفه لمن لا مال له ؟ انه سقوط وانحطاط على كل حال من المرتبة التى لا يود هو الانحدار عنها ، والتى لا يرضاها له أحد من محبيه . ولكننا إن عذرناه مع سيف الدولة لكثرة نعماء هذا عليه ، وعيشة الأعوام الطوال معه ، أفترانا نعذره أيضاً مع كافور الاخشيدى ؟ ان هذا التهالك على استدرار جود كافور ، وتحمّل المشاق فى طلبه من دمشق حتى ديار مصر ، لا إخاله يرفع من قدر أبي الطيب ، ومهما حاول المداهنة فى أبياته التالية ، ان المنّة ليست من خصائص كافور ، فالقصد فيها واضح وضوح النهار وبأسلوب كثير اللجوج ، شديد الضراعة ، بل فيها شيء من الرياء :

اذا الجود ، لم يرزق خلاصاً من الأذى فلا الحمد مكسوباً ، ولا المال باقيا
وللنفس أخلاقٌ تدُلُّ على الفتى أكان سخاءً ما أتى أمّ تساخيا
أقل اشتياقاً أيها القلب ! ربما رأيتك تصفى الودّ من ليس صافيا
خُلقتُ ألوفاً لو رجعتُ الى الصبى لفارقت شيبى موجعَ القلب باكيا
ولكنّ بالفسطاط بحراً أزرْتهُ حياتى ، ونُصحى ، والهوى ، والقوافيا

وأغرب من هذا كله انه ، وهو الذى مدح سيف الدولة وانقطع اليه دهراً ، ومدحه مدحاً عظيماً ما الى مثله من سبيل ، يعود حيال كافور فيعرّض به خفية ، بينما لا يترك فى مدح مولى بنى عباس الأسود زيادة لمستزيد ، حتى تخال السجود له أضحى واجباً :

قواصد كافور ، توارك غيره ومن قصد البحر ، استقلّ السواقيا
فجاءت بنا انسان عين زمانه وخلّت بياضاً ، خلفها ، ومآقيا !

ولا يكاد كافور يماطله ، ويسوّف فى وعوده ، حتى نبصر المتنبي ينقلب عليه بأشدّ مما انقلب على سيف الدولة أو سواه ، ويغدو لا يرى كلمات تؤدى حق التأدية جميع مذمات العبد ، ولشدة غيظه وعظم اندفاعه فيه ينكفيء على مصر وأهلها ، كأنهم هم الذين أغضبوه فيصبّ عليهم جامات غضبه أيضاً ، وهذا دليل استرساله فى عواطفه الى أبعد منتهى :

انى نزلتُ بكذابين ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدودُ
جودُ الرجال من الأيدى، وجودُهمُ من اللسان ، فلا كانوا ولا الجودُ
ما يقبض الموتُ نفساً من نفوسهم إلا وفى يده من نتنها عودُ
أكلما اغتال عبدُ السوء سيدَه أو خانه ، فله فى مصر تمهيدُ ؟
صار الخصىُّ إمام الآبقين بها فالحرُّ مستعبدٌ ، والعبدُ معبودُ !
نامت نواطيرُ مصرٍ عن ثعالبها فقد بَشِمْنَ ، وما تفنى العناقيدُ

الى آخر تلك القصيدة التى هى نسيج وحدها فى القدح والهجاء .

وانه ليدهشك فى هـذه القصيدة أنه بدأها بالفخر ، ولست أدرى أين هـذا الفخر الذى يجوب له الانسان القفار ، ويتجشم لأجله وحشة الفيافى وجفاوة الصحارى ليردَ امرءاً مثل كافور ، يعلم عنه ما يعلم ، ثم ينكفيء عليه اذا لم يجزه كما يريد ؟!

لولا العُلى ، لم تَجُبْ بى ما أجوب بها وجناءُ حَرفٌ ، ولا جرداءُ قيدودُ

هذا التناقض ، لا بين القول والعمل فقط ، بل بين فعل وفعـل آخر ، غريب وغريب للغاية . وانها معضلة مبهمة فى أخلاق المتنبي ، قد تدلنا على غرابة أطواره أو تجعلنا نظن أنه يتأثر ببعض عوامل فيتدبّرها ويتقيها ، لـكن مَن منا يعلم اليوم حقيقة ظروفه وملابساتها الاضطرارية ؟ لـكنه إن كان يعتقد ما يقوله فى شعره ، وما يؤيده فى أعماله فى ظروف شتى ، فلماذا يكذب ذاته بذاته وبالأعمال الناطقـة أيضاً ؟ أكان يعرف مبلغ هاته التناقضات ، وكم هى تجلب عليـه من حديث الناس وهو ما كان يتوقاه ؟ أكان يحسّ بها يا ترى ويعلم حقيقتها؟

لا أراني إلا قائلاً ومتسائلاً ، ما عناه بول بورجيه فى مقدمة روايته (شيطان الظهيرة) عنـد ما قال : « ان الذى يكذب ، ويدرى كذبه يمكنه أن يمقت علّته ويصلح من شأنه ، ولـكن ماذا فيمن يكذب ولا يدرى عيبه ؟ » فهل عُنى المتنبي فى مجازفته الأخـيرة فى القتال اصلاحاً لأخطائه السالفة ، واثباتاً لعقيدته السامية وحداً لتقولات الناس ؟

أتراه أيضاً كان يجمع فى ذاته صفات الشخصيات المزدوجة ، ولا أعنى أبداً انه كان مرائياً ، بل مسيَّراً بطبيعتين جامحتين متباينتين ، أى : أكان يودّ — لو تمّ له — العيش حياة محترمة نزيهة لا يدرنها الالجوء الى هـذا أو ذاك ، كما كان قصده

الأوّلى الذى دفعه لادعاء النبوّة ، فلما أخفق فيها دفعه ذات حب السيادة والعظمة والمال من حيث لا يدرى الى مدح الملوك والأمراء والوزراء والعظماء محاولاً ألا يفقد شممه واباءه ، أو يرضى التظاهر بالضعف أمامهم فى هذا المديح والطلب ولا يقبل منهم أدنى انتقاص لقيمته ? أسئلة قد تبقى فى فؤاد القدر الى الابد !

انه يلوح لنا أيضاً كأن المتنبي من الناس المتناهين فى عواطفهم يندفعون بها حتى النهاية القصوى ، يحبون كل الحب أو يكرهون كل الكره . فعندما تراه يمدح أحداً يرفعه الى الطباق السبع ، وإن هجاه خفس به الأرض الى هاوية الجحيم . هكذا كان عند مامدح سيف الدولة (ثلث شعره) وكافوراً وأبا شجاع فاتكاً وأبا العشائر وبدر بن عمار وابن العميد ، لم يترك كلمة فى المديح إلا قالها فيهم . وهاك شيئاً من بعض أمثلة من أشعاره ، تدلك على تناهيه فى عواطفه ، واندفاعه معها فهذا سيف الدولة رجل تفرق لمرآه الملوك ، هو البحر يكنّ فى جوفه الدرر واللآلىء ، وهو عين أعياد العالم !

هو البحر غُصْ فيه ، اذا كان ساكناً	على الدرّ ، واحذره اذا كان مزبداً !
فانى رأيت البحر يعثر بالفتى	وهذا الذى يأتى الفتى متعمدا
تظل ملوك الأرض خاشعةً له	تفارقه هلكى وتلقاه سجّدا !
وتحيي له المالَ الصوارمُ والقنا	ويقتل ما تحيي التبسّمُ والجدا
هنيئاً لك العيد الذى أنت عيده	وعيدٌ لمن سمّي وضحى وعيّدا
ولا زالت الأعياد لبسك بعده	تسلم مخروقاً وتعطى مجدّدا
فذا اليوم فى الأيام مثلك فى الورى	كما كنت فيهم أوحداً كان أوحدا

واذا أردت كافوراً رأيته قد جمع فيه كافة المفاخر ، واذا العبد أشرف وأعزّ من قبائل عدنان ويعرب واليه تنتهى المحاسن فى الورى ، واذا من نتن أبطيه يخرج المسك ، واذا الغيث الهطال من بعض فضله ومنه أو أقلّ :

أبا كل طيبٍ لا أبا المسك وحده	وكل سحابٍ لا أخصّ الغواديا

* * *

قالوا : «هجرت اليه الغيث» قلت لهم :	« الى غيوثِ يديهِ والشآبيب »

* * *

ويغنيك عما ينسب الناس أنه ... اليك تناهى المكرمات وتنسب
وأى قبيل يستحقك قدره ... معد بن عدنان فداك ويعرب(١)

أما اذا انقلبت الى بدر بن عمار فاعجب له يؤلهه ويفضل كلامه على الفرقان والتوراة والانجيل :

لو كان علمك بالآله مقسماً ... فى الناس ما بعث الاله رسولا
لو كان لفظك فيهم ما أنزل الـ ... فرقان ، والتوراة ، والانجيلا

هكذا هو مديحه ينطلق من عنانه حتى المنتهى ، حتى المستحيل ، وكذلك هو فى هجائه فاذا هو عندما انقلب على كافور لا يترك له رجاء فى محمدة أو معزة فى مكرمة فقد أودع هجاءه له كل كلمة لاذعة من قدح وذم وجدها فى قاموس فكره ، وقد أوردنا بعضها قبلا . وأعجب له حين مات أبو شجاع كيف رثاه قادحاً فى كافور فاذا « بأبى المسك » ينقلب جيفة نتنة واذا الصادق الجواد الذى لايعرف غير الجود عن سخاء وكرم يصير أكذب كاذب ، جوده بالقول لا باليد :

قبحاً لوجهك يا زمان فانه ... وجه له من كل قبح برقع
أيموت مثل أبى شجاع فاتك ... ويعيش حاسده الخصى الاوكع
أيد مقطعة حوالى رأسه ... وقفا يصيح بها : ألا من يصفع !؟
أبقيت أكذب كاذب أبقيته ... وأخذت أصدق من يقول ويسمع
وتركت أنتن ريحة مذمومة ... وسلبت أطيب ريحة تتضوع

واذ انصرف الى هجاء ابن كيغلغ كال له من ذات الكيل ، وهل تراك تريد أقصى من هذا ؟ :

يقلى مفارقة الاكف قذاله ... حتى يكاد على يد يتعمم

(١) ما أغرب المتنبى هنا فقد رفع كافور الاسود فوق العرب بينما لم يمنح هذا الفخر لسيف الدولة وهو من ربيعة حين مدحه بقوله :

تشرف عدنان به ، لا ربيعة ... وتفتخر الدنيا به ، لا العواصم

وجفونه ما تستقرُّ كأنها مطروفةٌ ، أو فتَّ فيها حصرمُ
واذا أشار محدِّثاً فكأنه قردٌ يقهقه أو عجوزٌ تلطمُ
وتراه أصغر ما تراه ناطقاً ويكون أكذب ما يكون ويقسمُ

أو أنظر اليه فى هذه الأبيات ، كيف يصف صاحبه :

كذا خلقتَ ومَن ذا الـــذى يخالف ربَّهْ ؟
إنْ أوحشتكَ المعالى فانها دارُ غربهْ
أو آنستك المخازى فانها لك نسبهْ !

فى المدح والقدح على السواء كان سبّاقاً الى التقاط كل كلمة نادرة قصوى تؤدى أشد معنى . فالوسط لا يتطرقه ، بل لا يعرفه ، ولالفاظه قوة ومضاء وعزيمة كأنها أشخاص حيَّة تتحدث وتنطق فهى أناس صُبَّت فى صور ألفاظ ، ورجال كوِّنت فى هيئة كلمات . فالناس من ملوك وكرام وامراء وعظام وعبيد ولئام وجبناء وبهائم تكاد تراهم فى شعره رأى العيان ، والصفات من بسالة وكرم ونبل وشرف ونذالة وانحطاط ودناءة وخباثة تكاد تلمسها فى ألفاظه لمس اليد ، وانه لمصور ماهر فذٌّ ، بل هو عبقرىٌّ ليس له ثان ، كما قال عنه الطبسى بحق :

ما رأى الناس ثانىَ المتنبي أى ثانٍ يُرى لبكر الزمانِ
هو فى شعره نبىٌّ ، ولكنْ ظهرت معجزاته فى المعانى

كان فيه أيضاً أنانية وجشع وبخل كما يروى عنه الرواة ، مع انك لاتعثر على شىء منها فى شعره إلا قليلا ، وإن علمت أنه يحب المال حبّاً عظيما من لجه فى السؤال لكنك لا ترى فيه ثناء على البخل وهو القائل :

ومَن ينفق الساعات فى جمع ماله مخافة فقرٍ ، فالذي فعل الفقرُ

وأنت لا تدرى أصادقون هؤلاء الرواة أم كاذبون فى تنادرهم بحوادث بخله ، خاصة ماجاء فى حديث أبى بكر الخوارزمى عن قطعة النقود التى تخللت خلل الحصير من المال الذي صب بين يديه عليها من صلات سيف الدولة ، فأكبَّ عليها بأجمعه يعالجها وينقرها حتى أنقذها وقد أدمى أصبعه ، ولما عوتب فى الأمر قال : « انها تحضّر المائدة » !

أما جشعه فيستدل عليه من لحاقه بكل من بسطت راحته وجادت يده ، ورجاؤه فيهم أن يكون شاعرهم الأوحد ، وهو شيء من حب الذات عظيم . وكم انقطع عن سيف الدولة عند ما كان يراه يمالىء شاعراً آخر عليه مما حمله على القول :

أفي كل يوم تحت ضبني شويعرٌ ضعيف يقاويني ، قصير يطاول ؟

ثم قوله الصريح لسيف الدولة :

أزلْ حسدَ الحسَّاد عني بكبتهم فأنت الذى صيَّرتهم لى حُسَّدا !

* * *

أدلينا هنا ببعض نوادر من حيث تناقض بعض أقواله مع بعض أعماله ، ثم تناقض بعض أفعاله مع بعض أفعاله الأخرى ، وانها لتمسّ سمعته بعض المسّ ، وتؤثر فى قوة شخصيته وعنفوانها البادى بين سائر الشعراء ، فقيمة الكلام تقاس بصاحبه ، أو بالأحرى أن ملام الشخص يزداد أو ينقص فى أعماله وأقواله ، بحسب قيمة نفسه فى عينه أو فى أعين الناس ، وما يلام لاجله امرؤ لا يؤبه له فى آخر ، وهو ما يجعل وزر المتنبي كبيراً فى تناقضاته . ومع أن أعظم عيب فى المتنبي هو ادعاؤه المفرط ، والذى لا نجد له عذراً فيه ، لكنه فى رأينا لا يضير على الأرجح القارىء المتكسب ولا يؤذيه فى شخصيته ، بل لعله يفيد الضعفاء إن علموا كيف يستغلونه عن فطنة ودراية .

ومع كل ما ارتكبه المتنبي من متناقضات فهو من جهة الاخلاق فى شعره على أعلى ذروة بين شعراء العرب القدماء ، فلم يكن للمجون والهزل اليه من سبيل فشعره شعر الجد ، شعر القوة ، شعر العظمة ، لاشعر الضعف والتخنث . وهذا ما أبعد عن صفاته الخلقية ما يشين المرء من الانغماس فى الملاذ ، بل بالأحرى أن نزاهته وعفته وكبرياءه هى التى طهرت شعره من كل عوامل الفساد ، فليس فيه ما يوحى بالحطة والابتذال ، حتى فى سؤله يحاول الترفّع ، كما أسلفنا القول ، وانه ليؤثر فى صفاته الشخصية من جهة ادعائه وكبريائه لا من جهة مستوى الأخلاق العادية . فاذا جئنا نستوضح المتنبي على وضح نور الآداب — والشاعر بسلامة ايحائه وصحيح نصحه ، لا برنين ألفاظه وانسجام كلامه وجزالة قصائده . فما الانسان إلا بما يوحيه الى الغير من خير أو شر — وبينما يجب أن نراعى ما كان يستلزم عصره ، وما هو مستوى الآداب فى ذلك الحين ، فلكل عصر ذوقه وحضارته ، ولكل زمن آفته .

يجب أيضاً أن نفحصه على نور الاخلاق كما تفهمها بعقـل الرزانة والحـكمة ، لا كما يريدها الذين يندفعون وراء العصرية الهوجاء .

إني شخصياً لا يهمني من المرء إلا ما فى أخلاقه ، ومن النظرة الاولى التى أوقعها عليه أريد استشفاف ماهية آدابه وكنه ثقافته ، ولا أزال به حتى أدرك غايتى فاما صداقة وإما بعاد . كذلك أنا مع الـكتبة والشعراء خاصة وعلى مناكبهم يحملون مهمة شاقة خطيرة ، وقد يكون أثرهم على ضعفاء الارادة ليس له رتق . ولعله ممـا يزيد قيمة شعر المتنبي خلوّه على الأغلب من كل عنصر يفسد التربية ، ويؤثر على النشأة لولا تلك الحدّة فى هجائه التى تدفعه الى الزلق أحيـاناً الى مواطن نضنّ به الى أن يصل اليها .

اذا فحصنا قصائد المتنبي فقلما نرى فيها ما يحملنا على الظن بفساد الأديان ، أو الشك بوجود الله (ومخافة الله هى أهم شيء نهتم له ، وقد قيـل : « رأس الحـكمة مخافة الله » ومن الواجب أن نبحث فى هذا العصر عن كل شيء يسمو بنـا عن المادية القبيحة التى تتردّى فى أقذر أوحالها وأن نزرع فى النفوس هذا الشيء الروحانى) فاعتقاده فيما وراء الحياة يكاد يكون مجهولاً لدينا ، لـكننا لا نظنـه كان كافراً لـكثرة ما ورد فى شعره من ذكر اسم الله الـكريم ، رغم اعتقاد البعض أنه كان من الشاكين بدليل وجود مثل هذه الأبيات التالية :

تخالفَ الناسُ حتى لا اتفـاق لهم إلا على شجبٍ ، والخلفُ فى الشجبِ
فقيل : تخلص نفس المرء سـالمةً وقيل : تشرَكُ جسم المرء فى العطبِ

« • »

تبخل أيدينا بأرواحها على زمان هنّ من كسبهِ
فهذه الارواح من جوّه وهذه الأجسام من تربهِ

ليست هذه الأبيات دليلا حسياً ، أو دليلاً يقيناً ، ونحن لا نودّ أن نبنى حكمنا على الحدس والتخمين من وراء كلمات قد تـكون أوسلت على عواهنها فى ساعة تأثر لأننا لا نظن أن المتنبي كان يكتم فى نفسه سراً لا يود اظهاره للناس خوف أذاهم له ، فما كان من هؤلاء الذين يأخذون بالتقية ومداراة الناس ، وهو من كان يستشعر القوة فى أعماله كلها أو أكثرها ، وما كان يأبه أن يعلن آراءه صراحة فيمن يكرههم من الناس ، والذى ادعى النبوة ، لايهاب التصريح باعتقاده فيما وراء الحياة

لو أراد وشاء . ولا نظن أحدا يبحث فى المتنبي وأعماله إلا ويرى فيه هذه الصراحة فلو كان له رأى معلوم لصرح به ، غير أن أكبر الظن أنه ما كان يميل الى مثل هذه المباحثات خوف ما تثيره فى النفوس من أمور قد تؤدى بالقليلى المعرفة الى الالحاد ، فضلا على انه يبدو لنا انها لم تكن تهمه بعد التجربة القاسية التى جرّبها وربما هذا ما عناه بقوله :

ومَن تفكّر فى الدنيا ومهجتهِ أقامه الفكرُ بين العجز والتعبِ

وفى أشعاره ما ينبىء عن ايمانه بالله ، وربما كان يعنى قوله حقاً ، فقد أشار فيها بالالتجاء اليه تعالى ، لأن فيه العضد ، وفيه العون ، وأكثر ما يظهر ذلك فى المراثى كما هنا :

أستغفر الله لشخصٍ مضى كان نداه منتهى ذنبهِ

« • »

صلاةُ الله خالقنا حنوطٌ على الوجهِ المكفّنِ بالجمالِ

« • »

جزاك ربُّك بالأحزان مغفرةً ! فحزن كل أخى حزنٍ أخو الغضبِ

لو دانينا بينه وبين المعرى ـ وكان هذا من أشد المعجبين به — لوجدنا فرقاً شاسعاً ليس له التئام : فالمعرى يقول بصريح العبارة أن لادين ولا إلّه وما كل معتقد إلا إفكٌ وبهتان ، وحسبنا منه هذه الأبيات :

دينٌ وكفرٌ وأنباء تقصُّ ، وقرآ نٌ ينصّ ، وتوراةٌ والجيلُ .
فى كلِّ جيلٍ أباطيلٌ ملفقةٌ فهل تفرّدَ يوماً بالهدى جيلُ ؟

« • »

أفيقوا ! أفيقوا ! يا غواة فانما دياناتكم مكرٌ من القدماء
أرادوا بها جمع الحطام فادركوا وبادوا فدامت سنة اللؤماء !

وكم له غير ذلك من تعريض بالانبياء والرسل وأديانهم ، مما لا نودّ الاسترسال فيه ، ومهما بدا منه فى أبيات من ايمان ، فنحن نعلم انه كان يأخذ بالتقية وينصح بها فربما اضطرته فى بعض الظروف أن يقول ما قال ، فضلا على أنه لم يكن كالمتنبى شاعراً عاطفياً ، بل كان شاعراً مفكراً فيلسوفاً ، وهنا وجه للوم عظيم . أما المتنبى فكان أعف

لفظاً وأكثر تأدباً ، عن أن يحمـل ما فى نفسه الى نفوس الغير ، والذى نستخلص منه دون أن نعلق على أقواله فيما وراء الحياة كبير أهمية ـ للظروف والمناسـبات الاضطرارية التى يكون قد قالها فيها أو أنها صدرت عفواً كما أوضحنا قبلا ـ أنه أبعد عن أن يؤثر فى عقيدة قارئه ، فربما أيضاً لم يكن مؤمنا فى ذاته،لكن ليس فى أقواله ما يشتم منه رائحة الشك فى ضغط وتأثير ، وربما كان المعرى مؤمناً فى ذاته ، لكن القليل من نبرته يحمل على اليقين ، بينما الكثير ينفث الشك المبين . فأى الشاعرين أفضل ، لامن جهته ، بل من جهة القراء ؟

وما دمنا قد وازنّـا بين المعرى والمتنبى فيما وراء الحياة ، فلنرأيضاً بماذا يفضل فيه شاعرنا اليوم شاعر المعرة فى جهات أُخر : فالمعرى شاعر متشـائم ، شاعر يائس ملول من الحياة،التى لم تمنحه إلا أتعس ما فى جرابها ، ولم يكن فى نفسه رغم فلسفته ما يحمله على السمو فوقها ، بل كان يرزح تحتها ، فيئن ويتألم ويتبرم ويكشف عن مصائبه وقلما كان ينتصر ويتجالد ، وفى كثير من أبيـاته تشعر به كأنه يتنفس : أُف ! أُف ! ! أف ! وهذا يعود الى أصل نشأته ، فقد ولد بائساً،وفوجىء فى صغره بالعمى وكان يستشعر بالمذلة من كل من يحيط به فغرست فى نفسه ، وصارت جزءاً منه . والانسان يسوغ نحو بيئته ، وإن ثار عليها بقى أثرها فيه مهما حاول التنكر لها، والمعرى فى ثورته على التقاليد المحيطة بها انما يثور لأن التقاليد الحديثة التى فيـه والقديمة فى العالم هى التى حرضته على تقاليد بيئته التى أخرجته منهـا ، أو جملتـه باعمالها يشعر انه ليس عضواً فيها .

أما صاحبنا المتنبى فـلم ينله من الهوان بعض ما ناله ذاك ، وإن يكن قد دخل السجن وأصابه بعض عذابه فانه قـد يعدّ هذا استشهاداً فى سبيل عقيـدته ، أو على الأقل اضطهاداً له للحيلولة بينه وبين غايته الشامخة مهما كانت دوافعها الحقيقية . وهو لم يشعر أبداً بنفور بيئته منه أو باحتقارها له ، فهو شـاعر القوة لا يطأطىء رأسه بل يحارب بكل قواه ويجد لذّة فى الجلاد ، وهو الذى يتمنى « ضرب اعناق الملوك وأن ترى له الهبوات السود » .

فبينما نرى اليأس متجلياً فى أشعار المعرى يتمنى الموت وهو فى ثلاثة سجون كما وصف ذاته :

أرانى فى الثلاثةِ من سجونى فلا تسـأل عن الخبر النبيثِ
لفقدى ناظرى ، ولزوم بيتى ، وكون النفس فى الجسم الخبيثِ

حتى نراه يقول بيأس وحرقة طالباً الموت لكل مولود :

فليت وليداً مات ساعة وضعهِ ولم يرتضع من أمه النفساء !

بل انه طلب أن يكتب على قبره كلمة كلها قنوط وشكوى من الحياة :

هذا جناهُ أبي عليَّ م وما جنيتُ على أحدْ

أما المتنبي فنراه غير ذلك ، وهاك بعض أبياته :

عرفتُ الليالي قبل ما صنعت بنا فلما دهتني لم تزدني بها علما

« • »

كذا أنا يا دنيا اذا شئتِ فاذهبي ويا نفس زيدي في كرائهها قدما !

« • »

تريدين لقيان المعالي رخيصة ولا بدّ دون الشهد من إبر النحل

« • »

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود !

فرؤوس الرماح أذهبُ للغيـ ظ وأشفى لغلّ صدر الحقودِ

فاطلب العز في لظى ، ودع الذل م ولو كان في جنان الخلود ! [(١)]

ولسنا نريد أن نسترسل في سرد الشواهد من كلا الشاعرين وهي كثر ، ونقنع بالقول أن أعمى المعرة يحمل في يمناه كأس التشاؤم بفلسفته العميقة الغامضة ، وهو قد لا يفيد إلا كل قوي الشكيمة ، متين العقيدة ، صلب الارادة ، لا تخدعه الألفاظ الوهاجة . بينما المتنبي ، وهو شاعر القوة ، خير صديق للضعفاء لأنه يمنحهم القوة على مجالدة الأيام ، ومقارعة الخطوب ، كما أنه لا يتعرض للعقائد . ففي المتنبي إذن تفضيل وسمو على المعرّي .

---

(١) هذا البيت كأنه مأخوذ من قول عنترة :

لا تسقني كأس الحياة بذلّة بل فاسقني بالعزّ كأس الحنظل

ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أطيب منزل

وكنا كتبنا منذ ست سنوات في مجلة (الكلية) بحثاً عن عنترة وذكرنا أننا قد نقابل بينه وبين المتنبي لما بينهما من تشابه في بعض المواطن ولم نتمكن حتى اليوم ، لكن لعل الفرص تواتينا عن قريب .

من خواص شعر شاعرنا هذا ، صيغة الحزم البادية فى شعره ، فهو لا يتدنى حتى فى غزله — وهو قلّة — إلى ما وصل اليه كافة شعراء الغزل . أما المجون الذى يرفع لواء زعامته أبو نواس وبشار بن برد وأبو دلامة فهذا ما يستنكفه أبو الطيب ويأبى الانحدار اليه . وهو الذى يكره الخمر ، ويسمو بنفسه عن كافة الناس أن يفعل ما تفعله الناس ، وانّ هذا الترفع من متانة خلقه :

فؤادٌ ما تسلّيه المُدامُ وعمرٌ مثل ما تهبُ اللئامُ

***

وللسرّ منى موضعٌ لا يناله نديمٌ ولا يفضى اليه شرابُ
وما العشق إلا غِرّةٌ وطماعةٌ يعرّض قلبٌ نفسه فيصابُ
وغيرُ فؤادى للغوانى رميّةٌ وغيرُ بنانى للزجاج ركابُ

وفى شعره صفات الكرم والجود ، وقد روينا عن بخله شيئاً ، لكننا لا نراه فى قصائده ينصح به ، وهو تناقض آخر بين العمل والقول ، لكنه تناقض ممدوح ، وليس يضيرنا هذا ، فان فائدة قارئه فيما يلمحه بين الاسطور من الحضّ على المكرمات وان الجود محمدة ، ما دام لا يخرج عن الحدود ، كقول القائل :

ما بين تبذيرٍ وبخلٍ رتبةٌ وكلا هذين إن زاد قتلْ

ولولا شدة قدح أبى الطيب فى الناس ، وتخيّره الكلمات الثقال فى ذمهم ، ولولا الحقد العظيم الذى ينفثه نفثاً هائلا فى هجائه اللاذع لما كان فى شعره نقصٌ يذم عليه من جهة الأخلاق ، فشرٌ مقتنى أن ينشأ الانسان على الغلّ والحقد ، وقد لا يكون المتنبى ممن يضمرون الشر لأحد ، ويحفظون الضغينة فى قلوبهم ، لكن وحى شعره فى نفس قارئه لا يدل على غير هذا ، فيا حبذا لو كان خلا من هذا الوحى الذميم ، ويا حبذا !

ولسنا نريد أن ننسب الى المتنبى ما ليس فيه بمناسبة هذه الذكرى الالفية لوفاته ونطريه منساقين مع التيار ، بل نودّ أن نقول ما نعتقد فيه حقاً ، دون أدنى افتئات ودون أدنى تمويه للحقائق ، حين نقول إننا لا نراه إلا غرّة الغرر فى جبين الشعر العربى القديم ، ليس فقط بجزالة شعره ، ومتانة تعبيره ، وانما أيضاً بما يوحيه — باستثناء لاذع هجائه — من مكارم الاخلاق ومحامد الصفات ؟

بركات — السودان : ميشيل سليم كبير



الألحان الضائعة

للشاعر حسن كامل الصيرفي

قبل أن أتحدث عن شاعرية الصيرفي أرى من الملائم أن أرسم صورة لنفسية هذا الشاعر ومزاجه ، لأننا اذا فهمنا الصيرفي الرجل فهمنا شاعريته تمام الفهم .

وعلى قدر معرفتي الحديثة بالصيرفي يمكنني أن أقول في غير ما خطأ إنه شاب تغلب عليه الكآبة ، ويطغى عليه المزاج السوداوي ، وهذا الطبع كوّن حياته وكوّن شعره باللون القاتم . ولقد تضافرت الظروف السيئة عليه فزادت كآبته إذ أصابته في أول حياته نكبة عاطفية قاسية، وتلتها نكبة ثانية لا تقلّ عنها قسوة ، وهاتان الحادثتان كانتا سبباً لقتام نفسه وإدجان خواطره ، وقد تجلى هذا المزاج في ديوانه (الألحان الضائعة) في أغلب القطع ، ففي قطعة « ربيع كالخريف» يقول في أسى عميق :

هو الربيعُ ... ولكن أين بهجتهُ وأين ما كنتُ ألقى في مَغانيهِ
هو الربيعُ ، ولكن لا أحسُّ به ولستُ أشعر شيئاً مِن مَعانيهِ

ويخيم الأسى والحزن في قطعة باكية له جاء فيها :

ما أظن الحزين يطربه الشدوُ ونار الأحزان فيه تضرَّمْ
هاك قيثارة الحياةِ عليها أثرُ الدمع والأسى والتألّمْ

وأغلب الديوان يضم مثل هذه القطع المجزونة نذكر منها قصائده « كآبتي » (ص ٥٢) ويا ذابل الزهر (٧٨) ودعيني (ص ٢٨) . وليست أحزان الصيرفي من

النوع الجافى وإنما هى من النوع السامى الذى يأتى بالمعجزات الفنية والذى يحفزنا الى التفكير الناضج ويعرفنا اللذة الحقيقة . يقول الأديب الفرنسى الكبير اسكندر دوماس « الدموع ضرورية للعبقرية » ، ويقول الفيلسوف الفرنسى ليبنتز ان الحزن السامى يجعلنا نقدر اللذة ، ويجاريه فى هذا القول الفرد دي موسيه فى «ليالى أكتوبر » .

وها نحن نرى شاعرنا الصيرفى يستشف هذا المعنى ببصيرته النفاذة دون رجوع الى أحد إذ يقول فى قصيدته البديعة « دموعى » :

دموعى . . كنتِ آمالا   تَمُدُّ القلب بالبشرِ
وكانت هذه الآما   لُ كالأنغام فى الفجرِ
تبدِّدُ وحشة الداجى   فيصحو ساجعُ الطيرِ

وأنه فوق ذلك يرى فى الحزن والألم معنى جديداً عجيباً : يرى الألم أخلد فى النفس من المسرة وأبقى من ذكريات البهجة إذ يقول فى بيت له :

إنَّ جُرح الآلام أخلدُ فى النـ   ـفس وأبقى من ذكريات الصفاءِ

* * *

ولقد صهرتْ الآلام روح الصيرفى فأنضجتها وطهّرتها ، وأطافت بها صوفية مُمحة حفزته الى تأملاته الساجية الحنون وجعلته يرسل ألحاناً لا يفهمها إلا كل من يتجاوب مع مثله وكل من يهتز قلبه لتنفس النهر وغناء البلبل وهمس النسيم . إستمع اليه يشرح فنه فيقول :

وأنشدتهم من أغانى السماء   أناشيدَ تُعزف للخالدينْ
فضاع الصدى فى فضاء الحياة   وذاب النشيدُ وهم يصخبونْ

وفى الحق ان مثل أناشيد الصيرفى تضيع فى هذا العالم المادى الكثيف وبين نفوس صلدة جامدة الهواء . وقد عبّر عن ذلك فى كثير من الديوان فقال فى قطعة « الضحية » :

أنشدتُ كلَّ أناشيدى فما بقيت   ألحانُها وتولى موتَها الصخبُ

وأفصح عن ذلك فى قطعته البديعة « الواحة المنسية » إذ قال :

في ذمّة الفن ألحانٌ تضيع وفي أصدائها قطعٌ من قلب فنّانِ
تجرّعَ الألم الداوي تحوّله الى ترانيم عشاقٍ وألحانِ

وترنم بهذا المعنى أيضاً في وحدته إذ قال :

أرتّلُ في الأمى لحنى فلا يسمعني جاري

***

ولقد تدخل مزاجه في شعره ، كما ألهمت روحه المتصوفة شاعريته ، وخلعت عليها الصفاء والتأمل ، وفوق ذلك فقد امتزجت بنفسه محبة الفن ، ولهذا نراه ينظر الى الوجود بشعور الفنان ، ويسبح في الدنيا هائماً على وجهه كالفرفور السابح في ذهول ، ويحمل قيثارته يغنى ألحانه الهادئة المشجية الناعمة الرقيقة المؤثرة ، يحملها اذا تيقظ الفجر أو تنفس الهواء أو غنت الحمائم ، ويطفق عليها عازفاً وصدى صوتها سابح كما يقول في الفضاء الجحود ، فاذا ما جُنّ الليل ، واذا ما رقدت أنجمه الساهرة أغمض الشاعر أجفانه ، وجمع أحلامه ، وأنشد قصيدته « حياتي » وهي من أعذب قصائده وأزخرها بالشاعرية الحنون ، وأبلغها في التعبير عن نفسه إذ يقول فيها :

اذا الفجرُ حرّر مني الجفون وأيقظ فيّ القوى الخائرهْ
وهب نسيم الصباح العليل يُوَزّع أنفاسَه العاطرهْ
ورنّت على راقصات الغصون سواجعُ كالأنفس الشاعرهْ
صحوتُ أناجي خيالاً جميلاً وفي ناظريَّ رُؤًى ساحرهْ
فآخذ قيثارتي في هدوء أوقّع ألحانيَ العابرهْ

وإنا لنجد الصيرفي تدق شاعريته غاية الدقة ، تتخطف كل مرأى من المرائي الصغيرة ، وتثور في إحساس عجيب لمشاهد لا يتأثر بها الا ذوو القلوب المرهفة الحس ، فلقد تأثر في عودته من عمله عند ما رأى بلبلاً مصاباً برش وملقى في التراب ، فهتف على الفور بأول بيت في قصيدته « موت البلبل » قال :

ما أتعسَ الفنَّ في حياتهْ وأتعسَ الفنَّ في مماتهْ !

وبعد أن وصف أغاني البلبل في هدأة الليل وصف ما حُتم عليه من الموت بيد الانسان الغادر ، قال :

وبينا البلبل المغنّي يعيد لحناً على هواته
دوى بجوف الدجى دويّ فروّع الكون فى صلاته
وهلّل الصائد انتصاراً وردد الليلُ قهقهاته

ونجده أيضاً يألم لرؤية الناس يهصرون الغصون فى غير مبالاة ويقطفون الزهر ، وللغصن والزهر شعور وحياة فيقول :

يهصرون الغصون غير مبالين أصمّوا الآذان دون نواحك
يقطفون الأزهار كى ينبذوها بعد حين والزهر ريش جناحك

* * *

واذا تصفحنا ديوان (الألحان الضائعة) وجدناه يفيض بالشعر الانفعالى الهادىء الحزين ، وبالشعر الرمزى ، وبشعر الطبيعة ، وليس فيه من شعر الحب العاطفى الا النادر ، نذكر منه قصيدة « المنديل » وقصيدة « عقب السيجارة » وقصيدة « تحت ضوء القمر » ففى الأولى ناجى حبيبة أهدت اليه منديلا وفى هذه القصيدة زاد الصيرفى تفعيلة على الوزن الشعرى لم تؤثر على موسيقى البيت وإن أطالته وقد جاء فيها :

أيها المنديلُ : قد أدركت معنى فيك لم أدركه قَبْلْ

* * *

أيها المنديل قل لى ما الذى تدرى خيوطُكْ
أنا أدرى سرّ إهدائك لى !

وقصيدته « عقب السيجارة » التى ناجى فيها حبيبته هى من قصائده الفريدة ويمكن للقارىء مراجعتها (ص ٥٤ بالديوان) لأن الاقتباس منها عسيرٌ لقوة وحدتها . ومن أعذب وأحلى قصائده العاطفية قصيدته « تحت ضوء القمر » التى هتف فيها بقوله :

ما ألذّ الذكرياتْ لو تكونين معى !

وشعر الصيرفىّ فى الطبيعة ليس بالقليل ، وقد أتى ببعض القصائد فى ديوان (الألحان الضائعة) وانفرد من بين الشعراء المحدثين على ما نعلم بوصف « زهرة البانسية» Pensée » التى جاء فيها :

يا زهرة الذكرى ! وفيك اسمها ما أجمل الذكرى لدى مَن يصونْ !

كما أنه وصف السحابة فى قطعة له أسماها « السحابة المغترّة » (ص ٤٣) من الديوان وهى مثال فريد للشعر الرمزى ، وأنى لألمح من خلال أبياتها أنه يقصد بهذه السحابة المغترة بعض الحكام الذى ساموا مصر الخسف فى العهد الأخير :

مَرّتْ بطودٍ شامخٍ يرتقى الى عنان الجوّ فى بُعدهِ

تقدمت منه وفى صدمةٍ مريعةٍ بادت على صلدهِ

هوت من الجو رذاذاً على جوانب الطَّوْد الى نجدهِ

ويظهر لى أنه أتى بوصف أصيل للون الزهر وعطره فى قطعة « البسمات الساحرة » إذ شبه عطر الزهر المتصاعد بأصداء أنغامه الحزينة ، قال :

نعم ! أنت مثلى أيها الزهر مرغم وما هذه الألوان غير شِياتِ

وما العطر الا أنّةٌ وتَوجُّعٌ كأصداء أنغامى ورَجْع شكاتى

***

وصفوة القول إن الصيرفىّ شاعر مجدد هادىء الجوهر صافى النفس رقيق الشاعرية عذب الموسيقى ، يتنفس ديوانه الأسى والألم والحنان ، ويدعو قارئه الى محبة صاحبه والانجذاب اليه ، ولا يحسبنّ القارىء أن هذا الديوان هو كل شعره أو هو مقياس نفسيته ومزاجه ، فله ديوان ثانٍ هو « قطراتُ الندى » يضم قصائده مشرقة متفائلة ، كما أن له ديوانا آخر « الشروق » ابتدأ تأليفه فى عهد زواجه وهذا الديوان يتخلله الاشراق والابتسام والتفاؤل ، وإن كانت تجرى الكآبة فى طائفة من قصائده فذلك راجع الى طبعه أولا والى اخراج القصيدة نفسها كما لو كانت صوفية أو تفكيرية مثلاً .

وأخيراً فانى أعتقد أنى لا أعدو الحقيقة اذا دعوت القارىء لأن يلتمس طمأنينة نفسه ، وسلام روحه فى ظل هذا الديوان الوارف الحنون ؟

مصطفى عبد اللطيف السحرتى

الـروافـد

هذه المجموعة الشعرية من نظم شكر الله الجر أحد شعراء سوريا الذين هاجروا الى أمريكا وله مجلة قيمة اسمها (الاندلس الجديدة) تصدر باللغة العربية فى هـذه الربوع النائية ، وتدفع عن مجد العرب ، وتخدم النهضة الشرقية الجديدة خـدمة مباركة .

ولا يسعنى إلا الاغتباط بهذه الظاهرة الطيبة التى إن دلّت على شىء فانما تدل على أن الأدب العربى ينهض نهوضاً مضطرداً ويلاحق الآداب العالميـة فى نشاط ودأب . ولقد كنت ولا زلت أرقب نهضـة الأدب العربى خارج الديار المصرية فى اهتمام عظيم ، وكان اهتمامى أعظم بما تجود به قرائح اخواننا المهاجرين من وراء البحار ، فطربت وهللت من قبل بالمرحوم فوزى المعلوف صاحب (على بساط الريح) كما استبشرت بأبى ماضى صاحب (الجـداول) وبشعر فرحات والقروى والياس قنصل .

ويغلب على شعر هؤلاء الاخوان المهاجرين النزعة العاطفية الخالصة ، اللهم إلا إيليا أبوماضى الذى يكد ذهنه ويرهف فـكره فى أكثر قصائده ، ولقد سـبق أن سجلتُ فى العام الماضى بهذه المجلة وأنا فى معرض نقدى لديوان إلياس أبى شـبكة الأول (القيثارة) هـذه الحقيقة ، ولا بدَّ أن لجو لبنان الرائق ولطبيعتـه الحسناء دخلاً فى هذا الخيال المتحفز النشيط ، ومن قرأ شـيئاً من آثار جـبران خليل جبران يستطيع أن يلمس هذه القوة المخترعة الجبارة التى يسيطر عليها ويتصرف بها الخيال والوهم . ولن يكون الخيال جباراً عظيم السلطان مالم تسنده من عالم الحقيقة مفاتن ومباهج طبيعية ، وهذا هو الحال مع اخواننا شعراء الشام . ولا مشاحـة فى أن السفر والاغتراب من شأنهما أن يثيرا العواطف ، ويحركا القلوب فى الصـدور ، فاذا كان الانسان شاعراً ، وشاعراً رقيق العواطف ، فهو لا شـك مدهشك بابداعه وجموحُ خياله ، وهذا ما كان من أمر هؤلاء الاخوان الأفاضل تقريباً .

ولقد كنت أحسب أول الأمر أن الرقة العاطفيـة التى تنتظم دواوينهم إنمـا تسندها موسيقى اللفظ وجرسه الرخيم بيد اننى عرفت أخيراً وبعد اختبـار طويل

لشعرهم انهذه الرقة العاطفية التي تصدرعن القلب المفطورعلى الخيال الرائع المنسجم هى التي تسند موسيقى اللفظ والرنين عندهم وتظهرها فى ثوب كريم .

أما رقة القلب عند هؤلاء الشعراء فلا تستغل فى شعر الغزل ، كما كان منتظراً لصلةٍ ما بين القلب والحب ، وانما تستخدم فى الأغلب فى الوصف والوطنية .وأحسب انهم قد أنصفوا غاية الانصاف بشغل أنفسهم بشعر الوطنية والاجتماع والوصف وما يمتّ اليها بسبب .

بيد أن صاحب (الروافد) يقول فى مقدمته أو توطئته إن شعر الوطنية ـ وديوانه ملىء به ـ ليس مما يخلد فى عالم الأدب ، ونحن نوافقه على هذا الزعم الى حدٍّ، ذلك لأن شعر الوطنية وإن كان يتحدث عن أمانٍ قومية خاصة ، ويهتم بمشاجرات «محلية» دنيوية إلا انه قد يكسب الخلود والبقاء إذا وفق الشاعر العبقرىّ الى الارتفاع بالوطنية الى معارج سامية ، بعيدة عن الاحقاد والضغائن البشرية ، وهنالك يمكن أن يقول فى الوطنية السامية الرفيعة الشعر العبقرىّ الخالد . وانى لألمس فى (الرافد) كما لمست فى (الأعاصير) للقروىّ من قبل الروح المحلية فى الشعر الوطنى وهى التى جعلت شكر الله يدلى برأيه فى شعر الوطنية كافة فى توطئة (روافده) .

ويبدو لى أن بدء الشاعر فى نظمه كان بدءاً تقليدياً محضاً ، تلمس فيه الروح القديمة واضحة بينة فى « الأرز المتوج » ولكن هذا لا يضير الشاعر على الاطلاق فلابدّ من أن يبدأ الشادى مقلداً مهما كان عبقرياً موهوباً ، وأنت تراه فى قصيدته « على خرائب بيبلس » شاعراً قوياً متمرداً مفتخراً بجدوده ، اسمعه يقول مخاطباً بلاده :

أىّ شعب كشعبك الجبارِ خالدٌ فى جلائلِ الآثارِ
تقصر الريح عن مدى ما تخطى من بلادٍ وشقّ من تيارِ
ضارباً فى جوانب الأرض زهوا عابثاً بالخطوب والأخطارِ
ناشراً فى بحارها منشآتٍ هازئاتٍ بالموج والاعصارِ
راكباً للخلودِ والمجدِ عزماً واقتداراً يفتُّ فى الأقدارِ

ثم اسمعه يتحدث عن فينيقيا ، الشام القديمة ، وعن حاضر أهلها الأليم :

أمةٌ شرّد الزمانُ بنيها فذراهم على متون البحارِ

تمدّنٌ الله فى الشواطىء سفرا	جاء فى الشرق أقـدس الأسفارِ
ضم تاريخ امـةٍ ، وشـعوبٍ	وعروشٍ مطموسةٍ ودِيارِ
حـدث النـاس أيها الشط عمن	حُـكموا فى أعنّة الأقدارِ
خبّر الكون عن عظائم شعب	كان ملء الاسماع والأبصارِ
قد طواه الردى وانّ عجيباً	طيه بعـد بسطة وانتشارِ

وأنا معجب بمعظم أبيات هذه القصيدة ، ولقد أذكر الساعة أن خليل مطران شاعر العربية قـد نظم قصيدة بارعة خالدة فى « تذكار قلعة بعلبك » نوهت بهـا فى كتابى (رواد الشعر الحديث فى مصر) ويبدو لى أن الشاعر الفاضل يحاكى شاعر العربيـة فى هـذه القصيدة ، ولـكنه عرف كيف ينفرد بعواطفـه وأفـكاره على كل حال .

ويكاد يجرى أغلب شعر (الروافد) على هذا النحو الذى تحدث عنه الشاعر فى « توطئته » وخشى عليه من سرعة الفناء ، فهو يتحدث عن « غربته » وعن « تحية الشمال » و « على ضفاف بردى » وعلى « أطلال الشرق » الى غير ذلك من شعر الوطنية الملتهبة ، وأنا زعيم ببقاء شعره الوطنىّ فى مجموعاته المقبـلة التى يسمو فيها عن « الوطنية المحليـة » ويتحدث عن معنى الوطنى العالى تحـدث الشاعر المحيط بكل شىء .

ويعجبنى الى حد بعيد الشعر الوجدانى فى الروافد ، وخاصة قصيدة « على متون الأمواج » وان فيهـا لوصفاً للبحر وللسفر على المراكب لا يتسنى لسوى من قاسَ هوله فى مرحلة واسعة كتلك التى بين الهافر والبرازيل ، اسمعه يتحدث عن البحر :

ويا له معصوصف فى الرياح	يقهقه كالرعد فى شدته
كأن أواذيه اللاعبـات	صلالٌ تنضنض فى فجوته
ويا له من أملس ناعـم	يحاك الحرير على وجنتـه
تخال المراكب فى عرضه	سطوراً من الشعر فى صفحته
تجعّـده النسمُ الساريا	تُ ويصقله الريح فى هبته

فهذا حديث صادق ، وكفى أن يكون الشاعر صادقاً فى وصفه ، فمـا تغنى ألف عبقرية أمام هذا الصدق فى التعبير .

وللشاعر إخوانيات لا بأس بها ، فهو كبير القلب ، يحيي صديقه القروي في «علم القريض» تحية رقيقة ، ويشكر اخوانه المحتفين به في « قيثارة الخلود » ، الى غير ذلك . ويبدو لي ان رثاءه من أجود الرثاء في الشعر العربي الحديث ففي رثاء الملك الحسين يبدع كل الابداع وخاصة في قوله :

يا حسنه في « المسجد الأقصى » ضريحاً زانَ خدَّهْ
جدث بجيد القدس لا ينفك حجته وعقده
يندى به أفق النبوة نافحاً في الشرق ندّه
سكبوا النفوس على ثراه وثلموا بالاثم حدّه

وهو في رثاء فوزي المعلوف يقول :

لو درى « الوادي » بكى صفصافه وبكى النعش من عيدانه
كم لفوزي سجعة في ظله ترقص الورقاء في أغصانه
مارحاً في الظل من أدواحه سارحاً والسرب من غزلانه
عابثاً بالرطب من عنقوده لاعباً بالغضّ من رمانه
حيث يجرى النهر في مخضلة ريّة الأعشاب من قيعانه
منشداً والسحر في قيثاره وارتعاش الوحي في أجفانه

وفي رثاء سعد يقول :

ما زعيم الأهرام في الأمس إلا عدة كان للغد المجهول
كان من عثرة الزمان لمصر خير واق ، وجابر ، ومقيل
أطلقتها من الاسار يداه فهي طلق الاغلال أسرى الجميل
حسب زغلول لو حواه زمان فيه فرعون لم يرع بقتيل
رجل حارب المظالم فرداً بجنان كالطود ثبت ثقيل
برهيف من البيان وعزم نافذ في الصعاب غير كليل

وفي رثاء جبران يقول :

أين من نعشك المجلل بالمجد عروش الملوك والأمراء ؟

خالدٌ أنت في الصميم من الاجـ يال فوق النوابغ العظماء

* * *

فوق مهد الربيع تحت ظلال الأ رز بين الكواكب الزهراء

نصبٌ للجمال يرمقه البدر بعين الحنوِّ والارعاء

نصبٌ للنبوغ يبقى على الدهر مزارَ الفلاسفِ الحكماء

كعبة للهدى تفيض مع الأجيال . نوراً على بنى الغبراء

وفى رثاء صديقه الشاعر وديع عقل يقول :

نمْ فتى الشعر ، فما شعري سوى أدمع المفجوع يزجيها سجاما

جمرة فى القلب ما صعّدتها رجعت تنشد فى الجفن مقاما

ما على البلبل إن ألقى على مسمع الفجر أغانيه وناما !

وفى رثاء نسيبه داود بركات يقول :

قل للرفاق قضى النديم فلن تشعّ ولن تُدار

لله ليلات قضيناها على الوادى قصار

والطير مثل العانس الثرثار ليس له قرار

والنهر يفرش حولنا زبداً كمنتثر النضار

والشمس عند مدارج الأفق البعيد بها اصفرار

والبدر ممسوح الجبين على محياه اصفرار

وكأننا من حول داود تلامذة صغار

وأكاد أقول إن هذا الشاعر مجيد في الرثاء أكثر من اجادته في أى ضرب من ضروب الشعر الأخرى ، ولعل ذلك يرجع الى رقة القلب التى حدثتك عنها أول هذا الكلام .

وهو غير راض عن هذه المجموعة ، كما قدمت نقلاً عن توطئته ، ولكننى أكاد أرضى عنها كباكورة طيبة ، وأحب أن أرى الابداع فيما يليها من شعره فى (الغنائم) إنشاء الله ؟

مختار الوكيل

فى معنى الانتحال

يقول بعض الناس : لقد سرق هذا الشاعر ذلك المعنى ، ويقول آخرون : لقد انتحله ، ويقول غيرهم بل هو مجرد « توارد خواطر » ... ويقول غير هؤلاء جميعاً بل ان هذا المعنى مشترك ! ويندر أن يكون لفريق من هذه الشعب المتباينة فيما يدلى به من الرأى ميزان يحتكم اليه ، أومبرر يستند عليه !

وإذ قرأت بين ما تنشره الصحف لرهط من المتأدبين وأشباههم فى الأيام الأخيرة ما يشعر بأن أكثرهم لا يطيق التمييز بين السرقة والانتحال واشتراك المعانى وتوارد الخواطر ، عوّلتُ على كتابة هذا الفصل ليكون بياناً ينتظم كل هاتيك الأنواع الأربعة وأمثلة من بعضها مستعيناً على تحريره بما بين يدىّ من أسفار الأدب ، وما تعى الذاكرة المكدودة من شعر القدامى والمحدثين .

السرقة ـ عندى ـ هى السطو على المعنى المبتكر دون تغيير محسوس فى الصيغة التى أبدعه عليها مبدعُه ، مثال ذلك قول أبى نواس :

فتمشّت فى مفاصلهم كتمشّى البرء فى السقم !

فقد سرقه من قول مسلم بن الوليد :

تجرى محبتها فى نفس وامقها جَرْىَ السلامة فى أعضاء منتكس

ومثال آخر ، قول ابن زيدون :

يا من تزينت السيا دة حين البِسَ ثوبَها
جاءتك جامدة المدا م فخذ عليها ذَوْبَها !

فقد سرقه من قول « الخليع » الشاعر :

الراحُ تفاحٌ جرى ذائباً كذلك التفاحُ راحٌ جُمُدْ
فاشرب على جامدِهِ ذوْبَهُ ولا تدعْ لذة يوم لِغدْ !

ومثال ثالث قول العقاد فى قصيدته كأس الوضوء :

تَطهَّرَتْ بكَ لما أنْ طَهُرْتَ بها عند المُصلى وزادت حسنَ إيماء !

فقد سرق معناه من قول المتنبي :

الطِّيبُ أنت – إذا أصابكَ – طِيبُهُ   والماءَ أنتَ – إذا اغتسلتَ – الغاسلُ !

واذا شاء المتاخون عن شعر العقاد زيادة الايضاح وسفور البينة على هذه السرقة الملموسة ، فليسمعوا : فالمتنبي يزعم لممدوحه أنه إن يتطيَّبْ ، فهو الذى يطيِّبُ الطيب الذى يتطيب به ، وأنه إن يغتسلْ ، فهو الذى يغسل الماء الذى يغتسل به ، وجاء العقاد فزعم لممدوحه هو ، أو ذلك الذى يتعشقه ، أنه إن يتطهرْ بكأس الوضوء فهو الذى يطهرها ، وهى التى تطهر به ، وذلك معنى المتنبي بعينه !

***

أما الانتحال ، فهو — فيما أرى — الاغارة على المعنى المبتكر ، مع الافتنان فى صياغته والتصرف فى أدائه بحيث يبرز فى غير الصورة التى أبرزه فيها صاحبه الأول ومبدعه .

ومثال ذلك قول الغزى الشاعر :

الحسن والقبح قد تحويهما صفةٌ   شان البياضُ وزان الشيبَ والشنبا

ظُبا المخارف أقلامٌ مكسَّرةٌ   رؤوسهنّ وأقلامُ السعيد ظُبا

فان أول من أبدع هذا المعنى هو أبو العلاء حيث يقول :

لا تطلبنّ بآلةٍ لك رتبةً   قلم البليغ بغير حظٍ مغزلُ

سكن السماكانِ السماء كلاهما   هذا له رمحٌ ، وهذا أعزلُ

ومثال آخر ، قول شوقى من قصيدته عن قصر أنس الوجود :

كعذارى أخفين فى الماء بضاً   سابحات به وأبدين بضّا !

فقد نظر فى معناه الى قول قيس بن الخطيم :

تبدّت لنا كالشمس تحت غمامة   بدا حاجبٌ منها وضنت بحاجبِ

ومن أمثلة الانتحال البارع قول ابن حمديس الاندلسى :

غشيت حجرها دموعيَ حمرا   وهى من لوعة الهوى تتحدّرْ

فانزوت بالشهيق خوفاً وظنّتْ   حب رمان صدرها قد تنثرْ

قلت عند اختبارها بيديها   ثمراً صانهنّ جيبٌ مزرّرْ

لم يكن ما ظننت حقاً ولكن   صبغة الوجد صبغ دمعى أحمرا!

فقد نظر فى معناه الى معنى قول المنازى الشاعر يصف وادياً :

يصدّ الشمس أنّى واجهتنا فيحجبها ، ويأذن للنسيم
يروع حصاه حاليةَ العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

على أنه يجب التنبيه هنا الى ضرر الخلط بين السرقة والانتحال ، فالسارق مجترىء ساقط يسخر من عقول الناس ويهزأ بمعلوماتهم ومحصولهم فى الأدب ، فضلاً عن أنه لص يسقط على العروض الأدبية ليحاول ادعاء ملكيتها ، أما المنتحل فكثيراً ما يسقط على المعنى الذى أبدعه غيره فلا يزال به حتى يبرزه فى صورة من الأداء أخّاذة تبعث على الاعجاب ، وهذا عند أصحاب الصناعة البيانية فضل غير مجحود .

وقد يتعدى الانتحال المعانى الى شواهد الصناعة البيانية نفسها .

حدّث أبو يعقوب الخزيمى الشاعر أن بشاراً بن برد الشاعر الزعيم قال : لم أزل منذ سمعت قول امرىء القيس فى تشبيهه شيئين بشيئين فى بيت واحد حيث يقول :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العنّاب والحشف البالى

أعمل نفسى فى تشبيه شيئين بشيئين فى بيت حتى قلت :

كأن مثارَ النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبهْ !

ويشترط فى احصاء السرقات الأدبية والانتحالات أن يكون المعنى بارزاً مفضلاً كأن يكون قوام بيت بارز هو بيت القصيد أو نحو ذلك ، أما إن كان معنى تافهاً ليس بذى خطر ، فالأولى إدراجه بين المعانى المشتركة ، وهى تلك التى أخلقتها كثرة تناول الشعراء واستعمالهم ، فلم يعد لشاعر فيها فضل دون الآخر بغير الافتنان فى الصياغة والتجويد فى السبك وحسن الأداء ، وهى كثيرة ليس ثمت من حاجة الى إيراد أمثلة منها فى هذه العجالة .

***

أما ما يقولون به من حديث « توارد الخواطر » فلست أرى سبيلاً الى تحديده .

نظمت منذ سنين أربعة قصيدة ميمية طويلة على أثر زيارتى لآثار الفراعنة بالأقصر ، ثم أنشدتها نفراً من أصفيائى فلما بلغت الى قولى :

فرعونُ جبّارَ الحروب وربَّها وأخا القصورِ وبانىَ الأهرامِ
كنت القوىَّ على الزمانِ وصرفهِ ما لى أراك اليومَ فى استسلامِ ؟!

أقبل عليّ واحد من الحاضرين يقسم جهد ايمانه أن صدر البيت الأول بأكمله هو صدرُ بيتٍ لواحدٍ من شعرائنا المحدثين ، ولمّا كان يمهد فيّ أنني لا أسرق ولا أنتحل ، قال إن هذا من قبيل « توارد الخواطر » !

ولست أعلم من هذا كله أكثر من أنني لم أقرأ لهـذا الشاعر الذى التقيتُ واياهُ فى شطرة بيت كاملة ، شطرة واحدة من شعره ، فليس من المعقول أن أسرقه أو أنتحل شعره أو آخذ عنه .

على أنه ليس يستقيم عنـدى الا أن ما يتحـدث به بعض المتعالمة من المتأدبين والمتلـكئة من النقاد عن « توارد الخواطر » ليس الا مفسدة لضابط النقد ، ومهرباً للسارقين والمنتحلين من الشعراء ؟

أحمد فتحى
(المهندس)

تصحيح التصحيف

الوارد بديوان مهيار الديلمى

طبع دار الكتب المصرية

التصحيف الوارد بالجزء الأول من ديوان مهيار الديلمى

جاء بالسطر الأخير من صحيفة ٥ قوله :

أما ترون كيف نام وحمى　　عينى الكرى فلم ينم ظبيُ الحمى ؟

وصحته : فلم تنم ، لأن مرجع الضمير الى العين .

وجاء بالسطر الأول من صحيفة ١١ قوله :

بودّى وهل يغنى عن المرء ودّه　　وأشياعُه فيما يحاول حزبهُ ؟

وصحة البيت :

بودي وهل يغنى عن المرء وده　　وأشياعه فيما يحاول (حَرْبهُ)

لأن أشياعه لو كانوا حزبه لما كان هناك مكان للتأسف .

وجاء بالسطر الرابع من صحيفة ٤٢ قوله :

وبعضُ مودات الرجال عقارب لهـا تحت ظلمـاء العقوق دبيبُ

وصحته : الغيوب بدل العقوق لأن الظلماء أدنى شبهاً بها .

وجاء بالسطر السادس من الصحيفة ٥٥ قوله :

وما زلت ترمى صفحتى بينعاصدٍ ومنحرفٍ حتى رميت بصائبِ

وصحته : عاضد ، وهو الذى يرمى بالسهام فتذهب يميناً ويساراً .

وجاء بالسطر التاسع من الصحيفة المذكورة قوله :

ولا مسبغاً فضفاضة أبتغى بهـا شبا طاعنٍ من حادثاتك ضاربِ

وصحته : أَتَّقِى بدل أبتغى .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ١٦٧ قوله :

تلوّن رأسى صبغتين فميت وذو نبَّـةٍ أو لاحقٌ متماوتُ

وصحته : وذو نِـيَّـةٍ أى الى الموت .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ١٧٧ قوله :

ولدتهم الأرض التى قد أجمت فى الأكثرين فأكيمت وتنجَّبتْ

وصحته : قد أحمقت بدل أجمت ، والحمقة ضد المنجبة .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ١٩١ قوله :

تـتـيَّمَ بالعمر الجذاع وخانهم ، فما لى أرجو ودَّه حين أنزحُ

وصحته :

تتيم بالعمر الجذاعُ وخانهم فما لى أرجو ودَّه حين (أقْرُحُ)

والجذَع هو الشاب الصغير ، والقارح هو المكتمل السن ، والمعنى واضح .

وجاء بالسطر السابع عشر منَ الصحيفة ١٩١ المذكورة قوله :

ترى الحقّ مطروفاً وتعشى لواحظٌ يراقصها هذا السراب الملوّحُ

وصحته : مطروقاً بالقاف بدل الفاء والمعنى واضح .

وجاء بالسطر الأخير من الصحيفة ١٩١ المذكورة أيضاً قوله :

وسيعةُ بطنٍ جلٌّ ما هو محرزٌ ومطرح جنبٍ جهد ما يتفسَّحُ

وصحته : وشبعة بطن ٍ جُلّ ما هو محرز الخ . والمعنى واضح .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ٢٠٢ قوله :

نظرةٌ عادت فعادت حسرة قتل الرامى بها مَن جرحا

وصحته : نظرة عارت فعادت حسرة الخ . ، والعائر هو السهم لا يعرف راميه .

وجاء بالسطر الرابع عشر من الصحيفة ٢٠٤ قوله :

وجرى يقتصٌ من آبائه أثر المجد طريقاً وضحا

وصحته : وجرى يقتصّ من آبائه ، والمعنى ظاهر .

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٢٠٦ قوله :

ململمة لها ظهرٌ مصونٌ وبطنٌ تحت راكبها مُتاحُ

وصحته : مباح ، وهو ضد المصون .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ٢٠٧ قوله :

كأن الدهر قامرنى عليها معالجة فخانتنى القِداحُ

وصحته :

كأن الدهر قامرنى عليها (معاجلة) فخانتنى القداح

والسياق يقتضيه .

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ٢١١ قوله :

اذا السجايا فـتَرت عدن نشاوَى مرَحا

وصحته : مَرْحَى بصيغة الجمع .

وجاء بالسطر السادس عشر من الصحيفة ٢١١ المذكورة قوله :

لم تدّعوا رِبابَةَ المجدِ تحوى قَدَحا

ولا معنى له ، وصحته :

لم تَدَعُوا رِبَابَةَ المجد تحوى قِدْحا (١)

---

(١) الربابة : خيط أو خرقة تجعل فيها السهام .

والقِدْح هو السهم العارى (الذى لا ريش عليه) وكانوا يستعملونه فى الميسر والمعنى يتضح فيما يلى .

وجاء بالسطر الذى يليه بعد البيت المذكور قوله :

إلاَّ لكم فَوْرَتُها مَنْحاً بها وسَنْحَا

قال فى الشرح (الفورة : سراة الجبل ومتنه ، وهو هنا مجاز) وهو خطأ وصحته :

إلا لكم فوزتها منحاً بها وسنحا

والفوزة : إصابة القِدح المذكور فى البيت السابق . قال ابن الرومى يمدح بنى نوبخت ويصف علمهم بالنجوم :

أريتم بها المنصورَ فوْزةَ قِدْحِه وقد ظنَّها إحدى الدواهى الصيالم

وجاء فى السطر الرابع عشر من الصحيفة ٢٤٧ قوله :

تخدٌ فى الصخر ملا طِمَ عليها تَخِدُ

والوزن هنا لا يستقيم إنما الصحيح قوله :

تخدٌ فى الصخر ملا طِيمَ عليها تخِدُ

والملاطِيم : جمع مِلطام وهو الذى تعود الملاطمة ويريد به خفّ الناقة .

وجاء بالسطر السابع عشر من الصحيفة ٢٥٠ قوله :

عُدِلَتْ جَويَّتُهُ على ابن مفازةٍ مستقربٍ أَمَمَ الطريق الأبعدِ

قال فى الشرح : (الجويَّة : الأرض غير الموافقة) وصحته :

عُدِلَتْ حَويَّتُهُ على ابن مفازةٍ مستقرب أمم الطريق الأبعد

والحوية : حشيّة توضع حول سنام البعير، ويريد بابن المفازة البعير، أما الجويَّة وهى الأرض غير الموافقة فلا يصح نسبتها الى الانسان .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ٢٥١ قوله :

وبكاك يومك إذ جرت أخباره ترحاً وسُمِّىَ بالعبوس الأنكدِ

وصحته :

وبكاك يومك اذ جرت أخباره (بُرُحاً) وسُمِّىَ بالعبوس الأنكدِ

يريد بالبُرُح الأخبار وهى جمع بارح ضد السانح . والبارح للشر والسانح للخير.

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٣٢١ قوله :

يمشين مشىَ مهى الجواء تخللت عنهن غيطانَ النقا المتقاورِ

وصحتها . غيطانُ بالضم .

وجاء بالسطر الثاني عشر منها قوله :

ولقد سريتَ بليله وبصبحه نجماً وفى لهب البياض الواقد

وصحتها : سريتُ بالضم .

وجاء بالسطر السادس عشر منها قوله :

أعيا على ركب الصِّبا أن يظفروا بمغالق من غرزها ومعاقد

وصحتها : الصِّبا .

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ٣٢٢ قوله :

ومضى على غُلـَوَائهِ متسنماً لم ترتفق مسماته بمعاضد

وصحته : ومضي على غلوائه مُتَسَمِّتاً أى مستقيما على السمت .

وجاء فى السطر الذى يليه قوله :

طيـان لم يَقضِ البوازلَ قبـله جذعٌ ولم يطل القيام بقاعدِ

وصحته :

طيانَ لم (يُنضِ) البوازلَ قبله جذعٌ ولم يُطلِ القيامَ (لقاعدِ)

لم ينْضِ البوازل بالضاد أى لم يهزلها والنضو المهزول .

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ٣٢٣ قوله :

ضنَّت بجوهرها وما فى حرزها من منفسات ذخائرٍ وفوائد

وصحته : من منفسات ذخائر وفرائد .

وجاء بالسطر السابع من الصحيفة ٣٤٦ قوله :

لا تخدعنّـك بالسراب فلم تدع ظنّاً يرجِّم فيه وجهُ السافر

وصحته : (فلم يدع) لأن الضمير عائد الى الوجه .

وجاء بالسطر الخامس عشر من الصحيفة ٣٩٩ قوله :

بالغوطتين جبالهـــا وببطن وجرة دارها

وصحته : بالغوطتين خيالهـــا وببطن وجرة دارها

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ٤٠١ قوله :

مما أعان عليه « طيبة بابل » أنهارُها

وصحته : مما أعان عليه طينة بابلٍ أنهارُها

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٤٠٣ قوله :

فَجَّاك آفاقُ المعا لى منهُمُ وبحارُها

قال فى شرح هذا البيت (فى الأصل فجال) والحقيقة أنها فى الأصل (فَجَّاك) والصورة الفوتغرافية التى بأول الجزء تثبت ذلك .

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٤٠٨ قوله :

جشّمتها الأشواق فى ساعة شقة ما تخبط السحائب شهرا

وصحته : النجائب بدل السحائب ، والنجائب النياق .

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ٤٠٩ قوله :

إخوتى من بنى الوفاء ورهطى — يوم أغزو — الملوكُ من آل كسرى

وصحته :

إخوتى من بنى الوفاء ورهطى يوم أعزو الملوك من آل كسرى

أعزو الملوك أنتسب اليهم والضمير فى إخوتى راجع الى الممدوحين .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٤١٠ قوله :

فاقتنانى تـغشّماً وافتراطاً واستبانى قولاً لطيفاً وبِرّا

وصحته : فاقتنانى تغشُّماً وافتراصاً الخ . والافتراص : الانتهاز .

* * *

التصحيف الوارد بالجزء الثانى من ديوان مهيار

جاء بالسطر الخامس عشر من الصحيفة ٧٩ قوله :

ولا تكشف عن خفيات ما يخفيه عنك الهائب السائرُ

وصحته : الساتر بالتاء بدل الهمزة .

وجاء بالسطر الأخير من الصحيفة ٧٩ قوله :

وحَلت بمدك جهلاتها وفرْ منها القامص النافر

وصحته :

وحَلُمَتْ بمدك جهلاتهـــا وَقَرَّ منها القامص النافر

حُلمت من الحلم وهوضد الجهل ، وقرّ من القرار ضد الاضطراب .

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ١١٨ قوله :

إذا شُرُف الدين حطت به قدرنا مراها بمقـــــداره

قال فى الشرح : (شرف جمع شارف وهى النـاقة المسنة) وذلك خطـأ ، وصحته (شَرَفُ الدين) وهو اسم الممدوح وكنيته أبو سعد .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ١١٩ قوله :

وهَبْ عُشُبَ الأرض للرائدين اذا ما وليت بأقطاره

وصحته : وهِبْ بكسر الهاء من الهبة ، وقوله وَلِيتَ أى أُمْطِرْتَ .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ١٦٣ قوله :

قل لبيضاء توسعت بها : قد تلثمتك صلاً أرقطا

وصحته : توشمت ، قال فى القاموس: (وشمه الشيب توشيماً علاه) وتوشع به .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ١٦٧ قوله :

لا تركنً رحيلى عنكم سمة شنعاء يملط فيها العارُ من علطا

وصحته : شنعاء من الشناعة ، وعلط يَعْلِطُ أى وَسَمَ يَسِمُ .

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ١٦٧ المذكورة قوله :

فهى لمثلى مقامٌ عنـد مثلكم وعند سفن الفلا الارقاص والمَسطَى

وصحته : فهل لمثلى الخ .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٢٦٠ قوله :

سقى الحسنُ حمراء السلافة خدَّه فأنبع نبتاً أخضراً فى السوائف

قال فى الشرح (السوائف جمع سائفة وهى القطعة من اللحم) وهو خطأ وبعيد عن الغزل جداً ، وصحته : السوالف بدل السوائف جمع سالفة وهى الصدغ أو جانب العنق .

وجاء بالسطر السابع من الصحيفة ٢٦٠ قوله :

عصيت على الايام أن ينتزعنه بنهى عذول ٍ أو خداع ِ ملاطف

وصحته بنهىْ ِ عذول ٍ ، من نَـهى يَنْـهى .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٢٧٧ قوله :

وتغيرت ريح الصبا عن خلقها ولبانها فنسيمها إعصاف

وصحته : فنسيمُـها إعصافُ .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٢٧٨ قوله :

وطفت نوائبها عليَّ فقرصها جَرْحٌ ومختصراتها إسرافُ

وصحته : ومُقْـتَصداتها اسرافُ

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٢٩٠ قوله :

سنحت والقلوب مطلقة تر عى وعاشت وكلها فى وثاق

وصحته : وعادت وكلها فى وثاق . والراجح عندى أن القصيدة التى منها هذا البيت ليست من شعر مهيار لأنها تختلف عن أسلوبه .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٢٩٢ قوله :

سوى اننا نغترّ يا يومَ وبلها بعاجلق ِ والآجلاتُ الصواعقُ

وصحته : نغتر من يوم وبلها .

وجاء بالسطر الذى يليه قوله :

تصدت بزور الحسن تقنصنا وما زخارفها إلاّ ربىً وخنادقُ

وصحته :

تصدت بزُور ِ الحسن تقنصنا وما زخارفها الا زبىً وخنادقُ

والزبى جمع زُبية وهى حفرة يجتمع فيها ماء المطر وتكون فى أصلها مأوًى للسباع .

وجاء بالسطر الرابع عشر من الصحيفة ٢٩٢ المتقدمة قوله :

دعوت فالی لم اجب إن عائقاً أصحك عنى أن يلبي لـمـائقُ
وصحته : أن تلبي .
وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٢٩٣ قوله :
سروری حبيسٌ فى سبيلك وقفه ولذة عيشى بعد يومك طالقُ
وصحته : وقفةً . وهو تأنيث الوقف الذى هو الحبس .
وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من الصحيفة ٣٠٧ قوله :
رمونىَ إذ أضحوا هواناً أخامصاً ذنابي وان أصبحت فى الفضل مفرقا
وصحته : وإذ أصبحت ... الخ .
وجاء بالسطر الذى قبل الاخير من الصحيفة ٣٠٨ قوله :
توم الفتى منهم حلياً فان تقُل يقل مفحماً لدى الخصوم ومرهقا
وصحته :
يُرِمُّ الفتى منهم حليماً فان يَقُلْ يَقُلْ مفحماً لدّ الخصام ومرهقا
يُرِمُّ أى يسكت .
وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٣٠٩ قوله :
بكل غلامٍ لا ترى السيف مُحتَمى ولا الموتَ فى نصر الحفيظة يُتَّقَى
وصحته : لا يرى .
وجاء بالسطر الخامس عشر من الصحيفة ٣١٢ قوله :
أنظر وليتك مفلتٌ أشطانَ من يتملقه
وصحته :
أنظر وقلبك مفلت أشطان من يتملقه
وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٣١٤ قوله :
ريان ان يبس المرا دُ ضحىً سقانى ريّقه
وصحته : ريان إن يبس المزا دُ ضحىً سقانى ريّقه
والمزاد السقاء .
وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٣١٧ قوله :

يأتيك زَوْراً كلَّ يو م هـديَّةٍ تَتسوَّقهْ

وصحته : (يأتيك ذَوْداً كلَّ يو م هدْيهُ تتسوَّقُهْ)

والذَّوْد الابل المسوقة والهَدْيُ ما يهدى الى الكعبة . يقول انشعرى يساق اليك كالهدى الذى يساق الى مكة .

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٣١٧ قوله :

يحبوك خالصتى به وسواك من أتملقـهْ

وصحته : أحبوك خالصتى به وسواك من أتملقـهْ

وجاء بالسطر الثانى عشر من الصحيفة ٣٢٣ قوله :

يغنى اللهاة رفعهـا وخفضها حتى يقال غَلِطا أو سرِقا

هكذا أوردت يغنى بالغين وهى هنا لا معنى لها ، وغلِطا أو سرِقا بكسر اللام فى الأولى والراء فى الثانية وهذا غلط لأن القائل واحد لا اثنين . وصحة البيت :

يضنى اللهاة رفعُها وخفضها حتى يقال غلَطاً أو سَرَقا

يضنى بالضاد بدل يغنى أى يتعب وغلَطاً أو سَرَقاً بالفتح والتنوين فى كليهما .

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٣٢٤ ما يلى :

. . . . نعيمها . . . . ظهرها والعنقا

قال فى الشرح (هذا البيت مطموس فى الأصل الفوتوغرافى ولم نتبين منه الا الكلمات التى أثبتناها) اه . وعندى أنه يمكن ملء هذا الفراغ هكذا :

وغادة رققها نعيمُها حتى أشفَّ ظهرَها والعنقا

وذلك لأن البيت الذى يلى الفراغ فى وصف غادة .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٣٢٤ المذكورة قوله :

يعتجد الشملة حيطاناً اذا قرَّ ويحتشّ اذا ما استرزقا

وصحته : يعتجر الشملة خيطاناً الخ . أى أنه يلبس الرداء خيوطاً لقدمه وبلاه .

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ٣٣٨ قوله :

جَنَت شطاطى وجنت ما جنت من صَدأٍ عمَّ على رونقى

وصحته : حنت شطاطى بالحاء . والشطاط اعتدال القوام .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٣٣٩ قوله :

وما انتفاعى بجبآ واسعٍ تخفرهُ ذاتُ جداً ضيّقِ

وصحته : وما انتفاعى بجبَا واسعٍ الخ . والجبا تَخفر البئر وشفاها وحرفها .

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٣٤٢ قوله :

كساك منها المـدّ فضفاضةً بغير أعطافك لم تَلْبُقِ

وصحته : كساك منها المجد فضفاضة الخ .

وجاء بالسطر الخامس عشر من الصحيفة ٣٤٣ قوله :

ناشدْ غصوناً باللوى موائلاً طوع النسيم تلتوى وتفترقْ

وصحته : تلتقى وتفترق .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٣٤٧ قوله :

يحملن كل خائض بحر الندى حتى يرى الموج عليه ينطبقْ

وصحته : يحملن كل خائض بحر الردى .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٣٧٢ قوله :

ألا يا بشير الخير قل – غير مُتّقِ – متى نلت من رؤيا الوزير مناكا ؟

وايراد البيت بهـذا الشكل خطأ لأن «متى» ليست سؤالاً بل هى بمعنى اذا ، وقوله : قل فى البيت جوابهـا قوله توكلْ فى السطر الثالث ، فيـكون رسم هذه الأبيات هـكذا :

ألا يا بشير الخـير – قل غـير متق متى نلت من رؤيا الوزير مناكا ،

وأمكنك الحراس من بسط قولةٍ تبوح بها جهراً وتفتح فاكا ؛ –

توكلْ على من غمهـا فى سفارها فـكم كنت فى أمثالها فـكفاكا

أى يا بشير الخير قل له توكل على من غمها فى سفارها .

وجاء بالسطر الثامن من الصحيفة ٣٧٢ المذكورة قوله :

كأنك بالاقبـال قـد هب ثائراً فناشك فيها ثم ردّك ذاكا

وصحته : فناشك منها أى أنقذك منها .

* * *

التصحيف الوارد بالجزء الثالث من ديوان مهيار

جاء بالسطر الثانى عشر من الصحيفة ١٤ قوله :

وقلت لها : احِسُّ بفرط حبي له فازورَّ جانبه دلالا

وصحته : أَحَسَّ بالفتح بدل الضم .

وجاء بالسطر الأخير من الصحيفة نفسها قوله :

أُحِبُّ المرء ان لم تسق ريًّا يداه تعدُّراً رشحت بـلالا

وصحته : تعذراً بالذال بدل الدال .

مأخذ على الشاعر ـ قال فى السطر الخامس عشر من الصحيفة ١٩ :

فالنفس عند المعجزات بأن ترى أحرى وإن سكنت الى النُّقّال

وهذا البيت ضعيف التركيب قاصر عن الاداء والتركيب الصحيح هو هكذا :

فالمعجزات تكون أثبت موقعاً بشهودها من منطق النُّقّال

بشهودها أى بمشاهدتها .

وجاء بالسطر التاسع من الصحيفة ٢١ قوله :

أمن كل حظ — قل قسمى — أقله وكلُّ سبيل — ضل قصدى — أضله

ووضع هذه الفواصل خطأ وصحة رسم البيت هكذا :

أمن كل حظ قلَّ ، قسمى أقلُّه وكلُّ سبيلٍ ضلَّ ، قصدى أضلُّه ؟

يقول أكلُّ حظٍّ قليل يكون قسمى أقلَّ منه وكل طريق مضل يكون قصدى أضله ؟

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ٢٧ قوله :

ما كنت فيه خائفاً أن الردى من عز جانبه اليه واصل

وصحته : ما كنت فيه خائلاً الخ . أى ظاناً .

وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من الصحيفة ٢٨ قوله :

ولمعشر طَرْقُ العلوم ذنوبهم فى الناس وهى لهم اليك وسائلُ

جعل قوله طرق العلوم من طرق يطرق وصحتها طُرُق جمع طريق يؤيد ذلك قوله (وهى لهم اليك وسائل) أى الطرُق .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ٣١ قوله:

هيهات زدن سنىّ فانتقصت قوى ودى ونمْتن مع الشباب وسائلى

وصحته فانتقضت بالضاد أى انقطعت والقوى الحبال والروابط .

وجاء بالسطر الثالث عشر من هذه الصحيفة قوله :

فطرحت عن أعناقهن بأن ذوت منى ذوائب كنّ قبل حمائلى

وصحته حمائلى بالحاء بدل خمائلى ، وذلك أنه لما جعل نفسه سيفاً فى البيت السابق جعل لهذا السيف حمائل والبيت السابق له هو :

كنت الحسامَ جلاءَ شرخ شبيبتى عند الحسان وماء غصنى صاقلى

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٣٢ قوله :

واذا رجعت الى أواخر ودّه قابلتها بوسائط وأوائل

وصحته بأواسط.

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٣٣ قوله :

حكمُ سوى مسلط اذا جنى لم يعتذر وان قضى لم يعدل

ضبط حكم بضم الميم وهى بهذه الصورة لا معنى لها وصحتها حكم بفتح الحاء وتشديد الكاف المكسوره واسكان الميم فهى أمر .

وجاء بالسطر التاسع من الصحيفة ٣٥ قوله :

(فيعدل فى القضية لايجابى) ، وصحته لا يحابى .

وجاء بالسطر الرابع عشر من الصحيفة ٣٦ قوله:

كأن المجد لم يحزن لماضٍ مع الباقى ولم يُفجع بجال

وصحته : بخالٍ ، والخالى هو الذاهب الماضى.

وجاء بالسطر السادس عشر من الصحيفة ٣٧ قوله:

فان هديةً مُثلى لتكفى مكافأة لأنعمه الجزالِ

وصحته : مِثلى كما هو بين ، فالشاعر يتكلم عن نفسه.

وجاء بالسطر الذي يليه قوله :

وكائزني مجالسته تجدني التمامَ لما حوته من جمالِ

وصحته : وكائنْ بي مجالسه الخ .

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ٤٦ قوله :

مالىَ من صاحبٍ إلا من لم أرعه ثـلم مال

وصحته : بثلم ليستقيم المعنى والوزن .

وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من هذه الصحيفة قوله :

نشاطه للوفاء أضحى نشط لسانى من عقال

وصحته : من العقال ليقوم الوزن .

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٧١ قوله :

أمنى والمنى جهد المقلّ وأقضى الدهر فى ليتَ وهلْ

وصحته :

أمنى والمنى جهدُ المقلّ وأقضى الدهر فى ليت وعَـلْ

أى ليت ولعل .

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة نفسها قوله :

يا بنة السعدىّ ما جَوْرٌ لـكم ووفاءٌ عاد غدراً وبَخَـلْ

وصحته : يا ابنة السعدىّ ما جُودٌ لـكم الخ . ، أى ما بال جودكم أصبح بخلا ووفاؤكم غدراً ؟

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٧٤ قوله :

أنجبي يا أرضُ لى مثلهم إخوةً أو قلديهم للهبلْ

وصحته : أو فلِديهم للهبل ، من الولادة لا من التقليد .

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ٧٥ قوله :

مَدَّ حتى نالها فارسهم قلَّما يذرع والرمح أشلّ

هكذا وردت قلّما بتشديد اللام وفتح الميم مع التسهيل وصحته :

مدّ حتى نالها فارسهم قلَماً يذرع والرمح أشلّ

أى أن فارسهم كناية عن كاتبهم يفعل قلمه ما لا يفعل الرمح ، يؤيد ذلك البيت السابق وهو :

يعجز الصارم عن تبليغها ماتقول الكتب فيها والرسلْ

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٧٦ قوله :

انّ مرعًى أنت فيه رائدى لعميم البنت مأنوس المحلْ

وصحته : النبت بدل البنت .

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٨٣ قوله :

معى أين مالت بى من الأرض حاجة أُعَطّفُه حتى كأنى مُفاصله

ضبط مفاصله بضم الميم وهو خطأ فاحش والصواب بالفتح جمع مِفصَل .

وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من هذه الصحيفة قوله :

وخلف سجوف الرقم بيض أكنةٍ تكَنّفُهُ من جنب سلمى طلائله

قال فى الشرح : (الطلائل جمع طلاله وهو ما شخص من آثار الديار) . انتهى كلامه . والصواب ظلائله بالظاء المعجمة وسلمى اسم جبل .

ومعنى البيت أن خلف السجوف حسان كأنهن لصونهن بيض عقبان فى وكون يظلها هذا الجبل المعروف باسم سلمى وهو من جبال طىء .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٨٤ قوله :

وأغيدَ أعياه سوار يُغصُّه بخضب يديه أو حقاب يجاوله

وصحته : بخصب ، والحقاب الحزام أى أنه يملأ السوار بمعصمه لخصوبته ووفورته ويدق خصره عن الحزام فيجول فيه وسيأتى ذكر هذا البيت

وجاء بالسطر الذى يليه قوله :

حفظت الذى استودعت من مرّ حبه وهاجرته بغياً وقلبى مواصله

وصحته : بُقيا ، بدل بغياً .

وفى السطر التالى له قوله :

فما زال طرفى فى الهوى وَسفاهه بحُلم فتى حتى علا الحق باطله

ضبط بحلم بضم الحاء والصحيح كسرها ، وهو ضد السفاهة والجهل .

وجاء بالسطر السابع من الصحيفة المتقدمة قوله :

أرى المرء لا يضويه ما ردّ وجهه مصوناً ولا يعييه ما هو باذله

وصحته : لا يغنيه بدل يعييه ، ومعنى البيت أن صون وجه المرء لا يجيعه ولا يهزله كما أن بذله لا يغنيه .

وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من الصحيفة ٨٤ قوله :

يصدَّق ما قال الرواة فأسرفوا عن الكرماء بعض ما هو فاعله

هكذا وردت يصدَّق بفتح الدال المشددة والصحيح بكسرها بمعنى يحقق ويؤكد.

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ٨٥ قوله :

اذا الدولة استذرت بأيام عزها فما هى إلا رايه ومناصله

قال فى الشرح (راى جمع رايه) وهو كلام مضحك ، والصواب رأيه بالهمز ، والمعنى واضح جداً لا يعزب عن انسان .

وجاء بالسطر الذى يليه قوله :

ولم يك كالمدلى بحرمة غيره ولا من أنالته العلاء وسائله

والصواب : ولم يك كالمدلى بحجة غيره الخ .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ٨٩ قوله :

يا عاقداً صبوةَ الحسان الى الا حاجات حرصاً بغارب الجمل

وصحته هكذا :

يا عاقداً صهوة الحصان الى الا حاجات حرصاً بغارب الجمل

وصهوة الحصان مكان ما يركب الراكب ومثله غارب الجمل .

وجاء بالسطر الذى يليه قوله :

يطلب ما أمهل القضاء به من الفتى فى سَفارةِ العجَل

وردت سفارة بالتاء وفتح السين ووردت العجَل بفتح الجيم وذلك خطأ وصحته :

فى سِفاره العَجِل . الأولى بكسر السين وبالهاء والثانية بكسر الجيم والسِّفار هو السفر .

وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من الصحيفة ٨٩ قوله :

دلّ على جوده تبسمه والشرق يشرى بالعارض الهطل

والصواب : والبرق يشرى أى يلمع .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٩٠ قوله :

قات به أن تداس حلبته سن فتًى ورأى مكتهل

ضبط فتىً بفتحتين ، والصواب : سن فَتِيٍّ ، كعليٍّ .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٩١ قوله :

أنعمتم لى خوض الرجاء وقد كنت أحَلاَّ منه عن البلل

والصواب : أفعمتم لى حوض الرجاء الخ . وا حَـلاَّ أى أمنع .

وجاء بالسطر الثانى عشر من الصحيفة ٩٣ قوله :

يتباحثون طلاب عائرة عَصَدَت على القرطاس من نبلى

قال فى الشرح : (عَصدَت : النوت) اهـ . ولا معنى لها هنا ، والصواب : عضدت من عضد الرمى اذا ذهب به يميناً ويساراً .

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ١٠٢ قوله :

بكم أطال الزمان درعى وأبرم الحظ من سحيلى

وصحته : ذرعى بالذال المعجمة أى ذراعي ، والسحيل الواهى .

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ١٠٣ قوله :

ما بعد يومك سلوة لمعلّل منى ولا ظفرت بسمع معذّل

وصحته : ظفرْن بدل ظفرت .

وجاء بالسطر التاسع من الصحيفة ١٠٦ قوله :

أين الفؤاد الندب غير مضعّف ؟ أين اللسان الصعب غير مفلّل ؟

وصحته : العضب بدل الصعب ، والعضب هو السيف الماضى استعاره للسان .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ١٠٧ قوله :

قد كنت من قمص الدجى فى جنة لا تنتحَى ومن الحجا فى معقل

ولا معنى لقوله : قمص الدجى ، إنما الصحيح أن يقول : قمص التقى

وجاء بالسطر السابع من الصحيفة نفسها قوله :

فمن أى خرم أو ثنيـةٍ غرة   طلعت عليك يد الردى المتوغل

وصحته : المتوقل بدل المتوغل أى الصاعد .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ١٠٨ قوله :

يوم أطـل بغلّةٍ لا يشتفى   منها الصدى وبغمة لا تنجلى

وصحته هكذا :

يوم أطلّ بغلةٍ لا يُشتفَى   منها الصدى وبغُمَّة لا تنجلى

لا يشتفى أى لا يروى والصدى هو الظمأ .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ١٢٨ قوله :

أولئك قومك من يعزهم   فـكيف مناقيره الأسفل

والصواب : من يَهْدُهم ، والأولى هجاء

وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من الصحيفة ١٣٣ قوله :

وإماءُ الحيّ ممـا اختضبت   أرضهم بيض الطلى خضر النعالِ

والصواب : وإماء الحى مما أخضبت الخ .

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ١٣٨ قوله :

الناس عندك من يكن أغنى يداً   فيهم وان لم تعطِ كان الافضـلا

وصحته : إن لم يعطِ .

وجاء بالسطر الثانى عشر من الصحيفة ١٣٨ قوله :

إصنع لهم مَلَقاً كما يرضونه   وتَنحَّ عنهـم سامريّاً قُلقُلا

قال فى الشرح : (السامرى القلقل : طالب السمر النشيط الخفيف) اه .

والصحيح أن السامريّ رجل أخرجَ لبنى اسرائيل عجـلا ليعبدوه فطرده الله قائلاً له (فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس) فهام على وجهه ومعه ذريته فما لا مس أحدٌ أحداً منهم الا وحُمـا معاً . هذا هو الصحيح ، ولو أن الشارح أخطأ لعذرناه ، أما أنه يتنحل فى شرحه فهذا عجيب . والقلقل الكثير التنقل .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ١٤٠ قوله :

تمضى أذيّـتهـا اذا هى جردت   فى حيث لا تجد السيوف توغلا

وصحته : أذِبَّتُها جمع ذباب وهو حد السيف واستعيرت هنا للأقلام .
وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ١٤٠ أيضاً قوله :
(يعضى وريقته المداد وينثى) وصحته ينثنى .
وجاء بالسطر الثالث من الصحفة ١٤٤ قوله :

تطالُلاً ترى الطريـ ق أيدياً وأرجـلاً

وصحته : تطاللاً تَر الطريـ ق أيدياً وأرجـلا

وجاء بالسطر الخامس عشر من الصحيفة ١٤٣ قوله :

تروخت عشـــاره بِملء الضلوع جُفّـلا

وصحته : تروحت عشـــاره تَملْئى الضلوع حفلا

وجاء بالسطر الثانى عشر من الصحيفة ١٧٣ قوله :

نَفَضَ الرَّوسُ على أعطافه صبغةً لم تتعقبهـا استحاله

قال فى الشرح : (الروس نبات أصفر يصبغ به) اه . والصحيح ان هذا النبات اسمه الوَرْس بتقديم الواو على الراء وقد قلبها الشارح .

قال فى شرح البيت فى السطر السادس عشر من الصحيفة ١٧٤ ما يلى : (بهـذا الشطر عيب من عيوب الشعر وهو مكرر فى هـذه القصيدة فتأمل) اه . وهو فى الغالب يظن البيت مختل الوزن والحقيقة أن وزنه صحيح وهو هذا :

والعيش لونٌ يوماً ولونٌ كلاهما صِبغـــةٌ تحولُ

وجاء فى السطر الذى يليه قوله :

وربما حنَّت الليالى ثم لها مرة غُفُولُ

ولا معنى له ، انما الأصح أن يقال :

وربما جُنَّت الليالى ثم لها مرةً عقولُ

وجاء بالسطر السادس من الصحيفة ٢٢٠ قوله :

كم أصلحوا الفاسد من دهرهم وقوّموا المـائد بالعـادل

واننى أرجح المائل بدل المائد .

وجاء بالسطر الحادي عشر من الصحيفة ٢٢٤ قوله :

وجادلـكم فى حقـكم متـكبِّرٌ بباطله ثم المجال مجال

وصحته : ثم المحال محال .

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٢٤٤ قوله :

فالماء قد يسكن السَّحابَ وَيَنحـ ـطُّ أواناً فيسكن الارَمَا

قال فى الشرح : (كذا فى الأصل والارمام الحجارة فى المفازة ويحتمل أن تكون الأدَم جمع أديم وهو وجه الأرض) انتهى كلامه . واللفظة الصحيحة هى الأُدَم بالدال المهملة وهو الجلد والمراد به هنا القِرَب جمع قربة وهى ما يوضع فيه الماء . وهذا يشبه قول أبى الطيب المتنبي :

ونترك الماءَ لا ينفك من سفر ما سار فى الغيم منه سار فى الأَدمِ

أى نحن لا نترك للماء قراراً فما يسير منه فى الغيم يسير معنا فى المزاد (القرب) عند السفر .

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٢٤٩ قوله :

عُدْ بِرَذاياك الطّلاح بُدّنَا وراخ من حبلها وارْعَ ونم

وصحته : وراخ من حبالها ليستقيم الوزن .

وجاء بالسطر الثانى عشر من الصحيفة ٢٦٩ قوله :

ونوَّرَ الليل وليستْ من ليالى النمّ

وصحته : ونور الليل وليسَ من ليالى النمّ

وجاء بالسطر الأخير من الصحيفة ٢٧٢ قوله :

وكان من حاولنى حاول جُدْرَ العُصم

قال فى الشرح : (جدر جمع جدار . العصم جمع أعصم وهو الطود) انتهى كلامه . وكلا التفسيرين خطأ وصحة البيت هكذا :

وكان من حاولنى حاول فُدْرَ العُصْمِ

الفُدْرُ بضم الفاء واسكان الدال جمع فَدَر كقلم وهو الوعل العاقل فى الجبل . والعُصْم جمع أعصم وهو الوعل الذى بيديه أو احداها بياض .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٢٧٤ قوله :

والكلم الهافى فى نفثة كل كلم

وأرجح أن يكون هكذا :

والكلم الدامل فى نكأة كل كَلْمِ

وجاء بالسطر الثامن من الصحيفة المذكورة قوله :

ونفس كل طائع وناد كل وسم

وصحته : ونفس كل طائح الخ .

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٢٧٦ قوله :

ولا تزل بالشل تُرْمى فى العدا والجذم

وصحته : تَرْمِى بفتح التاء وكسر الميم .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٢٧٨ قوله :

فقل لمجرٍّ العجب فضل عنانه توقَّ عضاض العجب فهو غذومُ

قال فى الشرح (الغذوم الذى يأكل ولا يبقى على شىء وفى الأصل غدوم) انتهى كلامه . وصحة الكلمة عَذوم بالعين المهملة والذال المعجمة على وزن رَؤوم من العَذْم وهو العض ، أى عَضوض .

وجاء بالسطر الثامن من الصحيفة المتقدمة قوله :

تبينُ فما كل النفوس عظائم اذا هنّ لم يدفع بهن عظيم

ضبط تبين بوضع ضمة على النون وصحتها تَبيَّنْ باسكان النون وتشديد اليـاء قبلها فهى أمر .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٢٨٨ قوله :

وُيشرِقُ فى الصفاح الاثم إشفاقاً مـن التُهَمِ

وصحته : ويُشْرَق الخ . والصفاح هنا المصافحة .

وجاء بالسطر السادس من الصحيفة ٢٩٥ قوله :

حبسنا العيشَ منه على بخيل نؤمل عنده جدوى الكريم

أوردها العيش بالشين وصحتها العيـس بالسين المهملة وهى النياق .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٢٩٨ قوله :

يموت الدهر من هرم وتفنى بنوه وهى باقية الرسوم

وصحته : ويَفـنَى بالياء بدل التاء .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٣٦٠ قوله :

ويا رُبى سعدت من بعد ما شقيت   دامت عليك فأرضت روضك الديم

وإننى أرجح أروت على أرضت .

* * *

تصحيف الجزء الرابع

جاء بالسطر الرابع من الصحيفة التاسعة قوله :

ان الذى عن بغضةٍ زاورته   لونُ الصدودِ بلمتى مأدومُ

وصحته :

ان الذى عن بغضةٍ زاورته   لونُ الصدود بلمتى المأدومُ

والمأدوم المخلوط، ولو كانت بدون (ال) لوجب أن تكون الميم منصوبة والقصيدة مبنية على الضم .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ١١ قوله :

نُسِفوا بأيدى الحادثات كأنهم   وبَرٌ تطارده الصَّبا مجلومُ

والصواب : تطايره بدلاً من تطارده .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة المذكورة قوله :

واذا السنون أحلن أخلاق الحيا   أقلعن عنهم والكريمُ كريمُ

وصحته : أخلاف بدل أخلاق جمع خلف وهو حلمة ضرع الناقة وهو هنا استعارة ، وأحلن هنا من الحيال وهو انقطاع الحمل .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة الثانية عشرة قوله :

سلوا لهم آراءَهم فتفرجت   ومن السيوف خواطرٌ وغريمُ

وصحة البيت : سلوا لها ، والضمير عائد على الخطوب فى البيت قبله .

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة الثالثة والثلاثين قوله :

واسمع فان عَزَبَت فلم تسمع لها   أختالها فى مادحيك عرفتنىَ

فهذا البيت مختل الصياغة ولعله هكذا :

واسمع فان عرفت فلم تسمع الى   أمثالها من مادحيك عرفتنى

يريد أن المادحين من الشعراء سيقلدون هذه القصيدة بأمثالها كما قال المتنبى :

ودع كل صوت غـير صوتي فانني   أنا الطائر المحكيّ والآخر الصدى

وجاء في السطرين العاشر والحادي عشر من الصحيفة ٣٤ قوله :

فقلت دهرى عـدل القصية أو   غـير ابن أيوب فيـه إنسانُ
فدّى أخي منـه حيث ليس أخو   صفور وخلّي وليس إخوانُ

قال في الشرح : (ورد هذان البيتان هـكذا في الأصل رسماً وشكلاً ولم نوفق الى استجلاء معناها ولا الى تصويبهما) اه . وصحة البيتين هكذا :

فقلت دهرى عـدل القضيَّةِ أو   غـير ابن أيوب فيـه إنسانُ
فهوَ أخي منـه حيث ليس أخو   صفور وخلّي وليـس إخوانُ

ومعنى البيت الأول ان ابن أيوب لا يوجـد انسان غيره في الدهر وان وجود غيره فيه بمثابة عدل الدهر المطبوع على الظلم في قضيته ، والبيت الثاني ظاهر المعنى .

وجاء قبله بالسطر الثامن من الصحيفة نفسها قوله :

ذنبيَ في ذمة الصِّبا وإسا   ءتى بحكم الشباب احسان

وصحته :

ذنبي في ذمة الصِّبا واسا   آتى بحكم الشباب إحسان

وجاء بالسطر الثاني عشر من الصحيفة ٣٥ قوله :

يَنقُصُ الدهر كلّ زائدةٍ   وأنت لا يعتريك نقصـان

وصحته: يُنَـقِّص بضم الياء وفتح النون وتشديد القـاف مع الكسر ليستقيم الوزن .

وجاء بالسطر الثاني من الصحيفة ٣٧ قوله :

ولا تحسبَنَّ الخُلْفَ يصلح بيننا   فرب يمينٍ بالفسوق تمينُ

وصحته الحَلف أي القسم بدل الخلف .

وجاء بالسطر السابع من الصحيفة ٣٨ قوله :

ولما هفت أمس الحلوم بربها   وشُوورَ مدخول الحفاظ صنينُ

وصحته : ظنين أي متهم .

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٣٩ قوله :

فـكـكت وقد راجعته عنقه وفي   حبـالهم شـكوى لهم وأنينُ

وصحته : شكوى له .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٤٢ قوله:

دَرَجَ الملوك بها كما درجت مع النفس السنانُ

قال فى الشرح: (كذا بالأصل ولم نتبين معناه) .وانني أرجح أن البيت هكذا:

دَرَجَ الملوكُ بها كما درجت مع النِّقْسِ البَنانُ

النقس : الحبر . والبنان : الأصابع .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة المذكورة قوله :

طلبوا الأمان فكان يؤ خذ من سيوفهم الأمانُ

وصحته : طلبوا الأمان وكان يؤ خذ من سيوفهم الامانُ

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٤٩ قوله :

قناعة صانت لوجهى ماءه كم من حريص لم يَجُدْ ولم يَصُنْ

وصحته : لم يَجِد بكسر الجيم لا ضمها ، من الجِدَة وهى الوفر ، والمعنى أننى صنت ماء وجهى فكم من انسان بذل ماء وجهه ولم ينل شيئاً.

وجاء بالسطر الأخير صحيفة ٥٠ :

ليت البخيل القابلى والباخسى حقى كما هو مانعى يا بانى

قال فى الشرح (يريد يأبانى فسهّل الهمزة) اه . فانظر فكما ترى لا حاجة بالشاعر الى هذا التسهيل لأن البيت صحيح مع الهمزة .

وجاء بالسطر الخامس عشر من الصحيفة ٥٥ قوله :

إن عضنى ريب الزمان أعانه وتراه يأبى ما أصبت زمانا

وصحته :

إن عضنى ريب الزمان أعانه وتراه نابىَ ما أصبت زمانا

وجاء بالسطرين الخامس عشر والسادس عشر من الصحيفة ٥٨ قوله :

وصبرى وأخى شوبٍ اذا قلت تصافينا

اولى هجمة السُّود ذئاباً يتعاوينا

وصحة البيتين هكذا :

وصفوى وأخى شوب(١) اذا قلت تصافينا
أُوَلِّى هجمة(٢) الودّ ، ذئابا يتعـــاوينا

وجاء بالسطر السادس عشر من الصحيفة ٥٩ قوله :

أيا صاحبي بالخيف حييتُ مغضَبا نفرتَ ولكنى نظرت لحَيْنى

وصحته :

أيا صاحبي بالخيف حييت مغضِيا نظرتَ ولكنى نظرت لحينى(٣)

وجاء بالسطر الرابع عشر من الصحيفة ٦٠ قوله :

أدارى (بجمع) طرف عين قضى البكا عليه انتشاراً أن طوى البينُ عينَه

وصحته : اقتساراً بدلاً من انتشاراً .

وجاء بالسطر الثامن من الصحفية ٦٢ قوله :

وأقسمت أنى قد ظفرت ببغيتى لك الله من خل صدقتُ يمينَهُ

وصحته :

وأقسمتُ أنى قد ظفرتُ ببغيتى لك اللهُ من خلٍّ صدقتَ يمينَهُ

وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من الصحيفة ٦٤ قوله :

لمن ظُعُنٌ سوائر لو صَحوتُ عقلتها لمن

وصحته :

لمنْ ظُعُنٌ سوائر لو صُحِبْتُ عقلتها لمن

ينظر الى قول امرىء القيس :

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً : عقلتَ بعيرى يا امرأ القيس فانزلِ

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٦٥ قوله :

بفارغة الحقاب مشيـ ن مشىَ الذيل والرُّدُن

وهذا البيت ممسوخ مشوّه : فالشاعر لم يتكلم فى القصيدة كلها الا عن امرأة واحدة فكيف يقول مشين ، ثم ما هو مشى الذيل والردن ؟ الصحيح ان البيت هكذا :

(١) الشعوب ضد الخالص (٢) الهجمة القطعة من الابل (٣) الحين الهلاك

بفارغة الحقاب تميس ممتلئ الذيل والردن

الحقاب : الحزام ، فهى فارغة الحزام لدقة خصرها وهى ملئى الذيل والردن لامتلاء معصميها وساقيها . وقد طرق الشعراء كلهم هذا المعنى فقال امرؤ القيس :

هصرت بفودى رأسها فتمايلت علىّ هضيم الكشح ريّا المخلخل

قال الشماخ بن ضرار الغطفانى :

هضيمُ الحشا لا يملأ الكفَّ خصرها ويملأ منها كل حِجْلٍ ودُمْلُجِ

وقال جران العود النميرى :

مما يجول وشاحاها اذا انصرفت ولا تجول بساقيها الخلاخيلُ

وقال ابن الرومى :

يجيع وشاحَ الدرّ منه مجاله ويُشبعُ مرطَ الخزّ منه ملاؤُه

وقال أبو العلاء المعرى :

وبيضاء ريّا الصيف والضيف والبُرى بسيطة عذرٍ فى الوشاح المجوّع

وقال سبط بن التعاويذى :

تُروَى دمالجُها وتَغرَثُ فى موشَّحها الحِقابُ

وقال مهيار :

تطول على الصوّاغِ حين يَمُدُّها خلاخيلهُ المثْنى وتقصر حُقْبهُ

وقال أيضاً :

وأغيدَ أعياه سِوارٌ يُغِصُّه بخصب يديه أو حِقابٌ يجاوله

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٦٥ المذكورة قوله :

تُناشدنى على يبرين غضَّ الطرف تتبعنى

وصحته :

تناشدنى على يبرين غضى الطرف تُعتبنى

تعتبنى أى تحققنى فى العتب . قال الشريف الرضى :

لو كان يعتبنى الزما نُ لطالَ بعد اليوم عتبي

وبين هـذا البيت والذى يليـه انقطاع فى السياق فأدخلت بينهما هـذا البيت من نظمى :

تقول أرى عيونَ النا س ِ بالشُّـبُهاتِ تأخُذنى

والذى يليه قوله :

فصُنْ سرى وسرك ان يكون بمطرحِ الظِّنَنِ

وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من الصحيفة المذكورة قوله :

وأغنى الله غيبته جزاءً من بدور غَنِى

قال فى الشرح : (البدور : الأكياس للدراهم واحدها بدرة) اه . وهو خطأ ويريد بالبدور الحسان تشبيهاً بالأقمار ، وغنى اسم قبيلة .

وجاء بالسطر السادس من الصحيفة ٦٧ قوله :

خبرتهـمُ فعفتُهُمْ وكاثرنى فوافقـنى

وصحته : عاشرنى بدل كاثرنى وسبب التصحيف أن الكاف ترسم أحيـاناً على شكل يقرب من شكل العين والثاء تشبه الشين بنقطها .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٧٠ قوله يصف أرضاً كثيرة النبات :

جَمَّت فطالتْ ما ابتغت ومضت عُرضاً فخلت نباتهـا تِبْـنا

والصواب : خلت نباتها لُبْـنا ، أى بناء لأن كلمة تبن لا تتفق مع ذكر الطول والعرض ويؤيده قوله فى البيت السابق :

تمشى عليها الرجل ثابتةً مما يلاحم غصنُها الغصنا

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٧٤ قوله :

حيث لم يُلْحَمْ عذارىٌّ ولا رُجمت بعد بشهب الشيبِ جِنّى

وصحته : حيث لم يَنْجُمْ عذارىّ الخ . أى لم ينبت .

وجاء بالسطر السابع منها قوله :

انما يستطرف الروعة مَن نفَّرت منه بقلبٍ مطمئنٍّ

وصحته :

انما يستعظم الروعة مَن نزلت منه بقلب مطمئنّ

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٧٥ قوله :

سام بغضاً بى فلما داسها فرآها جرةً قال أقلنى

وصحته : سام بغضائى الخ .

وجاء بالسطر الأخير من الصحيفة ٧٦ قوله :

صيدتنى بالخلق الرحب وكم قد تقبّضتُ بخلق لم يسعنى

قال فى الشرح : (فى الأصل تقيضت) وصحة البيت هكذا :

صيدتنى بالخُلُق الرحب وكم قد تُقُنِّصْتُ بخُلقٍ لم يسعنى

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٧٧ قوله :

ما تخيلتك حتى جبتهم باحثاً أقلبهم ظهراً لبطنِ

وصحته : ما تخيرتك حتى جبتهم الخ .

يا صاحبَي شكواى هل ناصرٌ يملك رفدى منكمُ أو معينْ

والصواب : منكما .

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ٩٤ قوله :

وهم أذالوا الشيب فى مفارق بالصدّ لا عدى له الخمسينا

والراجح عندى: وهم أذاعوا أى نشروا.

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ٩٩ قوله :

تفدى سواه سوقها بضروعها ودماؤها معه فدَى الألبانِ

والصواب : يفدى سواه سوقها بضروعها الخ . كان العرب فى أيام قحطهم يجرحون الابل فى سوقها ويمتصون الدم السائل منها ، ويقول مهيار إن غير هذا الممدوح يجعل دم سوق ابله فداءً لألبانها عند جفاف الضروع أما هو فانه يعقرها فيقدم لحمها لضيوفه ولو كانت تدر الألبان .

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ١٠٢ قوله :

فقيّلوا ظلال كلّ روضة وهجّروا بى للجوى والحزَنِ

وصحته : تقيَّلوا أى استذروا فى القائلة ، وهجروا بى أى عرضونى للهاجرة ولم يشرحها الشارح.

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ١٠٧ قوله :

واعلم أن ما طلتُ بالودِّ أننى   على قَرَبٍ لا بد تدلى له شِنىّ[1] .

وصحته : واعلم أن ما طلت بالورد اننى الخ .

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ١٠٨ قوله :

وللخصم يستشرى علىَّ سفاهة   وذى الود يستعلى حَوُولاً ويستسنى

قال فى الشرح : (كذا بالأصل فتأمله) ومعنى البيت أننى رشحت المرثىَّ للخصم الذى يحمَى غضبه سفاهة ولذى الود الذى يستعلى علىَّ حَوُولاً أى متحولاً عن وده ويستسنى أن يترفع من السناء أى الرفعة .

وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من الصحيفة المذكورة قوله :

يرقبت يوماً من لقائك نجتنى   ثمار الإياب الحلو من غصنه اللدْنِ

والصواب : ترقبت .

وجاء بالسطر التاسع من الصحيفة ١٠٩ قوله :

عذيرى من أفواه دجلة بُدِّلَتْ   من الغدقِ السلسالِ بالراكد الأجْن

وصحته : عذيرى من أمواه دجلة الخ . وقوله بُدِّلت دعاء منه عليها .

ويبدو أن المرثىَّ مات غرقاً فى دجلة .

وجاء بالسطر الثامن من الصحيفة ١١٠ قوله :

ولكن نعانى فيك من لا أروعه   بسفك دم يحميك منه ولا جفن

والصواب : ولا حقن بدلا من ولا جفن ، وحقن الدم ضد سفكه .

وجاء بالسطر الذى يليه قوله :

هو الفاجع النسر الحلق بابنه   على الطود والضبَّ المنقَّب بالمَكْنِ

ضبط المنقب بفتح القاف المشددة والصواب كسرها أى الذى ينقب الأرض والمكن بيض الضب .

---

(١) القرب هنا البئر القريبة الماء ، والشن : القربة البالية .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ١١٤ قوله :

لمهما المجد وهى منه تبرق ما بين الراحتين

والصواب : لمعها المجد ، الخ .

وجاء بالسطر الذى يليه قوله :

ناولها خالها أبوها بيضاء ملساء الجانبين

وصحته : نوّالها خالها أباها الخ . أى ادخالها أمكن اباها حتى جاءبها كما يصف .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ١١٨ قوله :

واستخلفونى والجوى بى شاخصٌ حيران أسأل منه غير مبين

قال فى الشرح : (شاخص : ذاهب) وصحة البيت هكذا :

واستخلفوني والجوى بى شاخصاً حيران أسأل منه غير مبين

أى جعلوه حليفاً للطلل الشاخص .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ١٢٢ قوله :

والناسُ مَسْلاةٌ فليتك موسعاً طمعى أمرتَ الناس أن تسليني

وصحة البيت هكذا :

واليأسُ مسلاة فليتك موسعاً طمعى أمرت اليأس أن يُسليني

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ١٢٤ قوله :

متلثمٌ والشمس تحت لثامه أو سافرٌ والنجم تحت جبينه

والصواب : والنجم فوق جبينه .

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ١٥٩ قوله :

كفيتك فى طرق الهوى أن تُعزّنى فهل أنت فى طرق العلاء مهين

وصحته :

كفيتك فى طُرْقِ الهوى أن تُعينني فهل أنت فى طُرْق العَلاء معينُ

وجاء بالسطر التاسع من الصحيفة ١٧٣ قوله :

برماً بحبات القلوب يخافها ونهشْ نحوَهْ

والصواب :

برماً بحبات القلو ب يعافها ونهشٌ نحوهْ

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ١٩٤ قوله :

توحش يوم تطلب سامريًّا وتأنس يوم تجلب بابليًّا

قال فى الشرح : (كذا فى الأصل الفوتغرافى والنسخة الخطية ولم نفهم معناه)

وصحة البيت هكذا :

تَوَحَّشُ يوم تطلبُ سامريًّا وتأنس يوم تخلُبُ بابليًّا

وقد أسلفنا القول عن السامرىّ وهو الرجل الذى طرده الله فهام على وجهه ، والبابلىُّ يريد به السحر ، والمعنى ان هذه الحبيبة تتوحش عند ما تطلب كما توحش السامرى وتأنس عند خلابتها فتكون ذات سحر ، والسحر ينسب الى بابل لأن بها هاروت وماروت كما ورد فى القرآن .

وجاء بالسطر الثامن من الصحيفة ١٩٥ قوله :

مؤنثة الثرى والماء يعدى بحسن طباعها القَدَرَ الجريَّا

والصواب :

مدمنة الثرى والماء يُعدى بحُسْنِ طباعه القَدَرَ الجريَّا

هذا آخر ما توصلت الى تصحيحه الآن من ديوان مهيار ، وهناك أبيات لم أستطع استجلاء طامسها وذلك لتكرار المسخ قرناً بعد قرن كما أن هناك قصائد لم أقرأها بعد . وبالله استقوى ؟

حبيب عوض الفيومى





المتنبي

في بلاط سيف الدولة

لعل أبرز ما في حياة أبي الطيب ، هي السنوات التسع التي قضاها في حلب ، في عاصمة بني حمدان ، في بلاط سيف الدولة . وما كانت حياته من قبل ذلك ، ومن بعدها إلا ترداداً لها أو رجع صدى . ففي هذا الحمى غرّد المتنبي أفخر قريضه ، وغنى أجود قوله ، وفي هذا البلاط تجلت نبوّته الشعرية ، وفي هذا البلد العامر من سورية فاضت موهبته .

ما يُذكر المتنبي إلا ليذكر معه سيف الدولة وكافور ، وما يذكر العبد إلا ليردد فيه قول المتنبي :

لا تَشترِ العبدَ إلا والعصا معه ... ان العبيدَ لأنجاسٌ مناكيدُ

ما كنت أحسبني أحيا الى زمنٍ ... يسيئني فيه عبدٌ ، وهو محمودُ

مَن عَلَّمَ الأسودَ المخصيَّ مكرُمةً ... أقومه البيضُ ، أم آباؤه الصيدُ ؟!

أم أذنُه في يدِ النخاس داميةً ؟ ... أم قدرهُ وهو بالفلسين مردودُ ؟!

لكن سيف الدولة يُذكر لأن مديح المتنبي قد ملأ الاسماع والأبصار ، وشعره فيه المتنبي ذاته ! وشتّان ما بين الهجاء والمديح ، وشتان بين قبح الصيت وحسنه حتى في الذكرى !

ان سيف الدولة مرادف للمتنبي ، كأن شاعرنا قد تنبأ في قوله عن الصلة الدائمة بين اسميهما ، حين فخر بنفسه ، ومدح أمير بني حمدان قائلاً :

خليليّ ! انى لا أرى غيرَ شاعرٍ فكم منهم الدعوى ومنى القصائدُ ؟
فلا تعجبا ، ان السيوف كثيرةٌ ولكن سيف الدولة اليوم واحدُ !

هذا هو أبو الحسن على بن عبدالله بن حمدان العدوى الذى تولى الملك على حلب ومقاطعتها حتى انطاكية ثلاثة وعشرين عاماً ، وقف فيهـا ببابه من الشعراء ، ما لم يجتمع بباب أحد غيره من الملوك ، بعد الخلفاء ، كالسرى الرفاء والببغاء والنامى والوأواء الدمشقى وسواهم لكن صيته لديهم خفت معهم ، ولم يثبت حتى الآن إلا لأن أحد شعراء الدهور وقف زمناً لديه ، وها نحن نرى اسمه خلد على المدى وسيرنّ فى الآفاق كلما رنّ اسم المتنبي رغم ما وقع بينهما من جفوة وفرقة ، وصار من وحشة وبعاد .

انها لصدفة عجيبة سعيدة أن يأتى سيف الدولة الى انطاكية ، قصبة البلدان السورية الشمالية ليزور قريبه أبا الشمائر الحمدانى ، فيقدم هذا اليه أبا الطيب ويكشف له عن نبوغه فى الشعر ، ويثنى عليه فيضمه الأمير اليه على شروط يشترطها الشاعر : أن لا ينشد الشعر إلا جالساً ، ولا يقبّل الأرض إن حضر بين يديه ، وفى هذه الشروط تتجلى كبرياء المتنبي بينة ظاهرة : كيف يأبى الخضوع لما هو عرف متبع بين الشعراء فى حضرة الملوك ، وكيف يعدّ ذاته والملوك سواسية فى القدر والمكانة ، لولا الدهر المشاكس !

أكرم سيف الدولة مثواه بادىء ذى بدء ، وكانت هداياه لشاعره كثيرة ، وعطاياه عظيمة أسالت لعاب باقى الشعراء فى البلاط ، وأثارت حفائظهم وأوقدت نيران الغيظ على هذا الشاعر الذى جاء يحجب صيتهم وينال منهم لدى سيف الدولة ويحظى بالهدايا الفاخرة الوفيرة ، وتغدق عليه النعم العظيمة بينما هو يأبى أن يسير على سنّة الشعراء ، أو يتقيد بعاداتهم ويأتم بأحوالهم ، أو يعدّهم وإياه على قدم سواء .

ثاروا وماجوا فى أنفسهم ، وعوّلوا على أن يدخلوا فى روع سيف الدولة شيئاً بل أشياء عن شاعره الممتاز ، وأخذ جانبهم أبو فراس الحمدانى ، ابن عم الامير ، وكان ما لا بدّ أن يكون فى مثل هذه الحالات ، وانتهى الأمر بأن أصغى سيف الدولة بعض الشىء الى هذه الأقاويل التى تحف بمجلسه عن المتنبي فكان الحال كما قال فولتير أكبر كذوب فى العالم : « أكذبوا !! أكذبوا ، فلا بد أن يعلق فى العقول شىء من كذبكم ! » فكان تارة يجافيه ويعاتبه عليه ، وتارة يحنّ الى

مديحه ، ويتوق اليه فيصله ويكرمه . وكان المتنبي من جهته أيضاً يتجاهله طوراً فيحضر مجلسه ولا يمدحه ، وطوراً يشيد بمآثره في استعطاف ممزوج بكبرياء ، وهكذا دواليك من الطرفين . وهذا ماحمل يوماً ما أبا فراس على القول لابن عمه : « ان هذا المتشدّق كثير الادلال عليك ، وانت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ، ويمكن أن تفرّق مئتي دينار على عشرين شاعراً ، يأتون بما هو خير من شعره » . وعملت هذه النميمة الذميمة في نفس سيف الدولة أي عمل فأضمر ما أضمر ، ووصل الخبر للمتنبي فاستعدّ للامر . فكانت هذه الحادثة التي تدل أعظم دلالة عما كان يجري في مجلس سيف الدولة من ايقاع بالمتنبي ، يقوم بحبكه أولئك الشعراء الذين أكل الحسد قلوبهم ، وملأت الغيرة قلوبهم وهي تمثّل لنا لماذا انتهت تلك الرابطة القوية بقطيعة مرّة ، رحل فيها المتنبي عن حلب رحيلاً أبدياً ، فانه لما دخل سيف الدولة بعد تلك الوقيعة من أبي فراس ، وأنشده أبياتاً لم يأبه له هذا ولوى برأسه عنه ، وكان مَن حوله يغتابونه أمامه سكت المتنبي وأسرّها في نفسه ، وانقطع عن المجلس حتى نظم قصيدته الميمية الشهيرة ، ثم جاء وألقاها ، وقد بدأ بالتظلم والاستعطاف والادلال :

واحرّ قلباه ممن قلبه شبمُ ! ... ومَن بجسمي وحالي عنده سقمُ !

مالي أكتمُ حبّاً قد برى جسدي ... وتدّعي حبّ سيف الدولة الأممُ

إن كان يجمعنا حُبٌّ لغرّته ... فليت أنا بقدر الحبّ نقتسمُ

قد زرته ، وسيوف الهند مغمدة ... وقد نظرتُ اليه والسيوفُ دمُ

وهنا كاد بعضهم يوقعون به في حضرة الأمير ويقتلونه ، لفرط ادلاله وسكوت سيف الدولة ، واستمر هو حتى انتهى الى قوله :

يا أعدل الناس إلا في معاملتي ... فيك الخصام ، وأنت الخصم والحكم

فقال أبو فراس : قد مسخت قول دعبل :

ولست أرجو انتصافاً منك ما ذرفت ... عيني دموعاً ، وأنت الخصم والحكم

فقال المتنبي :

أعيذها نظرات منك صادقةً ... أن تحسب الشحم فيمن شحمه وَرَمُ

فأدرك أبو فراس انما هو يعنيه بذلك ، فثار أن يكون هُزأة ، وهو قريب

سيف الدولة ، وأن يوكزه المتنبي ، فقال : « مَن أنت يا دعيّ كندة ، حتى تأخذ أعراض الامير فى مجلسه ؟ » وظل الامر على هذا المنوال ، يقول أبوالطيب بيتاً ، فيقاطعه أبو فراس ، حتى إذا انتهى الى قوله :

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره اذا استوت عنده الأنوار والظُّلَمُ ؟

قال أبو فراس : « هذا سرقته من قول معقل العجلى :

اذا لم أميز بين نورٍ وظلمةٍ بعينيَّ ، فالعينان زورٌ وباطلُ !

ومثله قول محمد بن احمد بن أبي مرّة المكى :

اذا المرء لم يدرك بعينيه ما يرى فما الفرق بين العمى والبصراء ؟ »

وضجر سيف الدولة ، فقذفه بالدواة ، فاستطرد المتنبي ، وثار فى نفسه لهذه الاهانة وأخذته أنفة الكبرياء ، فعوّل أن يطلق آخر سهم فى كنانته ، فقال :

إن كان سرّكم ما قال حاسدُنا فما لجرحٍ إذا أرضاكمُ ألمُ !

فكان هذا البيت البلسم الشافى ، واذا بسيف الدولة يرضى عليه ، ويقرِّبه اليه ويقبّل رأسه ، ويصله بألف دينار ، يردفها بألف أخرى ، ويفقأ حصرماً فى أعين الوشاة الحسّاد !

هذا مثال مما كان يحدث فى مجلس سيف الدولة ، ومثال ناطق بمايفعل الحسد ، ولا ريب أن توالى هذه الحوادث وتوالى الجفوة بينه وبين المتنبي عملت فى قلب أمير بنى حمدان كثيراً ، ثم ربما كان هذا قد ملّ من الشاعر أثر تلك الوشايات ، بعد ما قضى لبانته منه ، فأراد أن يذل كبرياءه ، ويخضد من عنفوانه ، لذلك نراه يمالىء الشعراء عليه ، ويطرق عنه ، مع أن ما قاله المتنبي فيه لم يقله شاعر فى أمير ، فقصائده فيه أروع ما نظمه فى سائر حياته ، ومدائحه فيه يتحدث بها الركبان ، ويتناشد بها الناس ، بل ان مراثيه لأقرباء الأمير ، من أمه ، وابنه واخته ، ملأت الاسماع حال قولها . ألم يقل ابن العميد : « إنه يغيظنى أمر هذا المتنبي ، واجتهادى فى أن أخمد ذكره ، فقد ورد علىّ نيف وستون كتاباً فى التعزية ، وما منها إلا ما صدّر بقوله :

طوى الجزيرة حتى جاءنى خبرٌ فزعت فيه بآمالى الى الكذبِ

حتى اذا لم يدعْ لى صدقُهُ أملاً شرقتُ بالدمعِ حتى كاد يشرق بى

فكيف السبيل الى اخماد ذكره ؟ » .

وما هذان البيتان إلا من قصيدة رثى بها المتنبي أخت سيف الدولة ، قبل قول ابن العميد هذا بسنة من الزمن ، فطافت فى هذه المدّة أنحاء الجزيرة والعراق وفارس ، وانتهت الى أرّجان ، وحيث يقيم هذا الوزير ! ولو عاد سيف الدولة الى الحياة ، ورأى ما تركه له المتنبي من ذكرى ، لكان يندم على ما فعله أى ندم ، يحمله الى الاسراع الى الأكفان من جديد ليدارى عيبه ، ولا يفصح عن عظم خجله ومعرّته !

وكان سكوتُ سيف الدولة عن انصافه بعد الذى حدث فى مجلسه بين أبى الطيب وابن خالويه النحوى ، من المهاترة والشجار ، فوثوب النحوى على الشاعر ، ولطمه بمفتاح فى يده شجّ رأسه ، ما أدى بهذا أن ينفر نفوراً كليّاً من رجل أشاد هو به كل الاشادة فى أشعاره ، وترنم بها الناس فى مجالسهم فخذله ، فتركه وذهب الى دمشق ، ومنها قصد الى مصر ، وأننا نراه فى مصر ، كيف يعرّض بسيف الدولة وكيف يذكره بما كان منه من عدم الدفاع عنه أو الانتصار له ، وذلك فى القصيدة التى قالها عن اشاعة موته ؛ ونعيه فى مجالس سيف الدولة :

رأيتكم لا يصون العرض جاركمُ ولا يدرّ على مرعاكمُ اللبنُ
جزاءُ كل قريبٍ منكم ، مللٌ ! وحظُّ كل محبّ منكم ضَغَنُ !
وتغضبون على مَن نال رفدكم حتى يعاقبه التنغيصُ والمننُ !

وكانت هذه الأقوال القاسية خليقة بسيف الدولة بعد الفعل الشنيع الذى فعله ، ولكن المتنبي وإن قال ما قاله هنا وغير هنا عن ألم وحسرة وغيظ وتشفٍّ فقد كان دائماً يذكر سيف الدولة ، وبلاط سيف الدولة ، وليالى حلب ، وعيشه الرغد فيها ، ولولا فراقه لها لما صرمت حباله بهذه الكيفية المفجعة ، فيقتل وهو فى طريقه الى بغداد عائداً من لدن عضد الدولة فى شيراز ، ولكن :

واذا كانت النفوس كباراً تعبت فى مُرادِها الأجسامُ !

بركات — السودان : ميشيل سليم كبير

نوادر أبي الطيب

للمتنبي أخبار متشتتة فى تضاعيف الأسفار أشير الى بعضها فى هذه المقالة :

رحل المتنبي الى العراق بعد خدمته لسيف الدولة بن حمدان فى حلب فأقام فى البرية وسئل عن ذلك فقال : «ان بنى حمدان كدروا خاطرى فجئت أريحه ».

وقيل له يوماً: « على مَن تنبأت ؟ » قال: « على السفلة » ، قيل : « ان لكل نبي معجزة فما معجزتك ؟ » قال قولى :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى   عدوّاً له ما من صداقته بُدُّ

وجرت مناقشة بينه وبين أبى عليّ الحاتمى فقال المتنبي من كلام طويل للحاتمى : « لقد أكثرتَ من ذكر أبى تمام لا قدس الله روحه» فقال الحاتمى : « لا قدس الله روح الآخذ منه والطاعن عليه » .

وسأل أحدهم المتنبي عن قوله : « باد هواك صبرت أم لم تصبرا » كيف أثبت الألف فى (تصبرا) مع وجود الجازم فقال المتنبي: «لو كان أبو الفتح بن جنى ههنا لأجابك » وكان يثق به كثيراً حتى اذا سئل عن معنى من أشعاره يقول : «اذهبوا الى ابن جنى فانه يقول لكم ما أردته وما لم أرده» .

وكان المتنبي موصوفاً بالبخل حتى انه لما أجيز على قصيدة بعشرة آلاف درهم وزنها ووضعها فى كيس وختمه ورفعه الى صندوق فى خزانة ثم رجع الى مجلسه فوجد بين الحصير قطعة تكون مقدار ربع درهم فعالجها بأظافره وهو ينشد قول ابن الحطيم:

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة   بدا حاجب منها وضنت بحاجبِ

الى أن أخذها فأعاد الكيس ووضعها فيه بحضرة جماعة يعرف انهم يذمّونه .

وكان أبو العباس النامى يقول :« كان قد بقى من الشعر زاوية دخلها المتنبي وكنت أشتهى ان أكون قد سبقته الى معنيين قالهما ماسبق اليهما (أحدهما) قوله:

رمانى الدهر بالأرزاء حتى   فؤادى فى غشاءٍ من نبالِ

فصرتُ اذا أصابتنى سهام   تكسّرت النصال على النصالِ

والآخر قوله :

في جحفل ستر العيون غباره فكأنما يبصرن بالآذانِ

وقصد السريّ الرفاء سيف الدولة ممدوح المتنبي فأنشده بديهاً :

اني رأيتك جالساً في مجلس قعد الملوك به لديك وقاموا

فكأنك الدهر المحيط لديهم وكأنهم من حولك الأيام

وبعد ثلاثة أيام جاء المتنبي مجلس سيف الدولة وأنشده قصيدته التي قال في مطلعها :

أيدري الربع أيَّ دم أراقا وأيَّ قلوب هذا الركب شاقا ؟

حتى بلغ الى قوله :

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا

فقال السري : «هذا والله معنى ما قدر عليه المتقدمون » ثم حمّ حسداً وتحامل الى منزله ومات بعد ثلاثة أيام .

وكان لابن جنيّ هوى في أبي الطيب وكان كثير الاعجاب بشعره وكان يسوءه اطناب أبي علي الفارسي في الطعن عليه . واتفق أن قال أبو علي يوماً : «اذكروا لنا بيتاً من الشعر نبحث فيه » فابتدر ابن جني وأنشد :

حلتِ دون المزار فاليوم لو زر تِ لحالَ النحولُ دون العناقِ

فاستحسنه أبو عليّ واستعاده — وقال : «لمن هذا البيت فانه غريب المعنى ؟» فقال ابن جني هو الذي يقول :

أزورهم وسوادُ الليل يشفع لي وانثني وبياضُ الصبح يغري بي

فقال : « والله ! وهذا أحسن ، فلمن هو ؟» قال : «للذي قال :

أمضى ارادته فسوف له قد واستقرب الأقصى فثم له هنا !

فكثر اعجاب أبي علي واستغرب معناه وقال لمن هذا ؟ فقال للذي قال :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى

فقال : «وهذا والله أحسن ، ولقد أطلت يا أبا الفتح فمن هذا القائل ؟» قال :

«هو الذى لا يزال الشيخ يستثقله ويستقبح زيه وفعله وما علينا من القشور إذا استقام اللباب» .

— قال أبو علىّ: «أظنك تعنى المتنبى ؟» قال نعم : «فقال والله لقد حبّبته الىّ» .
ونهض ودخل على عضد الدولة فأطال فى الثناء على أبى الطيب ، ولما اجتاز به استنزله اليه واستنشده وكتب عنه أبياتاً من شعره .

ومن محاسن منظومه القصيدة التى نظمها لما نعى فى مجلس سيف الدولة بحلب وقد قال منها :

يا مَن نُعيتُ على بُعدٍ بمجلسه	كل بما زعم الناعون مرتهنُ
كم قد قتلت وكم قد مت عندكم	ثم انتفضت فزال القبر والكفنُ
قد كان شاهد دفنى قبل قولهم	جماعة ثم ماتوا قبل من دفنوا
ما كل ما يتمنى المرء يدركه	تجرى الرياح بما لا تشتهى السفنُ

وقال فى وصف القلم من قصيدة :

يتكسب القصب الضعيف بكفه	شرفاً على صمّ الرماح ومفخرا
ويبين فى ما مسّ منه بنانه	تيه المدل فلو مشى لتبخترا

وقوله فى وصف عوّاد من قصيدة :

أديب اذا ما جسّ أوتارَ مزهرٍ	بلا كل سمع عن سواها بعائقِ
يحدث عما بين عاد وبينه	وصدغاه فى خدى غلامٍ مراهقِ
وما الحسن فى وجه الفتى شرفاً له	اذا لم يكن فى فعله والخلائقِ

ومن أقواله فى سيف الدولة من قصيدة :

أرى كل ذى ملك اليك مصيره	كأنك بحرٌ والملوك جداولُ
اذا مطرت منهم ومنك سحائب	فوابلهم طلّ وطلك وابلُ
كريم متى استوهبت ما أنت راكب	وقد لقحت حربٌ فانك نازلُ
أذا الجود أعط الناس ما أنت مالك	ولا تعطين الناس ما أنا قائلُ

وقوله من غيرها :

فدتك ملوك لم تسم مواضيا	فانك ماضى الشفرتين صقيلُ

اذا كان بعض الناس سيفاً لدولة ... ففى الناس بوقات لها وطبولُ

ومن حكمه قوله :

سوى وجع الحساد داوِ فانه ... اذا حلّ فى قلبٍ فليس يحولُ
ولا تطمعن من حاسد فى مودة ... وان كنت تبديها له وتنيلُ

ومن قوله فى الفخر :

وعندى لك الشُّرَّدُ السائراتُ ... لا يختصصن من الأرض دارا
قوافٍ اذا سِرن عن مقولى ... وثبن الجبال وخضن البحارا
ولى فيك ما لم يقل قائل ... وما لم يسر قمر حيث سارا

ومن حربياته قوله :

ولربما أطر القناة بفارس ... وثنى فقوّمها بآخر منهم

ومن تشابيهه قوله فى بستان المنية بمصر لما أوقع السيل جدرانه :

شق النبات عن البستان ريّقه ... محيّياً جاره الميدان بالشجرِ
كأنما مطرت فيه صوالجة ... تطرح السدر فيه موضع الأكرِ

ومن قوله فى مرثية أخت سيف الدولة وكانت قد ماتت له شقيقة قبلها وهى الصغرى فعاد الموت وأخذ الكبرى :

فليت طالعة الشمسين غائبة ... وليت غائبة الشمسين لم تغبِ
وليت عين التى آب النهار بها ... فداء عين التى زالت ولم تؤبِ
قد كان قاسمك الشخصين دهرها ... وعاش درهما المفدى بالذهبِ
وعاد فى طلب المتروك تاركه ... إنا لنغفل والأيام فى الطلبِ

ومن الحماسة قوله :

تبكى على الانصل المغمود اذا ... انذرها انه يجردها
لعلمها انها تصير دماً ... وانه فى الرقاب يغمدها
أطلقها فالعدو من جزع ... يذمها والصديق يحمدها

وأمثال هذه الروائع لاتحصى فنجتزىء بهذه الآن ؟

عيسى اسكندر المعلوف



الليل فى فينيسيا

يا ليـلُ ! ما أعجبَ هـذى البلاد لا ليـلَ فيها ، كلُّ ليلٍ صباحْ
وكلُّ نبتٍ فى رُباها ضمادْ و(مِصْرُ) لاتُـنبتُ إلاّ الجراحْ !

ابراهيم ناجى

الى قرنفلة

﴿ مهداة الىَّ من شاعر العربية خليل مطران ﴾

أهديتَ للروح التى ذبلتْ روحاً يرفُّ بها الصبي الغضُ
يا حسنَها ، زهراءَ ناعسةً أوراقها فيها الشذى المحضُ

* * *

قبلتُها وغدوتُ أنشقهـا والقلبُ من أطيابها ثملُ
وحملتها ، نشوان أرشقها فى عروتى حمراءَ تشتعلُ !

* * *

الغَـيْرَةُ الحمقـاء ، والألم والحبُّ مجنوناً من الصدّ
ونواضرُ الآمالِ قد سكنت لفـّاتها ، ولواعجُ الوجدِ

* * *

يا زهرتى ! الموت قد هدأت نفسى ، وأنتِ رهينةُ الموتِ

أحلامنا فى العيش ضائعة ونعيمنا بعد الردى يأتى

***

هذا الشذى يبقى وقد ذبلت أوراقك الشفقية النور
يسرى على النسمات منطلقاً فى الليل يهدى الحب للحور

***

وأنا الى الترب الذى نسجت أعصابنا منه أعود غدا
أفنى وأمشى فى الثرى بدداً إلا قريضاً خالداً أبدا !

مختار الوكيل

جمال الطفولة

أحببتهم وأزيدهم حبّا صقل الفؤادَ وجدّد القلبا
ما كان أجمل أن أضاحكهم ضحكاً يزيد قلوبنا قربا
كالزهر نُظّم فى حدائقه كالطير تشرب صوته عذبا
فى نضرة من طهرهم لمعت كالماء نَضّر لونه السُّحْبا
تجلو وجوههمُ ضمائرَهم مثل الأشعة تكشف الحجبا
عفّت نفوسهمُ كأنسهم لا يعرفون الاثمَ والعيبا
ما إن تثير إذا زجرتهمُ حقداً ولا تخشى لهم عُتْبى
قد كنتُ أشربُ من عيونهمُ صفوَ الحنان ألذّه شربا
ويشيعُ فى نفسى ابتسامهم رُوحاً يجدّد روحىَ الخصبا

عبد الباقى ابراهيم

المصوِّر الفنَّان

(من قصيدة مهداة إلى الفنَّان المصرى شعبان زكى)

قالوا لنا إنَّ النوابغ بيننا ... عزُّوا وليس بقطرنا فنَّانُ
فأجبتهم : كلاَّ ! ففى مصر فتًى ... عشقَ الطبيعةَ ، والهوى كتمانُ
يختصُّها بحنانهِ وجَنـانهِ ... فترَى له منها هوًى وحنانُ
إنْ صوَّرَتْ يدُه ففى تصويرهِ ... كلُّ الطبيعةِ ما بها نقصانُ
أو خطَّ فى لوح أحالَ بياضَهُ ... شكلاً هو الابداعُ والاحسانُ
أو جئتَ منزلهُ يروعُكَ متحفٌ ... للفنِّ تنهلُ وحيَهُ الأذهانُ
الذوقُ صورةُ نفسه ، والحسنُ صو ... رةُ حسِّهِ ، وكذلك الألوانُ
ويجول فى سعةٍ له قد أحدقتْ ... بالكون بل خُلقَتْ له أكوانُ
وتحسُّ مِن تصويره بحرارةٍ ... أنَّى يدور مع الفصول زمانُ

قسطندى داود





الشعلة المقدسة

(أحبّ الشاعر فابتلى بالوشاية بينه وبين حبيبته ، فساورته نقمةٌ بالميل عن الحبّ ، ولكن شعلة الحبّ المقدس اجتذبته فى النهاية)

الشاعر (فى مناجاته) :

يا بَهِيَّ السناء وعذبَ المحيَّا ... مَن بحق الهوى سَعَى بِيَ عندكْ ؟
أنتَ روحى وكعبتى ورجائى ... كيف أحيا ؟ وكيف أسعدُ بعدَكْ ؟
كنتَ أوفى العباد براً فقل لى : ... أىُّ شيء تُراه غيَّرَ عهدَكْ
ما تحوّلتُ عن ودادكَ يوماً ... فلماذا حرَمتَ قلبيَ وُدَّكْ ؟
لستُ أقوى على جفاكَ فجدْ لى ... بهلاكٍ ولا تُبِحْ لىَ صَدَّكْ !

(بعد سكوت ولهفة) :

سائلوه مَنْ وشى بى عنده ... فتغاضى فتناسى فجفا
أشجاهم أننى همتُ به ... ورأوه فى ودادى منصفا ؟
فثنوه عن محبٍّ والهٍ ... طالما حنَّ اليه وهفا

***

أيها الهاجرُ حَسبى محنةً ... أن أرى وُدَّكَ ولَّى وعفا
يا حبيبى ذابت الروحُ أسًى ... وفؤادى ما تسلى أو غفا
أنا لولا نفحةٌ مِن خَلدى ... دَرَأتْ عنى الردى والتلفا

ما رأيتم غيرَ غصنٍ ذابلٍ وخيالٍ شاحب قد وجفا
فارحموا صَبّاً نحيلا شفّهُ هَجرُ من يهوى فأمسى مدنفا
لا تظنوا أننى أبغضتهُ بعد ما صدّ ووالى السّرفا ؟
أنا لا أخفرُ عهدى معه ويح مَنْ يجحدُ وداً سلفا

(ثم يخيل اليه أن حبيبته سلته ونسيت وداده فيقول) :

فقدتُ الأمانى مِن هواكِ وليتنى فقدتُ حياتى حين ضاعت أمانيا
ففقدُ حياة المرء فى ظِل إلفهِ أحبُّ وأحلى من سُلاف اللمّا ريّا
وهبتك قلباً طيعاً لكِ مخلصاً يحقق ما تبغى ويجفو المعاديا
فبعتِ ببخسٍ حبّه ووداده وأسلمته للموت ولهانَ صاديا !

(وحينئذ يحنق على الجمال والحب ويتبرم بهما قائلاً) :

إلامَ خضوعى لبطش الجمالِ وصدّ الحبيبِ وذلّ السهرْ ؟
سأنسى الهوى وأروض الفؤادَ على تركِ من فاتنى بل هجرْ

(ثم يتهيأ للنوم وهو يتأسّى بهذين البيتين) :

لا تلومى إذا هجرتك ، إنى قد رأيت الهوى ظلوماً مذلا
بعت روحى اليك لم ارج شيئاً غير بعض الوفاء فازددت ذلاّ

(ينام فيرى فى نومه كتاباً أرسلته اليه حبيبته بينما يأتى طيفها فيحلق فى سماء الحجرة مترنماً بهذه الأبيات) :

يا نائماً ما نسينا وداده وهواهْ
كم صغت فينا قريضاً تعنو اليه الجباهْ
يا فانياً فى هوانا مَن للجفاء هداكْ ؟
ترى هويت سوانا ؟ فغاب عنّا سناكْ ؟

(يصحو الشاعر ويردّد هذين البيتين) :

ما لى صحوتُ شجيّةً كبدى جمّ الحنين مضاعفَ الكمَدِ ؟
من ذا أثار جوايَ ؟ واحرَقى ! وأنا الذى هصرَ الجوى جسدى ؟

(ينصت للطيف ثم يقول) :

ماذا ؟ أأسمعُ صوتاً كاد من وَلَهٍ تَذْمَى مقاطعه الريّا من الألمِ ؟
أجل ! فذلك طيفٌ هاتفٌ غَرِدٌ لا أستبين صدى ما حاكَ من نغمٍ

(يقرب منه الطيف منشداً)

يا أطهر الناسِ قلباً وأصدقَ الناس وُدّا
وأشرفَ الناس حُبّاً وأوثقَ الناس عهدا

* * *

هتفت بحبّنا حينا وكنتَ كبضعةٍ منّا
ولذتَ مدّى بوادينا فما لك تنثنى عنّا ؟

(يردّد الشاعر البيتين الأخيرين ثم يقول) :

أطيفٌ بعــدَ أيامٍ ثلاثٍ جاءنا زائرْ ؟
وقبــــلاً قد تمنّاه فؤادى الذابلُ الحائرْ
نسينا الحبّ والأحبا بَ مُذْ صَدّوا وما خُنّا
كفى يا طيفُ أحزاناً وسُهداً قرّح الجفنا !

(يتهيأ للنوم وهو يتابع حديثه) :

بربّكَ خلّنى أغفو لأنسَى بعضَ آلامى
عبيتُ بروحىَ الحيرى وقلبى الخافق الدامى

(يحاول الطيفُ إيقاظه قائلاً) :

أفقْ يا صاحِ لا تغفُ فقــد هيجتَ أشجانى
أجبنى ! هل تُرى تصفو ويصفح قلبك الحانى
أفقْ يا شاعرَ الحُبّ ! وغــنّى بعضَ أشعاركْ
وأترعْ مُهجتى الظمأى نخمرى لحنُ مزماركْ

(الشاعر للطيف بعد أن يتنبّه) :

بربكَ عُدْ لأهليــكا وبَلّغهـــم تحيّاتى

وقُل ذابَ الوفىُّ وما تبقّتْ غيرُ أنّاتٍ !
سيلفظها لينجُوَ مِنْ شُرور العالم العاتى
ويمرحَ فى رياضِ الخلد مجهولَ النهايات
يرتل فيه ألحان التبتّل والعباداتِ
ويرشف فى خمائله أريجاً من سنا الذات (١)
ويشدوَ للملائك خيرَ أنغامٍ وآيات
ويروىَ بالنشيدِ العذبِ سكانَ السماوات
سئمتُ العيشَ من دنيا الهموم وساحةِ الإثمِ
وعِفْتُ الناسَ إلا أنفساً عَفَّتْ عن الظلمِ
فكم أوذيتُ من صحبى وكم حُوربتُ من قومى
أناسٌ قلما يدرو ن ما شجوى وما همّى
شقيتُ بهم فليتىَ ما وُلِدْت ولا رأوا رسمى
ولا باتوا يرون الخَيْرَ فى لَوْمى وفى ذمّى !

* * *

ولكن كيف أخشاهم وما قارفت من جُرمِ
سموتُ على مَداركهمْ وسدتُ على السُّها باسمى
فحاروا ... كيف لا أُعنى بما أهريق من كلمى !
وكيف أقابل الأحداث فى صبر وفى عزمِ
فجدُّوا فى مُناوأتى فلم أعبأ ولم أُضمِ
ولم أحفلْ بجمعهم ولا بادلتهم سهمى

(الطيف للشاعر فى ذهول) :

كأنك يا رسولَ الشعر عِفْتَ الحُبَّ والحُسْنا

---

(١) الذات العلية

ولن تَرِدَ الجمالَ ولن تُرتّل في الهوى لحنـا
وكنتَ الشاعر الفذّ السبوقَ الساحرَ المغنى
ذويح الحب ! مَن للحب يحييه ومَن يُغنّى ؟
ومَنْ للحسن إن يجفو فاصدحْ واطرب الكونا

(طيف الجمال للشاعر) :

سلاماً شاعرَ الحبِّ مِن المضنى لآلامكْ
خَلَدْتَ بشعرك السامى وذقتُ السحر من جامكْ
أراكَ مبدَّدَ الأحلا مِ مشدوهَ النهى ثائرْ
فمن أوْدَى الأمى في قلبك المعمودِ يا ساحرْ ؟

(يظل الشاعر صامتاً فيهتاج طيفُ الجمال قائلاً) :

عجيبٌ ! ما تُكلِّمُنا وكنت الهاتف الصادى
نطوفُ بنا وتعبُدنا وأنتَ الخافقُ الشادى
جحدتَ ولاءنا ومُنًى سُقيتَ رحيقها زمنا ؟
أم اشتقتَ الجودَ على حياة هاجتْ الاحزانا

(الشاعر لطيف الجمال) :

كيف أنساك والمشاعرُ ظمأى لحُلاك النديّةِ القدسيّهْ
كيف أسلوك والضلوعُ صوادٍ لأريج المفاتن العبقريّهْ
أنتَ سرُّ الحياة أنت شذاها خالق الشعر في الفؤاد الخليِّ
أنتَ نورٌ مقدّسٌ عبقريٌّ يغمر الكونَ بالضياء السنىِّ
أنت رمزُ السُّمُوِّ والقبَسُ الخا لدُ والشعلةُ التى لا تغيبُ
خصَّك الله بالخلودِ وقد صا نك فينا ذاك الجلالُ المهيبُ
لست يا حُسنُ ناكراً لجميلٍ شيمةُ الحرِّ أن يكون وفيا
نحن مِن طينةِ الوفاء خلقنا وعلى الودِّ والمكارم نحيا
ما هوينا سواك يا حسنُ لكنْ ساءنا من ذويك أن يتجنوا

آلمونا بصدّهم فهجرنا غير ناسين ما أنالوا وأسدوا

(طيف البغض للشاعر) :

أتهوى مَنْ وفيت لهم فضنّوا وظنوا ما أتيت به رياء
وما كنت المنافق في هواهم ولا كنت المسيء لمن أساء
أتنشُدُ مَنْ سَلوْك بغير جرمٍ وباعوا حبّك السامى النبيلا
ودانوا للوشاة وما تروّوا وكنتَ المانح الوُدّ الجميلا ؟
كفاك من العباد أذى كفاكا وحسبُك ما لقيت من الجحودِ
عليك بعقر دارك فهو أجدى ولذ بكتابك السّمح الودودِ
ولا تأسفْ على مَن ليس يفدى فؤادك بالأمانيّ العِذابِ
ولا تحزن على من قد تنامى ودادك واستكان الى الذئابِ

(الشاعر لطيف البغض) :

رويدك ما عدلتَ ولا أصبنا أترمى بالجحود شعاع روحى
لعمرى قد كذبت على جمالٍ أعزّ لدىّ من قلبى الذبيح !
تنحّ فلا رأيتَ العمر خيراً أتوغر من يعزاء النفس صدرى
اذا أنا بعت ودّهم فمنْ لى بمنْ يهب الوفا ويصون سرّى

(ثم يطرق ويقول فى صوت محزون) :

كل قلبٍ يعيش بالحبّ يشقى والخليُّ السعيدُ فى أحلامهْ
ما عهدنا معلّقَ القلب يصحو مِنْ لظى وجدهِ ومن آلامهْ

(طيف الحبّ للشاعر)

حطّم اليأس وانسَ شجوكَ يا من خلد الكونُ حُبّهُ فى كتابهْ
حَسْبُك اليومَ أن يخلدك الشعرُ وأن تصبحَ الفريدَ النابهْ
فيم ذا اليأسُ والحياةُ جهادٌ كيف تسمو اذا عدمتَ الشقاءْ
كن شقياً لتنعم الرّوحُ بالطهر وغرّد اذا فقدتَ الهناءْ
ليس من يطلب الحياة ليحيا فى ظلال السرور والنعماءْ
مثل من يطرق الحياة ليحيي أنفساً خالها نذيرُ الفناءْ

(الشاعر لطيف الحب) :

أنا وَحْيٌ من الخلود تجلَّى في سماء الدُّنى وطيفٌ عابرْ
أرسل الشعرَ من دمائي لحناً يسكر الروحَ والنهى والضمائرْ
لستُ ممن يقيم للغرِّ وزناً أو يهاب اللئيمَ والمتنامرْ
ذقتُ حلوَ الحياة والمُرَّ منها كيف أخشى من الجدود العواثرْ؟!

(يسترسل الشاعر فى جوابه لطيف الحب متبرماً منه) :

إليك يا حُبُّ عنى حسبُ ما بليتْ نفسى به من شجون دونها الحرَبُ
لجأتُ للحبِّ كيما أستظلُّ به فأبتُ بالخسر واحتاطتْ بىَ النوَبُ
وقلتُ بالحبِّ يُشفى القلبُ من عللٍ لاذَتْ به ويزول الهمُّ والوصبُ
فما ظفرتُ بغير الحزن يجرعهُ قلبى الفتيُّ الذى أودَى به العطبُ

(يثور الشاعرُ فيخاطب جوانحه بالأبيات الآتية) :

ذاب قلبى فقطعى أوتاركْ يا ضلوعى وهشمى مزماركْ
واندبى الحبَّ فى الغروب وفى الفجر وشُقِّى عليه حزناً ازاركْ
وانشدى السلوة العزيزة فى الروض ففى الروض منتهى أوطاركْ
بين عُشب مرنحٍ ونميرٍ كاللجين المذاب يروى أواركْ
وطيورٍ هواتفٍ تتناغى بحديث الهوى فتسبى المداركْ
وجمالِ الطبيعةِ الفردِ الضا حك يجلو الشجونَ من أسفاركْ
فهلمى إلى الرياض لتنسى سالفَ الشجو وانشدى أشعاركْ

(يشتدّ به الاغراق فى الحزن فيودّع الحب) :

وداعاً أيها الحبُّ وداعاً قد ذوى القلبُ
وداعاً قد وهى جسدى وشابَ الرُّوحُ واللبُّ
كفانى دهرىَ القا سى وآمالاً بدت تخبو !

(يردّد البيت الآتى فى حسرة ولوعة) :

خداعٌ هذه الدنيا ومين ذلك الحبُّ !

(تثور الأطياف على الشاعر وينتهى به الأمر إلى المحاكمة ، وتهتف الأطياف بالمقطوعة الآتية) :

ظلومٌ ودَّع الحُبَّا وداعَ الحانقِ الشانى
وصامَ عن الهوى وصَبا وكان المشفقَ الحانى

(الشاعر يستنجد بخالقه) :

خلقت لنا هذى المحاسنَ فتنة تلوذ بها عينٌ ويرشفها قلبُ
وصغت فؤادى من شعور مهفهف يُحسُّ أنين الروح إن راشه الهدبُ
وحذّرتنا من أن تراها عيونُنا فكيف خلقت الحسن والحب يا ربُّ
وروّعتنا باللائمين فأسرفوا بلومهم حتى تفاقمتْ الحربُ
يذودون إن شاموا محباً رنا إلى حبيبةِ نفس حار فى برئها الطبُّ
فيا ربّ ما ذنب المحبين إن رنوْا لمن زانه الخلاق أو هتف الصبُّ؟
أنحيا ظماءً والمناهلُ عذبةٌ ونحرم مما قد أباح لنا الحُبُّ
حديثاً شهياً لا يُعاب وبسمةً تضىء دجى قلبٍ ألمَّ به الخطبُ؟

***

لنا أملٌ فى الصفح عندك فى غدٍ اذا نصب الميزان واحتدم الرعبُ
وليس لنا فى اللائمين اذا لَحَوْا رجاءٌ فكم تبنا وليس لنا ذنبُ
رمونا بأنّا خائنون وصدّقوا رواية مَفْتُونٍ رأى الوُدَّ لايخبو
فآلمهمْ فاندكّ صرحٌ ودادنا وكان حصيناً لا تطاوله الشهبُ
ولكننى مازلتُ للحبِّ راعياً أروّيه من قلبى اذا ناله الجدبُ
وما ذُمَّ مَن يبقى على الود وافياً إذا نفر المحبوبُ أو هجر الصحبُ

***

خبرنا ضروبَ الحسن حتى تكشّفت لنا حجبٌ قد حال من دونها الريبُ
فآمن منا صادقاً من بدا له بديعُ نظام الكون وانخذل الخبُّ
وما شعراء الحب إلا ملائكٌ رأوْا بعيون الحق ما ستر الغيبُ
فباتوا سُكارى بين رانٍ وساجدٍ وكلهمُ يشدو بما أبدَع الربُّ
وروّوْا بما جادوا نفوساً صديةً إلى الحق كم تاقت وليس لها شربُ

(طيف الحبيبة يقبل على الشاعر ويصافحه قائلاً) :

كأنك ما خفرت العهدَ أو فرطتَ في الحبِّ !
فذاك الرّوحُ يا أصفَى العبادِ وأشرفَ الصحبِ !

(الشاعر للطيف) :

سيعلم مَن أراق دماءَ ودّى | اذا عجمَ الحياةَ ورامَ صحبا
بأنى كنتُ خيرَ من اصطفاه | وانى كنتُ أسمى الناس حُبّا
سيعلم فى الغداة إذا تراءى | له غدرُ الصحاب مَن الوفىّ
ويأسف للوفاء خبا ودالت | مَعالمُهُ وقد عزّ الصفىّ
سأجعل ما حييت دمى فداءً | لهم وأفى بأثمن ما أدينُ
وفيت لهم فكيف أحيدُ عنهم | وهل أهبُ العهودَ ولا أصونُ
رُبيت على الوفاء وذاك طبعى | وما من شيمتى غدرُ الخليلِ
ولا أنا جاحدٌ نِعَماً حبتها | يدٌ غرّاءُ كالنسم العليل

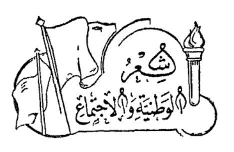
(الأطياف تلتفّ حول الشاعر وتنشد) :

يا لبابَ الوفاءَ والودادِ الفريدْ
لا عدمت الهناءْ فى جنانِ الخلودْ

(ثم ينصرف الجميع فى نشوة وغبطة) .

محمد عبد الغنى بخيت





توديع وترحيب

فناؤكَ يا وليدَ الظلم عيدُ ... ويومٌ قد مُحيتَ به سعيدُ
سنونٌ أربعٌ ثقلتْ وطالتْ ... تراقبك البلادُ متى تبيدُ
رجعتَ إلى الوراء بنا فبتنا ... يصرِّفُ أمرَنا فردٌ عنيدُ
فيا ابن المستبدِّ لقيت يوماً ... كيوم أبيك ، يابئسَ الوليدُ
أقامكَ مبغضاً من كلِّ قلب ... ليفعلَ تحت ظلكَ ما يُريدُ
عجيبٌ أن تعيشَ عذابَ شيبٍ ... تكيل له الشقاءَ ولا يَذودُ
وأعجبُ منه أن تحيا قريراً ... وغارسُ نبتكَ الذّاوى طريدُ
فيا عهداً ودستوراً تقضّى ... وأقسمَ لا يدومُ ولا يعودُ
لقد أكلتْ صنائعك الليالى ... وبدّدَ عهدَهم عهدٌ جديدُ

***

أعاد فناؤك العهدَ المُرَجّى ... فيا دستورنا عودٌ حميدُ
ويا حُرّيّةٌ انطلقى وعودى ... تحطمت السلاسلُ والقيودُ
تلقّاك البلادُ بكلِّ بشرٍ ... فأنت لأهلها الأملُ الوحيدُ
ستسعى فى ضيائك للمعالى ... وسوف تنال أبعد ما تريدُ
وتبنى صرح الاستقلال ثبتاً ... وليس سِواك بنّاءٌ مشيدُ

***

رأيتكَ كالبدور تغيب حيناً ... لتجملَ فى العيونِ إذا تعودُ

أم اخترتَ البعادَ لتبتلينا ... وتعلم كيف يُحترمُ البعيد ؟
ألا فاعلمْ بأنك عند مصر ... مكانُ الروح منها أو تزيدُ
قديمٌ كالنجوم . . وكم قديم ... تضاءل فى مقابله الجديدُ
تقلبت العهودُ عليك محواً ... وتعطيلاً وعاكمت الجدودُ
ونحن كما عهدنا أوفياءٌ ... وأنت كما عهدت لنا ودودُ

طلبه محمد عبده



شكوك

غمرتُ قلبى بطول ظنى ... فى كل ما ليس منه فكٌ
يا طيبها سلوةً لو انى ... أشكُّ فى أننى أشكُّ !

***

أشكُّ فى النور حين يبدو ... شعاعه فى الصباح هاتفْ
فما لآفاق كلِّ نفسٍ ... تغمرها حلكةُ العواطفْ ؟
وما اصطدام المنى ؟ وهلا اهتدَتْ بها النساب فى المشارفْ ؟
أم هل تُرى أننا خُدِعنا ... وهذه ضحكةُ السوادفْ
تسخر من غفلةٍ ووهنٍ ... والنور من ثغرهنّ ضحكُ ؟
يا طيبها سلوةً لو انى ... أشكُّ فى أننى أشكُّ !

***

أشكُّ فى اللحن ، كم أراهم ... يستشعرون الجمالَ منهُ

يصوغه معزفٌ شرودٌ أناملُ الفنِّ لم تزنْهُ
توثبوا نشوةً وغنوا بالسحر مما عزفتُ عنهُ
فهل بقيثارهم جمالٌ لكنَّ أُذني لم تستبِنْهُ ؟
أم ذلك المعزفُ المغنِّى نابٍ ، وما قيلَ عنه إفكُ ؟
يا طيبها سلوةً لو انى أشكُّ فى أننى أشكُّ

***

أشكُّ فى الحبِّ يا حبيبى هل يعرف الحبَّ غيرُ آدمْ
ولو تراءتْ حوّاءُ أُخرى له لألقى بما تقادَمْ
طبيعةٌ حكمها علينا فى كل جيلٍ وكل عالمْ
أن تفتح القلبَ للأمانى وكم ظفرنا بها ويا كمْ
عدنا الى ساحة التمنى نشغل فى نارها فتذكو
يا طيبها سلوة لو انى أشكُّ فى أننى أشكُّ !

***

أشك فيمنْ لو قلتُ عنه بلا احتيال ، لَقيلَ كافرْ
فهل أنا ذو الغباء وحدى والناس تهديهمُ البصائرْ ؟
أم العمى مَرَّ لم يَعدُنى وعادهم يسرق النواظرْ
فأشعلوا النارَ فوق رأسى ؟ يا حيرةَ الأنفس الشواعرْ
يدكُّها جهلُهُم ويثنى ما ليس يُثنَى ولا يُدَكُّ !
يا طيبها سلوةً لو انى أشكُّ فى أننى أشكُّ !

صالح جودت

آنيى

يمرُّ زمانى والاويقات تنقضى ولم أدرِ ما شأنى وما شأن أزمانى
ولم أدرِ ما كنهى فهل أنا فكرة تحسّ بفكرى إذ تجلّت كانسانى

يمرُّ خيالى مثلما مرَّ غيرُهُ ... ويطوى سجلى مثله طىَّ نسيانِ
وما أنا ما أبدو وإن كنتُ بادياً ... مثالَ الذى أبدو عليه لأعيانى
فأشعر فى آنى شعوراً وحسبه ... شعورا بآنٍ غيره كان فى آنِ
فها أنا « أيوب » بآنٍ وحالةٍ ... وفى حالةٍ أخرى وانيةٍ ثانى
فما هذه الأشياء للعين تنجلى ... فتبهرها إلا خيالاتُ وسنانِ
فلو لم يكن عقلٌ لما كان غيره ... وهل يوجد المبنىُّ إن لم يكن بانى
فما كان لولاه لحسٌّ وجودَها ... كما لم تفز دون الضياء بألوانِ
فما خارج الأذهان شىءٌ وإن بدا ... ككل الذى يبدو فتصويرُ أذهانِ
وليس وجود الناس غير تناقضٍ ... فلو لم يكن ضدٌّ لما كان ضدانِ
فلم تدرِ معنى الليل لو لم يكن ضحى ... ولا أولٌ تدريه لو لم يكن ثانى
فدعنى وآرائى وشأنى وغايتى ... فانى فى شأنٍ وانك فى شانِ
أشكُّ فلا الايمان يغلب حيرتى ... وآمنُ لا التشكيك يغلب إيمانى
يقينى وايمانى وشكى وحيرتى ... سواءٌ ، ولا قاصٍ لدىَّ ولادانى !

بغداد : أيوب القيسى





رثاء شيخ العروبة



فقيد الأدب والعروبة أحمد زكى باشا

(١)

دال السكونُ مِن الحراكِ الدائمِ ... وأقرَّ بعدَ السهدِ عينَ النائمِ

دنيا يعودُ العقلُ فى تصريفها ... حيرانَ بين غريمها والغانمِ

حتى ليسألَ : مَنْ أضلُّهما ، إذا ... ما قاسَ بين حليمها والحالمِ

إنْ تأْسَ مصرُ ، فما أساها أنها ... مفجوعة فى لوذعىٍّ عالمِ

أو كاتبٍ كالنيلِ فى فيضانهِ ... أو خاطبٍ كالزاخرِ المتلاطمِ

أو جِهبذٍ متثبتٍ مستعصمٍ ... بالحقّ لا يلوى بلومةِ لائمِ
أو ذائدٍ عن مجدِ أمتهِ ، اذا ... عزّ النصيرُ ، وصالَ كلُّ مُخاصمِ
أو باحثٍ عما طوتْ أسفارُها ... طيّ الجواهر فى بُطونِ مناجمِ
تبكى أولئك كلُّهم فى راحلٍ ... راعَ القلوبَ بأىّ خطبٍ داهمِ
فتعدّدت أرزاؤها ، وتفاقمتْ ... فى رُزئهِ المتعدّدِ المتفاقمِ

* * *

شيخَ العروبة ، أين صائنُ ارثها ... ومُعيدُ نضرة عهدِها المتقادمِ ؟
بل ، أينَ فى الفسطاط موئلُ أهلها ... مِن بارحٍ يُخلى المزارَ لقادمٍ ؟
يَفِدُ الغريبُ اليـه ، وهو كأنه ... يَمشى من الأشواق بين مَعالمِ
فالدّارُ ، مِنْ لطفِ الضيافةِ ، داره ... ووليُّها المخدومُ شبهُ الخادمِ
دارٌ أجدّ بها النّدَى لنزيلها ... أشهى الطرائف من قِرى ومكارمِ
تتنافسُ الزيناتُ ترحيباً به ... ويُكاثرُ الايناسُ جودَ الطاعمِ
فبعينهِ ، وبسمعهِ ، ولقلبهِ ، ... ولجسمهِ فيها فنونُ ولائمِ
فدحَ المصابُ وقد ألمَّ بقسورٍ ... وردٍ ، ذكيّ الطرف ، أروعَ ، باسمِ
سُقِيَتْ نضارةُ وجههِ صفوَ الندى ... مِنْ شَيبهِ ، بعدَ الشبابِ الفاحمِ
بأصمّ ، الا إنْ تُحدِّثه العُلى ... بحديثِ غاياتٍ سَمَتْ وعظائمِ
أو أنْ يُباحَ له بحاجةِ آملٍ ... أو أن تُسرّ اليـه شكوى كاتمِ
بمحبَّبٍ فى قلبِ كلِ مُوادعٍ ... ومبغَّضٍ فى وجـهِ كلّ مصادمِ
جلدٌ على الآفاتِ ، لم يحرق على ... سُؤلٍ ـ اذا ما فات ـ سنّ النادمِ
وعلى التباينِ فى العواقبِ ينثنى ... بجديدِ فخرٍ ، أو بعرضٍ سالمِ
حسبُ المجاهدِ سَعيهُ ، إن لم يفزْ ... شرفُ المرامِ مشرّفٌ للرائمِ
سلخَ الغوالى مِنْ سنيهِ مكافحاً ... دونَ العروبةِ ، كلّ باغٍ آثمِ
ومعاتباً أسيافَها إنْ اغمِدتْ ... والغمدُ أكّالٌ لنصلِ الصارمِ
ومعالجاً أزماتِها ما أعضلتْ ... بمضاءِ مقدامٍ ، ودربةِ حازمِ

ومقرّباً شقق الخلاف ، وواصلاً ما قطّعته يد الشقاق الفاصم
جاهد عدوّك ما استطعت جهاده أمّا أخاك ، فما استطعت ، فسالم
حقّ البلاد عليك أعلى حرمة من أن يضاع بنزوات سخائم

***

يا أمة الضاد ، التي فى حبّها بذل النفيس ، ولم يكن بمساوم
إن تكرمى بالحق ذكرى ماجد فالمجد لا يرضيه نوح حمائم
علم الأولى ماتوا ، وليت بنيهمو علموا ، بأن الموت ضربة لازم
وبأنّ عمراً يستطال على القذى إن طال ، لا يعدو تمهّل غارم
وبأنّ خاتمة المطاف قريبة لأخى الشقاء ، وللقرير الناعم

***

يا بانياً لله أروع مسجد نظم البدائع فيه أبرع ناظم
نهض البناء الى السماء ، وقوّضت رب البناء يد الزمان الهادم
هى حكمة لله بالغة ، وإن خفيت ، وذلك حكم أعدل حاكم
العبد يعطى من حطام بائد والله يجزى بالنعيم الدائم

خليل مطران

(٢)

لا الرّيث من شأنه ولا التّؤدة رام من الحتف آخذ عدده
لو انطوى المرء فى كنانته يطمع ، إلا يصيبه وجده
ولو تغطى منه بصارمه ألفى غراريه عينه ويده
النافذ النّدب من فرائسه اذا تصدى ، والواهن القمده
جار مع الروح فى منافذها ما ردّه حارس ولا طرده
وراكض فى مناه يصرفه عن أمره ناقض لما عقده

يُبصرُهُ المرءُ في سلامتهِ وفي دواء الطبيب إنْ رصَدَهْ
بينا الفتى والحياةُ ناضرةٌ يمرحُ في الزارعين ، إذْ حصدَهْ
سيَّان داعي الصَّبي ، يُراحُ له والشيخُ لقمانُ إذ دعا لَبدَهْ

* * *

ها إنَّ شيخ العروبة ، انتمرتْ به المنايا فقوَّضتْ عُمُدَهْ
تمادتْ الكُتْبُ بعدَ مَصْرعِهِ واحترب الكاتبون والنَّقَدَهْ
مِيرْثُ التواريخ أين أودعَهُ مَنْ خاط أكفانهُ ومَنْ لحَدَهْ؟!
يَكشفُ عنه القرونَ حافلةً في مستقرِّ الزمان مُحتشدَهْ
إنْ غاب مِنْ حادثٍ مضى خبرٌ حدَّثَ عنه كأنما شهِدَهْ
وعَى التواريخَ منذ مولدها كأنما كان للزَّمان لِدَهْ
كلُّ سؤالٍ تعيا الثِّقاتُ بهِ جوابه حاضرٌ لمن قصدَهْ
وهو إذا جال لم تجد أحداً مِنْ حلبة القوم يبتغى أمدَهْ
يستنُّ ما شاءَ فوق منبرهِ في سُبُلٍ للبيان مُطَّردهْ
كالعارض استنَّ في مَسايلهِ لا مُمسكاً ماءَهُ ولا بَردهْ
برَّح بالضَّاد أنَّ مُنصفها أنحَى عليه الحِمامُ فاضطهدهْ
أهابَ بالبين ، ما تهيَّبه ولا اتَّقى شؤمه ولانكدهْ
ثم اغتدى تزخرُ النفوسُ أسًى لزاخرٍ غيَّب الردى زبدهْ
لعلَّها منه نيةٌ عرضتْ لنازحٍ من شُعُوره اعتمدهْ
ينشد مجداً نأت مَطارحُهُ وربَّ مجدٍ لقومهِ نشدَهْ
بَدَّده الدهرُ فهو منطلقٌ يجمع من كل جانبٍ بدَدهْ
اذا انثنى والكتابُ في يده قلتَ أخو عيلةٍ أصاب جدَهْ
وواجدُ العلم بعدَ ضيعتهِ كواجدِ الكنز بعد ما فقدَهْ
يأخذ مِن نفسه لأمته ويطلب الحقَّ عند مَن جحدهْ
ومَن رعى نفسَه وحاجتَه فما رعى قومَه ولا بلدهْ
آمن بالله ، فاشترى وطناً لولاه ـ جلَّت صفاتُه ـ عبدَهْ

مَنْ آثرَ الحقَّ لم يَصُنْ دمَه … ولم يَفِرْ مالَه ولا ولدَهْ
لا يحفلُ النـاس أيةً ذهبوا … سيّان مَن ذمَّهُ ومَن حمدهْ
النـاسُ شتى ولستَ تنصفهم … اذا جعلتَ الاسودَ كالقردهْ
بئست حيـاةُ الرجال لا هممٌ … ناشطةٌ فى الأمور منجردهْ
ولا نفوسٌ أبيّـةٌ أُنُفٌ … مشبوبةٌ للحفاظ متّقدهْ
العلمُ أفضى بنـا الى زمنٍ … للبغى فيـه أئمـةٌ مرَدَهْ
أضعفُ أهليه عنـدهم سـنداً … مَن يجعل الحقَّ وحدهُ سندهْ
لا يحسبون الضعيفَ منقصـة … إنْ جدَّ جدُّ القوىِّ فازدردهْ
ربَّ صريع والحق فى دمهِ … يطفىءُ فيه الغليلُ مَن وردهْ
أضفـاه كالدرع ما بها خللٌ … فما وقى رُوحَـهُ ولا جسدَهْ

« • »

يا وادعاً والهمومُ ثائرةٌ … مِن حولهِ ، والقلوبُ مرتعـدهْ
ملأتَ أمس البيان منقبةً … فاملأْ إذنْ يومـه أمسِ وغـدهْ
علمٌ ، وتقوى ، وهمةٌ سرَفٌ … تُزجى الاعاجيبَ غـير مقتصدهْ
أحلكَ الله بين جيرتهِ … بحيث يَجزى التقىَّ ما وعدَهْ

أحمد محرَّم

طال احتجابك !

يا أيها القمرُ السخىُّ بنورهِ … فيمَ احتجابك عن وحيدٍ سارى ؟
فى ظلِّ نوركَ حـين تبدو باسماً … أربُ النفوس ومتعةُ الأنظارِ
كم فى الدجى مذ غبتَ من متأملٍ … بين النجوم يَنـوءُ بالأكدارِ
أمهدّىءَ الأفكار إنْ جدَّ السُّرَى … هلاَّ رحمتَ مبلبلَ الأفـكارِ ؟

يا مُشرقَ القسماتِ طبعُكَ رحمةٌ فإلامَ تتركني لوقتٍ مرارِ ؟
أنتَ الوفيُّ فكيف ترضى للذي غادرتَ ليلَ تخبُّطٍ وعثارِ
يا باعثَ الأنوار تنتظمُ الرُّبى والوُهدِ ، طال الشوقُ للأنوارِ
قلْ لى بحقك : هل تحسُّ بغبطةٍ فى النأيِ أو تشقى من الأقدارِ ؟
أمضيتَ كيما تستريح مِن السُّرى أم أنت طوعُ تصرُّفِ المقدارِ ؟
أفصحْ فهلْ عزاءَ نفسى أنها تجِدُ الذى تهوى مِن الأخبارِ
أترى تبوح بها لديك فأشتفى أم لا تزال تضنُّ بالاسرارِ ؟

محمود البشبيشى
(المدرس بدار العلوم)

الصباح الجديد

(مهداة الى روح أبي القاسم الشابي
فى مقرّها الوادع الأمين)

أيها المُتعَبُ الذى حطَّم النَّايَ واستراحْ
هذه غايةُ المُنى هذه غايةُ المِراحْ
لوعةٌ بعدَ لوعةٍ فرحةٌ ثمَّ لا تتاحْ
نغمةٌ فى صميمها آهةُ الحزن والجراحْ
عالمٌ فى مُحيطهِ راحةُ اليأس والكفاحْ
مُبهَمٌ كلُّهُ رؤًى تخلط الجِدَّ بالمزاحْ
جُزْتَهُ اليومَ عابراً ظُلَمَ الهازلِ الوَقاحْ
كم تمنَّيْتَ لو بدتْ ظلمةُ الليل عن صباحْ
فا كشفْ السِّترَ هاتئاً عن أعاجيبهِ الصُّباحْ

* * *

أيها الشاعرُ الذى ضاق بالمشرعِ المُتاحْ

أرهقَ الجسمَ ثائرٌ ... بين جنبيهِ لا يُراحْ
راغبٌ في انطلاقةٍ ... بالأمانيِّ وانفساحْ
لم يَسعْ صدرُهُ المُنى ... لم تجدْ فيه من براحْ
حطَّمَتْهُ بعنفها ... وهي مشبوبةُ الطِّماحْ
وتوالَتْ بروحهِ ... في ميادينها الفساحْ
مِلْتَ عن عالمِ القيو ... د الى عالمِ السَّراحْ
فانكشفْ السترَ هاتفاً ... لاحَ للمُدْلجِ الصَّباحْ

* * *

في طريقٍ من الأسى ... وظلالٍ من النُّواحْ
فوق أشلاءِ بعثرتْ ... من أمانيِّكَ الرِّزاحْ
وصخورٍ كأنما ... تُنبتُ الشوْكَ كالرماحْ
سِرْتَ تشكو وتشتكي ... ألمَ الجهدِ والكفاحْ
ألمَ اليأس في المُنى ... ألمَ الوخزِ والجراحْ
عشتَ تشدو لعالمٍ ... قد تلهَّى بكأسِ راحْ
الأعاصيرُ لهْوُهُ ... وأغاريدهُ الرِّياحْ
كيف يصغي لشاعرٍ ... وهو غرقانُ في نُباحْ !!

* * *

أيها المتعَبُ الذي ... حطَّم النَّايَ واستراحْ
نَمْ قريراً فقد سَرى ... لحنُكَ العذْبُ في البطاحْ
فَجرُكَ الحلوُ لم يضعْ ... بين أيامكَ الشِّحاحْ
فهو ما زال سابحاً ... هاتفاً خافقَ الجناحْ
إنْ يكن غامرَ الدُّجى ... فلقد شارفَ الصَّباحْ

حسن كامل الصيرفي

بين عالمين

(إلى روح أبي القاسم الشابي)

مِن وراء الغمام ، فى الأفقِ الذا   هلِ من حُلـكةِ القضاء المغيَّبْ
طالعَتْنى فى رهبـة وجـلالِ   لمحةٌ مِن خلاله تتوثَّبْ
عبرَتْ بى كالحلم فى ليلة اليأ   سِ فأودتْ بكل داجٍ وغيهبْ
جاذَبتْها السماء والأرض حتى   لتراها حيرانةً تتذبذبْ
كلما لاح فاتنٌ يسكن الأر   ضَ تغنى به حجاها وشبَّبْ
هى كالعابدِ الذى هجرَ الأر   ضَ وولَّى فى عزلةٍ يترهَّبْ
ما لها فى الحيـاةِ غـير نواحى الـ   فنِّ والسحر والأناشيد مَذْهَبْ
مِن أغانى الرعاة ، من نَغَم النّهـ   رِ ، وإشراقة الصباح المحبَّبْ
وافتتانِ الآفاقِ بالشفَقِ السا   حرِ فى روعـة الغروب المذهَّبْ
شارفَتْنى ثم انثَنَتْ عن عيونى   وهى فى القلب لم تزلْ بعدُ ترقبْ

* * *

إيه ! مَن أنتَ أيها الجسد النّو   رىُّ ؟ مِن أيَّةِ الفرادس تسكبْ ؟
كيف مَسراكَ ؟ أنت تشرق فى الرّو   حِ وفى موطن النواظر تغربْ ؟
كيف يخبو ضياكَ من ساحة الكو   نِ ؟ فداكَ الضياءُ من كل كوكبْ !
أيّها الشاعرُ الذى بعث النشـ   وةَ فى عالمٍ جريحٍ مُعذَّبْ
كلما رجّعوا نشيدك عادوا   مُهجاتٍ بلحنهِ تتطرَّبْ
أيهـا الساحر الذى هدهدَ الأر   ضَ سناه هنيهةً وتغيَّبْ
الهنيهـاتُ لا يَقسْنَ خـلوداً   فهو كالله عمرُهُ ليس يُحسبْ !

* * *

يا أبا القاسم انتهيتَ الى الاخـ   رَى فحدِّثْ بما رأيتَ وأسهِبْ

هاتِ لحناً يَهدُّ مِن ريبة المو ت ! أجز لى الى الحقيقة مَذْهَبْ !
هل رأيتَ الالـه والغيبَ والخُلْـ ـدَ وما ضلَّ فيـه رأيى وكذَّبْ ؟
من أغانى الحيـاة يا شاعر الفر دَوْس ان الغدير يجرى لينضبْ
مِن أغانى الحيـاة يا شاعر الفر دَوْس ان النجوم تبـدو لتغربْ
مِن أغانى الحيـاة يا شاعر الفر دَوس ان الحيـاة تأتى لتذهبْ
فأغانى الحياة أمرٌ عجيبٌ وأغانى المهات لا شكَّ أعجبْ
انّ أنأى طموح فلسفةِ الأر ضِ لأغنيةُ الالـهِ المحجَّبْ

***

ليتنى كنتُ من صُفاتك فى الرِّحْـ ـلة ترنو الى الدُّنى وهى تلعبْ
فاذا ما قطعتَ مَرْحـلة الأرْ ضِ وشارفتَ كوكباً بعد كوكبْ
وانتهى السيرُ والسُّرى لمقرٍّ سرمدىٍّ مِن الالـهِ مقرَّبْ
رُحتَ تشدو، ومعزف الشعر فى يُمْـ ـناك يقفوكَ فى رجيعٍ مرتَّبْ
وعلى جانبيك مِن ملك الجنـ ـة مُصغٍ وُجدانُهُ يتوثبْ
وحواليك من مفاتن هوميـ ـرَ ودانتى وزمرة الفنّ موكبْ
يا لخمرٍ سكينـةُ يشملُ الخمـ ـرَ ويهفو على الالـهِ فيطربْ
ليلةٌ عند عالمٍ عبقرىٍّ وقفَ اللهُ رأدها يتعجبْ !

صالح جودت

أب يبكى ابنه

ويناجى روحه

مصابٌ له الصمُّ الصِّلادُ تصدَّعُ لو انَّ لهـا قلبا يحسُّ فتجزعُ
رُمينا به فى يوم نحسٍ ولم نكن ليـومٍ عبوسٍ مثـله نتوقـعُ
فقد كانت الأيام تبسم عن مُـنًى تلألأُ فى جـوٍّ الحيـاة وتلمعُ

ولم نك ندرى أن فى الغيب فاجعاً ... أليماً وأن الدهر قد كان يخدعُ

الى أن بَدا جيشُ البلية زاحفاً ... طليعتُه داءٌ عضالٌ مروِّعُ

فسدَّد ذاك الداءُ سهماً رمى به ... خيارَ بنينا ناشئاً يترعرعُ

فيـا لك من داءٍ سلبتَ فؤادنا ... وهل بعد فقد القلب عيشك ينفعُ؟!

فيـا رحمـة الله انزلى فتـداركى ... أباً قلبه المكلوم حرّانُ موجعُ

واماً لنيران الأسى فى فؤادها ... لهيب له العينان تدمَى وتدمعُ

وأنى لماء العين أن يطفىء الأسى ... تذكيـه ذكرى غائبٍ ليس يرجعُ

فيا راحلاً عنا فدتك نفوسنا ... وأموالنـا لو كان ذلك ينفعُ

فلا خير فى هذا الوجود وقد غدا ... ظلاماً وكان النور فى الكون يسطعُ

بُنىَّ ! قد اسودَّت حياتى بعد ما ... فقدتك. هل لى فى رجوعك مطمعُ

أدور بعينى فى لداتك علّنى ... أرى شخصك المحبوب فى النشء يرتعُ

فـيرتدُّ طرفى خائبـاً ثم أنثنى ... على كبدٍ مقروحـة أتوجَّعُ

ونار الأسى ترعى فؤادىَ كلما ... ذكرتك والأحشاء منى تقطَّعُ

وذكراك يا روح الحياة وأنسها ... مثيرة حزنٍ قاتل ليس يُقلعُ

وانىَ يا ريحانَ صـدرىَ كلما ... ذكرتك لا تنفكُّ عينى تدمعُ

***

بُنىَّ ! تكلَّمْ ! ناجنى ! أنا منصتٌ ... فانك فى قلبى أراك وأسمـعُ

أذقنىَ عذباً من حديثك علّنى ... أُروِّى به روحاً اليـك تطلّعُ

هلمَّ الى صدرى أضمك ضمةً ... لتخبوَ نيرانٌ حوتهنَّ أضلعُ

هنا لك يا سِرَّ الحياة أُحِسُّ لى ... حياةَ وفى نعمائها أتمتعُ

وتصفو لىَ الدنيـا واظفر بالمنى ... وإلاَّ فانى راحلٌ ومودِّعُ

أناجيك : أشرفْ من سمائك علّنى ... أرى وجهك المحبوب فى الأفق يطلعُ

أقلِّب وجهى فى السما متنظراً ... لعـلَّ ستوراً عن محيـاك تُرفَعُ

كأنى بمـا أرجو فهاتيـك هالة ... من النورِ فيها نورُ وجهك يسطعُ

تحفُّ بك الأملاكُ من كل جانبٍ   ورائحة المسك الذكيّ تضوّعُ

يسير بك الجمعُ الالهيُّ صاعداً   الى جنةٍ فيها لمثلك مرتعُ

الى روضةِ الولدان والحور والألى   تجلّوا بتقوى ربهم فتمتعوا

الى ساحة الرحمن ربك حيث لا   ذنوبٌ ولا لغوٌ من القول يسمعُ

الى جنةِ المأوى التى لا يمسُّها   فناءٌ ولا داءٌ هنا لك يصرعُ

***

بُنيَّ أرانى سامعاً صوتك الذى   عهدتُ ، فهل فى الحق أنى أسمعُ ؟

نعم يا أبى لا تحسبنّيَ فانياً   فانّ حيـاة الروح أبقى وأرفعُ

من الأفق الأعلى اطلُّ عليكمُ   وبعضُ ستور الغيب عنى تُرفعُ

فأسمع نجواكم وافضى اليكم   ولكن عزيز أن نجواى تُسمعُ

فأجسادكم قيدٌ لسمعكم الذى   مداه لسلطان الطبيعة يخضعُ

وقد تسمع النجوى نفوسٌ تجرّدت   من العالم الأدنى فلا ستر يمنعُ

وها أنت ذا تبدو لى الآن صاعداً   الى مَسْبح الأرواح حيث تجمّعُ

فأنت معى فى عالم الروح فاستمع   الى ما سألقى اننى لك مُسمعُ

أبى ! أوصِ أمّى بالتجلّد والرضا   فانى أراها دائماً تتوجّعُ

وأنتم بنار الحزن ذابت قلوبكم   فأدمعكم من مهجة القلب تهمعُ

أبى ! رفّهوا عنكم فقد كان ما قضى   إلهٌ حكيمٌ حكمُه ليس يُدفَعُ

وما هذه الدنيا بدار اقامةٍ   وكل امرئٍ يوماً الى الله يرجعُ

***

بُنيَّ وددتُ الصبر لكن عزيمتى   أراها من الخطب الأجلّ تضعضعُ

بنيّ لقد صارت حياتيَ كلها   مَشاهدَ تذكى نار قلبي فتوجعُ

أراك بعين القلب فى كل مشهدٍ   شهدت معى إذ كان بدرك يطلعُ

فذكرى تلى ذكرى وحزن مجدَّدٌ   وحرقةُ أحشاء ، وقلبٌ مروَّعُ

***

وقالوا لىَ الصبرَ الجميلَ فهل ترى يردّ قضاء الله انّك تجزعُ
وهلاّ ثواب الصابرين ادّخرته ليوم حسابٍ حيث لا مال ينفعُ ؟
فقلتُ لهم والرشدُ عنىَ عازبٌ وموطن وعْى النصح منى مضيَّعُ
أرونى مكان الصبر كيف يكون لى سُلُوٌّ ومنى مهجة القلب تنزعُ
يقولون إن الدمع يعقب راحةً ولكننى أبكى وقلبى مصدَّعُ
فان كان فى الدنيا دواءٌ يريحنى ويطفىء ناراً فى فؤادى تلذعُ
فليس سوى ورد المنية ، انه يبرِّد احشائى وحزنى ينزعُ
فذاك دوائى قرَّب الله يومه فليس سواه للأحبة يجمعُ
هنالك ألقى قرة العين (أحمداً) يقربنى من ربه ثم يشفعُ
كذلك ألقى (أنوراً) و (محمداً) يحوطها نورٌ مِن الله يسطعُ
كذاك بناتى السابقات يطفن بى ويدعون بالغفران ربى فيسمعُ
هنالك نحيا خالدين يُظلّنا نعيمٌ ورضوانٌ من الله أوسعُ
فيا ربّ ألحقنا بهم ، وتولّنا بعفوك ، إنا فى رضاك لنطمعُ

احمد التونى
(المدرس بدار العلوم العليا)



صمت الحكيم

قالوا : سَكتَّ وكنتَ أكبرَ شاعرٍ جمٍّ البلاغةِ رائعَ التبيانِ
فأجبتُهم : شالَ الهديلُ عن الرُّبى نزلتْ بهنَّ نواعقُ الغربانِ
مِنْ كلِّ أبلهَ رام صيتاً ظنّه فى حرفةِ النظّامِ والوزّانِ

يتناطحون على القريض كأنهم فى أرض (أندلس) من الثيران!

* * *

أكبرتُ قدرى والهوانُ له مدًى عن نيل جائزةٍ وكسب رهان

وزجرتُ نفسى عن جوائز لم تكنْ بأجلَّ مما فرَّقتْهُ بنانى

والشعرُ أحقرُ ما يكون اذا سعَى يوماً الى مُزْرٍ من الاحسان

عشرون عاما أو تزيدُ ملأتُها بالشعر حتى كلّ منهُ لسانى

ولو اننى تاجرتُ فى السِّلَع التى حقرتْ لجلَّ بسوقهنَّ مكانى

ولمن يقال الشعرُ وهو مرزَّأٌ بزعانفٍ خالينَ من أذهان؟!

صمتُ الحكيم ألذُّ من إفصاحه فى معشرٍ جُبِلوا على الهذيان

أحمد نسيم

معبد الذكرى

« ما هذه الأنفاس الحارة التى تهبّ
من بين ثنايا هذه الغابة الخالية؟ آه! انها
أنفاس الحبّ، وهاهى ذى النباتات
يعانق بعضها بعضاً كأنها تدعونا نحن
الآخرين للعناق »

كوليردج

معبدَ الذكرى أتينا طائعينْ نسكبُ الدمع على الماضى الدّفينْ

معبدَ الذكرى سلاماً كلما هاجت النّفسَ تباريحُ الحنينْ

أين أمسِى؟ هل مضى أمسِيَ فى لجّةِ الذكرى وأمواج الأنينْ؟

أم طواهُ الحزْنُ فى ظلمتهِ ورماه اليأسُ فى وادى الشجونْ؟

* * *

ذكرياتٌ بالأمس لاحت شبحاً طارقاً فى غفلة الدهر الخؤونْ !
وكأنٌ الليـل أضحى نغماً رنّ حسناً فى دياجير السكونْ
فأصاخ الكونُ للّحن الذى ردّد الافقُ صداه بعـد حينْ
وأخو الظلماء يرنو ساهيـاً يتنزّى فى ذهول النّاسكينْ

* * *

أيها المعبدُ إنى جاثمٌ فى ظلال الصمت والحبّ الطعينْ
أرهفُ السمع لخطوات الردى تابعتها فى الدّجى أسرى القرونْ
فاذا صمتك ألحانُ المُنَى واذا لحنـك أنّات الحزينْ

حسن محمد محمود

الى أمى

وقضى زمانى بالفراق تعسّفـاً ما للقضاء ؟ أدأبهُ الارغامُ ؟
وأرى الحياة بغير وجهك قفرةً فالعين تذرف والهمومُ جسامُ
وأرى الليالى موحشاتٍ جهمةً سيّان عندى الضوء والاظلامُ
يا أمّ لا تبكى الفراق ولا النوى فلسوف تجمعنى بكِ الأيامُ
أيروم قلبك ان يحطّمهُ الضنى وله أعيش ، وتعذُبُ الآلامُ ؟
يا أمّ ما دنيا حيـاتى إن خلتْ من قلبك الحانى ؟ لـذاك حرامُ
أترى حسبت الحقّ ينصف نفسه والناسُ فى دنيا الشرود نيـامُ
أترى ظننتِ مآل حظى فى يدى أبداً لعمرك ، فالحياةُ (دِرامُ) !
لا تحسبي كلَّ القـلوب بريئـةً فلـكم قلوبٌ دأبها الايلامُ
مَن لى بقاضٍ منصفٍ فى حكمه فالظلمُ يرتعُ والسلامُ يضامُ
لهفى على الأم الحنون من الضنى ومن الهموم ، كأنهن ضرامُ

لهفى على الكنف الظليل مَشَتْ به ريح الخريف فعاد وهو حطامُ

* * *

سأظل أهزجُ للفنون سعيدةً حتى يُظلّلني بها الالهامُ
وأنام عن دنيا الانام فما بها إلا شقاءٌ عارمٌ وخصامُ
ما فى الحياة رغيبةٌ أهفو لها إلا وعقّتني بها الأيامُ
فلأحيَ فى الشعر الخصيب جنابه فى حيث تطرق ساحتى الأحلامُ
فأرى الوجودَ على اختلاف شخوصه ملهى – على رغم الصراع – برامُ

جميلة محمد العلايلي

القدَر المذل

سَلِمتُ للقدَرِ المذلّ سلاحى وجرتْ علىَّ مشيئةُ السفّاحِ
مستضعَفٌ يُحنى علىَّ كأننى يُنمُّ يدلّل فى حجور سماحِ
يا محنةً أكل الشقاء شبيبتى فيها ، ومزّقت الخطوبُ جَناحى
ولبستُ باليَها بعزمى مكرَهاً وشربتُ آسنَها معتّقَ راحِ
جُرحان فى كبدى لفرطِ صبابتى ولشقوتى والناسُ جدُّ شِحاحِ
ولو انهم جرحَى خطوب زمانهم مَن ذا يقيس جراحهم بجراحى ؟
لا تعتبُوا بُخلى بدمعى صابراً فيضُ الدموع بمقلة التمساحِ
انْبتُّ فى الأخلاق صدقَ مجاهرٍ وجنيتُ كذب مُسيلمٍ وسَجاحِ
أشكو إلى الأخلاق غِرّاً والغاً فى الافك رغم هداية النصّاحِ
كم ذا أقلتُ عثاره ورجمتُهُ فارتدّ يهجو نعمتى ويلاحى؟!
نبغ النبوغَ اللغوَ فى تهريجه ومن الطغام مهرّجُ الأفراحِ
تخذوهُ تسلية النّدىّ وحسبهُ هزءُ الضحوك ونكتةُ «الفضّاحِ»

من معشر أكلوا الجراية غنَّماً ... بالخبز مُؤْتدماً بماء قراح
ظفروا على الأحداث جُندَ موفّق ... للمال أو خدماً لدى مسّاح
إنْ كان هذا الفحش خفة روحه ... فمن الحماقة خفَّةُ الأرواح
ما كان ضرّك لو رعيتَ كرامتى ... ورحمتَ تبرّحى وطولَ نواحى
وأنا الذى لبس النجوم قلائداً ... وزكا غدوّى فى العلا ورواحى
وطلعتُ فى محل الخلائق واكفاً ... ومحا ظلامَ المُعتفين صَباحى
أيباح عِرْضى فى سفاهك بينما ... عرضُ الأذلّ الغِرّ غيرُ مُباح
وأشدُّ ما ألقاه يومَ رزيّتى ... أنْ أجعلَ الهجوَ الوجيعَ سلاحى
مِن قبل يوم البعث لؤمك باعث ... فى كلّ يوم حاملَ المصباح
نحنُ الملائكُ والملوك ، وحسبنا ... بالشعر تزكيةٌ ونبلَ وشاح
يا محنةَ الأدب الرفيع بمَعشَر ... جعلوا السفاهةَ آيةَ الافصاح
لا يصدع الزبدُ الجفاءُ سفينةً ... والبحرُ طوعُ رغائبِ الملاَّح!

عبد الحميد الديب

ضحك البكاء

عجباً أتبسمُ حين قلبكَ دامى؟ ... إنى عجبتُ لثغرك البسّام!
وتخالُ أنك تستزيد محبتى ... بالبشر حين ظماك تمس أوامى
ولكم وددتُ لك السرورةَ نزّهاً ... عن كل شائبةٍ وكلّ عرام
ولكم وددتُ لك السرائرَ ثرّةً ... بالصفو مترعةً ، وتلك مدامى
لكننى أبصرتُ قلبك دامياً ... بين الجوانح فى جنون ضرام!

« ٥ »

ضحكُ البكاء عرفته وخبرتُه ... وكذاك أعرفُ صادقَ الأنغام

وبخالني النائي رفيقَ مسرّةٍ — وحليفَ محسودٍ من الأحلامِ
ولو انه عرفَ الحقيقةَ لارعوى — عن ظنه وبكى بدمعٍ هامِ
ولقد ضحكتُ تعامياً عن مهجتي — أكذا الجمال عن الهوى متعامِ!!
هل بسمة يا حبُّ في ألفافها — تحلو الحياةُ خليّةَ الاسقامِ ؟
أمّا التي ألبستَ فنك حسنها — وزعمتَ أني عابدُ الأوهامِ
فهي البكاة بعينه ولو اكتست — حللَ السرور بفنك المتسامي

بروى أحمد طبانة

دوحة الوادي

أيا دوحةَ الوادي ! سلاماً معطّراً — ينوب به عني النسيمُ متى هبّا !
يضمك في لطف الحنون مخاصراً — ويلثم اجلالاً لرهبتك التربا
سلوتُ عهوداً بعد عهدك عذبةً — وما كنت يوماً سالياً عهدك العذبا
تلوحين دوني للخيال كمسرحٍ — به تعرض الأيام ريحانةً قشبا
فأشهد من ماضيَّ ساعاً كأنها — من الخلد غار الدهرُ فابتزّها سلبا
وأبصر آمالي زهوراً تفتحتْ — وقد عاث فيها الدهر ينهبها نهبا
كأنك نبعُ الذكريات لخاطري — اذا ما مضى سربٌ زجوتِ له سربا !

« • »

فلله كم ضمّت ظلالك شملنا — صغيرين لمّا ندرِ هماً ولا كربا !
حنوت علينا كالرؤوم تعطفاً — وأرضعتِنا في ظلك الطهرَ والحبّا !
وأفعمت دوحيْنا مراحاً وصبوةً — وألهمتِنا الأحلامَ والأمل الرحبا
اليك خرجنا ننشد اللهو والصّبا — فعدنا وكلٌّ ناشدٌ في الهوى قلبا !

« • »

وكم ضحوةٍ لم تصحُ الاّ بشمسها … قد انحدرت من أوجها تنتحى الغربا ؟
وقفتُ لحسنائى بروحى وناظرى … أعبُّ السنى من حسن طلعتها عبّا
ويصلَى فؤادى من عوادى لحاظها … قذائف سحرٍ سمُّها فى دمى دبّا
تدور لنا فى الحب نجوى شهية … لها طيب عرف الزهر فى نشوة الصهبا
ونشدو بلحن الحب والطير هتّفٌ … وفى الدوح عزف للصبا يملأ الشعبا
تعيد صدانا الشمُّ وهى ثوابتٌ … لها من جلال الله ما يبعث الرهبا
وعشبُ الربى يهتزُّ نشواً وفوقه … شعاع الضحى من حولنا راقص عجبا
وقمنا نؤمُّ الدور نرجف خيفةً … على أننا لم نجنِ إثماً ولا ذنبا
عهود قطعناها غراماً ونشوةً … سعيدين لا نألو مِراحا ولا لِعْبا
اذا نفرت دلاً تقدمتُ ضارعاً … وإن ذهبت عدْواً خففت لها وثبا
وتبنى خصاماً فى دلالٍ فان دنت … أبيتُ ، وإن أقدم على مأربٍ تأبى
وألمحها تحنو علىَّ بعقلةٍ … أراها برغم الصدّ تغمرنى حبّا !
قرأتُ عليها أنها بى صبّةٌ … كما أنا لم أبرح بها هائماً صبّا
مثلتُ لها فى هيكل الحب خاشعاً … وقرّبتُ قلبى عندها أبتغى القربا
وألّهتُ فيها الحسن لا عابداً لها … ولكننى فى حسنها أعبد الربّا
لك الله ذوقاً قدّس الحسن رقةً … وقلباً متى صاح الغرام به لبّى !

صالح بن على عامر العلوى

حرية الشاعر

حرّرونى كما تحرّرَ شعرى ! … فلقد ضاق بالتقيُّد صدرى
واتركونى كما أشاء قليلاً … فكفانى أنى أعيش لغيرى !

« • »

وكفانى احتراق جسمىَ بالنو … ر لكى أهدىَ الضليلَ لرشد

وكفاني انهدامُ حالى بنأى يوم أبنى مقاصرَ الخلدِ وحدى

« • »

أنا طيرٌ من جنّة النور والأشجار والنهر ذى الحصا الذّهبيّ
انا لحنٌ من الهوى والأماني بدّدته أوتارُ عودٍ خفيّ!

« • »

كيف يلقى باللحن فى ظلمة الحبس وانّى تشجى القلوب الحزينهْ
ظلمةُ الحبس ظلمةُ البحر والسّجا نُ حوتٌ ، ولست إلا سفينهْ

« • »

فاتركونى أجُزْ الى المرفاء الغا مضِ فى فجرِ جنّةِ الظلماتِ
أنزل العابرين فيه مع الصبحِ وأشجيهمُ بلحن الحياةِ

« • »

أصعدُ الناس فوق سلّم أفرا حٍ ، وأبقى بلجةِ الأحزانِ
تكنفُ الرعشةُ المميتةُ قلبى يوم عَوْدى لبحرىَ الروحانى

« • »

فاذا كان ذاك حالى فخلو نى أعشْ فى الحياة كيف أشاءْ
أنا حرٌّ، والموت حرٌّ، ويبقى الشعرُ تُهدى بنوره الأحياءْ

عامر محمد بحيرى

حزين

نفحةَ الدهر الى الهمّ أنا والمعنّى فى غيابات الشجونْ
والطريدُ العمر عن ساحِ المُنى والوجيعُ الرزء ، والجم الفتونْ
بين جنبيَّ بيوتٌ للضنى بين جنبيَّ مآسٍ لا تهونْ
تحت أضلاعى دُنًى ، لا كالدُّنَى من غيوب الهمّ فى ريب المنونْ
داجياتٌ ، موحشاتٌ مِن سنا

خافقاتٌ ، صارخٌ فيها العنا !
ليت شعرى ما الصفاءُ ، ما الهنا ؟!
ثم ما سِرُّ الألى سُرّوا هنا
علّنى أحيا ، ولكن فى فنا !

طائفَ الآلام ، ماذا أرجعَكْ ؟ أوَما ودّعتَ مَن قد ودّعكْ
أنت تبكى ؟ لِمَ ؟ كفكف أدمعكْ أعلىَّ ؟ رُبَّ دمعٍ أمتعكْ !
كم بكينا ثم لم نفلح معكْ !

مَلّنى من بعد ما جدَّ – الشجنْ حينما أنهيتُ فى كتمى شكاتى
فدعا فيمن دعا سُحمَ المحنْ ترتقى صبرى ، وترمى جنباتى
فاذا بى لستُ فى هذا الزمنْ لا ، ولا فى صرف موتٍ أو حياةِ
أتراني لم أزل أنا إذنْ أم تراني قد غزتنى غمراتى !

نِضو بؤسٍ عاده الذكرُ فانْ
قلب الدهرُ له ظهر المجنْ
ثار بالهمِّ وبالهمِّ سكنْ
فتنةُ الدهر إذا الدهرُ فتنْ

أوَ لم يبق هنا شىءٌ حسنْ ؟!
يا بلاءَ المبتلى ما أوجعكْ ! مَن على نسيى بذكرى أسمعكْ ؟!
خذْ بصدرى حيث ترضى مضجعكْ تهْ علىَّ ، لا تخف أن أفزعكْ
روّع الدهرُ صفاءً روّعكْ !

ولقد أسرِىَ بىَ ليلاً إلى عالمٍ من عاديات الجازعينْ
سيق بى فى موكب يقفو البلا حيث يلقى البؤسُ حشدَ النازلينْ
ثم بوركتُ ، وتُوِّجْتُ على أمم الشجو ، ومصر البائسينْ
عدتُ من فورى نبيّاً مرسلا رغم أنفى ، وكتابى : «لاتَ حين» !
تلك آيانى من البلوى عُلا !

أتحدّى من دنا ومن عَلا !
كلُّ أهل البؤس جُندى فى الملا
بايعونى ، إنهـم قالوا : « بلَى » !
رُبَّ عرشٍ مِن حُلَى الملك خلا

إيهِ يا قلبي ، تَخيَّرْ مصرعكْ حيلةٌ مَّا بعد ذا لن تنفعكْ !
إن تهنْ للدهر يوماً صدَّعكْ إن تصب فالجمهُ ، لا أن يفجعكْ !
حاربْ البؤسى تؤيد منزعكْ !

محمد زكى ابراهيم



الرجوع

خرجتُ مِن الديار أجرُّ سُقمى وعُدْتُ الى الديارِ أجرّ ساقى
أتدفعنى وقد هاضت جَناحى وتجذبنى وقد شدّتْ وثاقى ؟

ابراهيم ناجى

على السجية

هل آملٌ يُقضَى له نُجحُ أم ذاك ليلٌ ما له صُبحُ ؟
أطلب عند الله نيلَ المُنَى والله يُرجَى عنده الفتحُ

لا مثل ما يعطي الورى مِنَّةً ... يُعطى ولكن منحُه المنحُ
وليس همِّى مَنصبٌ مَطمعٌ ... أو غيضةٌ قام بها صَرْحُ
لكنها حسناء بَهنانةٌ ... وسنانةٌ وجدى بها بَرْحُ (١)
أعطافها من ثِقل أردافها ... تشكو فما بينهما صُلحُ
ممشوقةٌ هيفاء ممكورةٌ ... لقاؤها لم يُزرِ بها كدْحُ (٢)
ماجت كموج الماء أطرافها ... نضارةً واهتضم الكشحُ
وغلّقتْ أجفانَها فترةٌ ... من سكرة الحسن فما تصحو
بَلهاء ما غضّنَ من وجهها ... عُجْبٌ ولا خامرها بَجحُ (٣)
لو عَرضتْ والخلد في معرضٍ ... لناسكٍ قال هي الربح
عاشقُها حِرْباءُ شمسٍ له ... وجْهتَها من لوعةٍ شَبْحُ
شمسٌ على رمحٍ ولكنها ... تفعلُ ما لا يفعل الرمحُ
تبرُقُ كالسيف وفي طرفها ... قد كمنَ الإثخانُ والذبحُ
طلعتها برءٌ ، وألفاظُها ... طِبٌّ ولكن صدُّها جرْحُ
يَظلُّ مَسحورٌ بألحاظها ... في غمرةِ الحبِّ له سَبحُ
كأنَّ قُرطيها إذا أشرفتْ ... نجما سَماءٍ لهما لمحُ
زادت سناً إذ حَجَّبوا حُسنَها ... والبدرُ لا يحجبهُ الجِنحُ
والروضة الغنّاءُ إن حُجِّبتْ ... أزهارُها نمَّ بها النَّفحُ
كأنَّ فاها عند تقبيلها ... صهباء بالمسكِ لها جَدْحُ (٤)
كأنها ماءٌ على زُنبقٍ ... للبرقِ في حافَاتها قَدْحُ
هبَّت به ريحٌ فريحٌ ففي ... جِمامهِ من عَرْفها نَشحُ
وانسلَّ ما بين الحصى فانجلى ... عنه القَذى واستُخلِصَ المحُّ (٥)

---

(١) البهنانة : اللينة في عملها وكلامها أو البسّامة الخفيفة الروح .
(٢) الممكورة: المفعمة التامة الخلق .(٣) البجح :الدعوى والفخر . (٤) الجدح المزج . (٥) المحُّ : خالص كل شيء ،وهو أيضاً صفار البيض .

حتى جَرى يشفى غليلَ الصدى ... مِن بَرْدِهِ التنضاحُ والرشحُ

أَشربُ ماءَ الحسن مِن وجهها ... بالعين والقلبُ به نفحُ

وأنضِحُ القلبَ بترشافها ... فَيستثيرُ الوقدةَ النضحُ

كأن فى صدرى خضماً من الأ ... شواق لا يُنضبه النزحُ

وإذ تلافينا على رقبةٍ ... أقبل صفحٌ ونأى صفحُ

قالت : أما تخشى العيون التى ... لها الينا أبداً لمـــحٌ ؟

قلتُ : متى لبّيتُ داعى الهوى ... سيّان عندى المدحُ والقدحُ

انى امرؤٌ لا أتقى شانئاً ... يسعى ولا يختلنى المدحُ

إن كان مَنْ يعشق مَنْ يدّعى ... حباً فانى عاشقٌ قُحٌّ

قد طحنَ الحبُّ عظامى فما ... يبرحنى ما طُحِن القمحُ

أرسَخُ منطوحٍ ولكننى ... من شيمتى الايمان لا النطحُ

يَضرح منى الدهر فى كيده ... ملساءَ لا يوهنها الضرحُ (1)

أرضحُ من أرزائهِ عكّفاً ... كالدرّ لا يقطعها الرضحُ (2)

قد علم الناس وان أنكرت ... جهالهم أنى أنا المِلحُ

بُصّرتُ بالدنيا فمن صَرفها ... وعظٌ ومن إيجازها شرحُ

طرّحتُ فيها نظرى فاحصاً ... فغاية الضنّ بها طَرحُ (3)

كالبحرِ يُخفى دُرّهُ قاعُـــه ... سِفلاً ويُبدى الجيفَ السطحُ

كم مر ردْحٌ وأفاعيلُها ... فينا مَوَاضٍ وأتى رَدْحُ

نَحسبنا منها بمنـــدوحةٍ ... وأين ، لا أين بها النَّدحُ ؟

ونُلقح الأحداثَ آمالَنــا ... وما لديها يُنتجُ اللّقحُ

نمسحُ منها مُسنِتاً حائلاً ... عجفاءَ لا يُدرِرُها المسْحُ (4)

---

(1) الملساء : الصخرة والضرح بالضاد المعجمة : الدفع والابعاد (2) الرضح كسر الحصى أوالنوى ، ولا يقطعها لا يفنيها (3) تطريح النظر : تبعيده (4) المسنت : التى أصابتها سَنة أى جدب ، والحائل التى لم تحمل وهى من البهائم كالعاقر من النساء .

تُسلسُ لا دَرّاً ولكنها — تختلُ حتى ينكا القرْحُ (١)
تجنى ولا نجنى ومن دأبنا — ننمَى وما من دأبها الصفحُ
طوّفتُ فيها ليس فى مطمحى — قشرٌ ولا فى ونيتى جَمحُ
فكنتُ فى تمتحى لها وارداً — ناضبةً حرمانها المتحُ (٢)
وها أنا اليومَ تجنبتُها — لا أثبت الأمرَ ولا أمحو
روّضت نفسى بعد تجماحها — فما الذى يبلغهُ الكبحُ
إليكِ يا دنيا فانى امرؤٌ — خِرْقٌ بما تحوينه سمْحُ (٣)
لا يخدعنّى منك ما يُطّبى — قد استوى رعنُك والسفحُ (٤)
إنى لمن قومٍ غدا جارهم — كالنهب لا يُحمَى له سَرْحُ (٥)
يمزحُ قومٌ بعد جِدٍّ لهم — حيناً وهم فى جدّهم مَزْحُ
فى طبعهم شُحٌّ وفى لفظهم — قبحٌ ، وفى أشعارهم قُبحُ
لم أدْر إذ ينشد من قدّموا — أذاك شِعْرٌ منه أم سَلحُ
ينعَبُ لا يعلم من جهله — أهُوَ نعيبٌ منه أمْ صَدْحُ
غرابُ أطلالٍ له عائفٌ — هزلاً غدا ينحو الذى ينحو
أنصحُهمْ والغىُّ فى خُلقهم — طبعٌ فما يجديهم النّصحُ
لو عَضُداً منهم أرى لاغتدى — طوفانَ نوحٍ ذلك السَّحُّ
لكننى فى غربةٍ بينهم — وذاك عِبءٌ حَمْلُهُ فدْحُ
فلا يزلْ همُّهمو ناصباً — ما غمطوا أو أورقَ الطلحُ (٦)

حبيب عوض الفيومى

---

(١) نكأ القرح قشره قبل أن يبرأ (٢) المتح : رفع الماء (٣) الخرق بكسر الخاء : المعطاء الكريم (٤) مايُطّبى : ما يُستهوَى ويشتهَى ، والرعن رأس الجبل (٥) السرح : المال السارح (٦) الطلح : شجر الموز

الشاعر

يناجى مصدر إلهامه

سجد الشاعرُ فى خشوع تحت قدمىْ قبس الجمال المشعّ بنور الله البهى المجسّم فى قطعة الفن المحيطة بالوجود التى تبدو أمام الرائى كأنها محدودة فى شخص المرأة .

سجد الشاعر فى خشوع مستجدياً الرحمة من باسطة الرحمة ، من مانحة العذاب، من نسيم الحياة ، من سموم الهلاك ، من جحيم الشقاء ،من فردوس النعيم : من المرأة .

سجد الشاعر سجود المأخوذ المذهول أمام الجمال النورانى السحرى الذى وسعه جسمٌ محـدود على اتساعه ، وبينما الشاعر فى نشوة السجود والتسبيح والتبتل أمام ربة الجمال المسيطرة على الحواس والعواطف ، بينا هو كذلك اذا به يرى لهيباً تمتد اليه ألسنته فيولى مذعوراً ويتراجع الى الوراء صامتاً وتمتلىء جوانحه بالرعب . ولولا أن الذعر كم فمه لندّت منه صرخة عظيمة يكفهرّ لها جو العالم ويمتلىء بالدخان الكثيف . غير أنه سرعان ما ومضت من خلال اللهيب ابتسامة أشرقت لها دنيا الشاعر المحدودة بالضياء ، المحدودة أمام تمثال الجمال والسحر فحسب . فاستأنست لهذه الابتسامة روحُ الشاعر بعض الشىء ، وهدأ رعبه تدريجياً . وسرعان ما اندفع فى فضول الشعراء يسأل ربة الجمال والسحر عن سر هذا اللهب فتجيبه بابتسامة أخرى : لا لهب ما ترى يا شاعرى ، وانما ترى العاطفة الثائرة ، عاطفة الحُب ، تمتد لتعانق الفجر لتذوب فى الشمس وتمتزج مع الضياء ، فتتشكل بألوان الشمس عند طلوعها وتبسط الضياء على أرجاء الكون لتمنح كل قلب قسمته من الحب الطهور والعاطفة الملائكية ! وما هذا الوميض الذى أضاء أمام عينىْ العالم المظلم الكئيب ؟ هذا ابتسامى يا شاعرى أرسله على العالم كلما بصرت بادجان يريد أن يغزوه أو حزن ممضّ يريد أن يلج صدر بائس مثلك ، ولولا هذا الوميض من الابتسام الذى تراه الآن لتخبطت فى طريق مظلم شائك يكون فى نهايته قبر مظلم ذو حسك مسموم حيث الفناء وحيث العدم يعبثان بجسمك الغض النضير ! وفجأة رنّت ضحكة عذبة مسكرة من جهة مصدر الصوت سكر من حلاوتها الشاعر فوقع فاقدَ الوعى ، وعندما أفاق وجد نفسه فى حضن المرأة التى أمطرت فاه بالقبل وأشبعت جسمه بالضم وأضاءت جوانب روحه وألهمتها الأغاني القدسية السماوية الصادرة من إلـه الحنان والرحمة

المنسكبة مع ضياء الفجر الجميل على براعم الورود العطرية الندية التى اشتار الشاعرُ منها خلاصة نطاف أندائها ، وراح يسقى منها أرواح الناس عسلاً مصفى لذةً للشاربين؟

الجزيرة أبا — السودان بشرى السيد أحمد

خصائص شعر ابى العلاء

« ١ »

لم يقنع « أبو العلاء » بنظم الشعر العربى بما قنع به غيره من الشعراء الأقدمين ، بل اختطَّ لنفسه طريقة جديدة سواء أكان فى المعانى أم فى النظم : فانه حين رأى أن الشعر العربى باب من أبواب الباطل ، صمم على تركه بعد أن نظم « سقط الزند » الذى سار فيه على منهاج الشعراء المتقدمين من المديح والرثاء والهجاء والفخر وما الى ذلك ، ولهذا تراه يقول فى مقدمة « سقط الزند » :

« وقد كنتُ فى ريان الحداثة وجنّ النشاط مائلا فى صفو القريض اعتدُّه بعض مآثر الأديب ، ومن أشرف مراتب البليغ ، ثم رفضته رفض السقب غرسه والرأل تريكته ، رغبة عن أدب معظم جيده كذب ، ورديئه ينقص ويجدب ، وليس الرى عن التشاف ويعلمك بجنى الشجرة الواحدة من ثمرها ويدلك على خزامى الأرض النفحة من رائحتها » .

ثم ترك أبو العلاء هذا اللون من الشعر ولم يرجع اليه بعد ذلك ولكنّ للمعرى آراء وأسراراً لا بدأن يذيعها ويريد بعد ذلك أن يلقيها الى أسماع قوم عندهم استعدادٌ لفهمها فنظم « لزوم مالا يلزم » لعلمه أن قراء الشعر انما يكونون على الأغلب الاعمّ من سواد الخاصة ، ولا كذلك النثر ، وثمة لجأ الى التصريح تارة والى التلميح أحياناً :

« فَطِنُ الحاضرين مَن يفهم التعريضَ حتى يظنَّه تصريحا »

واسمع اليه حين يبرر رجوعه الى نظم الشعر ثانية فى مقدمة لزومياته فيقول :

« وقد كنت قلت فى كلام لى قديم : انى رفضت الشعر رفض السَّقْبِ غرسه ، والرَّأل تريكته ، والغرض ما استجيز فيه الكذب واستعين على نظامه بالشبهات . فأما الكائن عظة للسامع ، وايقاظاً للمتوسّن ، وأمراً بالتحرُّز من الدنيا الخادعة وأهلها الذين جُبلوا على الغش والمكر ، فهو إن شاء الله مما يلتمس به الثواب . وأضيف الى ما

سلف من الاعتذار أن من سلك فى هذا الأسلوب ضَعُفَ ما ينطق به من النظام لأنه يتوخى الصادقة ، ويطلب من الكلام البرّة ، ولذلك ضعف كثير من شعر « أمية بن أبى الصلت الثقفى » ومن أخذ بمرّيه من أهل الاسلام ، ويروى عن الاصمعى كلامٌ معناه : « ان الشعر باب من أبواب الباطل ، فاذا أريد به غير وجهه ضَعُفَ » . وقد وجدنا الشعراء توصلوا الى تحسين المنطق بالكذب وهو من القبائح وزينوا ما نظموه بالغزل وصفة النساء ونعوت الخيل والابل وأوصاف الخمر ، وتسببوا الى الجزالة بذكر الحرب ، واحتلبوا أخلاف الفكر ، وهم أهل مقام وخفض فى معنى ما يدّعون أنهم يعانون من حثّ الركائب ، وقطع المفاوز ، ومراس الشقاء » .

« ٢ »

اختط المعرّى لنفسه طريقة جديدة فى النظم أيضاً ، فانه لم يكتف بأن تكون قافيته على حرف واحد شأن غيره من الشعراء ، بل تعداه إلى أكثر من ذلك فقال :

سيسأل ناسٌ : ما قريشٌ ومكّةٌ كما قال ناسٌ : ما جديسٌ وما طسْمُ ؟
أرى الوقت يُفنى أنفساً بفنائه ويمحو فما يبقى الحديث ولا الرسمُ
لقد جَدَّ أهلُ الملعبين فأثّلوا بناءً ولم يثبت لرافعه وَسْمُ
وفى العالم الغاوى بخيلٌ مموّلٌ وسَمْحٌ فقيرٌ شدّ ما اختلف القسمُ
وكونُ الفتى فى رهطه نيلُ عزّةٍ على أن داء الدهر ليس له حسمُ
ويرزأ جسمُ المرء حتى إذا أوى إلى العنصر الترِبىّ لم يُرزأ الجسمُ

فقد التزم فى القصيدة كما ترى حرفى السين والميم ، ثم قال :

اذا قيل : غالَ الدهرُ شيئاً فانما يُراد إلهُ الدهرِ والدهرُ خادمُ
ومولدُ هذى الشمس أعياك حدُّه وخبّرَ لبٌّ أنه متقادمُ
وأيسرُ كونٍ تحته كلُّ عالم ولا تدرك الاكوان جُرْدٌ صلادمُ
اذا هى مرّت لم تعد ووراءها نظائرُ ، والأوقاتُ ماضٍ وقادمُ
فما آبَ منها بعد ما غابَ غائبٌ ولا يعدم الحينَ المجدّدَ عادمُ
كأنك أودعتَ التماثيل أنفساً وأنت على التفريط فى ذاك نادمُ

وما آدمٌ في مذهب العقل واحداً ولكنه عند القياس أوادمُ
تخالفتُ الأغراضُ : ناسٍ وذاكرٌ وسالٍ ومشتاقٌ وبانٍ وهادمُ

فأنت تراه في هذه المرة يلتزم حروف الالف والدال والميم بكل بيت ثم يقول :

طلبَ الخسائسَ وارتقى في منبر يصف الحساب لأمةٍ ليهولها
ويكون غير مصدقٍ بقيامةٍ أمسى يمثّل في النفوس ذهولها
ووجدتُ ليلَ الغيّ ألبس مُردها وشيوخها وشبابها وكهولها
لو قام أمواتُ العواصم وحدها ملأوا البلادَ حزونها وسهولها
فخُذِ الذي قال اللبيبُ وعِشْ به ودعِ الغواة كذوبها وجهولها

فأنت تراه في هذه المرة يأخذ نفسه بالتزام حرف الهاء والواو واللام والهاء والألفُ في أبيات القصيدة كلها ، وانظر الى قوله :

اذا دارت الكأسُ في دارهم فقد رحلَ الدينُ عن دارهم
فما وفّقوا عند إيرادهم ولا وفّقوا عند اصدارهم
وفي رفع أصواتهم بالغناء دليلٌ على حطّ أقدارهم
فان كنتَ خدناً لهم فاجبُهم جفاءً على قرب مزدارهم

فكم حرفاً التزم في هذا القصيد ؟ لقد التزم حروف الدال والألف والراء والهاء والميم في كل بيت نظمه ، وأما أعجب قوله :

يا أمةً في التراب هامدةً تجاوزَ اللهُ عن سرائركم
يا ليتكم لم تطوا إماءكم ولا دنوتم الى حرائركم !
إن استرحتم مما نكابده فنحن مِن بعدُ في جرائركم
قد خطب الخاطبون نسوتكم وأسكتَ الحسّ من ضرائركم
ذرّ البلى فوقكم رمادته ولم تعودوا إلى ذرائركم
لو شاء ربي أمرّ مقتدراً ما نقضَ الموتُ من مرائركم

فقد التزم في هذا القصيد ستة أحرف ، والشواهد على ذلك كثيرة لا تحصى فليرجع اليها من شاء في « لزوم ما لا يلزم » ، وذلك مما يشهد له بالتفوق في اللغة

ومما يبطل حجج الضعفاء الذين ينادون بعدم تقيد الشعر العربي بالقافية الواحدة في القصيدة الواحدة ستراً لعجزهم وتبريراً لضعفهم .

« ٣ »

وكما اختص شعر أبي العلاء بلزوم ما لا يلزم حتى صار هذا القيد شعاراً له وعلماً عليه ، فلم يستطع شاعر أن يجاريه في ذلك مهما أوتي من القوة ، وأصبح قصارى الشاعر المجيد منهم إذا أراد أن يحاكي أبا العلاء في ذلك أن ينظم القصيدة أو القصيدتين بعد جهد مضنٍ ، وأين هذا الجهد الضئيل من قدرة المعرّي على نظم سفر ضخم لا تقل أبياته عن أحد عشر ألف بيت من الشعر الرائع الأخاذ!! وليست هذه هي أكبر مزية المعري في هذا الديوان الحافل بأروع ما خلفته العبقرية الانسانية ، فانك لتدهش أشد الدهش حين يطالعك أبو العلاء بطريقته الفذة التي سلكها في بعض شعره ، والتي أفردته افراداً من بين شعراء العربية قاطبة ، وهي تمكنه وتلاعبه بالألفاظ والمعاني على السواء متوخياً تفسير الألفاظ الغامضة في شعره حتى لا يسأم القارىء فتراه يقول مثلاً :

فلا يمسِ فخّاراً (من الفخر) عائد الى عنصر الفخار للنفع يضربُ
لعلّ اناء منه يصنع مرة فيأكل فيه من أراد ويشربُ
ويحمل من أرض لأخرى وما درى فواهاً له بعد البلى يتغرّبُ !

« • »

وكل أديبٍ (أي سيدعي الى الردى من الأدب لا أن الفتى متأدب)

« • »

نوديت ألويت فانزل (لا يراد أني سيرى لوا الرمل بل للنبت إلواء)

« • »

راعتك دنياك (من ريع الفؤاد) وما راعتك في العيش (من حسن المراعاةِ)
إن شئت ابليس أن تلقاه منصلتاً بالسيف يضرب فاعمدْ للجماعاتِ

« • »

يا صاع (لست أريدُ صاع مكيلة فأضيفه لكن أرخّم صاعدا)
لا تدنونّ من الشرود وأهلها فتكون من أهل العلى متباعدا

« • »

فزن (من الوزن) لفظاً حين ترسله   وزن (من الزين) اعطاءً بترويج

« • »

خَمِرْتَ (من الخمار) وذاك نحس   وأما من خمارك فهو سعدُ

« • »

أقصرتُ (من قصر النهار) وقد أتى   منى الغروب وليس لى إقصار

« • »

وأنتْ على الأكوار (جمع الكوْر) والـ   ـكُور المسرَّح هذه الأكوار

« • »

قرتك (من القرى) وقرت بهُلك   وأقرت عبـأها وقرت شرورا

« • »

غفرنا (وما أعنى اغتفاراً) وإنما   عنيت انتكاس البرء لا كرمَ الغفرِ

« • »

إن قلت صفّوا بإلغاز فمعتمدى   صفواً (من الصفو) لا صفو من الكدرِ

« • »

أسنيت (من مر السنين) ولم أرد   أسنيت من ضوء السنا البهار

« • »

وفوائد الأسفار (جمع السِّفر) فى الدنيا تفوق فوائد الأسفار

« • »

إذا أوجدت يوماً (من الوُجد)   أوجدت من (الوَجد) هذا خَلقها وهو أشرس

متى ما تحاول فارساً (من فراسة)   فأنَّى من زيدٍ وبسطـامُ أفرسُ

« • »

إن تراعوا (من المراعاة) رباً   لا تراعوا بالروع من ذات رمض

« • »

تمسكُ بتقوى الله (لست بقائل تمسك) وممناى السوار أو المسكُ

« • »

وممنزليّ لم أوافقــه ساعة أقول له فى اللفظ دينك أجزلُ
أريد به (منْ جزلة الظهر) لم أرد من الجزل فى الأقوال تلوّى وتجزّلُ

« • »

ساحليون (لم أرد ساحل البحر) ولـكن نسباً لاقر ســاحل

« • »

هل تسممون فانى فارس أربى (من الفراسة) إذ للحرب فرسان

إلى آخر هذه الأبيات التى تـكثر فى لزومياته ، وما أحسبنى فى حاجة إلى تقصّيها فى هذه الالمامة الموجزة .

وليست هذه كل مزاياه فانه كثيراً ما يلجأ إلى تضمـين آراء الشعراء وأقوالهم فى شعره فتراه يقول :

مضى الأنام فلولا علم حالهم لقلت قول زهير آية سلـكوا

أو يقول :

من قال صاحب لئام الناس قلت له قول ابن أسلت قد أبلغت أسماعى

ومن خصائصه النادرة تلك التشبيهات المبتـكرة التى يربط بها المعانى الرائعة بالصرف والنحو وما إلى ذلك ، كقوله :

أعللت علة قال وهى قديمة أعيا الأطبة كلهم ابراؤها

وقوله :

ما لى غدوت كقاف رؤبة قيّـدت فى الدهر لم يقدر لها اجراؤها

وبعد ، فان خصائص المعرى أعظم من أن تحيط بها كلمة مقتضبة موجزة كهذه الـكلمة ، ولكننا أردنا أن نشير اليها إشارة سريعة آملين أن نعود اليها بشىء من الافاضة متى أمكننا الوقت ، وأتيحت لنا الفرصة ؟

سيد ابراهيم

ذكرى

وقفةٌ قبلَ المسيرْ ذكرُ رَمْـلٍ وزبدْ
ذكرُ نُورِ شمعٍ في ظلمةِ الليـلِ البهيمْ
عاشَ لحظاتٍ مضت وانطفى حتى الابدْ !

***

غريب

وُلدتُ غريباً في الحيـاة واننى أسامر أفـكار الفَـناء المعذِّبِ
فياليتَ رُوحى لم تجد فيه مسكناً ولا امطرت عينى دموعَ التغرُّبِ

***

اعصفى يا رياح

إعصفى يا رياحْ
كيفما شئتِ
فانى لست أدرى ما الهدوءْ
واقصفى يا رعودْ
كيفما شئتِ
واهلعى القلب الضعيفْ
ان قلبي ليس تغنيه رياحْ
لا ولن يهلعه قصف الرعودْ ؟

جبرانوس لطفى

طرائف العظماء

لقى غلامٌ أبا العلاء المعرى فقال : مَن أنت أيها الشيخ ؟ فأجاب : فلان . فقال الغلام : أنت القائل فى شعرك :

وانى وان كنتُ الأخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

قال : نعم ، فقال الغلام : يا عمّاه ! ان الأوائل قد رتبوا ثمانية وعشرين حرفاً للهجاء ، فهل لك أن تزيد عليها حرفاً ؟ فدهش المعرى ولم يحر جواباً .

« • »

كان الشاعر (شلى) يتلهى فى أوقات فراغه بتعويم مراكب تصنع من ورق الكتابة على شاطىء نهر التاميز حتى رُوى عنه أنه لما كان يعوزه الورق كان يعمد الى ورق المصارف (بنك نوت) فيصنع منه مركباً على نحو ما يصنع الأطفال ثم يعوّمه فى الماء !

« • »

قيل إن (ديوجنيس) زعيم فلاسفة اليونان كان يزيف النقود فى حداثته ، ولما افتضح أمره فرّ هارباً الى أثينا خوفاً من القصاص الذى يلحق مقترفى هذا الجرم ، وهناك قصد (انتثينس) ليقرأ عليه الفلسفة فرفض أن يقبله معتذراً بأنه آلى على نفسه ألاّ يعلم أحد ، وأما ديوجنيس فتغلب عليه وذلك ان الأخير تهدده بالعصا إن لم يبادر بالخروج من داره فأجابه مطأطئاً رأسه : اضرب ولكن اعلم أنك ما دمت تتكلم لست أبالى بضرب العصا ! فسُرّ الفيلسوف وقبله تلميذاً .

« • »

كان (وردسورث) يدرس دائماً فى الخلاء ، وروى عن أحد الناس انه جاء لزيارته ليشاهد غرفة درسه فأراه الخادم غرفة قال : انها مكتبة سيدى ، أما هو فيدرس فى الحقول !

« • »

كان كلينيوس الفيلسوف الروائى مصارعاً ثم سقّاء لحدائق بعض الاشراف بأثينا وكان فيثاغورس صاحب الفلسفة المشهورة ابن صائغ وأوريبدس الشاعر التمثيلى ابن

بستانى وديمستينى ابن أحد صناع الأسلحة ، وفيرجيل ابن فاخورى ، وشكسبير ما كان أبوه الا صوافاً ، وابن جونسون كان أبوه طوّاباً ، وروبرت برنز الشاعر الظريف كان حراثا ، وجون كيتس الشاعر الخالد كان عطاراً .

وكان أبو كارليل بناء وأبو الشاعر الفحل المتنبي سقاء وكذلك أبو تمام وكان يعمل فى جامع مصر بل قيل كان يخدم حائكاً ويعمل عنده بدمشق وكان بشار بن برد رقيقاً وُلد فى الرق فاعتقته امرأة .

« • »

لم تظهر على الكونت تلستوى فى صغره أى نجابة بل كان بالعكس محباً للهو واللعب والحاق الأذى بالناس يكره الدرس سريع التأثر . وقد ذكر فى كتابه (الطفولية) ان خاطراً جاش فى صدره يوماً وهو ان الموت فى انتشار الانسان دائماً فيجب على الانسان أن يغتبط بحاضره ويدع المستقبل وشأنه وانقياداً لهذه الفكرة ترك الدفاتر والحابر والكتب وهرع الى اللهو واللعب فكثيراً ما شارك أباه الصيد والقنص ولازم الحوذى فى عربته يطوفان بالقرى المجاورة ؟

نقولا حنا ابراهيم

انا والسعال

بينى وبينك يا سُعالُ	فى كلّ آونةٍ نزالُ
فى الصبح ، فى غسق الدجى	يقسو ويشتدّ النضالُ
أشعلتَ نارَ الحرب فى	جسدٍ أضرَّ به الهزالُ
وجعلتَ منى الصدرَ ميـ	ـداناً يسود به القتالُ
لكَ الانتصارُ اذا الرحى	دارت ولى أنا الانخذالُ
حاربتَنى ، فغلبتنى	والحربُ عادتها سجالُ

* * *

الحربُ قائمـــةٌ على	قدمٍ وساقٍ لا تزالُ

قد خُضتُها كرهاً ، فهل مِنْ هدنةٍ فيها أنالُ ؟
ما لى بحربكَ طاقةٌ كلاَّ ولا عندى احتمالُ

***



عبد الهادى الطويل

ويقولُ اخوانى وقد شهدوكَ عندى يا سعالُ :
خُذْ مدفئاً يذهبْ ولا يبقى له حتى الخيالُ
ثم اتّخذْ لك شملةً يقطع سعالك الاشتمالُ
فأخذتُ ما وصفوه لى وفعلتُ ما أمروا وقالوا
وشربتُ ناراً رغم نا رٍ فى الضلوع لها اشتعالُ
ثم اشتملتُ وخلتُ أن حسنتْ لهذا الصدر حالُ
فاذا بدائى فى الحشا والصدر ليس له زوالُ
فسألتُ غيرهمو فما أغنى الجوابُ ولا السؤالُ

حتى يئستُ وخانني جَلدي وأدركني الملالُ
وعلمتُ أن البرء منـ ـها قد أصبتُ به محالُ

* * *

لم يبق عندي مَلجأٌ الا الرضاءُ والامتثالُ
فافعلْ بصدري ما تشا ءُ فليس لي فيك احتيالُ
إني اذا ما متُّ لمْ تَجزع على موتي النّصالُ
لكنْ سيندب مصرعي شعرٌ يَحفُّ به الجلالُ

عبد الهادي الطويل

ابو الطيب المتنبي

أخلاقه وصفاته

مفخرة من مفاخر الأمة العربية ، وثروة غالية من ثرواتها الأدبية الرائعة ، «ملأ الدنيا وشغل الناس»[1] ، الشاعر العبقري الخالد ، السائر على الألسنة ما بقي الدهر . ألم يصح ما قال :

وما الدهرُ الاّ من رواة قصائدي اذا قلتُ شعراً أصبح الدهر منشداً
فسار به مَن لا يسير مشمراً وغنّى به مَن لا يغني مغرّدا
ودعْ كلَّ صوتٍ غيرَ صوتي فانني أنا الطائر المحكيُّ والآخر الصدى

* * *

اذا تصفحتَ ديوان المتنبي لتقرأه تلمس شخصيته في كل قصيدة من قصائده ، بل في كل بيت من أبياته تعثر على ناحية من نفسيته الفذة التي هي مجموعة خلال وصفات تفرّد بها فكانت مثلاً أعلى للرجولة الحقة ، للنفس الكبيرة العبقرية ذات الموهبة والكفاءة كما ستراها الآن .

للمتنبي نفس طموحة الى المجد ، طامعة في العلاء والرفعة ، راغبة في العظمة والخيلاء ، متعطشة الى السيادة والحكم ، توّاقة الى أسمى المراتب وأعلى المناصب الى مالا يفتكر فيه سواه ولا يخطر على قلب بشر .

(١) ابن رشيق في العمدة

أريد من الأيام ما لا يريده   سواى ولا يجرى بخاطره فكرا

وبالفعل فقد ادعى النبوة ولكنه فشل كما تعلم فالتفت الى الملك والولاية :

فآرم بى ما أردت منى فانى   أسد القلب آدمى الرواء

وفؤادى من الملوك وإن كا   ن لسانى يرى من الشعراء

يعتد أبو الطيب بنفسه لدرجة أن لا يفضله انسان ولا يفوقه أحد :

إن أكن معجباً فعجب عجيب   لا يرى فوق نفسه من مزيد

لم يضارعه أحد ولم يجد له صنوا :

أمط عنك تشبيهى بما وكأنه   فما أحد فوقى ولا أحد مثلى

فخيرة أهل زمانه كما يصفهم :

أذم الى هذا الزمان أهيله   فأعلمهم فدم وأحزمهم وغد

وأكرمهم كلب وأبصرهم عم   وأسهدهم فهد وأشجعهم قرد

وعامة الناس عنده أشبه بالحيوانات والبهائم :

تلقى بكل مكان منهم خلقاً   تخطى إذا جئت باستفهامها بمن

هو ذو همة شديدة وجلد صليب على قطع البلاد :

أبداً أقطع البلاد ونجمى   فى نحوس وهمتى فى سعود

فيتعب بالراحة والاقامة ويستريح بالتعب والمشقة :

ذرانى والفلاة بلا دليل   ووجهى والهجير بلا لثام

فانى أستريح بذى وهذا   وأتعب بالإناخة والمقام

فمن تعود على القتال والطعان لا يأنس بالراحة التى تكون احياناً مدعاة للضر بجسمه :

يقول لى الطبيب : أكلت شيئاً   وداؤك فى شرابك والطعام

وما فى طبه انى جواد   أضر بجسمه طول الجمام

تعود أن يغبر فى السرايا   ويدخل من قتام فى قتام

المتنبي قوى ، جرىء ، مقدام ، بطاش لا يرهب قوة ولا بأساً ولا يجزع حتى من ملاقاة الحمام :

ذكرت جسيم مطلبي وإنا   نخاطر فيه بالمهج الجسام

أمثلي تأخذ النكبات منه ويعجز عن ملاقاة الحمام

ولو برز الزمانُ اليَّ شخصاً لخضّب شعر مفرقه حسامي !!

يزعم أن قوته لا تدانيها قوة الجيوش فيعتو ويسطو على العاتين والساطين :

لتعلم مصر ومَن بالعراق ومَن بالعواصم أني الفتى

واني وفيت واني أبيت واني عتوت على مَن عتا

المتنبي عصامي لم يتشرف بأهله بل تشرف بنفسه :

لا بقومي شرفتُ بل شرفوا بي وبنفسي فخرتُ لا بجدودي

وعصاميته أكسبت قومه فخراً عظيماً جعلتهم مفخرة العروبة :

وبهم فخر كل من نطق الضاد وعوذ الجاني وغوث الطريد

ويكفي أن يكون لأحدهم صلة به لينال الشرف الخالد والفخر الأثيل كما قال في رثاء جدته :

ولو لم تكوني بنت أكرم والد لكان أباك الضخم كونك لي أمّا

المتنبي لا يعرف القناعة فذو المطامع الكبيرة والآمال البعيدة والمطلب الذي لا يدرك ولا يحدّ لا يرضى بالاقلال ولا يقنع بميسور العيش :

وفي الناس مَن يرضى بميسور عيشه ومركوبه رجلاه والثوب جلده

ولكن قلباً بين جنبيَّ ما له مدى ينتهي بي في مراد أحده

المتنبي ألوف ، وفي ، مخلص ، لا يحمل قلبه حقداً ولا يوغر صدره غلا :

خلقت ألوفاً لو رجعت الى الصبا لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

يحفظ الجميل ولا ينكر المعروف ، يغفر الاساءة لصاحب الفضل :

فان يكن الفعل الذي ساء واحداً فأفعاله اللائي سررن ألوف

المتنبي كتوم للسر لا يبوح به ولو شرب :

وللسرّ مني موضعٌ لا يناله نديمٌ ولا يفضي اليه شرابُ

أبو الطيب صادق في قوله وعمله :

لقد أباحك غشاً فى معاملةٍ   مَن كنت منه بغير الصدق تنتفعُ

لم يعشق المتنبي لأن العشق مظهر من المظاهر الباطلة فضلا عن أن لحاظ الغانيات لم تنفذ الى قلبه :

وما العشقُ الا غرة وطماعة   يعرِّض قلب نفسه فيصابُ

وغير فؤادى للغوانى رمية   وغير بنانى للزجاج ركابُ

يعاشر أبو الطيب الكرام وينبذ اللئام الناقصين حتى اذا وجد من أخيه عوجاً أو نقصاً يأنف منه :

وآنفُ مِن أخى لأبي وأمى   اذا ما لم أجده من الكرام

يصون العرض ويهون عليه كل شيء فى سبيل المحافظة على عرضه من أن يتلطخ بوزرٍ أو اثمٍ :

يهون علينا أن تصاب جسومُنا   وتسلم أعراضٌ لنا وعقولُ

فيما سبق ظهر لك أن المتنبي ذو أخلاق عالية وخلال حسنة ينــدر أن تجتمع فى انسان كاجتماعها بشخص أبي الطيب فهو — كما بدا لك عظيماً فى شخصيته — عظيمٌ فى شعره ، عظيم فى أدبه .

حمص : نجيب عيسى العاقل



مصطفى نجيب

فى مستهلّ أكتوبر الآنى نحيى ذكرى مرور ثلاث وثلاثين سنة على وفاة الكاتب الشاعر الألمعى مصطفى نجيب بك زميل المرحومين مصطفى كامل باشا ومحمد فريد بك ومن أقطاب الوطنية الذين اعتمد على اخلاصهم وتفانيهم الحزبُ الوطنى

فى كفاحه الأول ، وزميل المرحومين اسماعيل صبرى باشا واحمد شوقى بك فى المودة الأدبية وفى الروح الشعرية . توفى الفقيد الكبير فى أول أكتوبر سنة ١٩٠٢ ودفن بمدينة الاسكندرية ، وقد مرّت عشرات السنين ولا يزال أدبه غضاً ناضراً ، وحسبك أن تقرأ كتابيه (حماة الاسلام) و (أحلام الاحلام) وتراجع مقالاته الوطنية والأدبية الرائعة فى « اللواء » وكأنك أمام كاتب من أفصح كتاب العصر العباسى ، وحسبك أن تقرأ شِعرَهُ المنبثّ فى كتب الأدب لترى الشاعرية البليغة الحية على مَرّ الزمان .

انّ هذه الذكرى الغالية جديرة بحفاوة أهل الوطنية وأهل الأدب عامةً وأهل الشعر خاصة ، جديرةٌ بأن تسجل دراساتها فى كتاب أدبى قيم يُرجع اليه . وانى أقترح منذ الآن على شاعر العربية الجليل أستاذنا خليل مطران أن يتولى رعايته هذه الذكرى فقد كان من أخلص محبي الفقيد الكبير كما تشهد بذلك كتابته الرائعة عنه .

وليس فى إمكانى هنا أن أقوم بدراسة تحليلية لشعر مصطفى نجيب — وهو ما يَعنى هذه المجلة الشعرية — بل حسبي فى هذه المناسبة أولاً أن أنبه الى واجب تلك الذكرى المجيدة ، وثانياً أن أشير الى نماذج من شعره الرائع المتين الاسلوب البرّاق الخاطر .

قال من رثائه لصديقه المطرب الشهير عبده الحمولى :

كدَّرْتَ فى عينى السرورَ فصار لى ... فى كلّ مَشهَدِ بهجةٍ إيلامُ
فاعجبْ لحسنٍ فى مقام مَسَرَّةٍ ... واعجبْ لحربٍ والزّمانُ سلامُ
أيقنتُ أنَّ الدهرَ بعدكَ قد عفا ... والدارَ خلوٌ والزمانَ عقامُ
ولقد أسنَّتْ مِصْرُ بعدَ شبابها ... ونتاجها وأصابَها الاعقامُ
مِنى على تلك الليالى لوعةٌ ... فسلوُّهنَّ على المحبِّ حرامُ
مَنْ كان يُدْرِكُ أنسَها ونعيمَها ... وبَكَى لها أسفاً فليس يُلامُ

***

وقال فى إنكار التفريج الأعمى الذى كان متفشياً فى ذلك الوقت بمصر :

أغَرَّكَ ما تلقاه مِنْ حُسْنِ مَلْبَسٍ ... ومِنْ شاهقاتِ الدُّور نحو السما تعلو

ومنْ عرباتٍ غادياتٍ روائحٍ ... ومنْ كهرباءٍ لا يُصادمُها الليلُ ؟
مَناظرُ أوهامٍ لَعمركَ كلُّها ... وماذا يفيدُ الزّجُّ غادرَه النصلُ
مَظاهرُ تقليدٍ اقيمتْ بلا نُهىً ... إذا هُدِمَتْ يوماً تبوّأها الصِّلُ
بنَتْها يدُ الأوْهامِ حتى إذا هفَتْ ... بها الرّيحُ أهوتْها فليس لها أصلُ
تَركنا سجايانا وهِمْنا بغيرنا ... غروراً ، ففي أعناقِ أكثرنا غلُّ
جهلنا نواميسَ الحياةِ ، وانّها ... لأوّلُ ما يدعو لها العقلُ والنقلُ
تبَصّرْ ! فليس العيشُ الاّ معامعٌ ... يفوزُ بها الأقوى ويكبو بها النُّزْلُ(١)
قضَتْ سُنّةُ الدنيا بهذا فلا تكنْ ... أسيرَ أمانٍ ، لا شعورٌ ولا حوْلُ

* * *

وقال من قصيدةٍ فى وصف « الكرنك » :

أهاجَ طيبةَ بالى دَبعُكِ البالى ... واستوقفَ الفكرَ فى حالٍ وفى حالِ
لله ما أبقتْ الأيامُ مِنْ أثرٍ ... شادتْه أيدى العُلا فى عصر إقبالِ
يا رَبْعُ هل تحصنُ الفتوَى فتُخبرنا ... عمّا تَعاقبَ فى صَفوٍ وأهوالِ
أرى الملوكَ رُسُوماً فيكَ ساهمةً ... كأنها لم تُجرِّرْ فضلَ أذيالِ
قد غيرَ الدّهرُ منها كلَّ مَعلَمَةٍ ... وابتزَّ منها عزيزَ الملبسِ الغالى
إنْ يَبلُها الدّهرُ فالآثارُ مابرحتْ ... تتلو لنا سِرَّ أقوالٍ وأفعالِ
قد شادَتْ الناسُ ماشادَتْهُ من حَجَرٍ ... وشادَ ما شادَهُ مِنْهُمْ بأجْيالِ

* * *

وقال من قصيدة طويلة فى رثاء الخديو اسماعيل :

أحُزناً ومِنْ عاداتِ طلعتِكَ البِشْرُ ... وقبراً وكانت تحتَ اخمصكَ الزُّهْرُ ؟!
وموتاً وقد أحيا بك الدهرُ ذكره ... بكلِّ جميلٍ ليس يخلقه الذكرُ ؟!

---

(١) النزل : القاعدون .

طلعتَ علينــا طلعةً إثرَ غيبةٍ وزُرتَ ولـكنْ بعد ما ُقضىَ الأمرُ
فلا النَّـفْسُ نالت حظَّـها مِنْ حَبيبِها ولا شُفِيَتْ نفسٌ خليلتُها (مِصرُ)
فبؤساً لأيامٍ أساءتْ صنيعَـها ! أكان لها فى طمسِ عينِ العلا نذرُ ؟!
وأودتْ باسماعيل : مَنْ كان فى الورى يُنـهَكُ به عانٍ ويُنعَشُ مضطرُ
بمنتخَبٍ مِنْ ذروة المُـلْكِ كلما دَجَى الخطبُ لم يكذبْ لعزمتهِ فجرُ
وكنّا زجرنا طائرَ النَّـعْى والأسَى وحُمَّ القضا فيهِ فلم ينفع الزجرُ
قضَى ذاكرَ الأوطانِ فى دار غُـربةٍ ولا غروَ أن يشتاقَ للوطنِ الحُـرُّ
فاولىَ فى ُفلكٍ حَوَى المجدَ والنَّدى وأودع نفسـاً حشو أبرادها الفخرُ
فسار يئنُّ الفلكُ لمَّا نوى به وصَـكَّ مُحَـيَّاه بأمواجهِ البحرُ
ومِنْ عجبٍ أن قد غدا سائراً به ومِن فوقهِ بحرٌ ومِنْ تحتهِ بحرُ !

ومنها :

عَلاَ فوق أعناقٍ غـدَتْ مِن جلالهِ يُظنُّ بها لولا خُشوعُ الرَّدى كِبرُ
عجبتُ لهـا أنَّى استقلت بحملهِ وأثقلها مِنْ قَـبْلِ نائلهِ الغَمْرُ ؟!
أرى عارضاً للمجدِ أقلعَ مُزْنُهُ ومَنهلَ جودٍ غاض وانقطعَ الخيرُ
فلم أدرِ مُذْ أبصرتُ مَشْـهدَ رزئهِ أيومُ فراقٍ أم لقاءٍ هو الدَّهْـرُ ؟!
رَمتْهُ عيونُ الناسِ حتى حسبتُه سترمقُـه الافلاكُ والشمسُ والبدرُ
وقد أسمعَ الناعون فيـه صراخَـهم ولـكنَّ سمع المجـد قد عاقه أمرُ
طواهُ الرَّدَى طيَّ الرداءِ ولم تزل فواضلُه العليا يضوعُ لهـا نَشْرُ

وكلها من هذا النسق العالى ، وقد عَـرضَ فيهـا مسهباً مآثرَ اسماعيل الجليلة ووفّاه حقه من التاريخ الصحيح .

ومن مراثيه الرائعة رثاء عبدالله فـكرى باشا وجمال الدين الافغانى ورثاء عبده الحمولى الذى أشرتُ اليه فى مستهلِّ هذا المقال . وأما رثاؤه لنجيب الحداد فقـد

دوّنه بخطه هكذا ، وقد عُثر عليه فيما بعد بين ما بقى من أوراقه الخاصة التى سلمت من النهب والضياع (١) . قال الفقيد الكريم :

« لمَّا صدر البيانُ والضياء رأينا فيهما شعراً نفيساً باسم نجيب الحداد واشتقنا لأن نراه ونلقاه ، فقصدنا الاستاذ الشيخ ابراهيم اليازجى صاحب الجريدتين وسألناه عليه فاذا به فى شدة المرض ، ثم ما لبثنا لحظة الا وتلغراف نَعْيه واردٌ على حضرة الاستاذ ونحن فى الجلسة فأثر فينا ذلك الحال جداً ودعت الحالة لأن نرثيه بهذه الأبيات :

سَلبتْكَ داعيةُ البعادِ ... مِنْ قبلِ انسى بالودادِ
أسْعَى لودّكَ ، والرَّدى ... يسعى على غيرِ المُرادِ
أنَّى لانسانٍ يُـلا ... حِقُ غَلوةَ الدهرِ الجواد
حَرْبٌ لأخيارِ الأنا ... مِ فينتقى خيرَ الجيادِ
نظرتكَ نفسى فى ريا ... ضِ مِنْ لطائفكَ العِتادِ
فرأيتُ بين الشِّعرِ رُو ... حاً استفزَّ هَوَى الفؤادِ
وقصائدٍ ترْوى بلُطْـ ... ـفِ رويِّها المُهَجَ الصَّوادى
أودَى بك الدهرُ الخؤو ... نُ وعُطِّلتْ تلك الأيادى
فتَصَّافُ أفنانِ العُلا ... قَطَّاعُ أوصالِ العبادِ
أسفى عليكَ ، وانّه ... أسفٌ الى يومِ التنادى
أسفى على نارِ الذّكا ... ء تؤولُ منكَ الى رمادِ
ولماء ذاك الوجهِ غا ... ضَ ، وكلُّ شىء للنفادِ
قد كنتُ أرجو أن أرى ... بكَ جحظةً وابنَ العمادِ
فأراكَ قد ساويتَ مَنْ ... فى التربِ مِن إرمٍ وعادِ
يا قُرْبَ ما كان اللقا ... ء وطولَ عَهْدِى بالبعادِ !

---

(١) انى مدين بهذا البيان لصديقى الأديب الفنان سليمان نجيب نجل الفقيد .

فمزاه آل نجيب للشجن المبرح والسهاد
قد طار بلبل روضكم أنى الى الآداب شادى ؟
إن البراعة والبرا عة والبيان مع السداد
ولطائف الأشعار والا أخبار تملأ كل نادى
وأداة كتاب البلا غة والطروس مع المداد
حزنت وقد لبست على الحداد أثواب الحداد »

وللفقيد فى مناجاة القمر نظماً ونثراً آيات ساحرة ، ولولا ضيق الفراغ لنقلت احدى مطولاته الشعرية فى ذلك ، وهذا مثال منها مستلهماً القمر :

يا لوعة لا تكاد تطفى أضحى بها دائماً وأمسى
ومحنة لا تكاد تخفى فى حالتى وحشتى وأنسى
ومأمناً نلت منه حيفا كأن نفسى عذاب نفسى
أسعدنى وهو لى شقائى أحرقنى وهو لى خليل
كقاب قوسين فى التنائى وما إلى قربه سبيل !

* * *

ناشدتها قبل يوم بينى فى آخر العهد بالتدان
بأن تفى فى الغرام دينى وتنظر البدر حيث كان
لتلتقى عينها وعينى عليه وقتاً من الزمان
فان حبا العهد بالوفاء وحقق الظن للخليل
كان اتصالا من السماء إذليس فى الأرض من وصول !

* * *

آه على فائت الزمان والقلب بالقرب فى سرور
ونحن فى الأمن والأمانى والدهر فى كيدنا يدور
إن غاب عنى وعن عيانى فان مثواه فى الصدور

ما دارتْ العـينُ فى الفضاءِ إلا تَرائيهِ فى المُثول
أشـهدُه دونَ كلّ رائى ما كلُّ مَنْ قد رأى يميلْ (١)

وللفقيد فى وفاة الملكة فكتوريا قصيدة لاميـة طويلة جمعت بين السياسة والوصف والتاريخ لحرب البوير . وله قصيدة بليغة فى أحد تحاريق النيل تُعدُّ من أجود شعره .

ومن شعره النثرى اللطيف الدائم تحيةُ القرن العشرين ، وأوصافُه الشائقةُ المنوَّعةُ فى شتى الأغراض الفنية ، وأعدُّ منه رسائله الاخوانية ، فجميعها فوّاحةٌ بعبقِ الشعرِ ، كما أنَّ له غيرَ قليلٍ من الأغانى المهذَّبة القديمة .

ولعلَّ فى مقدّمةِ الجديرين بانصاف ذكرى الفقيد الشاعرين الشهيرين أحمد محرم وابراهيم الدباغ ، فكلاهما عليمٌ بأدبه النفيس وجديرٌ بهـذا الانصاف فى بلدٍ « كلُّ شيءٍ فيه يُـنْسَى بعد حين » ؟

محمد عبد الغفور



الخـــلود

أموتُ وأحيا كلَّ يومٍ مُجدَّدًا فأينَ ضلالاتى ؟ وأينَ لىَ الهدَى ؟
لقد جئتُ مِنْ فجر الزمانِ كأنّنى خيوطٌ به تبدا وتمضى على المدَى
ومَثّل جسْمى فى النشوء نشوءَه فتكوينِ جسمى رمزُ ما مَرَّ سرمدا
ملايينُ مِنْ حىٍّ الخلايا كيانُـها كيانى، وأخرى إنْ تمتْ لم تمتْ سُدى

(١) يميل : يعشق

تطوَّرَ جسمي بل ونفسي ، فها أنا ... أمثّل ماضي الخلقِ واليومَ والغدَا
أجلْ ، ذلك الآتي البعيدُ أحسُّهُ ... بنفسي وأحوي منه أصْلا ممهَّدَا
كما كان جسمي ذرّةً بعد ذرةٍ ... ملايينَ مِنْ عُمرِ الحياةِ مُخلَّدَا
فما الخلدُ الا النوعُ يمضي مخلَّدَا ... وما الموتُ الا الفردُ يحيا مبدَّدَا
وما الرّوحُ الا كلّ معنًى نَشيمُه ... من الحيِّ في شتّى الرسومِ ومفردَا

* * *

وَمَثّلْتِ لي أنتِ المعاني جميعَها ... فشاهدتُ فيك (اللهَ) روحاً ومعبدا
لئنْ عشتِ في دنيا الأنامِ أسيرةً ... فمن قبلُ قدعاش (المسيحُ) مصفدَا
أبنْتِ لنا سِرَّ الخلودِ فغرَّدَتْ ... حياتي وأضحى كلُّ حُسْنٍ مغرِّدَا
ولستُ أبالي بعد يوميَ إن أمُتْ ... متى كنتُ للآتي المؤمَّلِ مُسْعِدَا
شرحتُ له دِينَ الجمالِ فحسبهُ ... وحسبي إذنْ أني أموتُ له الفِدَى

الاضمار

تأمّلْتُ في دنياي حتى وجدتُها ... نقيضةَ ما تُبدي لعيني المظاهرُ
وما كان هذا النّقضُ نقضاً بذاته ... ولكنّه فيما يُناقضُ ساحرُ
كما ألّفَ الأطيافَ ضوءٌ موحَّدٌ ... فغابت ومِن أمواجِها الضوءُ عامرُ
ففي كلِّ شيءٍ آخَرٌ عاش مُضمَراً ... فتبدو وإنْ تُحْجَبْ لحسِّي الضمائرُ
وما عالَمُ الذرّاتِ ماالعلمُ كاشفٌ ... اذا خَدعتْ كالعالمينَ العناصرُ
تقلّبُ ألواناً رياءً مُجدَّداً ... وتَخذُلنا منها النُّهى والمشاعرُ
وما بَدؤُها في سُرعةِ الوثب طائرٌ ... ولا فاقَها في وثبةِ الوهمِ شاعرُ
فأحسستُ أنّ الكونَ أضعافُ ماأرى ... وكلٌّ وجودٍ ضِدُّه فيه حائرُ
وآمنتُ بالمعنى الخفيِّ فانه ... مِنَ النورِ يخفى وهو كالنورِ غامرُ[1]
تَوَحَّدَتْ الأضدادُ في كلِّ كائنٍ ... ففي المؤمنِ المشهودِ يكمنُ كافرُ
وقد ضَلّ كلُّ الناسِ ساعةَ هديِهمْ ... لذلك دَهرُ الناسِ بالناسِ ساخرُ

أحمد زكي أبو شادي

(١) اشارة الى أمواج النور غير المنظورة



بعد عام

لي حبيبٌ ملء عيني أزرقُ العينين ساحرْ
حُسنُه فوقَ التمنّي وَجْهُهُ أحلامُ شاعرْ
شَعْرُهُ كلُّ المعاني فيه شِعْرٌ يتوثّبْ


محمد احمد رجب

فيه من روحِ المثاني فيه شمسٌ تتلهّبْ
غابَ عني بعدَ عامْ كان عُمْراً للقُبَلْ
فتوارَى في الخصامْ أملٌ بعدَ أمَلْ
قِصةُ الحُبِّ الجديدْ مِثلُ أنغامِ الربيعْ
بينما القلبُ العميدْ في أغانيهِ يضيعْ !

محمد احمد رجب
(المحامي)

حلم

تَغنَّتْ لمطلعها الساحرِ ملائكةُ الحبِّ في خاطري
فأهدَتْ إلى شَفَتي قُبلةً وقالتْ : احِبُّكَ يا شاعري !
وراحتْ تُدَلِّلني كالصغيرِ وتغمرني بالرِّضا الغامرِ
وتَجعلُ مِن صدرِها مخدعاً لأجفانِ مجنونها السَّاهرِ
فقلتُ حرامٌ عليَّ الكرَى إذا كنتُ في الحرَمِ الطاهرِ
لكم رُمْتُ اغفاءةً كي أرَى خيالَكِ عند الكرى زائري
فأمَّا : وقد ضمَّنا الملتقى فلستُ على النومِ بالقادرِ

* * *

ومرَّ الظلامُ وراَنَ الصباحُ وهامَ الضِّياءُ على ناظري
فألفيتُهُ حُلُماً قد مَضَى ففسِّرْهُ باللهِ يا هاجري !

صالح جودت



فن شكسبير
في نظر تولستوي

عبقرية شكشبير موضع اعجاب الأمم وفخر الأدباء ، ولهذا رأينا بعضَ الأمم يتنازعون فخر نسبته اليهم ، وضاق صدر الناس حين سمعوا أن رجلا عادياً من قرية « استراتفورد » يخرج أسمى ما أخرجه عقل بشرى ! وراح فريق من الناس ينكر على شكسبير نسبة هذه الروايات الخالدة اليه ، وزعموا أن بيكون هو كاتبها .

وهـذا زعم لا سند له من الحق . والحق أن شكسبير القروى كان رجـلا فذاً موهوباً ، له بديهة نادرة ، وخيـال خصيب رائع ، وكان رجلا فاضلا أحب الفضيلة وأذاعها فى رواياته ، وخُلقيته تأخذ بلا ريب لبَّ القارىء أ كثر من فنه .

وهذا الرجل لم يكن شخصاً واحداً بل عدة أشخاص ، ولم يكن فـكرة واحدة بل عدة أفكار ، ولم يكن رجل انجلترة وحدها بل رجل العالم كله ، أو كما قال أحد الـكتاب عنه «أراد ربُّ الدراما أن يكتب فاستحال بشراً ووجد نفسه فى لندن ! »

وهذا الشاعر الضليع موضوع درس الأدباء والفنانين من أواخر القرن السادس عشر الى الوقت الحاضر ، وقد أعجب به جيته الألمانى كما أعجب خاصـة برواية « هملت » وحللها تحليلا بديعاً ، وهذا هو الشاعر الذى اعتـبره لسنج الالمـانى « مرآة الطبيعة » ، كما أعجب به فولتير اعجاب الحـذر المشفق منـه على المسرح الفرنسى وترجم له رواية يوليوس قيصر ووشَّاها بالتعليقات الطريفـة ، وأبدى محاسنها ومعايبها ، وقال عنه إنه مهد طريقاً لم يطرقها أحد قبله ، وانه خلق فنـه ولـكنه تركه غير كامل ، وهذا الشاعر هو أيضاً الذى تحدث فيكتور هيجو عن عبقريته كما لو تحدث هيجو عن نفسه واعتبره من أعظم الاذهان البشرية .

هذا الشاعر الخطير نظر اليه الـكاتب الرومى الفذ نظرة عجيبة وذهب فى تقدير فنه مذهباً مخالفاً لهؤلاء الأدباء العظام وكثيراً ما راش سهمه ووجهه نحو أولئك الذين أعجبوا بفن شكسبير ، ومن باب الطرافة نثبت هنا أقوال تولستوى وحكمه على فن شـكسبير ، قال :

« أذكر الدهشة التى مسّتنى عند ما قرأت شـكسبير لأول مرة : كنتُ أؤمل أن أجد لذة جمالية فى مؤلفاته فطالعتها مرات كثيرة . وطالعت بخاصة تلك المؤلفات التى أجمع الناس على اعتبارها آية فى الجمال والفن — رواية الملك لير ، ورواية روميو وجولييت ، ورواية هملت ، ومكبث ، فما طافت بى لذة بعد قراءتها ، بل شـعرت باشمئزاز وتقزز كبيرين ! فهل أنا مصيب أم مخطىء إذا اعتبرت مؤلفات شـكسبير رديئة سخيفة ، تلك المؤلفات الجهيرة التى وجد فيها العالم المتمدين الكمال الأسمى ؟!

زاد قلقى ، ورَبَتْ حيرتى ، ولم أثق بنفسى ، فطفقت أستعيد قراءة تلك الروايات فى لغات متعددة . قرأتها باللغة الروسية ، وبالانجليزية ، وبالألمانية ، ورجعت الى ترجمة شليجل كما نصحنى الـكثيرون . ولـكنى لم أغنم جديداً ولم أظفر بنتيجة ، بل

كان شعوري واحداً لا يتغير ، شعور تقزز وتضجر وتشكك ! » .... ثم قال تولستوي :

« أكتب هذا وقد بلغت الخامسة والسبعين من عمري . أكتب هذا وقد قرأت كل مؤلفات شكسبير ، وبنفسي نفس الشعور الذي طاف بي من أول قراءتي له . وأني لمتأكدٌ أن تلك الخلال التي يخلعونها على الرجل ، والتي هو محرومٌ منها ، خطرٌ كبيرٌ ككلٍّ أكذوبة ! »

مصطفى عبد اللطيف السحرتي
(المحامي)

شعر الشباب

أقدر كلَّ التقدير تعليقكم على رسالتي عن شعر الشباب ، وإن كنتم طالبتموني بأمثلة صريحة على ما أرى من تشابهٍ في النماذج فاني أرى الخير في عدم ذكرها . فصحيح ما قلتم من أن هذا الشعر كثير التنوُّع في المرامي والمعاني والأخيلة والأساليب ، ولكنَّ ما قصدتُ اليه هو أنه كثير التشابه في الروح ، ولا أظنّ أن جميع الشعراء يتحدون في الروح ، ولأضربْ لكم مثلا بسيطاً : كان الشاعران شيلي وبيرون متعاصرين وكانا طليعة الشباب المجدّد القويّ في عصرهما ، ولكنهما اختلفا في الروح ، فكان شيلي يفنى فناءً تاماً في حبّ الحياة والاندماج فيها بينما كان بيرون يكره ضوضاءها مؤثراً العزلة والانفراد ، حتى أن ضوضاء الحياة تكاد تقتله كما يقول شيلي نفسه معرضاً به من قصيدةٍ (أدونيس) : « فوق الزهرة الذابلة تبتسم الشمسُ المميتةُ بالأنوار » .

فهذا هو ما قصدتُ اليه ، ومن الخير للنهضة الأدبية أن يُنبَّه الشعراء الشباب الى ذلك ، فلا يصدروا الا عن احساساتهم ، غير متأثّرين روحَ الغير ، وبذلك يكون الصدقُ عندنا أساساً في التعبير عن الشعور ؟

عامر محمد بحيري

الديمقراطية والأدب

أخذتُ على الدكتور أبوشادى — كما أخذ عليه غيرى من أصدقائه ومريديه — ديمقراطيته المتناهية التى دلّت التجربة على أنها لا تناسب البيئة المصرية ، ولكن هذه المؤاخذة فى الواقع غير معقولة لأنه من العسير جداً بل من المستحيل أن نغير هذه الطبيعة فى رجل تربى تربية ديمقراطية وقضى أحدعشر عاماً فى بلاد الديمقراطية الصحيحة ، فكان نصير الديمقراطية فى أدبه وكان مثال الديمقراطية التامة فى خلقه[1]. الرجل الذى تكتب صحيفة (التيمس) عن جهوده ، وتشيد بأعماله هيئات شتى فى مصر والخارج ، فى غنى عن أن يتكلف العظمة والتعالى خصوصاً بعد أن بلغ العقد الخامس من عمره .

لا أعرف أديباً بارزاً صنع ما صنعه الدكتور أبوشادى من افساح الميدان للأدباء المغمورين ومن تهيئة الجوّ للجيل الجديد ، راضياً عن طيبة خاطر أن يتسلّق شهرته الناشئون ليظهروا على حسابه ما داموا من أهل المواهب فرحاً بتكوين هذه الشخصيات الجديدة ، معتبراً مهمته الكبرى أن يناول رسالته الفنية من جيله الى الجيل التالى وأن يحقق للأدب وللوطن تميّز هذا الجيل التالى. وهذا دليل على غنى نفسه التى تحب أن تعطى ولا تأخذ .

ولا شك أن تعاليم أبوشادى هذه وجهوده أثمرت ثمرتها فأصبح الشعر والشعراء حديث الأندية الأدبية ، وظهرت أصوات جديدة كانت فى غمرة النسيان والاغفال، ومع كل هذا فلم ينتفع أبوشادى من وراء ذلك ذرة من الانتفاع ؛ بل قضت صوفيته أن يستمتع أو يتفكه بتفاسير المصغرين والجاحدين قدر استمتاعه بمراقبة النهضة الشعرية الحبيبة الى نفسه . وقد هالنى ما رأيته من التقاريظ المكدسة فى « ندوة الثقافة » وقد أبى أن ينشر شيئاً منها ، ولو كانت فى أيدى حساده ومناوئيه لطبلوا وزمروا لها شهوراً وسنين فى الصحف المتصلين بها !

على أن الطبيعة البشرية التى جعلت المتنبي يصيح من أعماق نفسه :

ومَن عرفَ الأيامَ معرفتى بها وبالناسِ روّى رُمحَهُ غيرَ راحمِ

---

(١) راجع ما ذكرته فى دراستى (أبو شادى فى الميزان) — ص ٦٧

هذه الطبيعة البشرية تحتم ظهور المنافقين والكائدين والخائنين . . . ولست أجارى المتشائمين الذين لحوا أكثرية هؤلاء من طلبة (دار العلوم) وخريجيها ، فقد يكون ذلك مجرد مصادفة ، وإن قيل إن معظم أولئك من طبقة معينة تدين بالوصولية قبل كل مبدأ آخر ، فاساءوا الى سمعتهم والى سمعة هذا المعهد الجليل شر اساءة بما اشتهر من ألاعيبهم ومكائدهم فى الحياة الأدبية . لا أجارى المتشائمين ما دام لى بين أولئك الأدباء أصدقاء ، وما دام على رأس ذلك المعهد الجليل ناظر حازم ومعلمون مربون من خيرة الرجال وبينهم مَن تتشرف «ندوة الثقافة» بعضويتهم . ولكنني مع ذلك لا أستطيع إنكار الحقيقة السالفة الذكر وإن كنت أميل الى اعتبارها مجرد مصادفة ، وان سياسة الحزم والتطهير كفيلة بالقضاء عليها تلافياً لهذا الشر الخلقى المستطير الذى يشوه بلا شك سمعة هذا المعهد.

ليس عجيباً إذنْ — والطبيعةُ البشريةُ هى هى فى كل العصور — أن يظهر الدسّاسون والكائدون الجاحدون الذين يقابلون الاحسانَ بالاساءة ، ولكنّ العجيب أن لا يظهر هؤلاء . . . وقد كان منهم مَنْ بلغ غايات الخِسّة فى تصرفاته بالرغم مما يدينون به لأبو شادى فى شتى النواحى فى توجيههم وخواطرهم الشعرية وظهور أسمائهم ومؤازرتهم المنوّعة بل وخَلقهم من العدم ، كلّ ذلك إشباعاً لشهوة الجحود والأذى والوصولية المتأصّلة فى نفوسهم ، فيهون لديهم أن يجحدوا فضلَ هذا الرجل بكلّ سماجة ووقاحة بعد أن ينالوا أقصى غايتهم منه ، ولا يعزّ عليهم أن يبيعوا أنفسهم بيعَ الكلاب لمن يستغلهم أتباعاً له ، فيطبّلون ويزمرون له بالفضل الموهوم ، مضحّين بشخصيتهم وكرامتهم فى سبيل الكيد المطبوعة عليه نفوسهم ، كأنما من نعم الشيطان عليهم كل هذا التلفيق والجحود !

ولا أحبّ أن أذكر أحداً من هذه الأسماء فانما تعنينى المبادىء وحدها ، وانما تَعنينى الحملة على هذا الصّغار وعلى هذه النفسيات المنحطة ، مؤثراً من باب الاشفاق على أصحابها كتمَ اسمائهم لعلهم يهتدون . وماذا تقول فيمن لم يهدأ له لسانٌ فى الالحاح باخراج كتاب عن أبو شادى حتى إذا صرفهُ صديقُنا الدكتور عن ذلك بلطف ولم يجد له قنطرةً الى مودة أبو شادى الأدبية غير الانتاج الرفيع راح يكيد له بأقذر الوسائل ؟ ! وماذا تقول فى زميله الوصولىّ الذى يصحّح له أبوشادى ديوانَهُ من أوله الى آخره ، ويُعيره بعضَ الرّواشم المساعدة على طبعه ، ويأبى عليه أن ينشر فيه مدحةً طويلةً عنه ، ويَستجيب لالحاحه بكتابة مقدمة

له بعد أن توسّط والده لدى الدكتور فى ذلك ، فاذا به يتخذ من كل ذلك قنطرة لمؤازرة العقاد له على حساب أبو شادى ، ولا يكتفى بهذا بل يكيل وزميله الهجاء لصديقنا الدكتور الذى لم يكتب ولم يقل الى الآن كلمة هجاء واحدة ضدهما ويجملان من المقاهى مسرحاً عجيباً لكل ذلك العبث ؟! ماذا تقول فى مثل هذا الأديب الذى تصرخ فى وجهه أبيات شعره معلنةً جحوده بفضل مُلهمه ومعلمه كما تشهد كتابته إلى غير واحد من الأدباء وفى مقدمتهم الشاعر مختار الوكيل ؟! على أن هذين المثلين ليسا الاّ أهون ما يقع فى البيئات الأدبية فى مصر بفضل سياسة الأنانية الحمقاء التى يلجأ اليها بعض المتزعمّين ، مغرّرين بأمثال هذا الشاب أو ذاك ، حتى أصبح أدباء مصر بفضل هذه الحالة مضغة فى الأفواه وسخرية الأدباء فى الخارج ! .

وقد عرفتُ فى الدكتور أبو شادى — بالرغم من اشمئزازه لهذه الحالة المخجلة — نهايةَ الايمان والثبات ، ولكن اذا اقترنت هذه المكايد (كما هو واقعٌ فعلاً) بالاساءة المادية عند باعة المجلات وفى الوزارات المختصة بل فى كل مجال ، واضطرَّ الدكتور أبو شادى اضطراراً الى ايقاف هذه الجهود واعتزال الحياة العامة بسبب عجزه المالى بعد تضحياته الجسيمة المتوالية ، فأىُّ شرف يمكن أن يظفر به مناوئوه ؟ وأىُّ غنيمة يمكن أن يصيبها الأدب والثقافة العصرية من وراء ذلك ؟ هذا ما أدع لخصومه أن يفكروا فيه إذا كانت عندهم بقية من شهامة ووطنية ؟

محمد عبد الغفور

الشعر ودار العلوم

تحت هذا العنوان كتب الدكتور أبو شادى فى عدد (أبولو) الماضى ص ٤٠٩ كلمة رد على مقال المربى الفاضل محمد هاشم عطية فى (صحيفة دار العلوم) عدد شهر أكتوبر الماضى تحت عنوان « الشعر فى نهضتنا الحديثة » ، وفى الحقيقة كانت كلمته لمحة سريعة اقتضاها داعى الالمام والايجاز ، وإلا فما أظن أنه يتيسر لأحد أن يعبر نواحى هذا الموضوع المنفصم العرى ، ومع ذلك فقد كانت كلمته موفقة ، ولو اعتبرها الدكتور غير فنية ، وكل نقطة فى مقال الدكتور تحتاج الاطالة فى بيانه الى وقت

غير يسير ، ولعلى أستطيع فى هذه الكلمة المقتضبة أن أبين غلوّ الدكتور فى بعض أحكامه وفى تقدير كلمة الناقد الفاضل .

أول ما يقول الدكتور فى مقاله المذكور : « لا نعرف إلى الآن شاعراً مجيداً ولا ناقداً مبرزاً من خريجى دار العلوم دان بألمعيته الى تعاليمها قبل أن يدين بهذه الألمعية الى طبعه أولاً ثم الى اتساع أفقه الثقافى نتيجة اطلاعه على الآداب العالمية سواء أكانت بلغاتها أم منقولة إلى العربية » . والدكتور لا يأتينا بجديد فى النقطة الأولى، فالموثوق به أن الشاعر الأصيل موهوب بفطرته ، شاعر بطبيعته ، وليست دار العلوم ولا غيرها تصنع الشعراء أو تهب الشاعرية ، غاية الأمر أن دراسة اللغة وتعرّف أسرارها وإبداع رجالها العامل الأول فى تكوين الذوق الأدبى ، فلست أفهم ما تريد إلا بأسلوبك الماثل بين يدىّ ، وبغير ذلك لا أستطيع أن أعرف أنك ناثر أو شاعر ، ولا أستطيع أن أفهم أن معانيك جديدة فخمة جديرة بالاحتفال . ولا نعرف معهداً أدى رسالته كما أدتها دار العلوم باعتراف الدكتور أبى شادى نفسه ولا أجد مبرراً لهذا التناقض فهى حصن اللغة العربية وآدابها فى أيامها المختلفة غير مدافع ولم تكن غير ذلك فى يوم ما .

وبعد ذلك يقول : « فقد أخذ يلقى بأحكام غريبة على الأدباء المجددين تلمح من خلالها أن كل ذنبهم يرجع إلى عدم انتسابهم إلى بيئة دار العلوم وإن احترموها كل الاحترام » . ونحن نشكر الدكتور على هذا الاحترام اللائق بشخصيته الفذة ، ولكنى أقول للدكتور إن استنتاجه الأول لا يطابق الواقع ولو عرف أن استاذنا يوجّه انتقاداته إلى أبناء دار العلوم بصفة خاصة لما قال ذلك ، وهذا منطق لأن فائدة النقد ترجع للأديب قبل أن ترجع إلى غيره فهم أولى بنقده .

وليس غريباً أن يختص الدكتور أبو شادى الذى يتزعم مدرسة بجانب غير يسير من تلك العناية النقدية ، وهو يقصد فى قوله إن كلمة (بينا) حشوٌ فى قول الدكتور :

عرضتِ لنا تقاسيمَ الجمال وإشعاعَ الحقيقةِ والخيالِ
تلألأ بالهوى القدسىّ بينا تدفّقَ بالتجاوبِ لابتهالى

فانها من الألفاظ التى لها الصدارة ولم تجىء كذلك فى البيت ، ولم يقصد استاذنا أنها لغو. ثم يقول «وأما عن أنشودة الهاجر (ص٦٦ من الينبوع) فهى من الشعر

الغنائي المحض وخير له أن يسمعه ملحّناً قبل أن يحكم على رداءة نسجه» . والتجاء الدكتور إلى التلحين أمر غريب (مع انتظارنا بسرور لليوم الذى تردّد فيه أنغامُ الموسيقى آيات الشعر) لأننا إلى الآن لم نحكم الموسيقى فى نسج الشعر .

هذه كلمة عنّ لى أن أسطرها تعقيباً على كلمة الدكتور أبي شادي فليتقبلها إذا شاء والسلام ؟

بروى أحمد طبانة

***

(المحرر — ننشر هذه الرسالة عملاً بحرية منبرنا العام ، ولنا عليها التعليقات الآتية :

(١) إنّ تمهيدنا الذى يشير اليه حضرة الكاتب لا تناقضَ فيه ولم يكن لغواً ، وانما هو ردٌّ منطقىٌّ على ما كتبه حضرة المربى الفاضل محمد هاشم عطية ، فليرجع حضرة الكاتب الى مقاله المشار اليه وقد ظهر فى العدد الثانى من «صحيفة دار العلوم» ، فليس الذنبُ ذنبنا إذن فى تناول هذه البديهيات . وقد جاء ذلك المقال النقدى فى أسلوب غريب أقرب الى أساليب الصحف المولعة بانتقاص الأدباء المجددين منه الى الأسلوب المعتدل الذى يُنتظر من معلمى « دار العلوم » . فعلى حضرة الكاتب أن يوجه ملاحظاته هذه الى ناقدنا الفاضل بدل توجيهها الينا . ونحن دائماً من مقدّرى « دار العلوم » وانما نحب أن توضع الأمور فى نصابها وأن يتناول الأديب بنقده ما هو ألصق به .

(٢) لا نفهم الصدارة لكلمة « بينا » الاّ لغرض المفاجأة ، وفى ما عدا ذلك فهى ظرف لا موجب لصدارته ، وهى فى البيت المشار اليه فى موضع الاضافة الى جملة ، وكلّ مطلع على مقارنة اللغات يعرف نظير ذلك فى اللغات الحية . فلم نخطىء إذن فى هذا الاستعمال حتى ولو كان من باب تعريب الأساليب الغربية ، فضلاً عن جواز مثل هذا التأخير والتقديم فى الشعر اذا ما دعا الى ذلك انسجامه الموسيقى (راجع شرح المفصل لابن يعيش) . ويعزّ علينا أن نجرد لغتنا العربية من كلمة تقابل كلمة whilst الفرنجية معنًى واستعمالاً وأن نحكم بجمودها !

(٣) نحن لم نلجأ الى التلحين دفاعاً عن « أنشودة الهاجر » التى يستطيع الكاتب

الفاضل أن يتلقَّى ألحانها عن الفنّان المعروف محمود حلمى ، وانما أردنا أن نبين أن التكرار فى بعض ألفاظها مقصودٌ اليه وله معناه التوكيدى كما له حلاوتُه الايقاعية ولا ينافى جودةَ النسج بأىّ حال ، ولو كان النسجُ رديئاً لسقطت هذه الأنشودة من الناحية الغنائية .

(٤) نحن بعيدون عن التزعّم لأى مدرسة ، وليست لنا أكثر من صفة الأديب المنظّم المنتج الذى يحترم نفسه ويحترم كلَّ مَن يستحق الاحترام ، وملاحظاتنا التى وجهناها الى استاذه الفاضل لا تنافى احترامنا له وانما هى منصبّة على معالجته الشعر بنقده معالجة غير فنية ، فلم ينصفنا كما لم ينصف غيرنا من رجال الشعر الحديث . فاذا قلنا إن الأولى به الالتفات الى الدراسات اللغوية التى هى أقرب الى مزاجه وترك نقد الشعر للشعراء الضليعين فلسنا بالباخسيه حقه ولا بالجاحدى فضله ولا فضل «دار العلوم» على اللغة العربيّة) .

اخناتون

أكتب هذه الكلمة الموجزة وبين يدى إعلانٌ من إعلانات (أخناتون) أول أوپرا عربية — لم يحو الاعلان أى الفرق ستخرج هذه الأوپرا ولا فى أى المسارح سيكون ذلك ، ولا يفهم منه إلا أن هناك فرقة ستخرج أوپرا باسم (أخناتون) من نظم الدكتور أبى شادى ومن تلحين محمود حلمى .

وقبل أن أقدم للقارىء هذه الأوپرا يجب أن أقدّم كلاً من ناظمها وملحنها وهما من رجالات الفن المعروفين .

فالدكتور أبو شادى فى غنى عن التعريف وعلى الأخصّ لقراء هذه المجلة فهو ناظم عدة أوپرات عربية وله فى ميدان الأدب جولات لا ينكرها منصف ولا يرجع عدم اخراج أوپراته إلا لانتظارها الملحن الكفء الذى يعرف من الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية ما يؤهله لتلحين أوپرا كاملة .

أمّا هذا الملحن الذى كنا ننتظره منذ سنة ١٩٢٧ لتلحين أوپرات أبى شادى فهو محمود حلمى الذى درس الموسيقى النظرية بجامعة لندن بعد تخرجه من المعهد

الملكى للموسيقى العربية ، وهو أول ثمرة لقسم النظريات بالمعهد . ولمحمود حلمى دراية عظيمة في فن الأوبرا ، فله عدة ألحان فى أوبرات أوروبية ، وكلنا يذكر اسمه ضمن واضعى موسيقى رواية (الحبيب) السينمائية التى عرضت فى سينما وهبى .

أما الأوبرا (أخناتون) فتدور حول حياة ملك مصر الروحانى الذى يعتقد بعض المؤرخين أنه شبه مجنون — هذا لاعتقاده أن للعالم إلهاً واحداً اسمه (آتون) تفانى تفانياً غريباً فى تقديسه ، وكان انحلال الامبراطورية المصرية نتيجة تهافته على مثله الأعلى وقد أدّى حبه للسلام الى استقلال أمراء الدولة بممتلكاتها .

يصور لنا أبوشادى حياة هذا الرجل كحياة رجل عظيم على أخلاق عالية ومبادىء سامية ولم يكن عيبه (فى نظر أبى شادى) سوى أنه خُلِقَ قبل أوانه .

ولا بدّ من كلمة أخيرة صريحة : تلك أنه من الواجب على وزارة المعارف الأخذ بيد الفرقة التى تتخصّص فى الأوبرات ما بين اعانة مادية ومعنوية ، أقلها السماح لها بالانتفاع بدار الأوبرا وتغطية خسائر الفرقة حتى يمكننا احياء هذا الفنّ الجديد فى مصر ، بدل أن نقف معاونتنا وتشجيعنا على الفرق الأجنبية وحدها ، إذ من الصعب جداً اخراج مثل هذه الأوبرا بنجاح تام اذا تخلت الوزارة عن المساعدة ؟

أحمد فتحى
(خريج كونزفتوار باريس للموسيقى)

بين نزاهة النقد وضعة الأهواء

نشرت جريدة (الوادى) فى عددها الصادر بتاريخ ٣ أكتوبر سنة ١٩٣٤ مقالاً لى بعنوان « تصدير . . . » تناولتُ فيه الكلام عن المقدمة التى صدّر بها الدكتور أبو شادى ديوان « الألحان الضائعة » ، ومما يؤسف له جدّ الأسف أنّ رجال (الوادى) تناولوا المقال بالحذف والاضافة والتبديل بحيث أصبح مقالا لا يمتّ إلىّ بسبب !

وكلّ ما قصدته من نشر تلك الكلمة هو أن أبين رأياً لى أعترضُ فيه على قول الدكتور أبى شادى : « فليذهب عشاق التشريح والتنقيب اللفظى الى غير هذا الشعر . فليذهبوا الى شعراء الرنين وليتناظروا معهم فى استبدال لفظة بأخرى وفى أصوب

المذاهب النحوية ». وكلّما عنيته أن أناقش الدكتور الفاضل مناقشةً منطقيةً هادئةً نصل معها الى الحقيقة المنشودة ، فعجيب جداً من بعض صبيان الصحافة أن يدسّوا على الناس ما لم يكتبوه وأن يخلقوا الحزازات الشخصية حيث لا مدعاة للحزازات أبداً ، ولا أدري ما الذي يدفعني الى النيل من شخصية أبي شادي وكل ما بيننا خلاف أدبي ؟!

ولعل أكثر الظواهر الأدبية إيلاماً للنفس في هذا البلد هي اسفاف النقد وضاعة نفسيّة النقاد الى حدّ جعلنا نؤمن أن الناقد الذي يعمل لوجه الأدب وحده لم يُخلق بعد في مصر ، كما أنه من أسوأ ما يدل على ذلك الخور الذي يسيطر على فريق من أدباء هذا البلد عدم تفريقهم بين الشخصيات والأدب ، وهذا جعل من النقد معولاً للهدم أو بوقاً للتهريج .

فهل نكون محقين بعد ذلك اذا قلنا إن النقد في مصر مهزلة وضيعة بفضل أولئك السماسرة الذين يحترفون السبّ والقذف إشباعاً لنزعة تمتلك نفوسهم ؟ وهل لنا أن نقول إن الأدب في مصر سيظل كسيحاً ما دام النقد في مصر ترهات وأباطيل ؟ كل ذلك بفضل أولئك الذين يسمّمون الجو الأدبي بنزعاتهم ونفسياتهم التي يتبرأ منها الأدب والشعر والنقد ؟

م . نصري عطا الله

* * *

(المحرر — هذه الشكوى ليست الأولى ولا الأخيرة من طرازها ، ولعلّها تمثّل أهونَ ما نالنا ونال حضرة الكاتب بفضل أهواء المغرضين الذين يحتمون في السياسة وفي غير السياسة للنّيل من كرام الرجال الذين يعملون لخدمة النهضة الثقافية في شرفٍ واستقلال . والعلّةُ الأساسية لكلّ هذا العبث هي الأنانية المتفشّيةُ والجهلُ بالواجب العام ، وهذه الحالة تبيح لأولئك العابثين كبارهم وصغارهم على السواء ألوان التجنّي والتزوير ما دام في ذلك منفعتهم الشخصية التي يعبدونها ولوضحّوا في سبيل ذلك بالخير والاصلاح وبأخلاق الأدباء)

العقاد وأدبه

لا أريد فى هذه الكلمة أن أتحدَّث عن أدب العقاد الانشائى فقد نشرت مجلة (أبولو) من وقت الى آخر تقديرات مختلفة له ولغيره، وقد تعلمنا من صوفية محررها الفاضل أن نفتش عن الجمال فى كل عمل، وأن نعرف للعقاد نصيبه فى الحركة التجديدية، وأن نحمد له آثاره الطيبة، ولكنى أريد أن أشير فى لهجة بريئة صادقة الى جانب من تصرّفات العقاد وتأثيرها فى الجوّ الأدبى وفى منزلته الأدبية إن لم يكن حاضراً (وهو واقعٌ فعلا) ففى حكم التاريخ الذى لن يرحم أحداً.

لاحظتُ كما لاحظ كثيرون غيرى أن العقاد قد جعل محوره الأدبى منذ سنوات بعيدة الأنانية المطلقة والتمجيدَ إن لم أقل التقديسَ لذاته مستعيناً بالسياسة لهذه الغاية، والسياسة لا تبالى بامتهان الأدب اكراماً لأحد خُدَّامها، ومن ثمة نشأ الفساد العميم فى الجوّ الأدبى، وعُدنا الى العبث السخيف بامارة الشعر والى تسخير الأدباء فى هذا التهريج! ولمَّا كان مبدأ (أبولو) ومحررها عكس ذلك تماماً فقد استحق من أجل ذلك أقسى الحملات عليه من قلم العقاد ومن أقلام من يتملقونه من الشبان المغرَّر بهم، بل استحقَّ أن توقف صحف شتى على الاضرار به كالوادى والاسبوع والراديو والشبيبة وغيرها، وأن يتمادى ذلك العبثُ الى درجة الطعن فى رجولة أبى شادى والمقارنة البغيضة بينهما مما يوقع الكتاب تحت طائلة العقاب القانونى، فيقابل ذلك أبو شادى بالترفع والتسامح، وما أندر تحركه للدفاع الواجب. ولا يسعنى تقريراً للحقيقة الاَّ عرض هذه المقارنة وأتحدَّى أياً كان أن يخطئها. أعرضها على كره منى مادام العقاد يحبّ المقارنات ويوعز بها فى تلك الصحف التجارية.

أبوشادي

(١) قضى زهرة عمره فى نصرة الديمقراطية المصرية بالقلم واللسان وبماله، كما تشهد جهوده فى انجلترا وفى مصر منذ سنين بعيدة. وتضحياتُه لذلك ولخدمة الثقافة الوطنية مضربُ المثل من شتى الوجوه.

العقاد

(١) تذبذب ما بين الحزب الوطنى والوفد، وقد فضح ذلك الهلباوى وعبد القادر حمزة وغيرهما، وكان تصرفه تصرف الكاتب الأجير فحسب. وهو لم يضحِّ بشىء بتاتاً بل عرف دائماً من أين تؤكل الكتف، وحتى فى حبسه كان مكرهاً لا بطلا.

(٢) جعل حياته وقفاً على خدمة الثقافة فى فروع متعددة خدمات ممتازة ولم يقصر جهده على نفع نفسه ، حتى قال عنه المرحوم شوقى بك فى شيخوخته : «شاب طموح نشيط مجتهد شغلته صوالح الأعمال عن طوالحها» وذلك بعد ما رآه من تسامحه الصادق وتفانيه للمبادىء وحدها

(٣) كان مثال البر بأساتذته وزملائه وإن تجنى بعضُهم عليه . وتعلقه بمطران ومحرم وناجى والصيرفى وغيرهم فى غنى عن التعريف به ، ولم يشأ دائماً إلا أن يعدّ نفسه فرداً من مدرسة .

(٤) رفض رفضاً باتاً تهريج الالقاب وبثّ روح الديمقراطية الأدبية ، وعُنى بتنشئة الأدباء الشباب تنشئة مستقلة ، وحرص على كرامتهم ورجولتهم .

(٥) أفسح صدر مجلاته لما يكتب ضده قبل ما يكتبَ له ، وأبعد عنها الكثير من التقاريظ ، وعُنى بتشجيع النقد الأدبى الحرّ فى أوسع دائرة ممكنة له .

(٦) لم يتردد فى مخالفة مناصريه اذا لم يجد أن الحق لديهم كما خالف الدكتور رمزى مفتاح وسواه من الأدباء ، وفى ردّ كل غلواء مدافعاً عن العقاد فى مواقف كثيرة ، معلناً أن اسمى غاياته هى خدمة

(٢) جعل معظم حياته وقفاً على الدعاية لنفسه حتى لم يستح من المناداة بأنه شرف العربية بأدبه أكثر مما شرفها أدب المتنبى والمعرى وابن الرومى ، وذلك تغريراً بعقول الناشئين فسنّ أسوأ سنة لخلط الأدب بالاعلانات الجوفاء .

(٣) كان مثال العقوق لكلّ من خدمه مثل عبد الرحمن شكرى والمازنى والسباعى وداوود بركات ، وهذا أشهر من أن يذكر ، وكان دائماً المتهافت على التفرد والاثرة .

(٤) تهافت على الألقاب : فمن زعيم المجددين الى أمير الشعراء ، بعد ما كان ينكر ذلك على شوقى ، وجعل الشباب مطايا لأهوائه الشخصية ، فأساء اساءة بليغة الى الجيل الناشىء .

(٥) جعل كل جريدة اشتغل فيها وآخرها «الجهاد» موقوفة على مماالثيه ، وحارب كل أديب مستقل بشتى الاساليب وقضى على النقد الأدبى النزيه قضاء تاماً فى بيئته وحيثما استطاع أن يبث دعاياته .

(٦) لا يعرف الا التحزب بالحق وبالباطل ، ومحورُ جميع أحكامه مبلغ تبعية الأدباء وتملقهم له ، دون أن يفرق بين الشخصيات والمثل العليا . وقد أدى به ذلك الى الاغراء بأبى شادى حتى

الحق والجمال أينما وُجِدا ولو عند ألد خصومه ، فكان أثره دائماً فى مجال الخير.

(٧) لم يتردد فى أى وقت فى الاشادة بمواهب النقاد الادبية وكتب خير كتابة عن شعره وعرض مختاراً منه للترجمة وأعلن من تلقاء نفسه عن ديوانه، واستعان بالفنان شعبان زكى على الدكتور رمزى مفتاح ليخفف لهجة نقده ، وحذف الكثير مما تناوله ضده وأهمل سواه .

(٨) أفسح الطريق للكثيرين من أدباء الشباب النابهين وأبى تمجيده على حسابهم، وحرص على أوقاتهم وجهودهم ، وحضهم على التسامح مع خصومه وعلمهم حب الأدب للأدب والترفع عن الحزازات والدسائس المزرية ، وغفر حتى للوصوليين منهم الذين يطعنون فيه جزاء إحسانه .

(٩) بالرغم من اشتغاله الطويل بالصحافة منذ سنة ١٩٠٨ حيث صدرت أولى مجلاته عاش بعيداً عن التحكك بالصحفيين واكتساب مديحهم وقلما أعلن حتى عن مؤلفاته ، ورحب بكل نقدٍ — ولو كان مغرضاً — يوجَّه الى المؤلف فى حياته ، وحارب ما نعته بالعهارة الفكرية وتأجير أقلام الأدباء للمدح والقدح وشراء آثارهم سراً وانتحالها بأبخس الأثمان .

بأقلام بعض مَن خلقهم أبوشادي من العدم .

(٧) لم يحجم عند ما تبين استقلال أبى شادى من نعته فى غير حياء بالطبيب المتشاعر ، وهو الناظر الى طائفة من معانيه واتجاهاته ، بعد أن كان ينعته بالشاعر الفاضل، ومن اغفال كل ما كان يكتب من خير عنه الى «الجهاد» ، ومن الطعن فيه بمجلات وصحف شتى بأقلام صحبه وبأقلام نكرات أو شخصيات وهمية، ومن تلفيق التهم ضده فى غير تورع .

(٨) شغل أولئك الأدباء بمجالسه الليلية عن دراساتهم وجعل همَّهم الأول تمجيده بدل تكوين أنفسهم وعلَّمهم التقلب والذبذبة والاساءة الى من عاونهم إكراماً لايحائه وزجَّ بهم فى تيار الحزازات والمناورات الشخصية وتظاهر ببعض التقدير لهم لقاء أن يبقوا مطاياه .

(٩) خلق سفراء له فى ادارات الصحف المختلفة وأوجد شبكةً من التحزّب له ولمناوأة جميع منافسيه ، وابتدع مذهب « الحجر الادبى » على كلّ من لا يرضى عنهم ، ولم يتعفف حتى عن استغلال تاجر خردوات أو بائع لبن ، وجعل المغالاة فى مدحه ضريبة لامفر منها على كل من يستبقى صلاته به ، ولم يبال بما لكل هذا من العواقب الوخيمة على أخلاق الأدباء .

(١٠) عمل على استقلال الأدب عامة كما عمل على استقلال الشعر خاصة. وبذلك أصرّ على الاعتراف بالجهود الأدبية الممتازة أينما كان مصدرها ولو خالف أصحابها في أشياء كثيرة. وبذلك صان حرمة الأدب وكرامته وارتفع بموازين النقد الأدبي.

(١٠) احتمى بالسياسة لتطبل لأدبه وتزمّر، ولتقيه حتى من النقد الأدبي البريء، واخترع أخس التهم السياسية ضدّ زملائه ولو كانوا من أطهر الرجال ذمة وخلقاً وأصلاً. فسنّ بذلك سنة قبيحة سمّمت الجو الأدبي في مصر.

هذا قليل من كثير من نقاط المقارنة، وقد شاعت رجولة العقاد التي يتغنى بها أن يقف موقف النساء حينما صدر الحكم بحبسه شهوراً معدودة حبساً بسيطاً وأن يهوّل في تصوير ذلك الحبس، وشاعت رجولة أبي شادي التي يتناساها العقاد أن يتقبل ما هو في حكم النفي ببلاد غريبة سنين عديدة عاملا لخدمة وطنه أشرف الخدمات بالرغم من كل اضطهاد.

ولستُ أرمي بشيء مما تقدّم الى انتقاص أحد، وانما أريد أن أدلّل على أنّ من الخير للأدب والادباء أن يحاسب العقاد نفسه ويغير من خطته التي لا تنفعه بقدر ما تنفع وسطاء السوء؟

السيد عطية شريف

* * *

(المحرر — ننشر هذه الرسالة تلبية لغيرة كاتبها الفاضل الذي أبت له نخوته أن يرى الشباب يغرَّر به هذا التغرير للتطاول على الادباء الجهير بن مجاراة لاهواء هذا المتزعم أو ذاك. وفيما يختصّ بنا شخصياً فليس لنا من دعوى أكثر من الخدمة المتواضعة قدر طاقتنا، وإذن فلسنا من يجاري أيَّ مقارنة أو يقبلها، ولسنا من يرضى انتقاص أحد. ونحن نسامح كل من تطاول علينا وافترى ضدنا أو خان ثقتنا أو حسن ظننا فيه أو جحد معاونتنا، ونعدّ هذا التسامح قرباناً للخير العام. والله المسئول أن يهدينا جميعاً سواء السبيل).

جولة فى شعر أبى شادى

لكل عصر طابعه الخاص ، وفى كل عصر تجد الناس مفترقين ثلاث فرق ، ما من ذلك بدٌّ : فإمّا داعٍ الى التجديد متطرّفٌ فيه ، وإمّا داعٍ الى القديم جامدٌ عليه ، وإمّا حذرٌ طموحٌ مشفقٌ على القديم راغب فى الجديد فتراه يداور ويحاور عسى أن يوفّق بينهما ، وكلا الطرفين ساخط عليه متبرم به . هـذا قانونٌ صادقٌ فى كل شيء وخاصة فى أبحاث اللغة والأدب .



عبد الغنى محمود على

ولا نزال نرى الشعراء منقسمين على أنفسهم هذا الإنقسام ، والدكتور أبو شادى من دعاة الطفرة والوثوب والجرى السريع فى عنان الحضارة ، فهو من المتطرفين فى الأدب ثم حامل لواء التطرف والتجديد .

أول ما يروعك من أبى شادى كثرة الانتـاج حتى كأنه معمـلٌ يديره محرك كهربائى من أحدث أنموذج فى السرعة ، كأنما ألقى نظرة الى العالم فوجـده مملوءاً بالحركة والنشاط ، فجرى ملء عنـانه أنفاً أن يتخلف عن الركب ، وهو فى هـذه السرعة لم يخل من سقطات وعـثرات ومصادمات ومنافسات شأن المنتجين فى كل فنٍّ من فنون الحياة . وهو شاعرٌ طبعيٌّ يجرى فى ميادين الطبيعة حراً طليقاً ،

فقد يجمح به الخيال ، وقد يتهدّى الى وجه السداد ، وتراه يعرض نفسه على النوادى على أسلوب العصر أيضاً فى الاعلان . والناس منهم معرض عنـه ومقبل عليه وهو ماض فى طريقه لا يلوى على شىء ، ولا يبالى بالخسائر التى تصيبه ولا بالآلام التى يعانيها حتى اذا فاز فى النهاية حمد طول السّرى .

وقد هزّنى ما رأيت من اختـلاف الناس فيه وخلاف الأدباء عليه أن أكثر القراءة فى شعره ولـكن بسرعة كسرعته لعلنى أستطيع أن أستوعب أكثر ما عنده وأن ألمح جوانبه كلها لمحاً يضعه عندى فى المرتبة اللائقة بهذا الانتاج الضخم والعمل المضنى . فأخذت أقرأ وأقرأ على جناح السرعة — كما يقولون — ففاتتنى المعـانى وبقيت الألفاظ ترن على شفتىّ رنيناً مزعجاً ، فخيل الى أن عوداً وقع على أوتاره طائر فظنه شركاً فأخذ يرفرف بجناحيه على أوتاره فتخرج أنغاماً لا موسيقى لهـا ولا جمال فيها . فجزعت على وقت ضاع فى هذا العناء الذى لا طائل فيه ولا جدوى. فألقيت خاطر أبى شادى وعصر أبى شادى وأقبلت على الشعر أقرؤه بهـدوء واطمئنان وببطء قد لا يعجب أبا شادى فانه ليس منـــــه فى شىء ، فما هى إلا جولات حتى رأيت خيالى يطير معـه فى أودية شتى ويسرع فى التنقل كالطائر المذعور : فمرة أراه يرقص مع الآلهة أو يضرب الاعواد مع الرهبان فى الهياكل وتارة أراه مع الفراعين الاول يستلهم المعانى ويستوحيهم المجد والعظمـة ، وطوراً أراه « وراء الغمام » يصف ما وراء المجرة وأسمع له شعر النجوم والمريخ ينتظر « أحـلام الظلام » ، وتارة أراه بين الرياض يصف الازهار و« الأثمار » و « مخلب الطاووس » وفيضان النهر المقدس والحقول و« الاشجار الشريدة» و « الارز الطائش » عنـد سير القطار به ، فأخال انساناً يعيش فى جو من الاحلام الشعرية لا صلة له بالسياسة ولا بالمجتمع ! وما هى إلا صفحة من أشعاره نقلبها حتى نراه يحيّى ويهنىء زعيم الأمة والمجاهد الـكبير ويودّع صدقى باشا وينعى على وزارته سيئاتها فى حادث ضريح سعد ويصف بأس الشعب ويذكر أنه مصدر السلطات ويخوض معمعان السياسـة بعاطفة وطنية صادقة ، ويسبح فى المجتمع فيدخل المحـكمة الشرعية فينتقدها انتقاداً مرّاً لاذعاً وينتقد سماسرتها بنظرة الفيلسوف الاجتماعى . ثم يقتحم الزحام فى مولد السيدة زينب فيصفه أصدق وصف إذ يقول :

فسرنا فى مواكب حاشدات ... تدفّقُ كالظلام على الظلامِ
وقد ثار الغبارُ فصار معنى ... لغيرِ السّلمِ فى مثلِ القتامِ

ويلاحظ التواء التعبير فى قوله « لغير السلم فى معنى القتام » كأنه يقلد المتنبي فى مثل هذا الالتواء . ويصف الولى « المطمطم » وقد سار يشقّ الجمع مزهوّاً بكثرة أتباعه . ولكن أبا شادى لا يسلم فى هذا الزحام من العثرات فانظر اليه يقول فى وصف الولىّ :

يبارك كلَّ مكلومٍ عليلٍ ومن أمثاله علل الكلامِ

فما معنى « علل الكلام » هنا ؟ وما مناسبتها إلا لتكملة البيت وموافقة القافية ؟ فان كان يقصد الكلام بفتح الكاف فلا معنى لها هنا ولا مناسبة — وإن كان يقصد الكلام جمع كلم وهو الجرح فهذه إضافة الشيء الى مثله وهى نابية على الذوق الأدبى ضعيفة فى نظر النحوى والبلاغى . وإن قصد بالعلل الأسباب فيكون الضعف فى كلمة من أمثاله . فهذا الشى وأمثاله هم أسباب الفساد لأن منهم الاسباب فهم بأعيانهم وذواتهم والاعيبهم فساد لا ريب فيه ولا نزاع .

والشاعر مولع بالتجديد لأبعد حد ، وقد يخرج به التجديد والسير وراء الفن عن جادة الحشمة فيصور الصور العارية أو القريبة من العارية كل ذلك لا دعوة للاباحية والفوضى الخلقية فهذا ليس من شأن الفيلسوف الاجتماعى ولكن إثارة لعواطف الشباب نحو الجمال وتقديره وتقديسه . ومن الصور ما يظهر فيه الفن الرائع ، ومنها ما لا يظهر فيها روعة الجمال ، ومنها ما يصور أساطير يونانية ورومانية وفرعونية أو يشير إلى حوادث تاريخية ، وهذا كله وإن كان خارجاً عما وقفت عليه البحث غير أنه داخل فى شخصية أبى شادى .

وأبو شادى رافع راية التجديد وعلى يديه خفيتين حيناً وظاهرتين حيناً آخر تخرّج شبان فى نظم الشعر الحديث على الأسلوب التجديدى .

ومما يعضّ النفس ، ويقذى عين الحقيقة ، وينغص فؤاد المعروف ، ويفسد حسن الصنيع ، أن من هؤلاء الشبان مَن يكفره ويجحد فضله .

نبئت عمراً غير شاكر نعمتى والكفرُ مخبثةٌ لنفسِ المنعمِ

وهؤلاء الشبان وهم لا يزالون فى فجاجة وقصور يتطاولون عليه إرضاء لانسان آخر يريد أن يتزعم الشعر تزعماً لا يقره عليه من نقاد الشعر أحد ، ولكن السياسة الخرقاء تحميه من النقد ، وانتسابه لأكبر الأحزاب فى مصر يرفعه عند الناس ، ولكن عند من ؟ عند من يتغاضى وهو يعلم أن الزمن كفيل بهدم هذا الصرح المشيد

فى الهواء من الهراء . وهنا أقف وقفة الأسف والألم ، وأرفع الصوت عالياً ضد السياسة التى ما دخلت شيئاً الا أفسدته . وقد تعوّذ المرحوم الشيخ محمد عبده من السياسة ومن ساس ويسوس ... الى آخر ما يمكن اشتقاقه من هذه المادة .

ما للسياسة وما للأدب لولا سخرية القدر ومجانة الحظ ؟ وأىّ شأن لهؤلاء المتشاعرين بالموازنة بين الشعراء وبالحكم بينهم ؟ حسبهم أنهم يحاولون الانضواء تحت لواء الشعر محاولة ، فكان الأجدر بهم أن ينزهوا أفواههم الباغمة من مصاولة الأسود فى حرجاتها . ولكن تأبى البعوضة الا أن تطن فى أذن الفيل ، ثم تساءل : أيسمعنى الفيل ويعبأ بى ؟ حقاً أنا عظيمة لأن الفيل يحرك أذنه من أجلى !

وما زال أمثال هؤلاء يتزلفون الى الدكتور حتى ينوّه بهم ويمدّهم بالمال والخيال والفن ، حتى اذا ظنوا أنهم شىء تراموا على أعتاب غيره والتفوا حواليه ولسان الحال يردّد فى آذانهم لو سمعوا :

أعلّمه الرمايةَ كلَّ يومٍ فلما اشتدَّ ساعدُه رمانى
وكم علمتُه نظمَ القوافى فلما قال قافيةً هجانى !

ومن العجيب أن الدكتور قد بدأ يعبأ بهم ويقيم لهم وزناً فتراه قد أصرَّ على هجر ميدان الأدب الذى جرى فيه طلق العنان أمداً بعيداً وقطع فيه مدًى شاسعاً! لأي شىء يهجر الدكتور هذا الميدان ويتغلّب عليه اليأس وهذه قصوى أمانى حسّاده ومنافسيه ، وهو الذى ضرب المثل عالياً فى المغامرة وعدم المبالاة ، وأرغم الحساد زماناً طويلاً لذلك ؟

أتقدّم للدكتور فى روية وأناة وأزلف له نصيحة خالصة ملؤها الاخلاص والانصاف يردّدها معى جميع عارفى فضله : إنا نرى الدكتور يكثر من الانتاج ولا يتنخل ما ينتجه ، فما أجدره أن يصفى ويصفى ويحذف كثيراً ويطاوع دولة الألفاظ قليلا ويصغى لأحكامها ولو بعض الاصغاء ، فذلك يعود على أسلوبه بالطلاوة والحلاوة ويكسوه رصانة ودقة ومتانة ، ثم لا يعبأ بعد بهؤلاء الأذناب ولا يقيم وزناً لهم ولا لحرّضهم ومحرّشهم به ، فمن الخور والضعف أن ينكص مثله لهذه الحملات الخرقاء التى يشنها عليه خصومه الألدّاء .

وما آخذه عليه إهماله الرواية . وفنّ الرواية فى الشعر الأوروبى قد تقدّم تقدّماً

سريعاً وشعرنا العربي لا يزال في مهده من هذه الناحية ، وقد رسم شوقي بك خطة لا بأس بها ولا بأس بالتجديد عليها ، فلأي شيء لم يؤلف أبو شادي روايات شعرية وهي أجدى على الأدب وأجذب للقراء وأمتع للنفوس من الخيالات الشاردة التي يتصيدها ويقيدها ثم يسيرها في الناس فلا تشق طريقها في هذا الجيل السئوم الملول الاّ في بطء وفتور كأنها بنت شعيب تمشي على استحياء ؟! ولعل هذا الصوت يسمع أباشادي فيقذف بنفسه في هذا التيار فيخرج لنا كل شهر رواية مسرحية شعرية خالدة فالمسرح ينتظرمنه ، وإذا أبي مسرح هذا الجيل فستكفر عن سيئاته مسارح الاجيال القادمة . ومن الاخطاء العربية اللغوية التي لا يبالي بها أبوشادي ولا يراعيها وأجدر بها أن تراعى قوله في قصيدة « بأس الشعب » :

وليس العتيّ الرأي للنصر كافلاً   اذا الحقُّ للرأي العتيّ خصيمُ

فكلمة اذا لا يليها الا جملة فعلية وقيل في « اذا السماء انشقت » انها جملة فعلية بتقدير « انشقت » . ولا يليها مبتدأ وخبر الا اذا كانت للمفاجأة وهي لا تصلح هنا . ومن فساد الخيال وصفه ألوان الطعام بأنها مثل سلاح أعداء السلام في قوله في قصيدة « مولد السيدة زينب » :

وألوانُ الطعام تفوح حتى   تخال سلاحَ أعداءِ السلام !

واستعماله لفظ « حرامي » العامي بلا أقواس في القصيدة نفسها :

وأخرى في تدفقها حيارى   وقد أودى بها عبث الحرامي

ويقصد أودى بها أي بنقودها أو حليها وليس بشيء أيضاً ، فهلا تمحل ومحص وروّى عساه يحل المكان اللائق به ، وعساه ينهض بالشعر الحديث الذي انتدب الى انهاضه ، فان هذه الاباحية قد تقعد به وبشعره عن بلوغ الغاية المنشودة وتحط منزلته عند أفاضل النقاد وأساطين الأدب في هذ الجيل ؟

عبد الغني محمود علي
مدير (مجلة الطلبة)

كلية الآداب
الجامعة المصرية

* * *

(المحرر — نشكر لناقدنا الفاضل حسن ظنه بنا ونهنئه باستقلاله الفكري ، ثم نعرض عليه الملاحظات الآتية ليتدبرها تدبرَّ الاديب المستفيد الذي لايجوز له أن يتعالى على المعرفة أيّاً كان مصدرُها ، وما أجدر شبابنا أن يكون هذا ديدنه دائماً :

(١) من الأوهام الشائعة التى يورثها الايحاء فريقاً بعد آخر من الناس أن كثرة الانتاج الفنى توجب كثرة السقطات والعثرات، مع أن المعقول أن المرانة الفنية التى تصحب الانتاج الوفير تؤدى الى النضوج والاتقان. وللأسف لا يوجد انتاج بالغ لاحد من الأدباء المكثرين فى مصر يقارن بانتاج أمثالهم فى الغرب، فلا معنى لأن نخدع أنفسنا بهذا الوهم ثم نتبرع بالنقد لما لا يستحق النقد. والشاعر الذى يبلغ العقد الخامس من عمره محتفظاً بقواه الذهنية وخصائصه الفنية هو أولى بالتشجيع منه بالتثبيط لانه فى سن النضوج المثمر، والأولى بمحبى الادب أن يتطلعوا الى أقصى المستطاع من انتاجه الناضج فى هذه الحالة وأن يطالبوه به تباعاً، لا أن يعنفوه على نشاطه الموفق!

(٢) كثيراً ما يتعثر الناقدون فى وصف أساليب الفنانين ومناحيهم فينعتونها أحياناً بالسقوط والاسفاف وما الى ذلك، ومنشأ هذا التطاول راجع الى تعالى النقاد شيوخاً وشباناً على السواء! ولو أنهم نظروا الى الآثار الفنية نظرة الاحترام الواجبة لتذوقوا ألواناً منوعة من الابداع الفنى أسلوباً وموضوعاً فى شتى المناحى، ولكنهم يكتفون بالنظرة القصيرة وبلون واحد من الفن يؤثرونه فيبخسون غيره حقه وتغيب عنهم آفاق كثيرة ... ان الفن حليف التنوع والتجديد، فمن العبث الايمان بصورة واحدة من صوره والتخلى عما عداها!

(٣) ان ما نعرضه على النوادى الادبية من تعاليمنا الفنية بالتأليف أو المحاضرة هو أكرم أنواع العرض تلبية للدعوة الحميمة لا تطفلا على أحد. وقد دلتنا الخبرة الطويلة على أن عملنا المستقل فى ظروفنا الاجتماعية والسياسية الحاضرة أجدى على الأدب والعلم من جهودنا التعاونية، فالتعاون مازال غريباً شريداً فى مصر يُحارَبُ الداعى اليه والعامل له شر محاربة!

(٤) لا يوجد شاعر معاصر خدمَ الموسيقى الشعرية بأكثر مما خدمناها، وقد أبينا العبث الشائع بالرنين اللفظى على اعتبار انه موسيقى بالمعنى الفنى، كما أبينا تبعية الشعر لغيره من الفنون، واحترمنا الموسيقى الأصيلة المنبثة فى بنية الشعر — موسيقى المعانى الشعرية. ولم ننسَ تقسيم جول كومباريو الفن الى ثالوثين أساسيين مستقلين بعضهما عن بعض: ثالوث فنون الابعاد أو الجمال الثابت، وثالوث فنون الوقت أو الجمال المتحرك، إذ يتألف الثالوث الأول من البناء والتصوير والنحت،

ويتألف الثالوث الآخر من الموسقى والشعر والرقص (فن التماثيل الحية)[١] .

ونحن نقر هذا التقسيم على اعتبار الفن الموسيقى الشعرى فنٌّ تعبيريٌّ معنويٌّ وليس رنيناً لفظياً آلياً ،فالموسيقى تزدوج ببيانه المعنوى ازدواجاً مؤلفاً لوحدته الفنية التى لا يمكن تجزئتها . وعلى هذا الايمان يقوم حرصنا على الموسيقى الشعرية الصحيحة فى تعليمنا وتطبيقنا كما تقوم محاربتنا لكل زيف باطل يعرض علينا باسمها

(٥) لا يجوز أن يوصفَ التركيزُ والدسامةُ فى التعبير بالالتواء ، وأين الالتواء مثلاً فى البيت الثانى مِن هذا القول وصفاً للزحام الهائل بمولدِ السيدة زينب :

فسرنا فى مواكبَ حاشداتٍ تَدَفَّقَ كالظلامِ على الظلامِ
وقد ثار الغبارُ فصار مَغْنًى لغيرِ السّلم فى مثلِ القتامِ

وكيف يحار أديبنا الناقد أمام مثل هذا البيت فى وصف الولىّ :

يُبارك كلَّ مكلومٍ عليلٍ ومن أمثالهِ عِللُ الكلامِ

حينما صدرُ البيت يفسِّر عجزه ؟ إن هذا البيت ضروريٌّ للصورة الوصفية وليس فى شىءٍ من الحشو الذي ينافى طبيعتنا ، واذا خطته يراعةُ طبيب اطّلع على الكثير من علم النفس فانه يحمل من المعانى الضمنية كثيراً فوق رموز ألفاظه . وأمثال ذلك الولىّ بلا شك من الاسباب المرَضية للجراح النفسية الخبيثة المتفشية بين مَنْ يؤمنون به ، وما أكثر هذه الجراح !

(٦) إن ما نعرضه من الصُّوَر الفنية حسب اعتقادنا يُرَحَّبُ به أيَّما ترحيب فى فى مجال النقش والتصوير ، فكيف يعاب فى مجال الشعر ؟! أليس ذلك راجعاً إلى حكم العادة الغريبة فحسب ؟ ولو عُنِى النقاد بالتبحُّر فى دراسة عناصر الفنون الجميلة وعلاقة المرأة بكل ذلك لحدوا لنا جهدنا بدل لومه ، ولما كان للحديث عن الحشمة أيّ معنى فى تلك المناسبات .كذلك لا نعرف أننا نتصيد شيئاً من الخيالات الشاردة بل جميعها من صور الحياة المواتية لنا فى سهولة طبيعية وقد توفرت لها أركان الفن الأدبى .

(٧) نحن لا نعبأ بهوس الدسّاسين والجاحدين وافتراءات المغرضين الأنانيين ،

(١) أنظر مقدمة كتاب (أصول الموسيقى)للاستاذ شارلس بيرس .

فكل مخلوق ميسر لما خلق له ، وإن سجلنا صُوَراً من تصرفاتهم للتأريخ الأدبي فقط في هذا الزمن الشديد الاضطراب . وفي فاتحة هذا العدد (وكذلك في أعداد زميلتنا « الامام » الأخيرة) شرحٌ كافٍ لموقفنا الذي يترتب على ظروفنا المادية قبل سواها ، بعد أن استنفدنا جميع وسائل التضحية وبعد أن تلقينا ما لا عداد له من المناوآت . وليثق صديقنا الناقد بأننا في أيّ وقت نجد الفهمَ الصحيحَ والمؤازرة الكافية لمشروع (ندوة الثقافة) فاننا لن نتأخر عن تحقيقه خدمةً لوطننا وللعروبة وللمعرفة الانسانية ما دامت فينا قدرةٌ على العمل ،وأمّا ازاء ما آلتْ اليه ماليتنا من الاضمحلال وازاء الخذلان الحكومي الذي نلاقيه بالنسبة لتطبيق الاصلاحات المنشودة على الأخصّ ، فلا حيلة لنا الا في ايقاف كلّ جهودنا العامة . وهذا وحده هو الاحتجاج العملي البارز الذي نملكه اشهاراً للفوضى السائدة في مصر .

(٨) لسنا بالمهملين لفن الرواية الشعرية كما تدل على ذلك آثارنا المطبوعة التي لم يطلع عليها ناقدنا ، وبالرغم من حالة المسرح المصري وانعدام الجمعيات المسرحية المشجعة (التي تبلغ زهاء الألفين في بريطانيا العظمى) ، كذلك لا نعتقد ولا يعتقد كل فنان وثيق الصلة بنا أن لدينا من الآثار الأبية ما يجب غربلته . وهذا الرأيُ الجريء كان يجب أن يسبقه احتكاكُ الناقد طويلاً بنا ليرعى عن كثب الدواعي الشعرية التي نتأثر بها ومبلغ حرصنا على اللغة والأداء وعلى الموسيقى الشعرية .

ولو قدَّر ناقدنا الشاب أنه يفصل بيننا وبينه ربعُ قرن من الاطلاع المنوَّع والمرانة في اللغة والأدب والفنّ لأدرك حينئذ أنه من التطاول أن يُعطينا ذلك الدرسَ في النحو مع أنّه نتيجةُ اطلاعه المحصور وجهله بالمدرسة الكوفية المجتهدة ، وكذلك وصفه بالخيال الفاسد اشارتنا الى الطعام القذر الشائع في الموالد بمثل قولنا :

وألوانُ الطعامِ تَفوحُ حتى تُخالَ سلاح أعداءِ السلامِ

وهو بيتٌ يوحيه خيالُ طبيبٍ شاعر خبرَ حوادث التسمّم البطوميني (ptomain poisoning) من مثل ذلك الطعام الذي يفتك بالنفوس الآمنة المطمئنة في تلك المناسبات الدينية . وقياساً على ذلك نقدُه كلمة « الحرامي » وهي عربية مصقولة تناولها بالشرح استاذنا الشيخ عبدالوهاب النجار وإن وردتْ في لغة التخاطب ، ولولا ذلك لما استعملناها ، فلسنا نحن من أنصار العامية أو الأباحية

فى شيء ، فحرية الفنّ لا تعنى الفوضى . وكلٌّ مَن خبرنا طويلا مِن أصدقائنا الأدباء كالجدّاوى والسحرتى والبحراوى وعبدالغفور والصيرفى يعترف بأننا فى شعرنا أشبه بالرسّام الصينى الخبير الذى يُنضج فى نفسه المعانى التصويرية ثم ينقشها بجراءة قوية لاتقبل التعديل لأن طبيعة فنه لا تسمح بالتعديل ، وليس معنى ذلك شيءٌ من الاهمال أو العجز بحال من الأحوال . وأما عن الزعامات الأدبية فنحن براء منها ، فما أفسد الشرق مثل التهافت على الزعامات ، وحسبنا غنماً وحظاً نشر تعاليمنا الفنية قدر طاقتنا ووسائلنا فى الجيل الجديد) .

مهازل النقــــد

كنتُ أطالع فى الصحف والمجلات انتقادات مختلفة للمؤلفات فأجد فى الكثير منها تحاملاً لا أدرى له سراً حتى أخرجتُ ديوانى (الألحان الضائعة) فأدركتُ أسراراً !

فالنقد عندنا يصدر عن نفوس تختلف باختلاف أغراضها : فناقد يكتب عن عداء شخصى وسخيمة راكدة فى نفسه يضمرها لصاحب الكتاب ، وناقد تلهبه الغيرة فيكيل التهم للمؤلف ، وناقد يُدفع للنقد دفعاً ابتغاء مرضاة ولىّ أو نصير أو متزعّم يريد أن لا يظهر رأس غير رأسه ، وناقد يشتدّ فى الزراية بالكتاب والمؤلف ليظهر أمام الناس بمظهر العالم الزاخر بالمعرفة !

ولقد عرض لى عالم النقد صُوَراً من كل هؤلاء ، خالفوا سنّة النقد وخالفوا قوماً أدركتُ من وراء نقدهم الحقّ والطريق السوىّ، قوماً فضلاء يعرفون للنقد حرمته فلاينزلون به الى حمأة التحزُّب والاستصغار .

وقد اطلع قراء هذه المجلة فى العدد الماضى على ردّى على الشاعر سيد قطب وكان هذا الردّ معدّاً للنشر فى جريدة (الأهرام) ، فبذل الناقد الفاضل جهده فى أن يحول دون نشره فى تلك الجريدة ، وهذا منتهى الصراحة والحرية والشجاعة ! وعرضتُ فى ردّى جملاً مما بثّه الناقد فى نقده محاولاً الاصغار من شأنى ، ذلك لأنّ له ديواناً يستعدُّ لاخراجه يسير فيه على نهجى فى الشعر الرمزى وقلما وجدت

له معنى لم يكن ابنى الحلال ! فأراد أن يحطّ من قيمة ديوانى ليتيسر له بعد أيام من ظهور نقده أن يعلن عن نفسه بما أعلنه فى (الأهرام) وفى غيرها من أن ديوانه هو الديوان الأصيل الذى يشرّف شعر الشباب ! وأن النضوج الذي ليس للصيرفى حظ منه ولا نصيب لم يُخلق الا لسيد قطب ! وأراد الناقد الفاضل أن يطعننى من ناحية اللغة ظنّاً منه أننى بعيد عن اللغة لا أستطيع الردّ عليه وكانت انتقاداته فى حاجة الى التصحيح ، وفى الكثير منها ما أدهشنى حتى كان يعكس الحقيقة والواقع فى كلمات تجاوزتُ عن الردّ عليها رفقاً به: وذلك مثل مؤاخذته إيّاىَ على استعمال الفعل « ملأ » متعدياً لمفعولين مع أنه لو فتح أىّ معجم من معاجم اللغة لوجد هذا المثل البسيط مذكوراً بحروفه « ملأ الاناءَ ماءً » !

ولو جاز له أن يحكم علىّ بسقوطى كشاعر لأنه وجد هذه الألفاظ التى حاول إكراهها على أن تكون خطأ ولو فقئت عينُ الحقيقة لجاز له ان يحكم على استاذه العقاد بهذا الحكم ولما كان يجوز له ان يقول إن شعر العقاد هو شعر الجيل القادم! وأنا انقل له نبذا من نقد امام من أئمة اللغة فى هذا العصر لديوان من الدواوين العصرية. فأمّا الامام فهو الاب انستاس مارى الكرملى مؤلف (ذيل لسان العرب)، وأمّا الديوان فهو (ديوان العقاد) . يقول الكرملى فى مجلته (لغة العرب) :(العقاد كاتب كبير وكنا نعتقد انه كذلك شاعر كبير حتى جاءنا ديوانه الجديد حافلا بما نظمه قديماً وحديثاً ،فاذا هو دون ما أكبره تصوّرنا ، واذا هو مشحون بالأغلاط والضرورات القبيحة ، واذا هو قبر للألفاظ الميتة دارس فيه كثير من العظام البالية ، واذا هو تافه المعانى فى الأكثر ، واذا هو فى كثير من قصيده يخرج عن الموضوع فلا تبقى فيه الوحدة المتوخّاة منه ، واذا هو يبالغ أو يغرق فى كثير من أبياته ، واذا هو يقلد القدماء فليس فيه ما يمتّ الى الشعور بواشجة الا أبياتاً قليلة متفرقة هنا وهناك) . وبعد هذا ينتقل الى نقد لغوى فى الديوان فيقول : (وقال — أى العقاد — :

يزجى منـارك بالضياء كأنه   أرقٌ يقلّبُ مقلتىْ وسْنانِ

و « يزجى » يتعدى بنفسه لا بالباء .

وقال :

يشكو من الدنيا الألى لولاهمُ   ما كانت الدنيا تُحَبُّ وتُرغبُ

و «رغب» فعل لازم لا يبنى منه المجهول إلاّ بحرف الجر و «رغب» لا يحذف

منه حرف الجر لأنه يتعدى بحرفين مختلفين «فيه وعنه» ويختلف معناه بموجبهما ، فأى معنى يريده منهما ؟

وقال من قصيدة « فينوس » ص ٢١ وقد عربها من شكسبير :

وتنفخ فى روع الغبيّ فينبرى   فصيحاً ويغدو مدرهُ القوم أبكما

فقوله «ويغدو» معطوف على « فينبرى » وهو معطوف بفاء التفريغ على تنفخ فى روع الغبى . فكيف يكون الغبى مدرهاً ؟ واذا تسامحنا فقلنا إنه معطوف على «تنفخ» فبأى شيء يغدو المدره أبكم إذ لا تملق للمنفخ به ؟... وقال : ويسفه «فيك الشيخ إن بات مغرماً » وأحسن من قوله « إن بات » « قد بات » ليكون حالاً . وقال : «عسوفاً اذا ما الخوف قد كان أحزما» ولا تجتمع « قد » للتحقيق والشرط فلا يقال : « اذا ما زيد قد أتانى » لأن الشرط مشكوك فى وجوده فلا يناسبه التحقيق . وقال : « وأنت بأن تقسو جدير وترحما» أليس عجيباً أن لا تنصب «أن» فعل المضارع المتصل بها « تقسو » وتنصب الفعل البعيد عنها « وترحما » بواسطة العطف ؟ وهذا قبيح وإن جاز . وقال :

ويغمض أحياناً فهل أبصر الردى   مقضّاً عليه أم بماضيه يحلمُ ؟

ومعنى « أقضّ » خشن ، وهو انما يستعمل فى المضجع ولعله ظن « مقضاً » بمعنى « منقضاً » !)

هذه بعض المؤاخذات اللغوية التى أخذ بها الأب الكرملى العقاد ، فهل أنقصت من قيمته كشاعر ووضعته فى الموضع الذى يريد سيد قطب أن يلقى بى فيه ؟! أنا لا أراها مؤثرة فى شاعرية العقاد إن كان ناقدى الفاضل يرى أن دعاويه التى أبطلتها فى ردى مؤثرة فى شاعريتى !

وأنتهز هذه الفرصة لأنبه حضرة الناقد الفاضل سيد قطب الى أننى بحثت عن قصيدة « ابليس ينتحر » للعقاد التى ادعى حضرته أن بينها وبين قصيدتى « موت عزرائيل » تشابهاً حتى وجدت هذه القصيدة فى ديوان العقاد (وحى الأربعين) الصادر فى سنة ١٩٣٣ فلم أجد بينها وبين قصيدتى التى نشرت فى (المقتطف) فى شهر أكتوبر سنة ١٩٣٢ شبهاً يذكر ، ولكنى وجدت هذا الشبه بين قصيدتى وبين قصيدة أخينا سيد قطب الذى نشرها فى (المقتطف) أخيراً وأسماها « الانسان الأخير »

فاذا هى صدى لقصيدتى « موت عزرائيل » فسررت جدّ السرور اذ أتاح لىَ الله أن أسمع صدى ألحانى فلا أعتقد أنها ضاعت ، فبارك الله فى الأفق الذى لا تضيع فيه أصداء الناس ! ولولا ضيق صفحات هذه المجلة لنشرتُ القصيدتين ليطلع عليهما القراء الأفاضل ولكننى أهمس فى أذن الناقد الفاضل منبّهاً اياه الى أن فى لغتنا الكريمة مثلاً ظريفاً هو « رمتنى بدائها وانسلّت ! » ، فليعتبر به وكفى الله المؤمنين شرّ القتال !

إنّ نماذج الشعر التى ينشرها سيد قطب من ديوانه الذى وعد باصداره فى الشهر الآتى ما ينتسب له وما نرضى عن جودته بالنسبة لسنّه ودرجة ثقافته ، ولكن بينها أيضاً الكثير المنظور فيه الى شعر غيره ، وهو لم يتسامَ عن تسمية ديوانه من ابتكار غيره وعن ازدراد خواطر شعرية لم تكن له فى يوم من الأيام كما كُشِفَ عن بعض ذلك فى « أبولو » و « الامام » ، وهو بعد هذا يحدّثنا مباشرة أو بالواسطة عن ابتكاره المدهش ! ومن يدرى فقد يقلد غيره أيضاً حتى فى مقدمة ديوانه ثم يتظاهر بالابداع البيانى كما تظاهر بالاهتمام بالنفسيات التى نبه اليها من قبل صاحب (الشفق الباكى) فى مجلة (المصور) كما نبه اليها صاحب (المصور) فى (أبولو) ! أما كان الأولى به أن يقتصر على جيد شعره بدل هذا الأسلوب العقيم فى ازدراد شعر سواه ثم اقتناص الشهرة على حساب الغير ؟ انّ التطبيل والتزمير لا قيمة لهما فى النهاية ازاء الحكم المستقلّ الذى يحكمهُ التاريخ الأدبى على الآثار الأدبية ، وكم من مجلة وصحيفة تجارية طبلت لهذا أو ذاك ونعتته بأكبر النعوت الأدبية والفلسفية ثم ذاب كل هذا مع حرارة التمحيص والبحث .

* * *

هذا وقد اندسّ الى عالم النقد مهرّجون همُّهم فى الحياة أن يتطفلوا على موائد الأدباء ويخرجوا منها بفضلات يظنون فيها الدسم والغذاء ، ومن هؤلاء غِرٌّ يتشدق بالطعن فىّ بعد أن تطفل على مجلس ضمنى وبعض اصدقائى الأعزاء فى نادى الموظفين بمدينة الاسكندرية ولم أثقل نفسى بمعرفته ، واليوم أطلع فى مجلة (الجمهور) على بذاءة ينشرها ذلك الفتى « حسين المهدى الغنام » يردد فيها بروح الببغاء ما قرأه طعناً فى ديوانى وتجريحاً له . فيتصدّى لنقده وهو يجهل معنى الشعر ويجهل معنى النقد ولا يعرف من اللغة والأدب الا ما يسمعه فى المقاهى . وما كنتُ لأعنى بكلامه

لولا رغبتي في أن يعرف القراء صنفا من الناس يريد أن يظهر نفسه وليس عنده استعداد يؤهله لهذا ، ولأظهر جهل هذا النوع من المدعين الأدب ، وليطلع القراء على أدب هؤلاء وعلى أساليبهم وألفاظهم مما يبيض وجه النقد ويشرفه !

وهل تنطبق كلمة أديب على مَنْ لا يذكر في نقده إلا مثل هذه الجمل كقوله : «أما اذا نظرنا اليه — أي صاحب (الألحان الضائعة) — من جهة اللغة والعروض والموسيقى فانه من أشعر الناس جهلاً بها ، فلم تشفع له حساسيته لأنه لم يفضل العامة الأميين في هذه الناحية » أو قوله : «أما شعره الحر والمرسل (هكذا) فهو نعيبٌ سمعناه من أبي شادي» أو «والذي يستلفت النظر في هذه المجموعة كذلك هو كثرة استعماله كلمة الشاعر والشعر ، وفي هذا ما فيه من الغرور والدليل على الجهل ما فيه ، لأنه لا يكرر الشيء غير الخائبين فيه ، وصفوة القول ان هذا شاعر لا رسالة له فاذا فقدناه فقد لا نفقد كثيراً ولا قليلا » ?!

أما « نقد » هذا المتأدب فهو ترديد لما ذكره سيد قطب ، فكل الكلمات التي ادّعى هـذا أنني مخطىء فيها أعادها ذلك الناقد الجديد وزاد عليه بأن أثبت جهله بالشعر وبحوره ! فهو يرى أن الوزن الذي منه هذا البيت :

يا ظلمة الليل ردّي نجمك الزاهرْ كفانيَ اليومَ أني تائهٌ حائرْ

لا يلائم الا وزن المواليا ! فرحى ! مرحى ! بناقدٍ يتكلم عن الشعر والعروض وهو لا يعرف شيئاً اسمه البحر البسيط ، وبعد ذلك يتبجح فيقول إن ثقافتي محدودة ومحيطي ضيق وعلمي باللغة ساذج واطلاعي على الشعر وأصوله وأحكامه وأوزانه معدوم !

ويأتي بالمضحكات فهو يدّعي أن بالديوان شعراً مرسلاً وحراً، وهو يراني جاهلاً باللغة لأني قلت : «فاذاه كالصمّ من ألم النفس غريبٌ ...» والصواب في شرعه أن أقول « غريباً » ولا معنى إذاً لوجود الخبر! ويرى أن كلمة «حُوّ» بمعنى « خُضْر » التي لا تستعمل الا في أمهات كتب الأدب سوقية سخيفة وكذلك يكرر كلمة «السوقية» التي يبدو لي أنها (لازمة فيه) عند تعرّضه لقولي : « فعلى مَن ندعو؟ وأيّاً نلومُ؟ » وفي قولي « أحلى الأسامي من لغات الهوى » ولو كان مطلعاً على اللغة ومعاجمها لعرف أن « الاسامي » جمع الجمع لكلمة « اسم » ولكن لغويي هذا العصر لا يرون ضرورة للبحث في المعاجم ما دامت الكلمة في نظرهم خطأ ! وليس عجيباً أن يصدر كل

هذا العبث منه ومن أمثاله ممن يغرّر بهم محبو الزعامات والحواشي الذين لا يتورعون عن أى تغرير وأى اختلاق فى سبيل تمجيد أنفسهم والكيد لأعلام الأدب الذين يحبون الأدب لذاته ويخدمونه خدمة بريئة. ويكرر طفيلىّ النقد كعادته تلك المؤاخذة الواهية حول عدم ظهور الياء فى قولى « تركتنى أرتشف اللمّى » مع أن هذا التخفيف الموسيقى له نظائره من الاباحة لا فى الشعر العربى وحده بل فى الشعر العالمى، ومثل هذا موجود فى شعر العقاد، وما ذكرت شعر العقاد إلا لأنه هو المثل الأعلى عند أمثال هذا الطفيلى ولأن كل هذه الشتائم التى تكال اليوم لى بعد أن كيلت لأبى شادى وناجى وكل من يتصل بجمعية أبولو عمل مقصود لحساب العقاد .

وبعد هذا يعود ذلك الفتى للكلام عن الأوزان بعد أن أثبت جهله ببحور الشعر بالتصدّى الى محاولاتى فى مزج بعض البحور اعتماداً على قرابة موسيقية تسيغ ذلك وتزيد فى ثروة الشعر كما زادته محاولات شعراء الأندلس . .

هذا الفتى المتأدب لا أرى أنسب رد عليه إلا أن أنشر للقراء شيئاً من شعره الذى ألقى به على مجلة (أبولو) رجاء نشره فكانت القصيدة تأخذ بتلابيب الأخرى الى عالم النسيان حتى يطلع قراؤنا الأفاضل على شعر من يتصدّى لنقد الشعر وقد اجتهدت فى اختيار أحسن ما قذفنا به ؛ ولم أعمل الريشة فى تصحيحه كما كنا نعمل سابقاً معه ومع أمثاله ممن يتبجحون اليوم علينا . يقول حفظه الله وأسبغ عليه نعمة الأدب النفسى قبل الأدب اللغوى :

كأنّ رضابها راح الدنانِ   وخيرُ الخمرُ تقبيل الغوانى
رشفت رضابها فثملت منه   وليس أشد من قبل الحسانِ
وغصت بلجة الأحلام حتى   أفقت على تنهدة الجنانِ
فقد قالت : وداعاً يا حبيبى   فقد آن الرحيل وقد دعانى
فقلت : أترحلين وان قلبى   يكاد يذوب شوقاً فى التدانى ؟
فكيف إذا رحلتِ وإن نأيتِ   حناناً — لا تزيدي فى هوانى !

* * *

ورمتُ بأن أطيل لها شكاتى   ولكن كنت منعقدَ اللسانِ
فقدمت الجنان لكى تراه   فان القلب أبلغ ترجمانِ

وقوله :

لا تسقنى راحاً فحسبي نشوةً ... أنى أقبّل ثغرك الوضّاء
وأنال مِن فيك المنوّرِ نغبةً ... ومن اللّمَى أرْوِى الجوى إرواء
ورضابك المعسول أنهل قرقفاً ... ورحيقه أمتصه صهباء

* * *

لا تسقنى راحاً فحسبي أننى ... أحظى بقربك أو أنالَ لقاء
هذا نصيبي فى الحياةِ — وحظنا ... فى العيش أن نحيا معاً سعداء
تُهدِى شفاهى كلَّ صبحٍ قبلةً ... وأمتّع العينين منك مساء
ونعيش فى جسمين روحاً واحداً ... ويعيش كلٌّ للخدينِ رجاء

* * *

وبعد هذا أسدل الستار على هذه المهازل تاركاً هذه الضجة المفتعلة لأعمل فى سكون وهدوء بعيداً عن الطنطنة والجرى وراء الشهرة ، لا يعنينى الا أن يجتاز أدبى هذا الجوّ الموبوء حتى يجد فى الربوع الطيبة أو فى الأجيال السليمة من الأغراض ما هو أهلٌ له ؟

حسن كامل الصيرفى

التحاسد الأدبى

كلمةُ رجاء

مما يؤلم نفسَ الأديب المجرّد ما يراه فى هذه الأيام من «التحاسد الأدبى» بين كبار كتابنا ونوابغ شعرائنا ورجال صحافتنا فى المهجر والوطن .

ومما يبعث على الأسف الشديد أن ذلك التحاسد ناجم فى العالم عن حزازات فى الصدر أو تحامل شخصى لسبب أو لغير سبب .

ففى المهجر نكايات وأحقاد بين حملة الأقلام وأرباب الصحف وأدباء ديار الغربة

وفى مصر مناظرات عنيفة ومصادمات كريهة وهجوم قاذع ونقد لاسع لاذع .

وفى سوريا كما فى لبنان أضغان تأصلت فى الصدور وتحولت الى هزء وسخرية .

ولو عقل ابن المهجر أو ابن الوطن لمدّ يده لأخيه مصافحاً ، وعاشا معاً عيشة راضية ملؤها الغبطة والعافية والحياة الهنيئة الصافية .

قال أحد المحدثين للأصمعى :

رأيت أعرابياً قد بلغ عمره مئة وعشرين سنة وهو غض الاهاب ، وعلى وجهه نضارة الشباب فقلت له : ما الذى أطال عمرك يا عماه ! ؟ فأجاب : تركت الحسد فبقيت .

فليقتد أدباؤنا بذلك الأعرابى ، ولينبذوا الحسد ليسعدوا ويبقوا الا ليسهدوا ويشقوا ، وليردد كل منهم ما قاله الشاعر بلسان احدى المنشدات :

خيراً رأيت وكل ما أملته ستناله منى برغم الحاسد

وانك لفاعل ان شاء الله أيها القارىء العزيز بعون المولى العزيز ؟

بيروت : حليم دموس

فلسفة السرقة

بين البارودى وناجى والعقاد

نقد الشاعر المعروف عباس محمود العقاد فى مقاله « دواوين شعرية » المنشور بالعدد الصادر فى ١٢ يونية سنة ١٩٣٤ من (الجهاد) ديوان (وراء الغمام) للشاعر الوجدانى الدكتور ناجى ، وقد كان من أثر الضغط الشديد فى التحامل وإنكار

الناحية الفنية فى الديوان أن زلّ قلمه بما فضح نقده ومكّن الظن فى اشباع نقده بالعداء الشخصى ، ذلك انه نسب الى الدكتور ناجى انتزاعه بعض المعانى من شعره وضرب لذلك أمثلة رأينا أن نعقب على واحد منها لتنكشف للجمهور ضلالة النظرات النقدية التى يلتفت بها كبار الأدباء بعضهم الى بعض . قال إن البيت الآتى للدكتور ناجى :

مرّ الظلامُ وأنت ملء خواطرى ودنا الصباح ولم أزل مشغولا

مأخوذ من قوله :

فاذا صحوتُ فأنتَ أول خاطرٍ واذ غفا جفنى فأنت الآخرُ

وهذه الملاحظة فاسدة من أساسها ولا أثر للانتزاع فيها مطلقاً ، من وجهين :

(١) قال البارودى - نضر الله ذكره راثياً زوجته فى داليته المشهورة التى مطلعها :

أيدَ المنون قدحتِ أىَّ زنادِ ! وأطرتِ أية شعلةٍ بفؤادى

. . . .

فاذا انتبهتُ فانت أوّلُ ذكرتى واذا أويتُ فانت آخرُ زادى

وفى رواية أخرى :

فاذا صحوتُ فأنت أول ذكرتى واذا غفوتُ فأنت آخرُ زادى

فانت ترى أن بيت العقاد بنصه وفصه مسروق من بيت البارودى . (فالمعنى) متحدٌ فى البيتين كل الاتحاد ، كلاهما يثبت سبق الخاطر ، والذكرة للمحبوب الى شعوره عقب صحوه وانتباهه ، وكلاهما يثبت أيضاً أن المحبوب هو آخر خاطر أو زاد يتزود به فى اغفائه . ومن هنا يظهر ضعف الافتراق اللفظى اليسير فى بيت العقاد عن بيت البارودى ، فالعقاد يقول (أنت الآخر) بينما البارودى يقول (أنت آخر زاد) ، ولو أن العقاد أخذ كلمة (زاد) بنصها لكان أولى من ذلك الافساد لمعنى البارودى الذى يجعل ذكر الحبيب فى خاطره آخر زاد يتزوّد به فى حياة الاغفاء وسكرة العقل ، وفى هذا شدة تعلق بالحبيب وآصرة روحية عميقة مفتقدة من بيت العقاد الذى قد يستعيض عنه هواجسّ اخر .

أما من الناحية اللفظية فأمامك البيتين ليس فيهما تغيير ذو بال فكلمة (خاطر)

أصلها (ذكرتى) فى بيت البارودى وكلمة (غفا جفنى) أصلها (غفوت) و (أنت الآخر) أصلها (أنت آخر زاد) . وعلى الرواية الأولى لا فَرْقَ بين الانتباه والصحو ولا بين الاغفاء والايواء للمضاجع .

فبيت العقاد الذى يَتَّهِمُ ناجى بسرقته ليس له ، لا لفظاً ولا معنًى ، وانما هو برمّته للبارودى . والذى يحمل فى نفسه مثقال ذرة من الانصاف لا يتردد فى التسليم معى بجميع ما قلتُ . على أنى لو سلمت جدلاً بأن البيت للعقاد فمحال أن تصدُقَ دعوى انتزاع بيت ناجى منه كما ترى .

(٢) سقطَ إذن بيت العقاد من المعركة ، فلْنمايزْ بين بيتى البارودى وناجى ، وأكبر ظنى أنَّ الموقفين مختلفان اختلافاً بيِّناً : فالبارودى يأوى الى النوم وضجعته محفوفة بذكرى حبيبه . ولكنَّ ناجى لا ينام ، بل يظل مترقباً طول الليل ، والظلام يخفى وحبيبه ملء خواطره ، والصباح يدنو وهو قَلِقٌ مشغولٌ متشوِّفٌ الى عَوْدته . فمجرَّدُ تشابه فى الغرض أو المَنْحَى الوجدانى للشاعرَين لا يوهم تلبُّساً أو اشتباكاً فى الصورة التى يرسمها الشاعران وهى مختلفة فى التخيل والتأمل .

على أن فى صورة ناجى نضوجاً وجدانياً لأن تماسك الصِّلة بين الروحين يوحى القلق والسهاد والترقب طول الليـل إلا أن يكون تصويرُ البارودى متساوقاً مـع الواقع الذى يحسُّ به . واللفظ مختلف فى البيتين كما ترى .

شاء العقادُ أن يَغُضَّ من شاعرية ناجى ، فوكزَ نفسه وشعره وسجَّلَ على الأدب عار الفساد فى نقـده ، وعلى الجمهور عار التَّغرير به ! ولقـد سقط مستوى النقد الأدبى فى مصر سقوطاً فاحشاً، هذا مثلٌ واضح منه . فمن أراد أن يقف على شاعرية شاعرٍ فلينحرف عن تلك الحملات المغرضة الى حيث يسلم النقد من الدَّخل والفساد ؟

محمود حسن اسماعيل

الأدب الميت

من الناس من يعيش ويموت فلا يؤبه له ولا يشعر بوجوده بل يقضى على اسمه بانطفاء سراج حياته وتدول معالمه كأن لم يكن له ذكر ، ومنهم من يكون حديث الناس وشغلهم فى حياته وإمامهم وقائدهم بعد وفاته — خالداً ما خلد الدهر تشيد بذكراه آثاره ومخلفاته .

وما ذاك إلا لأن النوع الأول عاش متطفلاً على موائد الغير ناسجاً على منوال من سبقه فعاش خاملاً ومات خاملاً .

وأما النوع الثانى فهو الذى عافت نفسه أن تُعرِّج على موارد غيره وحرم عليها أن تطأ طريقاً سبقه اليها إنسان ، فعاش فى عزلة عن العالم بأفكاره وعاداته ، ونظر الناس اليه نظرة دهشة وحيرة وقدَّسوا عبقريته ، وترامو على ينبوعه يرتشفون من أدبه ومعارفه . وما يكاد يلفظ آخر نفس من أنفاسه حتى يكون اسمه قد نقش بمداد من النور على صفحات القلوب وصحائف التاريخ .

ولقد طالعنا التاريخ بأسماء كثير ممن سُجِّلوا فى صحائف خلوده وكانو أئمة للفكر وقادة للبيان أمثال امرىء القيس وأبى العلاء والمتنبى وأضرابهم من الذين بذُّوا معاصريهم بابتكارهم وعلوّ أدبهم .

كما أن لنا فى شعراء العصر الحاضر شخصيات ممتازة كل منهم له طابعه الخاص فى شعره وأدبه حتى انك لتعرف اسم الشاعر بمجرد سماعك لشىء من شعره ، وهؤلاء أمثال شوقى ومطران ومحرم وأبى شادى وشكرى وناجى وغيرهم .

على أنَّ فى عصرنا الحالى ممن يدَّعون الشعر وليس لديهم ما يؤهِّلهم لأن يتقلدوا ذلك المنصب السامى بل كل بضاعتهم منتحلة وأخيلتهم ومعانيهم مسبوقة . وخيرٌ للشاعر أن ينسب اليه بيت واحد من شعره من أن تمهر باسمه مئات القصائد المسروقة أو المستعارة . ولقد حفزنى الى كتابة هذه الكلمة قصيدة أتيح لى الاطلاع عليها للشيخ عبد الله عفيفى أعدَّها ليهنىء بها جلالة الملك بعيد الفطر ، وكم تألمتُ عند ما عرفت أنى قرأت نظيرة لها لابن النبيه المصرى ، واليك أيها القارىء الكريم بعض ما اشتركت فيه القصيدتان :

أما القصيدتان ففى المدح والممدوحان ملكان . ولقد ابتدأ الشيخ عفيفى قصيدته واصفاً هلال شوال بقوله :

بدا على الأفق غضّ الحسن زاهرهُ يلوح باليمن والاقبال طائرهُ

وابتدأ ابن النبيه بقوله :

باكرْ صبوحكَ أهنا العيش باكرهُ فقد ترنم فوقَ الأيكِ طائرهُ

ثم قال الشيخ عفيفى مستمراً فى وصفه للهلال :

فى وجهه قبسُ الآمالِ نرقبهُ وفى محيّاهُ صافى البشر باهره

ويقول ابن النبيه :

وكوكب الصبح نجاب على يده مخلّقٌ تملأُ الدنيا بشائرهُ

ويصف الشيخ عفيفى الهلال بأنه :

رسالة الله يحظى المؤمنون بها ويفرح الخلق باديه وحاضرهُ

ويقول ابن النبيه فى محبوبته :

نبيُّ حسنٍ أظلتـه ذوائبـهُ وقام فى فترة الأجفان ناظرهُ

ويقول عن هذه الرسالة :

منها استمدَّ فنونَ القول ناثرهُ ومن حلاها استمدَّ الشعرَ شاعرهُ

ويقول ابن النبيه فى مدح الملك الناصر :

كلٌّ الكلام قصيرٌ فى مناقبه إلا إذا نظم القرآنَ شاعرهُ

بعد ذلك ينتقل الشيخ عبدالله الى مدح جلالة الملك فيقول :

أحبَّه الله واستصفى شمائله فكان لله ماضيه وحاضرهُ

ويقول ابن النبيه :

إمامُ عدلٍ لتقوى الله باطنه وللجلالةِ والاحسانِ ظاهرهُ

ويقول الشيخ عفيفى :

فى ذروة المثلِ الأعلى مناقبهُ ورأيهُ وأمانيه وخاطرهُ

ثبتُ اليقينُ وثيقُ الدين معتصمٌ بالحقّ فى يده العليا أواصرُه

ويقول ابن النبيه :

تجسدَ الحقُّ فى أثناء بردته وتوّجت باسمهِ العالى منابرُه

ثم يشبه الشيخ عفيفى جلالة الملك بالمسيح بقوله :

يدا المسيح يداه إن ألمّ بها على موات نمى واخضرّ سائرُه

ويشبه ابن النبيه موسى الأشرف بموسى الكليم فيقول :

بحدّ سيفك آياتُ العصا نسخت إذا تفرّعنَ يومَ الروعِ كافرهُ

ويقول الشيخ عفيفى :

لولا يقينُ الورى فى عُظم قدرته لقيل ذلك سحرٌ وهو ساحرهُ

ويقول ابن النبيه فى حبيبته :

فلو رأت مقلتا هاروت آيتَهُ الكبرى لآمنَ بعد الكفرِ ساحرهُ

بعد ذلك يسطو الشيخ عفيفى على شطرة كاملة ويجعلها فى ختام قصيدته ولا يشير الى مصدرها ، حتى ولا يجعلها بين قوسين ، فيقول سامحه الله :

لا زالَ جدّكَ بالفاروق مبتسماً وأنت ناهٍ لهذا الدهر آمرُه

ويقول ابن النبيه :

خذ من زمانك ما أعطاك مغتنماً وأنت ناهٍ لهذا الدهر آمرُه

هذا ما عنّ لى أن أكتبه عن هذه القصيدة ، وبودّى ألا يعود الشيخ عبدالله عفيفى الى مثل ذلك حرصاً على سمعة الأدب المصرى ؟

محمد عبدالغنى بخيت

الألحان الضائعة

تعليق على نقد

استأذن قراء (أبولو) فى نشر هذه الكلمة التى بعثتُ بها الى مجلة (الرسالة) لنشرها فيها فظهرت مبتورة وعسى أن يكون ذلك ناشئاً من ضيق صفحات تلك المجلة لا من سبب آخر ، وأرانى مضطراً الى تسجيل كلمتى هنا للتأريخ الأدبى ولحرية الفكر وليطلع عليها من اطلع على مختصرها فى (الرسالة) فيعرف ما كنت أريد أن أقوله فضاع فى الاختصار والاختزال .

* * *

تناول الأديب محمود الخفيف فى العدد الماضى من (الرسالة)[1] ديوانى (الألحان الضائعة) فبدأ كلمته بقوله : «قرأتُ ديوان شاعرنا الشاب ، فأحزننى لعمر الله هذا البكاء الذى لا ينقطع ، وهذه الشكوى المريرة التى تعجُّ بها قصائده ، ورحت ألتمس سرّ تلك الكآبة الجازعة فلم أهتد الى شىء ، فطويت الكتاب وأنا برم بهذه النزعة من شاب فى مقتبل العمر ، أجل ربما كان الشاعر قد صادف فى حياته ما أجرى دموعه ، ولكن متى كانت رسالة الشعر النحيب والشكوى فى غير سبب معروف وفى غير ايضاح من الشاعر عما ناله ؟ على انه لو كشف سرّ بكائه لكان الواجب يقضى عليه أن يقتصد فى شكواه أو يعرضها فى صورة غير الصورة اليائسة المستملمة » .

فالناقد الفاضل يأخذ علىّ تلك الكآبة التى لزمتنى فى عهد من حياتى وراح يتلمس سرّها فلم يهتد الى شىء مع أن هذا السرّ واضح كل الوضوح فى كثير من قصائد الديوان بل من أول قصيدة الى آخر مقطوعة فيه . ففى قصيدة « الضحية » تفسير قوىّ لناحية من تلك الكآبة يؤكده قولى فى القصيدة التى تليها بعنوان « الواحة المنسية » :

فى ذمة الفنّ ما رددته أمداً فضاع لحنى سُدًى فى جوّ نكران
طغى عليه ضجيجُ القوم فانطمست أصداؤه ، وفؤادى طىّ ألحانى

---

(١) العدد ٧٠ بتاريخ ٥ نوفمبر سنة ١٩٣٥ بقلم محمود الخفيف

وفى قولى من قصيدة « اللحن الضائع » :

يا أغانى الربيع ما أنا إلا — مقطعٌ من قصيدةٍ ضاع لحنهْ
لم تلد لى الأيامُ مَن يتولى — بعثَ لحنى ، وكيف ينزغ شأنهْ ؟
أو بين الصخور يكتمل الصو — تُ ؟ محالٌ هذا ... وكنتُ أظنُّهْ

وفى قصيدة « اللغز » تظهر نواحٍ كثيرةٌ من سر هذه الكآبة وتظهر فيها قوة الشباب الغلاب لا اليأس المستسلم .

وأظن أن تصوير الشاعر لآلامه ليس من العيوب التى تؤخذ عليه ، وإلا فليس من الواجب أن نطالبه بالصدق فى التعبير ، وألاَّ نؤاخذه على تزوير شعوره .

ولو اطلع الناقد الفاضل على « الصورة السريعة » التى كتبتها عن حياتى فى الديوان لعرف شيئاً عن سرّ الكآبة التى لازمت شعرى فى الأربع السنوات الماضية وزادها سواداً ذلك الجحود الذى لقيته فى الأدب وعبرت عنه فى معظم قصائدى ، فاننا ما نزال نعانى مصيبة لا أدرى متى ينتهى أجلها : تلك أن أدب الأديب يقاس بعمره ، فتى كان فى دور الشباب فهو فى نظر الناقد مبتدىء يحتاج الى الصقل ، وتفكيره وإن دقَّ ساذج ، وأثره وإن كان فى مرتبة أدب بعض الأشياخ إن لم يزد عنه فجٌّ لم ينضج !

هذه المصيبةُ التى تجتاح الآثار الأدبية فى مصر هى من الأسباب التى لوّنت أدبى فى هذا الديوان بهذا اللون القاتم الذى حاول الناقد الفاضل أن يستشفه فلم يهتد اليه بالرغم من تعبيرى عنه .

إنَّ أحكام النقَّاد الأفاضل هى التى تقضى على كل أثر أدبى فى مصر بأن يأخذ لوناً من ألوان الحسرة والألم . فالسادة النقاد يريدون أن يصدروا أحكامهم على الأدباء الشباب دون أن يعرفوا مدى ثقافاتهم ، ويحاولون تجريدهم من معرفة أى شىء حتى المذاهب التى يبتدعونها ! وإلاّ فما الذى أوحى الى الناقد الفاضل أننا نتحدَّث بالرمزية ولا نعرف معناها ، وما الذى ألقى فى روعه أن هذه الرمزية فى الأدب خطر داهم وعقبة كأداء فى سبيل تقدم الشعر العصرى مع أن هذه الرمزية موجودة فى القرآن الكريم ؟!

إن هذه الأحكام وأمثالها مما لا يصدرها نقاد اليوم على أشياخ الأدب فى توافه تآليفهم والتى لا يصارحونهم بها هى الخطر الداهم والعقبة الكأداء فى سبيل تقدم الشعر العصرى وجميع فنون الأدب .

* * *

لقد بُليتُ فى حياتى الأدبية بصنوف من الجحود ساعد عليه انزوائى عن عالم التهريج وعزوفى عن الجرى وراء شهرة لا يتكسبها الانسان إلاّ بأشياء لا تريح ضميره بله ضمير الناقد النزيه ، فأخرجتُ ديوانى وأنا أعرف مكانه فى النقد ومكانه من رضا الناس !

إنّ النظر الى صاحب الكتاب وسنّه دون النظر إلى كتابه وما فيه ، وان محاولة الناقد أن يقف من المؤلف — وإن كان فى مرتبته — موقف الأستاذ ، وان الصراحة التى لا تظهر من النقاد إلاّ مع أدباء الشباب وتخفى مع الشيوخ ومع أصحاب المراكز الأدبية الممتازة ، لما يجعلنى أهتف فى حرارة بقولى :

فى ذمَّةِ الفنِّ ما ردَّدْتهُ أمداً فضاع لحنى سُدًى فى جوِّ نكرانِ !

* * *

يرى الناقد الفاضل أن « الأديب الصيرفى قليل العناية بقوافيه وبلغته على وجه العموم (هكذا) » . هذا حكم يصدره ناقدٌ فاضلٌ لأنه عثر على بعض هنات يعثر عليها فى كثير من أشعار المتقدمين والمعاصرين ، ولأنه وجد محاولات عروضية مخالفة للسنّة القديمة وهى لم تضر الأدب فى شىء إن كان قد أصابه ضررٌ من محاولات شعراء الأندلس . . . هذه الهناتُ التى لم يذكرها والتى يمكن لكل ناقد أن يعدّها على أصابعه تجعل من صاحب الديوان رجلاً لا يهتم بلغته وقوافيه (على وجه العموم) !

إنى لآلمُ إذ أحاول التكلم عن أصول النقد وواجباته ، ومن هذه الأصول عدم الحيدة عن الحقيقة والانصاف ، وأدعو الله أن يهدينا جميعاً الى أقوم سبيل . هذا وأختم تعليقى بالشكر للناقد الفاضل على تنويهه ببعض ما وجدنى قد أحسنتُ فيه مما كان يرفعنى — أو يُرجَى منه ذلك — لو أنى سرتُ على نهجه كما يقول ! وأنا عند حسن ظنه بى يوم يتقدَّم بى العمرُ حتى يتكافأ وأدبى ؟

حسن كامل الصيرفى



وصف البحتري

أبو تمام والمتنبي حكيمان والشاعر البحتري

(١) فاق صاحبيه بالوصف

عرّف المعري كلمة " الشاعر ليخصصها بالبحتري فينفيها عن صاحبيه ، وقد قصر البحتري عن المتنبي في المديح والهجاء ، وقصر عن أبي تمام في الغوص على المعاني العميقة ، وقصر عن كليهما بالحكم ، ولم يبرز الثلاثة في الفنون الأخرى وانما برز المتنبي في حكمه وعظمته ، وابوتمام في معانيه وصنعته ، والبحتري في وصفه، فكان شاعراً دونهما لان الشعر يعتمد على الخيال في مادته وميدان الوصف خيال رائع .

وسنكتفي الآن بوصف الشاعر دون التعرض الى المقابلة لان الموضوع وصف البحتري .

(٢) أثر به جمال الطبيعة في شبابه

وجو العراق بعد ذلك

وُلد البحتري في منبج وهي بلدة قرب حلب «عذبة الماء طيبة الهواء قليلة الادواء ليلها سحر كله» ، فكان لذلك الماء العذب أثر في صحة البحتري ، ولذلك الهواء الطيب أثر في صفاء ذهنه ورقة خياله .

وعاش البحتري في أحضان الطبيعة فكانت لخياله أماً رؤوماً ، ودرس في كتابها الواسع وكتاب الطبيعة أكبر معين للخيال الرائع ، وغذاه الشباب الغضّ والشباب

زمن العواطف الثائرة ، والحس المتلهب ، والشعور القوى ، واذا لم تساعد الطبيعة وكتابها ، والشباب وعواطفه ، والصحة وجودتها - أضف اليها المرأة والعقل النابغ - فى خلق الشاعر فليس فى الدنيا شاعر .

أثرت به منبج ، وجمال مناظرها ، وطيب هوائها وصفاء جوها فذكرها فى نعمته وشبه نعيمه بها ، واتخذها معيناً لرسومه ، قال :

لا أنسينْ زمناً لديك مهذباً وظلالَ عيشٍ كان عندك سجسجِ
فى نعمةٍ أوطنتها وأقمت فى أفيائها فكأنني فى منبجِ

وذهب البحترى الى العراق قبل أن تؤثر به ثقافة الشام الحكمية فتأثر بالأدب العراقى ورق خياله فوصف فى ما وصف الخمرة وربما لم يشربها ، ولكنها الطابع الذى ألصقه أبو نواس على الشعر العراقى . قال البحترى :

من مدام تقولها هى نجم أضوأ الليل أو مجاجة شمسِ
أفرغت فى الزجاج من كل قلبٍ فهى محبوبة الى كل نفسِ
وتوهمت أن كسرى ابرويـ ـز معاطىّ والبلهبذ أنسى

ولعل البحترى لم يشرب الخمرة منفرداً فى الايوان ، ولعل له من همومه عازفاً عنها ، ولكننا لا نشك فى أنه وصفها وأجاد فى ذلك الوصف ، فهى نجم يضىء الليل وهى شعاع تمجه الشمس من فيها فكأنه جسم حى بلغ من قوته أن يمج الشعاع فيصل الى الأرض وأجمل الصور أحياها وهذه فى العراق أحيا منها فى الشام .

ولا تنس أن العقل عاجز الى اليوم عن ادراك تلك القوة التى تحمل شعاع الشمس الى الأرض ، وتلك القوة التى تدفع النور بتلك السرعة العجيبة ، فأين علم العلماء من خيال الشعراء ؟

والخمرة عند مدمنيها اللذيذة محبوبة فكأنها مزجت بكل قلب وا فرغت من كل نفس ، وأحب شىء الى الانسان نفسه ، وأيسر شىء يحمله الى مراتب الملوك ومنازل العظماء قدح من الخمرة ، فكأنه أمير على أمير المؤمنين وكأن كسرى نديمه والبلهبذ أنيسه !

ورأى البحترى مواكب الخلفاء وعظمة المتوكل مما لم ير مثله فى الشام فوصف

ذلك وكأننا نراه ، وهنا سرُّ عظمة البحتري : يصف فكأننا بعد ألف سنة ونيف نرى موكبَ الخليفة ونسير خلفه ودليلنا الشاعر ، قال :

أظهرتَ عزَّ الملك فيه بجحفلٍ ... لجبٍ يحاط الدينُ فيه ويُنصرُ
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت ... عدداً يسير بها العديدُ الأكثرُ
فالخيل تصهل والفوارس تدعي ... والبيض تلمع والأسنة تزهرُ
والأرض خاشعة تميد بثقلها ... والجوُّ معتكر الجوانب أغبرُ
والشمس طالعة توقد في الضحى ... طوراً ويطفئها العجاج الأكدرُ
حتى طلعت بنور وجهك فانجلى ... ذاك الدجى وانجاب ذاك العثيرُ
ورنا اليك الناظرون فاصبعٌ ... يومى اليك بها وعينٌ تنظرُ

تلك الجبال السائرة وذلك الضجيج نجـــده في معاني البحتري ، ونسمعه في ألفاظه ، وفي تلك الصورة نرى الأرض خاشعة لمقام الخليفة تكاد تميد بثقلها ، وذلك الغبار يطفىء الشمس فيجلوه وجه الخليفة حين يطلع . صور متتابعة قوية نسمع بين سطورها صهيل الخيل وادعاء الفرسان ولمعان السيوف وضجيج الجماهير حتى اذا ظهر الخليفة تهيبت الخيل اجلالاً ، وسكت الناس اعظاماً وأشاروا بأصابعهم حتى لا يبقى من تلك الصور القوية المتتابعة غير أصبع يومى بها وعين ترنو ، وحتى نكاد نشارك القوم متأثرين ببلاغة الشاعر .

(٣) أثر به حنينه الى وطنه وحبه علوة

حنَّ البحتري الى وطنه وانما حنَّ الى ذلك الليل البارد في منبج ، والى تلك المناظر البهجة التي كانت تجود عليه بها الطبيعة ، والى أولئك الأهل الذين عرف البحتري معهم طيب العيش وهناءه بل حن الى تلك الحرية الطبيعية الواسعة التي لا يجد بعضاً منها في بغداد ، والى ذلك الفضاء الواسع يرسل به خياله فلا يضعفه مال أو قيود ، ولا يقف في وجهه حسد أو وشاية ،وقد أثر ذلك الحنين في فؤاده فاستلَّ من خياله صوراً جميلة لم يشاركه فيها شاعر وإن تحرجت فقلْ لم يدانه غير واحد أو اثنين .قال يحن الى الشام :

شاقني بالعراقِ برقٌ كليلُ ... ودعاني للشام شوقٌ طويلُ
ولو آني رضيتُ مقسوم حظي ... لكفاني من الكثيرِ القليلُ

ولقد صدق البحترى فلو لم يكن من الطمع وحب المال على جانب عظيم لترك العراق وعاد الى منبج يحيا بها حياة الهناء والسرور ، ولو عاد الى الطبيعة لرقّ خياله على رقته ، وزاد اتساعاً على سعته ولكن مَن يدرى ؟ ربما كان ينصرف الى درس الطبيعة فلا يخرج عن دور الطالب والناس ينتفعون بقليل من العلم يظهر ، ولا ينتفعون بكثير من العلم يضنّ به صاحبه خوفاً أو رهبة .

وأحبّ البحترى فى وطنه علوة فلم ينسها فى العراق ؛ وقد أثر به حبها وأضرم فى صدره نار الوجد ، وعلمه الشكوى ، وأثر بخياله فأرقه ، وليس كالمرأة مرقّق للخيال وليس كالحب الأول الثابت مؤثرٌ فى الشعور ، وليس كحب الشباب الذى لا تجرفه الأهواء عاملٌ فى العاطفة .

وكثيراً ما ذكر البحترى علوة فى نعيمه وكثيراً ما تشوّق ، قال :

طيف لعلوة ما ينفكّ يأتينى   يصبو الىّ على بُعدٍ ويصبينى

وربما كان لبخل البحترى أثر فى اكتفائه بطيف علوة وعزوفه عن ملاهى بغداد وعبثها ومجونها ، ولعله كان صادقاً فى حبها فلمَ نظلمه ؟ ومهما كانت الأسباب فقد ذكرها كثيراً ، قال :

وما أنس لا أنس عهدَ الشبا   ب وعلوةَ إذ غيرتنى الكبرْ

وقال : عرّج على حلب لحىّ محلة   مأنوسة فيها لعلوة منزلُ

(٤) البحترى صلة بين أدبين

كان فى العصر العباسى أدبان متميزان : أحدها أدب العراق ويمتاز برقة خياله واسترساله مع الطبع وتأثره بالخمرة والغلمان وبما أدخله أدباء الفرس على الأدب العربى من أدبهم ، وبامتزاج الثقافة الفرسية بالثقافة العربية امتزاجاً نشأ منه ثقافة جديدة تبعد عن قوة الجاهلية وصلابة صدر الاسلام ، فكان هذا الأدب أدب اللهو والخيال .

والآخر أدب الشام ويمتاز بجزالته العربية — وشعراء الشام كلهم عربٌ — وبتثقيفه وحكمه ، وقد تأثرت بثقافة العرب فى الشام وثقافة اليونان الى حد ، ولم يعرف العرب أدب اليونان بل عرفوا علمهم وفلسفتهم ومنطقهم ، فظل أدب الشام

أقربَ الى العرب لقربه من الحجاز ولنسب شعرائه ، فكان أدبَ الجد والجزالة والعقل .

ولسنا نفي البحث حقه في وصف البحترى اذا لم نشر الى بُعده عن الطبع أحياناً، وقد تعوّدنا في أبحاثنا كلها أن نكتفي بالحسن وحده وذلك نقص .

كان البحترى صلة بين أدب العراق وأدب الشام فكان رقيق الخيال غير لاه ، وكان يثقف شعره غير صانع . أما رقة خياله فقد رسمت صوراً ناطقة ، وأما تثقيفه فكثيراً ما يظهر في خلال قصائده ، قال :

ان أيامه من البيض بيضٌ ما رأين المفارقَ السودَ سودا

وبين البيض والبيض جناس وبين البيض والسود طباق ، وفي البيت تثقيف يقرب من الصنعة ، وقال :

وما الناس الا واجدٌ غير مالك لما يبتغى أو مالكٌ غير واجدِ

وفيه العكس ، قال :

فليس الذى حللته بمحللٍ وليس الذى حرمته بحرامِ

وفي البيت طباق بين الحلال والحرام وفيه ارصاد ، ولكنه على نوعيه أقرب الى العاطفة من صاحبيه . قال ابن الجرجانى :

« ان البحترى لينتزع من شماس المهر الصعب الجامح حتى يلين لك لين المنقاد المطيع » .

(٥) أثر به أبو تمام

والبحترى مدينٌ بصنعته لأبي تمام وقد أعجب الشاعر بأستاذه وسأله أن يوصيه فأوصاه « بتخير الاوقات واختيار الالفاظ والاستعانة بالشهوة للقول والتشبه بمن سلف ، الخ » .

فكان في شعره ريح الصنعة كما كان فيه نسيم الرقة والطبع .

وقد بلغ من اعجابه بأبي تمّام أن سطا على بعض معانيه فاتخذها أصحابُ أبي تمام ذريعة لتفضيله على البحترى ، قال أبو تمّام :

وما نفعُ مَنْ قد مات بالامسِ صادياً اذا ما سماء القوم طال انهمارُها

قال البحترى :

واعلمْ بأنَّ الغيثَ ليس بنافعٍ للناسِ ما لم يأتِ فى ابَّانهِ

وقال أبو تمام :

واذا أراد الله نشرَ فضيلةٍ طُويتْ أتاح لها لسانَ حسودِ

فقال البحترى :

ولا تستبين الدهر موضع نعمة اذا انت لم تدلل عليها بحاسدِ

(٦) وصفهُ صورٌ ناطقةٌ

البحترى ابن الطبيعة باسمها يتكلم وبلسانها يترجم والطبيعة ناطقة لمن يفهمها وبرة بمن هو برٌّ بها . قال يصف الربيع وكأننا نرى أشجاره تمايل أغصانه :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبَّه النوروز فى غلس الدجى أوائل وردٍ كنّ بالامس نوَّما

يفتقها بردُ الندى فكأنه يبث حديثاً كان قبل مكتما

ومن شجر ردَّ الربيع لباسَه عليه كما نشَّرت وشياً منمنما

ورقَّ نسيم الريح حتى حسبته يجىء بأنفاس الأحبة نعما

فما يحبس الراح التى أنت خلها وما يمنع الأوتار أن تترنما

يصف البحترى الربيع فاذا هو فتاة حسناء ترنو ضاحكة حباً وحناناً والدنيا تضحك لمن يضحك لها ، وتحبّ من يحبها ، والطبيعة تبسم لمن يهواها وتحمل فى ثنايا أثوابها الجميلة السعادة لمن يطلبها عن طريقها المستقيم ، يضحك الربيع فيكاد يتكلم ، وأجمل الصور ما ظهرت الحياة بين ألوانها، وأفضل الوصف ما تكلمت سطور شعره ، وهذا وصف البحترى صور ناطقة ضاحكة تتكلم .

ويتساقط برد الندى على أكمام الورد ينبهها آذار فتنفرج شفتاها قليلا كأنها تبثّ حديثاً كانت تكتمه وكأنها تضن به فلا يسمعه عذول أو واش .

ثم يخلع الربيع لباس الشجر عليه فكأنه وشى منمنم ويزيد فى جمال هذه الصورة وحلاوة وقعها جمال الكلمة وحلاوة جرسها فى ربيع الحياة .

ثم يرقّ النسيم فكأنه يحمل أنفاسَ الأحبة ، وكأنه يثير عواطف الشباب الملتهبة ويضرم شعوره القوى ، ويحرك أوتار قلبه الخفاق ، وأى فضل للشاعر اذا لم ينطق الطبيعة ويحرك أوتارَ عودها ؟

وفى هذا السرور ، وفى هذه النعمى ، وبين أحضان الطبيعة الضاحكة المتردية ثوب النشاط والجمال ، وبين ربيع الحياة يسمعنا تغريد طيره ، ويحمل الينا عبق أزهاره ويمتعنا بجمال نوره ويداعبنا النسيم مداعبته أوراق الاشجار ، ويثير فينا السحر علائم القوة والنشاط ، ماذا نتمنى وماذا نطلب غير راح نشربها وعود نسمع نغمات أوتاره ، ومغنية تنعمنا بصوتها ، وحسناء تلهينا بجمالها ، وأى فضل للشاعر اذا لم ينطق بكل لسان ويعبر عن شعور كل انسان ؟! والبحترى شاعر الطبيعة وكفى .

وقال يصف بركة بناها المتوكل :

تنصبُّ فيها وفود الماء عاجلة	كالخيل خارجة من حبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة	من السبائك تجرى فى مجاريها
اذا علتها الصبا أبدت لها حبكاً	مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجبُ الشمس أحياناً يضاحكها	وريِّق الغيث أحياناً يباكيها
اذا النجومُ تراءت فى جوانبها	ليلاً حسبتَ سماء ركبت فيها
لا يبلغ السمك المحصور غايتها	لبعدِ ما بين قاصيها ودانيها
يعمن فيها بأوساطٍ مجنحةٍ	كالطير تنفضّ فى جوٍّ خوافيها
محفوفة برياض لا تزال ترى	ريش الطواويس تحكيه ويحكيها

وليس بين وصف البركة ووصف الربيع من الجمال الا ما بين الطبيعة والحضارة فالماء كالخيل فى قوته ، وكالفضة الجارية فى صفاته ، حتى اذا علته الصبا حبكته درعاً منيعاً لو جمد ، ولكنه درع حى يضحك لحاجب الشمس وما أشبه تلألؤ الماء بابتسامة الطبيعة تعانق أشعة الشمس ، فاذا عانقت البركة الغيث بكى ماؤها فلا يقل بكاؤه جمالاً عن ابتسامته ، واذا تراءت النجوم فيه ليلاً فكأنه السماء بلمعانها واشراق كواكبها واتساعها وكأننا نرى سماء لا ماء !

ثم يريد البحترى أن يرضى الخليفة فيبالغ فى حجم البركة ، ثم ينتقل الى وصف السمك فكأنه طير تنفض فى الجو خوافيها ، حتى اذا جاء يصف الرياض بعث بها الحياة فكأنها طاووس ببدائع ريشه وجمال ألوانه .

وقال يصف ايوان كسرى وقد زاره فرأى فيه صورة تمثل واقعة جرت بين الروم والفرس فأحياها وكأننا نرى لمعان السيوف وعراك الرجال وكأنهم أحياء خرس:

فاذا ما رأيت صورة انطا كية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا موائل وأنوشر وان يزجى الصفوف تحت الدرفس
تصف العين أنهم جد أحيا ء لهم بينهم اشارة خرس
يغتلى فيهم ارتيابى حتى تتقراهم يداى بلمس

وقد أحيا البحترى صورة الجيوش حتى شك هو نفسه بها فأخذ يتقراهم باللمس لينزع شكه ، ثم يصف الايوان فيقول :

عكست حظه الليالى وبات المش ترى فيه وهو كوكب نحس
فهو يبدى تجلداً وعليه كلكل من كلاكل الدهر مرس
مشمخر تعلو له شرفات رفعت فى رؤوس رضوى وقدس
لا بسات من البياض فما تبصر منها الا غلائل برس
ليس يدرى أصنع انس لجن سكنوه أم صنع جن لانس ؟!
وكأن الوفود ضاحين حسرى من وقوف خلف الزحام وخنس
وكأن القيان وسط المقاصير يرجعن بين حو ولمس

يصف البحترى الايوان فيبعث فيه الحياة ، وأى فضل للشاعر اذا لم يحى الميت وينطق الجماد ؟

يرسم الايوان فاذا هو حى يبدى تجلداً رغم ما عليه من كلاكل مرساة ، ويعلو مشمخراً فخوراً رغم ما أصابه من ذل ومن عز ، ويزدهى مفتخراً بشرفاته التى تبعث فى قلوب الزائرين روح الاجلال والتعظيم والذكرى لو تنفع الذكرى .

ثم يعجز البحترى على فنه أن يصور عجائب الايوان فاذا هى من صنع الجن ، والجن مصدر الغرائب ومورد قوى من موارد الخيال ، ثم يعود الى احياء كسرى وملكه وايوانه فاذا الوفود حسرى مزدحمة واذا القيان بين حو ولمس تغنينا نراهن ونسمعهن !

٧ — أسلوبه عربى ولفظه حلو سلس

أثرت به جنسيته وأثر به أبو تمام فكان أسلوبه عربياً جزلاً ، وأثر به جو

العراق فكان عذباً دون تعمق فى المعنى ، وأثرت به الطبيعةُ فكانت ألفاظه حلوة سلسة تجرى مجرى الماء .

واذا عُدنا الى وصف بركة المتوكل رأينا جزالة العروبة على الصور الحضرية ، واذا التفتنا الى وصف الربيع رأينا عذوبة ورقة على غير تعمق فى المعنى ، وحلاوة فى الألفاظ فكأنها الماء النمير . وقال :

ليشوقنى سحرُ العيونِ المجتلى ويروقنى وردُ الخدودِ الأحمرُ

وفى ذلك السحر حلاوة ، وفى تلك الخدود عذوبة ، وفى ذلك الانسجام جمال ، وفى تلك المزاوجة بين سحر العيون المجتلى وورد الخدود الأحمر رقة المياه ، وبين يشوقنى ويروقنى مزاوجة شامية وجزالة عربية . وقال :

قطعنا الليل لثماً واعتناقاً وأفنيناه ضمّاً والتزاما

وبين قطعنا وافنينا وبين لثماً واعتناقاً وضماً والتزاماً مزاوجة فى اللفظ وانسجام فى المعنى وقال :

ولم أر مثلينا ولا مثل شأننا نعذب أيقاظاً وننعم هجدا

وبين نعذب ايقاظاً وننعم هجداً مزاوجة فى اللفظ على عذوبة وطبلق هو من آثار الثقيف .وقال :

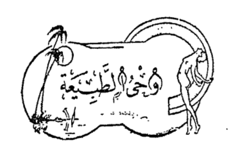
فأحسن بنا والدمع بالدمع واشجٌ يمازجه والخدُّ بالخدِّ ملصقُ

وبين الدمع بالدمع واشج والخد بالخد ملصق مزاوجة فى اللفظ وانسجام فى المعنى كانسجام الدمع على الخد ،والبيت جزل وألفاظه منتقاه مختارة . وقال :

تطيب بمسراها البلاد اذا سرت فينعم رياها ويصفو نسيمها

وبين النعيم والصفاء مزاوجة وانسجام ، وبين الريا والنسيم مناسبة ، وفى البيت جزالة العروبة وحلاوة الحضارة ؟

حنا عمر
مدرس الآداب فى كلية الشرق (طرطوس)



دموع الناسك

« الى الروح التى فى السماء . . . إلى أخى مصطفى »

(دخل الناسك المعبد على دقات ناقوسه الحزين فرأى أمام المذبح شاعراً مطرقاً فهزه فى رفق فوجد إطراقه أبدياً فخرج مرتاعاً هائماً ينشد من يعينه على حفل روحىّ يودع به هذا الناى المحطَّم)

هائمٌ بين الغسقْ مثلَ ماضىَّ الحزينْ
أشعثُ الشَّعرِ قَلِقْ يتنزَّى كالطعينْ

* * *

ناسكٌ واهى الجسدْ عاشَ فى حُبِّ الالَهْ
يتفـــــانى فى الأبدْ بين زُهْدٍ وصلاهْ

* * *

خاصمَ الدنيا الغرورْ واختلى فى صومعهْ
حيثُ ينساب الغديرْ ساحراً ، ما أروعهْ !

* * *

يعبد اللهَ فيحكى زهدَهُ رَجْعُ الهواءْ
يعبد اللهَ ويبكى بينَ حُبٍّ ورجاءْ

* * *

طافَ والدُّنيا نيامْ بين أحضانِ الأزلْ

مِنْ طيورٍ وأنامْ ووُحوشٍ في الجبلْ

* * *

في سُكونٍ غامضٍ فيه أنغامُ العدَمْ
وظـــلامٍ فائضٍ بالتجـــنّي والألمْ

* * *

يَحمـلُ المشعلَ يخبو بين أنفاسِ السَّحَرْ
وإلى الربوةِ يرنو في سكونٍ وخَـفَـرْ

* * *

وأتى الربوةَ لمّا أمسكَ الناىَ القـدَرْ
وهوى الناسـكُ ممّا راعه فوق الحجرْ

* * *

ومشى صوتُ القدَرْ في النسيم العاطرِ
وشدا بين الشجرْ بالنشيدِ الساحرِ

لحن الطبيعة في أنشودة الفَجْرِ لحن الخمائل والأمواه والزّهَرِ
لحن سرى وشعاعُ النورِ يعزفُهُ على دقائق أنداء من الدرِّ
لحن يُشَيِّعُ ليلاً طال معتسفاً على ضنينٍ بعهد الودِّ والذكرِ
ويقطع النوم — والأحلام طَيِّعَةٌ على الخلىِّ ، ويدوى أينما يسرى
لحنٌ عليه جيوشُ النورِ زاحفةٌ والليلُ يدبرُ في وهنٍ وفي ذعرِ
وطوى النورُ الظلاما فتوارى في العناقْ

* * *

ورأى الناسكُ ربَّهْ يتجلى في الجبَلْ
وأفاض الله حُبَّهْ فمحا عنـــه الوجَلْ

* * *

قام يتلو ما شجاهُ تحت أستار الغَلَسْ
وهو يرنو في بكاهُ ينشد العون القُدُسْ

* * *

شاعرٌ غنّى وناما يا الّهى أنت أعلمْ !
ألى المذبح قاما في ذهول فتحطّمْ ؟!

* * *

شاعرٌ غنى فغنّوا ثم أغفى وحدَهُ
وتراهم قد تمنّوا أن يشيدوا لحدَهُ

* * *

كم بكى من أجلهم وهو محسوبٌ عليهْ
كم شكى من ذلهم والأماني في يديهْ

* * *

فمشى الكونَ وجومْ ودوى صوتٌ جهيرْ
بين أشباحٍ تحومْ اسمعوا وحى القديرْ :
اجمعوا الأرواح زهرا من رياض العمر طرا
واسمعوا النساك ناجوا ربهم سراً وجهرا
وخذوا النجوى كؤوساً واعصروا الايمان خمرا
وتعالوا في خشوعٍ ندخل المحرابَ فجرا
نركب الفجر شعاعاً في كلام الليل مرّا
واهبطوا الأرض خفافاً كنسيمٍ رقّ سيرا
ألبسوا الاكليلَ هاماً أكسب الأحياء فخرا
ضمّخوا بالعطر ناياً ضمخ الأجواء دهرا
قربوا الخمرَ اليه إنما القربانُ ذكرى

* * *

مات غريدُ الليالي وانتهى ممّا أمرّا
كرموا قلباً وديعاً تجدوا روحاً وفكرا

محمد أحمد رجب
(المحامى)

على الغـــدير

نطقَ الغديرُ فكان لحنـا لغـةُ الهوى لحنُ الغـدير
وسمعتُه فسمعتُ معنًى هو نصٌّ ما فى ضميرى

* * *

أنا فى عروقي مِن دمى هبةُ الحياةِ لكلِّ صبٍّ
أنا كلُّ صبٍّ ينتمى عندى ويستهدى بقلبي

* * *

وكذا الغديرُ اذا همَى والروضُ مُلتاحٌ مُعنَّى
وهبَ الحياةَ وربَّما جعلَ المياهَ هناك فنّا

* * *

فعلى حِفافَيْ مائهِ للطيرِ تنغيمٌ وشكْوَى
وعلى سَنا حصبائهِ للزَّهرِ تسليمٌ ونجْوَى

* * *

يا ذِمّةً للروضِ فى عُنُقى لها طَوْقى المَدِينِ
للهِ عندَ قلبي أن يفى دينَ الغرامِ مِن الحنينِ

* * *

لمّا استجابَ الليلُ ما أسْدَى لقلبينا سكونَهْ
وقضى الجميلَ فكلّما ارتَعْنا أظلَّتْنا عيونَهْ

* * *

بتنا رفيقى بدره إلفين يرعانا سناه
ندعو المنى فى نوره والطير تشجينا مناه

* * *

والبدر يبسط ظلة متراخياً بين الرياض
والنور ينسب أصله يا قلب للحدق المراض

* * *

فى هجعة الليل التى تدرى الخفى ولا تذيع
أودعت ثغرك قبلتى مما تضمنت الضلوع

* * *

لكن قلبى كيف كا ن على جوانبها يحوم ؟
هى قبلة نقلت مكا ن القلب حيث غدت تقيم

* * *

والآن هل تدرين يا أصل الجميل من الفنون
أن المرجى للحيا ة وطيبها أن ترحمينى ؟

* * *

ما فى الحياة سوى المنى ولأنت كل منى الحياة
فاذا ظفرت بها هنا شفعتها بعد الممات

* * *

هى لو علمت تعبدى والحب إيمان القلوب
لو كل قلب يهتدى خلت الحياة من الذنوب

* * *

وحدت فيك صبابتى وجحدت فيك شريك حبى
وبقيت أنت هى التى بجمالها وحدت ربى !

* * *

وأذقتنى حرق النوى فكشفت لى سر الوجود

وأرَيْتِنِى أنَّ الهوَى هو وَحْدَهُ سِمَةُ الخلودِ

***

حامَتْ على فردوسهِ رُوحى وما بلغَتْ مَدَاهُ
هى نفحةٌ مِنْ جِنْسِهِ حَمَلَتْ إلى الدُّنيا صَدَاهُ

محمد الههياوى

أحن الى الرياض

أحنُّ الى الرياض لأنَّ قلبي اذا ذكر الرياضَ غـدا فتيّـا
يُسابقُ طيرَها مرحاً وشدواً وتبعث فى جوانحه الشذيّـا
وما حبُّ الرياض شغفن قلبي ولـكنْ وهجُ هاتيك الحميّـا
ففى قلبي من الأحباب ذكرى وفى عينى مُنى تزدادُ غيّـا
وما فى الروض أزهارٌ ولـكنْ دبيبٌ فى الثرى يَدْوى خفيّـا
يوقّعُه السحابُ على الروابى وتَعزفه الصَّبا نغماً شجيّـا
فغنِّى يا رياضُ غنـاءَ صبٍّ يجدّدُ للهوى عهداً قويّـا

ماري عجمي



زورق الصياد

(كان أبو القاسم الشابي رحمه الله صياداً ماهراً يبحث فى زورق حياته
الجميل فى بحر الوجود عن لآلىء الشعر ، وقد حطمت الآلام حياته
فأنقذه زورق آخر فى الجهة المظلمة من بحر الوجود ، فالى روحه
الشاعرة فى زورق الموت ، أهدى هذه القصيدة)

رَسَا زَوْرَقُ الصَّيَّادِ فى غَسَقِ الدُّجَى … على شَطِّ بحرٍ مَوْجُهُ مُتلاطِمُ
تُدَاعِبُهُ الأسماكُ أسرى شِباكِهِ … وصَيَّادُها فى سَاحةِ الركبِ نائمُ
وفى جانب الصيادِ ضاءتْ ذُبَالةٌ … يُهاجِمُها نَسْمُ الدُّجى فتُقاوِمُ
وقد بَدَّدَتْ صَمْتَ المساء أمامهُ … نِباحُ كِلابٍ جاوبَتْهُ الحمائمُ
وصَرٌّ نقيقٍ للضفادعِ مُرْعِشٌ … وتصريخُ بومٍ طيلةَ الليل دائمُ
تدوِّى رياحٌ عاصفاتٌ بقربِهِ … وليستْ تدوِّى فيهِ إلاّ زَمازمُ (١)
زمازمُ أحلامٍ سَرَتْ بين عَينهِ … وليْسَ لها فى سِمْعِهِ تراجم

***

لقد هجعَ الصيادُ بعدَ مشقَّةٍ … تُغالبُه الأحلامُ ، والثغرُ باسمُ
تتيهُ به الآمالُ عن غدِهِ وما … يُسَرُّ بهِ فى لذَّةِ النَّوْمِ حالمُ
رَسا زوْرقُ الصيادِ تحتَ شُجَيْرَةٍ … على شَطِّ بحرٍ مَوْجُهُ مُتلاطمُ
ورائحةُ الكافورِ ترْقُصُ بيْنَها … فيحْلُمُ فيها باسماً وهْوَ نائمُ
وتَنشدُ أوراقُ الشجيرةِ لحْنَها … اذا داعَبتْها فى السكون النسائمُ
تَهُبُّ عليهِ العاصفاتُ كأنها … صراخٌ شجيجٌ فى اللها متزاحمُ
فيستشعرُ الصيادُ خوفاً كأنهُ … ضياءٌ تبثُّ السحرَ فيهِ طلاسمُ

***

(١) الزمازم : الاصوات الخفية التى لا تفهم .

وسا زورقُ الصيادِ تحتَ شجيرَةٍ تُظلِّلُ عليهِ — وهوَ بالماء ساهمُ
وسا الزورَقُ السرويُّ يحلُمُ في الدجى بماضيهِ والسَّرْوُ المبَلَّلُ سادمُ (١)
تطوفُ به الذكرى وتعبرُ جوفَهُ رياحٌ من السروِ الخفيِّ نواسمُ
تَدفُّ مِيَاهُ البحرِ في جنباتهِ فتهتزُّ أشطانٌ به ودعائمُ
وقد زَعْزعتْ ريحٌ على الشطِّ صَخرَةً ففُكَّتْ قُيودُ الركبِ وهي قوائمُ
فمالَ سريعاً يَمْنَةً بعدَ يَسرةٍ وصاحِبهُ في سَكرةِ النَّوم حالمُ
وفي هدأةِ الليلِ البهيم تحركتْ تُهاجمهُ الأحجارُ .. وهو مُسالم
تزَعزع وسْطَ الماءِ والموْجِ حالماً تُقارِضُه فيهِ الصُّخورُ الصلادم
فأوقظَ مجنونٌ يُعربدُ ذاهلاً كشيخٍ بَدَتْ في ناظريه الخواتمُ
مرَىٰ ليس يَدرى أين شطُّ نجاتهِ وكيفَ يصدُّ الموْجَ ؟ كيفَ يقاومُ ؟
فصاحَ كسيرَ النفسِ في كلِّ موْجةٍ ليوقظ عَيْنَ الليلِ والليلُ نائم
وشاهَدَ ضَوْءاً عبقرياً كأنه شعاعٌ من الوادي المقدَّسِ قادم
فقام .. وفي القلب المبلبلِ فرْحةٌ كأنَّ السنى ضَوءٌ من الله رَاحمُ
يُغنى ولا يدرى الى أيِّ شاطىءٍ تسير أغانيه العِذابُ النواسمُ
أغانٍ لهـا وقعٌ وليسَ لهـا صدًى تدُلُّ عليها في الشفاهِ علائمُ
فقد صدرتْ من أرغنٍ تاهَ لحنُه وقد عبرتْ عنها شِفاهٌ بواسمُ
وعامَ الى الضوءِ العليِّ تزفُّه خيالاتُ آمالٍ هفتْ وعوالمُ
ترفُّ الأماني من بَعيدٍ كأنها ملائكةٌ في المنتهى تتنادم
رأى كلَّ شيءٍ في الضياءِ موَقَّعاً كأنَّ ضياءَ البحرِ في البحرِ حاكمُ
رأى الضوء في ركبٍ بعيدٍ كأنه أشعةُ بدرٍ والركابُ غمائمُ
وقد عَلَقَتْ بالركبِ بعضُ هياكلٍ تُتوِّجُها فوقَ المياه جماجمُ
تهادى بمجذافٍ قويٍّ تفتَّحتْ تُقلدُهُ بينَ السماكِ خياشمُ

---

(١) حزين ندمان

فلما رآهُ الركبُ ، وهوَ مشرَّدٌ ... يُقلّبهُ مَوْجٌ ويثنيهِ عارمُ

سرَى نَحْوَهُ حتى تضاءَلَ ظله ... وكلُّ مكانٍ فى الخضمِّ مُرَاغمُ (١)

وناداه ربّان الركابِ بلهجةٍ ... طوتها وأخفتها الدُّنى والعوالمُ

فلبى نِداءً صَارخاً وهو طائعٌ ... وأذعنَ للرُّبانِ وهو مسالمُ

وألقى عن الصيادِ ثوْباً مبَللا ... وأهداه ثوباً ناصِعاً وهو باسمُ

* * *

لقد ظنَّ أن الركبَ حَسْناءُ لفَّها ... من الثلج أزهارٌ عذابٌ نَواسمُ

تصوّرَه قاصّاً يَقُصّ على الدُّجى ... أقاصيصه ، والبحرُ فى الليل واجمُ

ترنُّ به الألحانُ هادئةً كما ... تخِفُّ على رملِ الصحارى منامسُ (٢)

تغنى مجاذيفُ الركاب ودَفهُ ... بدَفٍّ مياه الركب فهى صَوارمُ

فيرتجف الصياد فى كلِّ ضرْبةٍ ... ويحسب أن الموتَ فى الماء جاثمُ

* * *

قضى زورق الصيادِ تحت شجيرةٍ ... على شطِّ بحرٍ مَوْجه متلاطمُ

وكانتْ لأوراقِ الشجيرةِ ضَجّةٌ ... اذا دَاعبتها فى السكونِ النّسائمُ

ولكنّها صارتْ هناكَ حزينةً ... على زَوْرقٍ قد حطّمتْهُ الصلادمُ

* * *

سيَهفو على البحر الجمالُ وتَزْدهى ... عليه طيورٌ بالحبَابِ هوائمُ

ويَحْمَرّ فى شمسِ الغروب عُبَابُه ... وتنبض فى الظهرِ المياهُ القوائمُ

ويعبث بالركب المحطّمِ مَوْجُهُ ، ... ولكنّ حزن الشّط والبحرِ دائمُ

* * *

قد انبلج الصُّبحُ البسيمُ وحوّمت ... وطافتْ على افقِ السماء حمائمُ

ولاحت خيالاتٌ على الشاطىء الذى ... تحطّمَ فيه الزَّوْرَقُ المتَصادِمُ

---

(١) مراغم ... مهرب (٢) المنسم : خف البعير ، ولصوت وقعه على رمل الصحارى موسيقى هادئة جميلة

خيالاتُ أطفالٍ صغارٍ ونسوةٍ تنادي على الصيّادِ والبحرُ واجمُ
لقد حدّقتْ فى البحر حتى بدا لها خيالٌ بعيدٌ أبيضُ الثوبِ عائمُ
يلوّحُ مِنْ بُعْدٍ اليها كأنّه شعاعٌ على أفق السماواتِ حائمُ
يُلوّحُ للذكرِ المقدّسِ باسماً وفى عينهِ الدمعُ السماويُّ ساجمُ

***

وغاب فردّت غيبةَ الطيفِ صيحةٌ من الشاطىء المعمودِ والكلُّ ساهمُ
وناحتْ به الغربانُ تنتفُ ريشَها وهبتْ لتمزيق الصخورِ ضياغم (١)

محمد سمير السحراوى

وحى الظلام

وكم يحلو لىَ الظلماءُ حتى أجوسَ خلالها وأعيشَ فيها
وأترك هذه الأضواءَ خلفى لمن تغويه أو مَن يرتجيها
ففى الظلماء مسلاتى وأنسى وفى الظلماء مرتادٌ لنفسى
وفيها ينبع الالهامُ صرفاً ومنها يستقى عقلى وحسّى
معانى الليل فى ذهنى تُضىء وتنساب الخواطرُ فى المساء
اذا ما عشتُ معتزلا ونفسى حبتنى الوحىَ فى صفو النّجاء (٢)

مصطفى عبد اللطيف السحرتى

نسمات الربيع

أنعمتِ روحى من شذاك الوديعْ فعاودى يا نسماتِ الربيعْ !

---

(١) فى هذا البيت تصوير رمزي للحزن على الصياد بحزن الحيوان (٢) المناجاة

* * *

في بُردك العذبِ وهذا الشذى داعى النثام للفؤاد الصَّديعْ !
فاشفي فؤاداً بالجوى ذائباً كلِّف حبّاً فوق ما يستطيعْ
للشعرِ روحٌ فيه مكلومةٌ أنتِ لها نعم الضِّمادُ النجيعْ
وأبردى طرفاً ذوّى في الهوى بين كرًى عاصٍ ودمعٍ مطيعْ
هبِّى ! فهذا الكونُ في منظرٍ ضاحٍ وهذا الروضُ حالٍ مريعْ !
مرتفع ، منخفض ، معجب وطيّه مبدٍ جلالَ الرفيعْ
فيه جمالٌ وحيثُه فوق ما تخيَّل الشعرُ وفوق البديعْ !
صبَّ الأصيلُ النورَ في وشيهِ ناراً تلظى أو نضاراً يميعْ
والزهر منثورٌ كشهب السما في جهة شتى وأخرى جميعْ
مِن أحمر قانٍ إلى أصفرٍ أو أزرق أو ذي ابيضاض نصيعْ
فالعشب وشيٌ كُسِيَتْهُ الرُّبى والزهرُ فيه قُبُلاتُ (الربيعْ)

* * *

والجوُّ ضاحٍ بالسنى ضاحكٌ والأفق بالألوان زاهٍ بديعْ
والسحب في عرض الفضا يرتمى منها قطيعٌ خفّ يقفو قطيعْ
لاحت كدوح السَّرْوِ منصوبةً وانبسطت مثل هضاب الصقيعْ
والشمسُ صفراء بدت حولها في جهشة الباكى ولون اللسيعْ
عادت الى المغرب في موكبٍ ضاق به صدر الفضاء الوسيعْ
كغادة عاصبةٍ رأسها مالت على الفرش برأسٍ وجيعْ
أو مائل في قود غطيت عيناه عن مرأى القصاص القطيعْ
فاصفرّ رعباً وجهه حينما حلّ به الموت وعز الشفيعْ
والشفقُ احمرّ فهل من أسًى يبكى على النور بكاء الرضيعْ ؟
أم استبانت شُهبُ هذا المسا لمشهدِ الشمسِ وهذا النجيعْ ؟!

هبّي صَبًا ! لستِ سوى نفحةٍ مشبّـعةٍ من سحرِ هذا (الربيعْ)

* * *

هبّي ! فعنـدي من عهود الصبا في القلب عهدٌ لكِ حاشا يضيعْ
وردّدي للنفس ذكرى صبـاً مرَّ بقلبي كالصباح السريعْ !
في كل نسمٍ منـك لي خاطرٌ يوحي لنفسي كل معنى رفيعْ
زفّي ليَ الأحلامَ ريحانةً واستفتحي حصنَ الخيال المنيعْ
وصيّري العالمَ في ناظري مفاتناً تجلى وسحراً يشيعْ
هبّي ! فقلبي منك في نشوةٍ حلَّ بها النجم وجاز الرقيع [1]
وحلّقي بي في سماء التقى والحبِّ عن دنيا الغرام الخليعْ
وطوّفي بي في الجنانِ العلا في زاهرٍ غضٍّ ومجنى ينيـعْ
واصغي لقلبٍ شاعرٍ قد شكى من حبّه والدهرِ سوءَ الصنيعْ
واطوي لنجوايَ فإني أرى فيك لزهرِ الروض سراً يذيعْ
هبّي ! فما أنت سوى نغمةٍ ساريةٍ من أغنيات (الربيعْ)

سنغافورة : صالح بن علي الحامد العلوي

ترنيمة الذكرى

ما هذه الألحـانُ يا ابنَ الربيعْ ؟ أفزعتَـني في لحنـك المفزعِ
ما بين أنغامك ترنيمةٌ قـد جملت قلبيَ في مسمعي
وصيّرتني فاقـدَ البـالِ

يا بلبـلي بالله ما ذا دهاك ؟ أوضحْ ولا تخشَ هنا من رقيبْ

(١) الرقيع : السماء الأولى

إن كنتَ صبّاً تلقىني عاشقاً أو غربةً تشكو فاني غريبْ
فلا تَخفْ يا صاح أمثالى

أوّاه ! ما يبكيكَ ؟ مهلاً فقد بعثتَ آلامى بهذا الحنينْ
لا ! يا أليفى خلِّ هذا النشيدْ وخففْ الوطأ فقلبى حزينْ
يلتمس السلوانَ بينَ الطيورْ

يا شاعراً للفتنةِ الهادئهْ غرِّدْ فخيرُ اللحن بين السكونْ
(أما رأيت الوجه منى ذوى والعين غامت تحت ستر الجفونْ)
والروح فى اللوعة بين الزهورْ ؟

فاجمع بنات الزّهر يا صاحبي حولى وأنبئنى عن أمرى
وامسح دموعَ العين فى وردةٍ إن جاشت الأحزان فى صدرى
وفاضت العين بماء الدموعْ

وقلْ لها تنشد أحزانها تسعدنى فالقلبُ منى كليمْ
فربما خفف من لوعتى يا حبذ اللحنُ شفاء السقيمْ
أوّاه لو يعلمن ما فى الضلوعْ !

مرتضى فرج الله
(عضو الرابطة العلمية الادبية)
النجف الاشرف :

ثورة الذكريات

فى حضن الطبيعة

نفحةُ السحرِ من سماء الجمالِ وعذارى القريضِ قمنَ حيالى
ملكتْنى من الطبيعةِ روحٌ ذاتُ فنٍّ مؤثّلِ المجد عالِ
إنه الحسنُ فى الطبيعةِ يحيي ذكرياتٍ من النعيمِ البالى

قد مضت صُحْبةَ الزَّمان وحالت في غضون الكرى كطيف خيالِ
أين بالأمس قاربٌ يتهادى تحت ضوء النجوم غيرَ مُبالِ؟
كنتُ فيه مع الحبيب وكنا خفقةَ الحبِّ في فؤاد الليالي
وفنينا في قبلةٍ وعناقٍ وثَمِلنا مِنْ سِحْرِ ذاك الجمالِ



محمد رشاد راغب

وسكرنا من نشوةٍ وجنون وأفقنا في فتنةٍ وجلالِ
فعرفنا مِنَ الغرام فُنونًا وتركنا الخيالَ للأطفالِ!

* * *

أين خمرُ الهوى؟ لقد حطَّمَ الكأ سَ نذيرٌ من الهمومِ الثِّقالِ!

محمد رشاد راغب

مواكب المساء

ودعي الشمسَ وأعراسَ الفضاءْ انما مأتمها عنـد المساءْ
صعّدت أنفاسَـها محمرّةً كعليـل مجّ قطراتِ دماءْ
عبق الجوُّ بها فاندفقت تخضب الغيمَ وأنفاسَ الهواءْ
لوّن الموج بتبر أصفر ولجين بعد قبلات الضياءْ
وسماء أصبحت بحراً كما أصبح البحرُ فضاءً وسماءْ
ونهار ودّعتـه شمسنا إنما العمر وداع ولقاءْ
ومقاذيف أكفٌّ ودعت بشراعات منـاديل بـكاءْ
صورٌ من ريشة البارى بها مسحةُ الفنّ ووحى الأنبياءْ
إنَّ يوماً تمرُّ من أيامنا هو يومٌ قلَّ من عمر الشقاءْ
جلس الناسُ إلى ندمانهم بهجة العمر حديث الندماءْ
حشرجت فانطفأت أجفانها وخبا كل بريق فى الفضـاءْ
نعشها فى موكب النـورِ مشى فانطوى يومٌ بطيّات الفناءْ !

رياض معلوف

فى المساء

كنتُ أماشى صاحبين من خيـار صحبي
نمشى الهوينى فى ظلال السّروِ قبـل المغربِ
والمـاء يجرى سلسبيلا فى الغـدير المعشبِ
والجدول الرقراق يبـدى صفحة من ذهبِ
والطـير تشدو ساجعاتٍ فى كروم العنبِ
والدوحُ يهـتز اهـتزاز المستهام الطربِ

ثم اختفت عنا (ذكاء) تحت طي الحجُبِ
فوجمَ الليلُ وجومَ الحائر المضطربِ
ولم نعد نسمع غيرَ البلبل المنتحبِ
ينوح في إثر الأليف النازح المغيَّبِ
وسكن الكونُ سكون الحنق المرتقبِ
ثم انتضى للثأر أسيافَ المضيم المغضبِ
وراح يُزجى للوغى كلَّ خميس لجبِ
فمن رياح عصفت الى ركام السحبِ
ومن بروقٍ خطفت إلى هزيمٍ مرعبِ
وحاول الحربَ فما استفاد غير الحَرَبِ
يا رحمتا للكون ، ما أدرك غير النصبِ
فارتدَّ يبكى بدموع اليائس المكتئبِ
ثم أطلّ البدرُ في إشراق وجه معجبِ
يفترّ في عليائه عن رقةٍ وحدبِ
جاء يعزّى الكون عن كوكبه المغتربِ
فسكنَ الكون ولكن تحت نير الغلبِ

حسين محمود البشبيشي

كآبة الخريف

مرحباً جاء الخريفْ بالحيا المحيي اللطيفْ
كلُّ غصنٍ في الروابي شاحبٌ باكٍ أسيفْ
من خدود الورد حتى ساق أشجارٍ حفيفْ

كلّ دوحٍ كجناحٍ وله دوماً رفيف
نثرت أوراقه كالريش من طيرٍ ظريفْ
قِطعٌ مثل مناديلٍ لمسلولٍ نحيفْ
خضبت من صدره بالأحمر القاني الخفيفْ
بشفاهٍ كلما حرّكها سال النزيفْ
كسويدائي غيوم هي كالبحر الكثيفْ
كست الوادي رداءً أبيضَ اللون طريفْ
وخريف كرفيقٍ لي على الهمّ أليفْ
همّه همي ودمعي دمعُه مثلي ذريفْ
كله ظرفٌ ولطفٌ وله ظلٌّ خفيفْ
لن ترى عيني صديقاً صادقاً مثل الخريفْ !

رياض معلوف

السحر

في وُلوجِ الكون أبوابَ السحرْ
تنثني الهاماتُ : جنٌّ وبَشرْ
خاشعاتٍ في سويعات العُمُر
يستحمُّ الكلُّ في نور القمرْ
ويلفّ الحيَّ والميْتَ السَّهرْ

* * *

تقرع الأسماعَ أنّاتُ المياهْ
حين خارَ اليمّ أو ثارَ الغديرْ

يستحيل الصوتُ موتاً فى حياهْ :
إذْ تلاشى الصوتُ كالحلمِ الغريرْ
يتداوى الماء كالرعدِ الرجيمْ

* * *

وتَبدّى فى السموات السحابْ
غَضِبُ المحيا كثيفٌ ضاربُ
ذابت الأضواء فى ظلّ الحجابْ
ومضى الصوتُ الرهيبُ الصاخبُ
وتنحى الغيمُ فى وادى الغيومْ

* * *

وقف البارى شهيداً مِن عَلاءْ
وتنحى كلّ هامٍ والقدرْ
خشعتْ حتى نجيماتُ السماءْ
وصحتْ حتى . أمانىّ الشجرْ
وقفتْ جزعى بوادٍ ، لا تريمْ

* * *

سكنت ريحُ الشمالِ العاتيهْ
وتقضت غمغماتٌ للخريرْ
سكنتْ أثباجُ موجٍ وانيهْ
وتلاشى اللفحُ مغلولَ الصريرْ
وتراخت زفزفاتٌ للنسيمْ

* * *

رعشتْ فى اليأسِ أطيافُ السماءْ

وتندَّتْ طلعـــــةٌ للقمرِ
وتهاوتْ في تضاعيف الفضاءْ
لمعـــاتٌ فنيتْ كالعمـرِ
وتشاكى الليل والبمُّ الحزينْ

* * *

واشرأبَّتْ فيه أعناقُ الحببْ
خَلـَّفَـتْهنَّ ارتخاءاتُ الفتورْ
مستَحثُّها لامعاتٌ مِن شُهبْ
بدتْ الدنيا كما منذ الدهورْ :
هي غرقى العمرِ ، ما فيها قطينْ

* * *

بليتْ في الجوِّ أكفانُ السحابْ
هرأتها مرسلاتٌ لا تلينْ
وتهادى البدرُ مهزومَ الشبابْ
يترامى نورُه الساجي الحنونْ
كعذارى في الظلامِ المستكينْ

* * *

جاء ربُّ الشعرِ مهزولَ البناءْ
في رواقِ الليل غـنَّى آيةً
أنزلت للموتِ [1] مِن كهفِ السماءْ .
أيُّ وادٍ ؟ قِيلَ : وادٍ للأنينْ
فاضَ بالدَّمعِ ولذَّاتِ الحنينْ !

لويس عوض

(١) موت الظلام

النّاى الأخضر[1]

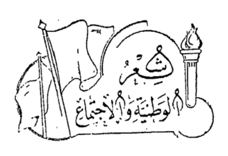
(للطفولة الريفيـة فى لهوها روح خاصة من أمتعها عود البرسيم الأخضر الذى يلهو به الصبيان خلف السوائم الراتعة فى الحقول)

زَمّارتى فى الحقول كم صَدَحَتْ ... فكِدْتُ مِن فرْحتى أطيرُ بها !
الجَدىُ فى مَرْتعى يُراقِصُها ... والنَّحْلُ فى رَبْوتى تُجاوبها
والضَّوْءُ مِن نشْوَةٍ بنَغْمتها ... قدْ مال فى رأدِهِ يلاعبُها
رَنا لها مِنْ جُفون سَوْسَنةٍ ... فكاد مِن سَكرةٍ يخاطبُها
نَفخْتُ فى نايها فطرَّبنى ... وراح فى عُزْلتى يُداعبُها
يُغازلُ الرُّوحَ مِن مَلاحِنهِ ... بنَغْمةٍ فى الضحَى تُواثِبُها
سَكرانُ من بهجة الرَّبيع بلا ... خمرٍ به رُقْرِقَتْ سَواكبُها
يهفو إلى مهده بآنسةٍ ... مِن غضٍّ برْسيمهِ يُراقبُها
صَبيّةٍ فوَّفتْ غلائلها ... وطُرِّزَتْ بالنَّدَى جَلابيبُها
واشْرَقَتْ فى الصباح لاهيةً ... فكلّلتْ بالسَّنا ذوائبُها
غَنّيتُ فى ظلها .. فهل سمِعَتْ ... لحنى ، وقدْ ارْعِشَتْ ترائبُها
أمْ زارها فى مِهادها نَسمٌ ... وراحَ مِنْ فتنةٍ يُجاذِبُها ؟

محمود حسن اسماعيل

---

(١) عن ديوان (أغانى الكوخ) الذى سيصدر فى الشهر الآتى



مصر

أجلْ إن ذا يومٌ لمن يفتدى مصرا ... فمصرُ هى المحراب والجنةُ الكبرى
حلفنا نولّى وجهنا شطرَ حبّها ... وننفد فيه الصبر والجهد والعمرا
نبثُّ بها روح الحياة قوية ... ونقتل فيها الضنك والذل والفقرا
نحطم أغلالاً ونمحو حوائلاً ... ونخلق فيها الفكر والعمل الحرّا

* * *

أجلْ ان ماء النيل قد مرّ طعمُه ... ومَن منكم بالله لم يذق المرّا ؟
وروضتنا الغناء ديستْ ومزّقتْ ... تناوشَها الفتاكُ لم يدعوا شِبرا
فدالت بها الدنيا وريعت حمائمٌ ... مغردة تستقبل الخير واليسرا
وحامت على الأفق الحزين كواسرٌ ... اذا ظفرت لا ترحم الحسن والزهرا
تحط كما حط العقاب من الذرى ... وتلتهم الأفنان والزغب والوكرا
فهلاً وقفتم دونها تمنحونها ... قلوباً ترى مصر الهوى والمنى طرّا ؟!
وهلا وقفتم دونها تمنحونها ... أكفّاً كماء المزن تمطرها خيرا ؟!
وهلا وقفتم دونها تمنحونها ... سواعدَ من صلب تصدّ بها الدهرا ؟!
سلاماً شبابَ النيل فى كل موقف ... على الدهر يجنى المجد أو يجلب الفخرا
تعالوا نشيّدْ مصنعاً ، ربَّ مصنع ... يدرّ على صنّاعنا المغنم الوفرا
تعالوا نشيدْ ملجأ ، ربَّ ملجأ ... يضم حطام البؤس والأوجه الصفرا
تعالوا لنمحو الجهل والعللَ التى ... أحاطت بنا كالسيل تغمرنا غمرا

تعالوا فقد حانت أمورٌ عظيمةٌ ... ولا كان منا غافلٌ يصم العصرا
تعالوا نقل للعيش أهلاً فاننا ... شبابٌ ألفنا الصعب والمطلب الوعرا
شبابٌ اذا نامت عيونٌ فاننا ... بكرنا بكور الطير نستقبل الفجرا
شبابٌ نزلنا حومة المجد كلنا ... ومن يغتدى للنصر ينتزع النصرا

ابراهيم ناجى



المجنون
أو
قيس وليلى

(مهداة الى روح المرحوم أحمد شوقي بك)

قِفْ أيا شوقى وكوِّ الأضلعا ... قِفْ بنا كى ننشد الشعرَ معا
ونلفّ الحبَّ فى أكبادنا ... قطعاً حرقى ترشّ القطعا
فخيالٌ فى الهوى ما دغدغتْ ... جانحيه الريحُ الا أبدعا
ونبوغُ الحبّ أوتارٌ إذا ... حركت قلباً دقيقاً رُوِّعا
واذا الأفراخ فى أوكارها ... غلغلت تشكو فؤاداً موجعا
تنقر الحبّات فى أقفاصها ... تغرس الأعشاب فيها مضجعا
فخيوط الحبّ فى ليلاتها ... علمتها أن تنير المطلعا

***

نحنُ أطيارٌ بروض الكون فى زقزقاتٍ نستفيض المدمعا
إنْ على الأغصان قمنا نشتكى ضجت الدنيا تعيرُ المسمعا
واذا ما لفظت أرواحُنا وسراج الموت ألقى برقعا
ننسج الالهام مِن آلامنا ونغنّى الدهرَ شعراً مبدعا !

***

نحن فى شرع الهوى قلبٌ وفى مرتع الأحلام نبنى مرتعا
شعرالا قلبنا فى شعرنا يملأ الدنيا شعوراً أرفعا
وشبابٌ يحبك الآمال فى ليلة النجوى خيالاً أوسعا
واذا ما قيس مجنون الهوى ضلّ فى الدنيا ، وضلّ المرجعا
واذا ليلى تلاشى عقلها وجنونُ الحبّ شفّ المدمعا
فلأن الله فى صدريهما حبّكَ الالهام سحراً مرضعا !

***

قلْ أيا شوقى أما من خمرةٍ تسكر الأرواحَ حتى تجرعا
فتطوف الروح فى أجوائها ويجنّ القلب حتى يصلعا ؟
ان حبّ النفس الهامٌ ، ومَن علم النفس الهوى ما ضيّعا !
لم يكن قيس سوى حبّ إذا جنّ من حبّ يذيب الأضلعا
شاعرٌ فى قلبه ، فى روحه شاعرٌ أحلامه أن يلمعا
عبقرىٌّ الحب مكلومٌ هوى يحمل الصحراء جرحاً مولعا
فى خيام الوجد يبنى مجده فى ربوع البدو يبنى مربعا
بدوىٌّ يغرق الحب دماً من فؤادٍ كان قدماً ممتعا
ليس فى الحب جنون ، إنما شعلات الحب تلقى برقعا
فتثور النار فى بركانها وتكوّى العقل حتى يسطعا

فيقول الناسُ : هذا عاشقٌ ضيَّع العقل ، فعاف المجمعا
غير أن الناس لا يدرون كم وضع « المجنون » سحراً مبدعا
والتوى بين الورى ينشره فكأنَّ « القيس » كان المرضعا !

* * *

هذه ليلى تناغى حبَّها تحبك النجوى وتقضى مطمعا
ينخر العظمَ هيامٌ قاتلٌ يجلب الموتَ إذا الناسُ وعى
وإذا ما عُرفوا فى حبِّها كبِّلتْ أو منعتْ أن تطلعا
فى نظامٍ صامتٍ مستوحشٍ أرضُ نجدٍ طلبت أن يتبعا
كالنعاج البيض والشوكُ على صوفها المدمى تروى البلقعا !
وقلوب العشق هل تعرف من حرمةِ القانون إلا إصبعا ؟
تنبذُ الشكوى على أقدامها فى عصور الظلم حتى تُبدعا
وكذا ليلى فلم تعبأ لما سنّه القانون ظلماً مصرعا
إنما مالت إلى أهوائها لتعير القلب سمعاً أطوعا
لتلاقى النور مسفوحاً على وجنتيها فى الهوى قد طُبعا
يتعرى الفجر فى برحمهِ ويشفُّ البدر وجهاً شعشعا
لو درتْ أنَّ الهوى فى قلبها ملهَمٌ قامت تفيض الأدمعا
لتبلَّ الكونَ من أجفانها فيغذّى الحبُّ قلباً مترعا

* * *

هكذا الشاعرُ فى آلامهِ يحرق الأنفاسَ حتى يبدعا
كى يغذّى الليل من أنواره ويحيل القفرَ روضاً مُمرعا
يسلب الأنوار من قلب الدجى ويحيل الكونَ شعراً طيِّعا
والورى يسخر من آلامهِ والورى عنه يسدُّ المسمعا

إنما الدنيا خلود بعد ما نسكتُ الاقدارُ قلباً مُضعضعا
وفؤادُ الشعر خفّاقٌ على بسمةِ الفجرِ يطوف الأربعا !

زحلة : ميشال كرم

النافـــذة المغلقة

(تمثل هذه الأغنية لوناً من الغناء الشعبي الايطالى ، وملحوظ فيها بساطة التعبير ، كما لوحظ فى ترجمتها الحرص على الذوق الايطالى الأصيل فى البيان الشعرى. وهى تصف حالة شاب عاشق من أهل الموسيقى اعتاد أن يقف كلّ ليلة تحت نافذة حبيبته ـ كما هو شائع فى ايطاليا ـ ليطربها على آلة المندولين . وفى ذات ليلة اتجه مع رفقة من أصدقائه الشباب الى بيت حبيبته كعادته فوجد النافذة مغلقة بعد أن كان متعوّداً فتحها لتستمع الى أغنياته ، فأشجاه ذلك ، وتدفقت هذه الخواطر الغنائية منه)

١ — الترجمة الحرفية

إذا ظلّت النافذةُ مغلقة
فأطلب يا أصدقائى معذرةً
فهى ليست غلطتى .
أغنيتى المملوءة غراماً
كانت تشغلها دائماً .
الآن أغنيتى تذهب فى الشارع
فى الليلة الخفية
من غيرك أيتها الجميلة
بدون اشراق نجمك .
أغنياتى تموت

إذا لم تطلى بعد
لتسمعى صوتى .

« • »

يا نافذتها المغلقة
لماذا لا تفتحين ثانية
لقد أخفيتِ هيامى
هيام القلب المشتعل
أنا ثمل ، مجنون ، من الحب
من هذا القلق الذى أجد فيه لذة .

« • »

قولى لها إنى أحبها
ولا أزال أحبها .
إذا كانت تخدعنى
فان يدى لا ترتعش
وسأعرف كيف أنتقم .

« • »

أصدقائى ! أعزائى ! مساءكم سعيد
فالأوتار كسرت
ومحال أن أعزف عليها ثانية .

« • »

إذا ولّى الجمالُ طائراً
فاتركونى هنا وحدى
اتركونى أغنّى

الغناء الأخير
بأعلى الصوت
قوياً ،
الأُغنية التى تصيح كالموت
لهذه المرأة الرديئة
التى قطعت قلبى
بوحشيتها .

* * *

أيتها النافذة المغلقة
التى لا تُفتح مرة أخرى
فى ليلتك الفضية
اذا لم تكن موجودة
فأنا أريد أن أغنى من أجلك
ما دام شبابى باقياً .
نورَ قلبى ! ... نارَ حُبى !

محمد أمين حسونة

* * *

٢ — الترجمة النظمية

أمنحونى أيّها الخلاّنُ عذراً ليس لى ذنبٌ بغلق النافذهْ
ليس لى ذنبٌ ، فكم قد مَلأتُها بغرامى أغنياتى الآخذهْ
إنها الآنَ الى الشارع تَمضى وهى مِن غيرك تَفنى يا جميلهْ

هي تفني دونَ إشراقِكَ إن لم ... تسمعيني ليلةَ الحُبِّ الظليلهْ
لِمَ لَمْ تنفتحي مِنْ بعدِ غلقٍ ... أيُّها النافذةُ الخفيُّ فيها
وجدُ قلبي المُشعَلِ المجنونِ شُكراً ... مِنْ غرامي في همومٍ يشتهيها؟
بلِّغيها أنني عبدُ هواها ... أنني ما زلتُ نشوانَ محبًّا
إنْ تشأْ خَدْعي فلي بَعْدُ يدٌ ... لانتقامي لم تَهَبْ حُسناً وحُبَّا
أصدقائي وأعزّائي! وداعاً ... بعد ما قد ماتت الأوتارُ كسرا
فحالٌ مرةً أخرى لمثلي ... عزفُها مذ طارَ ذاكَ الحسنُ طيرا
أتركوني ها هنا في عُزلتي! ... ودعوني أنشدُ اللحنَ الأخيرْ
رافعاً صوتي قوياً داوياً ... وهو كالموتِ لمعبودي الحقيرْ
قطّعتْ قلبي بوحشيّتها ... فاسمعي نافذةَ الحبِّ اسمعي لي
نغمأتي للعمرِ أنتِ المنتهى ... إن يدمْ روحُ شبابٍ لي منيلي

نُورَ قلبي! ... نارَ حُبي!

أحمد زكي أبو شادي

الهوى والسلام

للشاعرة إيلا هويلر ولكوكس

مَلاكان يَنشرُ سِرُّ الالَـ ... ـهِ بروحيْهما طيبَ ما يحملُ
هما رحمةٌ هبطتْ في القلو ... بِ ونورٌ من اللهِ يسترسلُ
ومِنْ عجبٍ أنَّ ثانيهما ... يباده النقمـــةَ الأولُ
فما التقيا مرةً عند قلبٍ ... وآواهما بابهُ المقفلُ
إذا وقفتْ مُقلتَا واحدٍ ... على ندِّه شدَّ ما يجفلُ

وقد تنطوى فى الأسى لذّةٌ ويحنو على البومةِ البلبلُ
وتأوى إلى اليأس بعضُ الأمانى ويبسمُ للشعلةِ الجدولُ
ويفنى النقيضان من كل أرضٍ ويحطمُ حامِلَهُ المِعْوَلُ
فما إن يطلّ ملاكُ السلامِ يوارى ملاكَ الهوى معزلُ
يظلاّن ما طالَ عمرُ الوجودِ عَدُوَّين بينهما فيصلُ
فلمّا انقضى العمرُ جال الردى فضمَّهما فى الثرى موئلُ

صالح جودت

سطور حزينة

للشاعر الانجليزى شلى

إنّ الريح العاتية تدوى وتئنّ
إنها تنعى « موت الموسيقى » بين الحقول
والدودة الباردة تنهب فى القبر
وردةَ الشفاه التى رفّت عليها القبلاتُ منذ حين

* * *

يظلّ الجنينُ آمناً ما دام فى الرحم
وكذلك يجد الهيكل المنحلّ راحته فى القبر
وهكذا مرجعنا إلى حيث مآلنا

عماد فتوح البسيونى



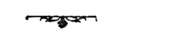
THROUGH THE CROWD

The sacred oath we vowed
Best of lovers to be.
Across the battling crowd,
You waved your hand to me !

And I shot thro' the mass
As my heart ached for you
And my lips for the glass
Of lips as fresh as dew !

And I won you at last
By me, not in my arms.
You and time go so fast
And fly - with all your charms !

Ibrahim Nagy



فى أدب الشاهنامة

كلمة السيد عبد الحميد العبادى

فى الاحتفال بذكرى الفردوسى بمدينة طهران

لا أتعرض فى هذه الكلمة الموجزة للشاهنامة من حيث هى ملحمة رائعة بليغة فقد يكون ذلك من شأن غيرى . ولست متعرضاً لها من حيث هى كتاب تاريخ مقيد لحوادث ايران القديمة . فليس من شك فى أن التاريخ بمعناه العلمى قديماً وحديثاً لم يكن الغرض الجوهرى الذى قصد اليه الفردوسى عندما شرع فى نظم الشاهنامة . انما أريد فى هذه الكلمة الوجيزة أن أتناول الكلام على الشاهنامة من حيث هى كتاب أدب رائع وحكمة بالغة فهى على هذا الاعتبار كتاب عالمى يتأدب بمطالعته الناس على اختلاف أحوالهم وأجناسهم وأوطانهم وأعصارهم .

***

ما برح فلاسفة التربية والأخلاق يرون فى الشعر عامة والقصص منه خاصة وسيلة من أقوى الوسائل فى تهذيب النفوس وتكميل الأخلاق ، وذلك من طريق العرض الشعرى البليغ لموضوع رائع جليل يتضامن فى عرضه خيال الشاعر وعقله وقلبه . لذلك عول الفلاسفة على الشعر عامة والملاحم خاصة فى تحقيق المثل الأخلاقية العليا أكثر مما عولوا على غيره من الفنون الجميلة . ونحن نعلم أن ارسطاطاليس استعان فى تنشئة تلميذه الاسكندر بأن أقرأه إلياذة هوميروس ، كما نعلم أن المؤدبين من العرب كانوا يروون الناشئة الشعر الحماسى الذى هو أقرب أنواع الشعر العربى الى الملاحم واستعانوا به على تلقينهم أصول المروءة التى تدنى عندهم صاحبها من كمال الأخلاق.

والشاهنامة تعدّ بحق من ملاحم الطبقة الأولى ، وهى والالياذة من حيث القوة والروعة الفنية والابداع سواء ، غير أن الشاهنامة عندى تربى كثيراً على الالياذة من الناحية الفلسفية الأخلاقية ، فالفردوسى لا يمل أن يبدىء القول ويعيده واعظاً ومرشداً وهادياً ، سالكاً حيناً طريق الحقيقة وحيناً طريق المجاز . فليت شعرى ما الأصول التى يمكن أن ترد اليها فلسفة الفردوسى الأخلاقية ؟ هى أربعة : الايمان الواجب ، سلامة القلب ، الزهد .

***

والايمان عند الفردوسى ليس ذلك الشعور الذى يخالط ضعفاء النفوس وخورة الطباع ، ولكنه ايمان الجبابرة بعد الملوك والأبطال . والفردوسى يتعمد أن يظهر ملوكه وأبطاله عند استعمالهم فى الظاهر كل أسباب القوة والجبروت فى مظهر النقص والافتقار الى عون الله ومدده مبالغة منه فى توكيد ضرورة الايمان فى الحياة ورغبة منه فى كبح جماح النفوس الطاغية وكسر شرة القلب العاتية . ولا مثل لذلك فى الشاهنامة فعندما خرج الملك (كيخسرو) الى قتال (افراسياب) انتقاماً من مقتل أبيه (سياوخس) جعل يدعو الله أن ينصره عليه . يقول الفردوسى : «وبعد ذلك اغتسل الملك كيخسرو ودخل متعبداً لهم ، وجعل لهم طول ليلته يتضرع الى الله تعالى ويبتهل ويعفر خده فى التراب ويستنصره على أفراسياب ، ويستعين به عليه فقطع ليلته تلك بالسجود لله تعالى والدعاء » . فلما انتصر كيخسرو على خصمه وفرّ خصمه من وجهه وأعيد الى كيخسرو طلابه رجع الى الله يستعينه ويستهديه . تقول الشاهنامة :

(فاغتسل ذات ليلة وأخذ كتاب الزند وخلا بنفسه فى مكان خال ولم يزل طول ليلته ساجداً لله تعالى يبكى ويتضرع اليه سبحانه ويقول : « ان هذا العبد الضعيف الموجع القلب والروح طاف الدنيا فسلك رمالهـا وقفارها وقطع جبالهـا وبحارها طالباً لأفراسياب الذى أنت تعلم انه سالك غير طريق السداد وسافك بغير الحق دماء العباد ، وأنت تعلم أنى لا أقدر عليه الا بحولك وقوتك فمكنى منه . وإن كنت عنه راضياً ، وأنت تعلم ولا أعلم ، فاصرفنى عنه ، وأطفىء من قلبى ثائرة عدوانه وقف بى على سواء الطريق والنهج القويم ».. (وعندما غمر الثلج اسفنديار كان هو وأصحابه فى طريق (هفتخوان) ووجد نفسه وهو ذلك البطل المغوار أمام قوة لا قبل له بها فلم يسعه الا أن ينيب الى الله سبحانه . فيقول الفردوسى : (فبينما هم كذلك إذ أظلم الجو واشتدت الريح ونشأت سحابة ، أبرقت وأرعدت وأطبقت عليهم ثلاثة أيام بلياليها ، تهيل عليهم الثلج هيلا ، حتى امتلأت الأودية فصاح اسفنديار بوجه بشوش وقال : «قد اشتد علينا الامر وليس ينفعنا الآن رجولية ولا قوة ، والرأى أن نلجأ الى من لا ملجأ منه الا اليه ، فانه الكاشف للضر والقادر عليه» فاجتمعوا ورفعوا أيديهم وتضرعوا الى الله تعالى مبتهلين ودعوه دعوة الصادقين فسكن الهواء وانجلت السماء)

* * *

والأصل الثانى من أصول الفلسفة الأدبية للشاهنامة هو القيام بالواجب ، والشاهنامة تعتنى بذلك الأصل الذى هو قوام الحياة العملية أتم عناية ، فاعظم ملوك الشاهنامة أقومهم بواجبه . وواجبه نحو رعيته العدل والحلم والسخاء وترك الاستبداد ، فاذا ما حاد الملك عن هذه السنن جفت الألبان فى الضروع ولم يأرج المسك فى النوافج ، وشاع الزنا والربا فى الخلق ، وصارت القلوب قاسية كالحجر الصلد ، وعاثت الذئاب وخربت الانس وتخوف ذوو العقول من ذوى الغواية والجهل ، ووصية كسرى أنوشيروان لابنه هرمز حافلة بتلك الآداب الملكية التى ترى فى صراحة ووضوح ما يجب على الملك نحو نفسه ورعيته .

وبطولة أبطال الشاهنامة تستند الى شعور قوى بالواجب : أنظر كيف لبى رستم طلب (جيو) انقاذ ابنه (بيزن) وكان مقيداً مغلولا فى مطمورة مظلمة بتوران وقوله له : « لا تهتم فانى لا أحط السرج حتى آخذ بيد بيزن وأضعها فى

يدك» . وانظر الى قول جيو للملك: « امى ما ولدتنى إلا لطاعتك وتحمل المكاره فيما هو سبب راحتك . وهأنذا أشد وسطى فى امتثال أمرك ولا أسلك إلا سبيل خدمتك ولو أمطر الهواء على ناراً وتحولت الاسمار فى عينى شفاراً» وقول (كستهم) لبيزن وهو يجود بروحه جريحاً بيد الفارسين التوارنيين اللذين قتلهما : «أيها الحبيب الناصح ألا تحمل على نفسك كل هذا ، فانه أشد على مما أنا فيه ، واستر جراح رأسى بالترك ، واجتهد فى حملى الى حضرة الملك فان قصارى بغيتى وغاية امنيتى أن أتزودمنه بنظرة وأقر عينى بطلعته ولو لحظة . واذا مت بعد ذلك مت وليس فى قلبى حسرة . فانى لم أولد الا للموت ، ومن أدرك أمله فكأنه لم يمت ، وأيضاً تجتهد فلملك تستطيع أن تحمل هذين العدوين اللذين أهلكهما الله على يدى الى المعسكر . وان لم تقدر فاحمل رءوسهما وعدتهما حتى تعرضها على الملك ليعلم انى ما هلكت فى غير شىء» .

ثم ان روعة شخصية المرأة فى الشاهنامة تقوم على استكمالها حظهافى الأنوثة والوفاء لزوجها كما يؤخذ من نواح (تهميته) على ابنها (سهراب) ووفاء (منيزة) لزوجها (بيزن) فى محنته .

وكما ترى الشاهنامة وجوب القيام بالواجب من حيث هو فضيلة أساسية للحياة الفاضلة فانها تدل بالأمثلة المحسوسة والوقائع المادية كيف يؤدى الواجب : فالواجب ينبغى أن نؤديه محلى باحسن آداب السلوك من جد ورفق وحلاوة خلق وضبط نفس ورقة شمائل . والحق ان بطل الشاهنامة من يعرف عند العرب من الرجال (بالكامل) وعند الغربيين (بالجنتلمان) . نعرف ذلك من الحوار الذى دار بين بطلى الشاهنامة رستم واسفنديار عند مالج بينهما اللجاج ، فهو ينم عن نبل الخلق وسراوة النفس . يقول رستم مخاطباً خصمه اسفنديار : «انى طالما كنت أتمنى على الله أن أرى الشهريار قادماً على حتى أجالسه وأفاوضه واستشهد الله ولا يستشهده كاذباً إلا من يكون لحبل الغواية جاذباً انى . لو رأيت سياوخش لم أسر برؤيته سرورى برؤيتك .. . فنزل اسفنديار واعتنقه ودعا له وأثنى عليه . «وقال أحمد الله حين أقر عينى بطلعتك وكحل ناظرى برؤيتك» فاستضافه رستم وسأله اجابة دعوته واكرامه بمنادمته ومعاشرته ، فلما لم يجب اسفنديار تلك الدعوة بعد الوعد باجابتها حمى الخصام بينهما ولكن فى أدب وضبط نفس بالغين . فيقول رستم معاتباً اسفنديار : «انك تعظمت ورفعت قدرك عن المصير الى ، وكأنك تستصغرنى فى شجاعتى وتستخف بى فى رأيى

وأدبي . . . وأراك بتملق اليك وتواضعي لك قد ظننت الظنون وتوهمت أن فعلي ذلك عن ضراعة وعجز واستكانة ، وأنا أكره قتالك لما أرى فيك من الابهة والجلالة » . ثم انظر بأي قلب وأية شمائل يخاطب رستم الغزالة التي كان تتبعه لها سبباً في وقوعه على عين ماء روى منها بعد أن كاد يهلك عطشاً . فهو يدعو لهـا ويقول : « لازلت ياغزالة الريف تفيئين الى الظل الوريف ، وتكرعين في الزلال المعين وتتقلبين بين الورد والياسمين وإذا قوس راعك أنباضه فلا زالت منقطعة أوتاره ، فانك سددت رمقي وشفيت غلتي » .

* * *

والأصل الثالث من أصول فلسفة الشاهنامة الأدبية طهارة القلب وشرف العاطفة : فالفردوسي يحثنا في غير موضع من كتابه على أن ننفي عن قلوبنا أدواء الحقد والحسد والضغينة وأن نشربها شريف العواطف وكريم المنازع . يقول رستم لاسفنديار « .... وطهر قلبك بفضيلة الرجولية من دنس الداء الدفين » . والفردوسي لا يكتفي بأن يندب قارئه الى تطهير قلبه ، بل لقد يتولى هو بنفسه ذلك في غير موضع من الشاهنامة ، وهو يستخدم في تحقيق هذه الغاية طريقة العرض التراجيدي التي نلحظها في أكبر الملاحم والقصص قديماً وحديثاً ، نلحظها في الآثار الأدبية لهوميروس وسفوكليس وإسخيلوس وشكسبير وملتن ودستويفسكي وذلك أن يعمد الشاعر الى حادث رائع منقطع فيعرضه عرضاً فنياً قوياً راجياً من وراء ذلك أن يهز قلب القارىء ويمخضه فيكون ذلك بمنزلة الدواء المرّ يتجرعه المريض على مضض فتكون فيه سلامته من علته ، وقد بلغ الفردوسي بسلوكه هذه الطريقة أسمى غايات الفن ، وأتى من رائع القصص ما يشغف القلب حسنه ويسحر اللب بيانه . انظر كيف يعرض قصة قتل رستم ابنه سهراب وهو يجهل أنه ابنه . تقول الشاهنامة : (... ثم تناوشا الحرب وتطاعنا حتى انتثرت كعوب رماحهما فاستلّ كل واحد منهما سيفه وتضاربا وكأن النار تمطر من سيوفهما . ولم يزالا حتى تكسرت سيوفهما . فمدّا أيديهما الى عموديهما ورفعاهما وجعلا يتضاربان ويتقارعان حتى تمزقت الادراع الموضوعة على أكتافهما وتقطعت التجافيف على خيلهما ، فضعفا ووقفت دوابهما وبقيا من العرق غريقين ومن العطش محترقين ، فوقف الأب في جانب والابن في جانب آخر ينظر أحدهما الى الآخر . فيا عجباً ! كيف انسدّت

دونهما أبوابُ التعارف ولم تتحرك بينهما عروق التناسب ؟ والابل مع غلظ أكبادها تعطف على أولادها والطيور فى جوّ السماء والحيتان فى قعر الماء لا تنكر أولادها وأفراخها . والانسان من فرط حرصه يخفى عليه فلذة كبده ويستنكر قرة عينه ولا ينزع الى ولده !) ثم يقول رستم : «لم أرَ قط قتالاً بهذه الصفة . ولقد انقطع رجائى فى رجوليتى» فاذا ما استأنفا القتال قال سهراب لرستم وهو غير عالم بأنه أبوه: «انى أرى أن تخلع الجوشن ونطرح السيف ونكف عن القتال فان قلبى يميل كل الميل اليك وان وجهى ليغمره الحياء منك» . ولكن يخيب رجاء سهراب ويعود الأب وابنه الى القتال فيغلب الأب ويصرع ابنه ثم يسلّ خنجره فيشق به حلقه ثمّ يتبين له بعد أنه انما ذبح ابنه فيشقّ جيبه ويضرب صدره وينتف شعره ويندب ولده ويحاول استنقاذه من براثن الموت فتتقد لوعة الحزن فى صدر رستم ويصيح من فرط العذاب : « من الذى أصيب بمثل ما به أصبت ؟ ومن الذى فجع بمثل ما به فجعت ؟ قتلت ولدى حين شاب رأسى وانقضى عمرى» ..) . انّ القارىء ليتابع مشاهد هذه القصة الرائعة وقلبه يتوثب فى صدره فرقاً وذعراً . فاذا ما بلغ الى الكارثة الأخيرة فقد لا يملك دمعه أسًى وحزناً .

وهذا الذى قصد اليه الشاعر بهذه القصة الفاجعة الرائعة رغبة منه فى أن ينفى عن قلب القارىء الجفاء والقسوة وأن يغمره بأسمى العواطف ويمكن فيه لأكرم المنازع .

ولا يقف الفردوسى عند هذا الحدّ من تهذيب قارئه فهو يجتهد فى أن يروض نفسه ويكبح من جماحها بأن يجلو لها فى أقوى تصوير وأبرع تعبير تقلب هذه الدنيا وتحول أحوالها وتصرفها بالناس تصرفاً قد يسوء ضعاف النفوس ولكنه لا ينال من النفوس القوية التى تعلم أن ذلك ناموس عام مطرد لا معقب لأحكامه . وهو على عادته يختار أقوى شخصياته فيجعلها مناط فلسفته رامياً بذلك الى أن نأخذ الدنيا كما هى فنفرح بها اذا هى أقبلت ولا نأسى عليها اذا هى أدبرت . وان فلسفته من هذه الناحية لترجح فلسفة الرواقيين من الاغريق الذين يريدون أن نتجرد من العاطفة جملة فلا نفرح ولا نحزن ، ولا نغضب ولا نعتب . أنظر كيف يصف الشاعر مصير الملك أفراسياب عند ماقلب الزمان له ظهر المجن وتنكر له وجه القدر فآل أمره الى أن وقع أسيراً فى يد رجل عابد فشدّ وثاقه بزناره واضطره الى أن يخاطبه

بقوله « أيها العابد ! ما تريد من رجل اختفى فى مغارة ضيقة ؟ » فلما عنفه العابد بما احتقب من أوزار قال : « بهذا جرت علىّ أقلام قضاء الله فى الازل . ومن المعصوم فى هذه الدنيا الغدّارة من الزلل ؟ فارحم عاجزاً ظلم نفسه كثيراً ، واعطف على مَنْ كان ملكاً كبيراً ، فصار هكذا بين يديك أخيراً ! وإن كنت لا تمن عليه بالاطلاق فخل عنه قليلا من الوثاق » وان مصير الملك دارا واغتيال عبديه له تقرباً بدمه الى الاسكندر ليجرى مجرى قصة افراسياب من حيث الدلالة على تقلب الدنيا ، وهى ترينا الفردوسى جبرياً يرى أن الانسان لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً بل هو رهين مشيئة الأقدار .

واذا كان ذلك دأب الدنيا فجدير بالعاقل أن يزهد فيها وألا يحرص عليها . والزهد فى هذه الدنيا هو الأصل الرابع من أصول فلسفة الشاهنامة . والفردوسى لا يألو جهداً فى أن يصرف قلوبنا عن أن تغرم بالدنيا وتفتن بزخرفها ولكن فى غير اخلال بالواجب الذى يفرضه علينا وجودنا فيها : أنظر الى تصويره نفسية الملك كيخسرو عند ما انقبضت نفسه وأزمع التخلى عن الملك والذهاب فى الأرض فقد عهد الى ابنه مهراب وأوصاه وودع أكابر الدولة وأهل قصره (ثم سار ... وصحبه رؤوس الايرانيين ... وسار الى أن صعد الى جبل فأقاموا عليه أسبوعاً وخرج فى أثره نساء الايرانيين ورجالها زهاء مائة ألف نفس يبكون ويضجون حتى طن بصياحهم وعويلهم السهل والجبل . ثم بعد أسبوع أشار الملك على الأكابر والسادات بالانصراف من ذلك المكان ، وقال « ان أمامنا طريقاً صعباً لا ماء فيه ولا عشب » فانصرف دستان ورستم وجوزرد ولم ينصرف عنه الباقون فسار الملك وساروا معه حتى وصلوا الى ماء فنزلوا هناك وقال لهم الملك « اذا طلعت الشمس غداً حان وقت المفارقة » فباتوا ليلتهم عند العين . ولما كان فى الثلث الأخير من الليل قام الملك ودخل العين واغتسل ثم ودعهم . وقال « ان الثلج غداً يسدّ عليكم الطريق فلا تهتدون الى الرجوع إلى ايران » ولما طلعت الشمس ركب الملك وغاب عن أعينهم) .

ووصف حديث الاسكندر الملك الشاب الفاتح الطموح مع أهل مدينة البراهمة المنقطعين عن الدنيا الراضين فيها بأيسر أمرها . ترى الى أىّ حد يذهب الفردوسى فى تقرير فلسفته القائمة على العزوف عن الدنيا وعدم الاغترار بخلب برقها وجهام سحابها .

* * *

ان الفردوسى ليرسم للحياة الفاضلة فى الشاهنامة منهاجاً واضحاً جلياً معالمه أربعة أمور : الإيمان ، والعمل ، وطهارة القلب ، والزهد فى الدنيا .

فتيات اسمرن

(عن الفرنسية من وضع لابريير)

مَدِينَةُ أَسمرْنَ ماذا أرى جمالٌ يفوق حدودَ الجمالِ
بها غادةٌ تَسْتَبيح القلوبَ وتلهو بكل عقولِ الرجال

* * *

أمِيرُ التى حَسَدَتها البدورُ على الحسنِ بل حسدتها الشموسْ
إذا خطرت فهى سحرُ الحياة أو الخمر قد لَعِبتْ بالرؤوسْ

* * *

تُفاخر بالحسْنِ وهى الفخارُ وتضحك مِن مُبكياتِ الهوى
إذا لحتْ نحوَها مُغرماً تولَّت وأصلته نارَ الجوى

* * *

وما عَرَفتْ مِن جميع البرايا صديقاً أحَبَّتْهُ إلاَّ أخاها
وأخرى يُقالُ لها إفرُزينُ صديقتها كلَّ يومٍ تراها

* * *

فتاتان بين المُنى والصفاء أقام على الوُدِّ قلباها
ولو سَألَ الناسُ أين الأخاء لما عرف الناسُ الاَّ هما

* * *

وهامَ بها كاهنٌ مرَّة فألهته عن جوبتيرَ الالَهْ

أحبَّ فردَته عن حُبِّها كما ارتدّ سَهْمٌ على مَن رماه

* * *

وفاتحها مستهامٌ عجوزٌ فأقصته حيرانَ يشكو الضنى
غنيٌّ ولكنّه جاهلٌ اذا القلبُ لا يُشترى بالغنى

* * *

ولكنّها قبلت أن تراه ويا ليتها لم تكن تقبلُ
أبى وابنه معه زائراً فتى يَستنيرُ به المنزلُ

* * *

وفيرُ الشباب قليلُ الكلام فليس يُبين ولا يُخبرُ
لقد صدّه مِن أبيه الحياءُ أو التيهُ وهو به أجدرُ

* * *

أيا إفرزين ألا تذكرين فتى كان في بيتنا زائرا
وليس يُبالي بحسنى العظيم كأني أراه به ساخرا ؟

* * *

هنا سكتت أختُها إفرزين وغابت زماناً عن المنزلِ
وإنّي أرى في باطِل الكبرياء تقيم على عَهْدِها الأولِ

* * *

فأيقظها نبأٌ عاجلٌ وقولٌ يُشاعُ وأمرٌ يقينْ
يقولون إن الفتى (إستفون) سعيدٌ بزجته إفرزين

* * *

لقد سَعِدا أولاً بالغرام وقد سعدا ثانياً بالزفافِ
مدينة أشمِرن تهدي الزهورَ أكاليلَ بين المنى والهتافِ

* * *

إيمير جهلت الهوى يا إيمير فذل الهوى فاق عز الجمال
يذل الأمير بسلطانه ويخضع أسد الشرى للغزال

* * *

لقد ذهبت لالتماس العزاء تروم أخاها حبيباً لها
فأقنعها بانقطاع الرجاء وفى الحال سرعان ما ردها

* * *

لوعة إيمير

مدينة امبرن كونى جحيماً ويا لجج البحر كونى دموعا
ويا عقل سر حيث سار الفؤاد ولا ترجعا بصوابى جميعا

* * *

أنا الآن فى راحة من جنونى وعند انتباهى يعود الشقاء
لقد ضاقت الأرض عن شكوتى فيا رب هل ضاق وجه السماء؟

* * *

ولولا جناية كيدى على لكنت امتلكت جبين الزمان
فقدت جميع المنى من يدى وهيهات ! هيهات فات الأوان !

الصاوى على شعلان

ايماءات الأبدية من ذكريات الطفولة الأولى

للشاعر الانجليزى وردزورث

(الطفل أبو الرجل ، وانى لأرجو أن ترتبط أيامى برباط التقوى الطبيعية)

لقد أتى على وقت كنت أرى فيه المراعى والحراج والمجارى والأرض وسائر المرائى متشحة بالأنوار السماوية كأنها مجد وبعث حلم . وهى الآن غيرها بالأمس .

دُوري كيفما شئت ليلاً أو نهاراً ، فان هذه الاشياء التي شاهدتها سوف لا أراها من جديد .

* * *

قوس قزح يبين ثم يختفي . جميل ذلك الورد . ان القمر ينظر حوله مبتهجاً عند ما تصفو السماء من الغيوم . ما أجمل المياه في الليالي المرصعة بالنجوم ! إن ضوء الشمس ميلاد عظيم .

ولكنني أدرك مع ذلك حيثما ذهبت أن مجداً قد توارى عن الأرض .

* * *

والآن بينما الطيور تنشد أنشودة الفرح ، وصغار الخراف تثغو وفق أصوات الساقية ، هتف بي هاتف الحزن وحدي . ولكن الكلام أنقذني من سلطان هذا الفكر وعادت اليّ قوتي . ذلك أن أبواق الشلالات تدوي في مساقطها . لن يعود الحزن يعكر عليّ جمال الربيع .

أسمع الاصداء تزدحم خلال الجبال ، والرياح تهب عليّ من حقول النوم ، وكل ما في الأرض فرح طروب .

الأرض والبحر قد استسلما للفرح ، وكل الحيوانات في قلب الربيع .

يا ابن الفرح فلتهتف حولي !

دعني أسمع هتافك أيها الراعي السعيد !

* * *

أيتها المخلوقات المباركة لقد سمعت تناديك .

إني أرى السماء تضحك معك في يوم عيدك .

قلبي يطرب لعيدك وتعلو رأسي أكاليل الفرح .

إني أشعر بكامل غبطتك . أشعر بها جميعها .

أيها اليوم المشئوم ! لو كنت واجماً ساهماً حينما الأرض نفسها تزين صباح الربيع المحبوب والأطفال يتدفقون في كل جانب من تلك الأودية البعيدة المتسعة كأنهم أزهار نضرة والشمس تشرق دافئة ، والطفل يقفز على ذراع أمه . فاني أسمع . أسمع وأسمع بفرح وغبطة .

ولكن هناك شجرة لكثير . لواحد . حقل منعزل وحيد قد أشرفت عليه ، كلاهما يتحدث عن شيء مضى . زهرة البنسيه عند قدمى .

إن القصة عينها تتكرر .

أين توارى الضوء الخيالى ؟

أين هو الآن ، المجد والحلم ؟

* * *

إن ولادتنا ما هى إلا نوم ونسيان ، وروحنا التى تنهض معنا ، نجم حياتنا كانت تسكن مكاناً آخر ثم أتت من ذلك المكان البعيد . ليست منسية تماماً ، وليست عارية كلها ، ولكنها جاءت تجر وراءها سحب المجد الذى نستمده من الآله الذى هو ملجأنا .

لقد أحاطت السماء بنا فى مهدنا .

أما ظلال البيت الشبيه بالسجن فتطبق على الطفل النامى .

ولكنه يشاهد النور ويراه عند ما يفيض وسط غبطته وسروره .

والشاب الذى يحتم عليه أن يبتعد كل يوم عن المشرق[1] فيظل كاهن الطبيعة تحف به تلك الرؤيا الرائعة ، ولكنه لا يلبث أن يشعر وهو رجل أن هذه الرؤيا قد ذهبت وتلاشت فى ضوء اليوم العادى .

* * *

تملأ الأرض حضنها بمباهجها وهى تفيض بالأشواق والعطف الطبيعى . أما المربية فى المنزل فتعمل كل ما يمكنها حتى أنها تتخذ بعض طباع الأم فى غرض غير تافه لتجعل طفلها المتبنى ورجلها الذى تقيم معه ينسى المجد الذى عرفه والقصر الملكى الذى جاء منه .

* * *

أنظر إلى الطفل وهو غارق فى سعادته الجديدة . ستة أعوام محبوبة من عمر ذلك الصغير .

---

(١) أى ميلاده الذى يشبه بمطلع الشمس .

أنظر اليه وقد نام بين لعبه التى صنعها بيـديه وضاق بتيار قبلات أمـه وأشرق عليه نور من عينى أبيه .

أنظر عند قدميه : قد رسم رسماً أو بعضاً من أحلامـه البشرية قد شكلها بفنه الحديث عرساً أو وليمة ، مناحة أو جنازاً .

هذا ما يملك لبه ، وفى هذا ينظم أنشودته .

ثم يعوّد لسانه الى محادثات العمل والحب والجهاد .

ولكنه لا يلبث أن يطرح هذه جانباً .

وبفرح وكبرياء جديدة يبدأ الممثل الصغير يدرس دوراً اخر فيملأ من وقت لآخر مسرحه الفكه بجميع الأشخاص حتى العجزة التى تجرفها الحياة فى طريقها ، كأن كل غرضه محاكاة مستمرة .

* * *

يا من ينمّ مظهره الخارجى على عظم روحه ! يا أحسن الفلاسفة ! يا من يحفظ تراثه ! إن عينك تستطيع أن تقرأ ذلك السر الأبدى بين العمى فى صمت وسكون وحولك يطوف العقل الخالد .

أيها النبي الجبار ! النبي المبارك الذى تستقر عنده تلك الحقائق التى نشقى حياتنا فى البحث عنها حتى تذهب بدداً فى الظلمات ، ظلمات القبر الموحش .

أنت يامن يعاودك خلودك ويعلو عليك كاليوم الآخر! سيد بجانب عبد، وجود لا يمكن أن يبـارى . انك تنظر الى القبر كأنه مثوى منعزل مسلوب ضوء النهـار وحرارة النور كأنه مكان للفكر حيث ننام منتظرين .

أيها الطفل الصغير العظيم فى حمى وليدة السماء ـ الحرية ـ التى ترفرف عليك لماذا تثير السنين بتلك الآلام المضنية لتجلب ذلك النير المحتم وتحارب سعادتك فى غير تبصر؟ إن روحك ما تكاد تندمج فىّ الا وتتسلط عليك العادة بأعبائها الثقيلة كالجليد ، العميقة كالحياة .

* * *

أيها الفرح المستقر فى رماد أجسادنا ! ان الطبيعة لتتذكر ما قد شرد منهـا وغاب ، وان ذكر الأعوام السالفة تبعث في نفسي بركة دائمة . إني لا أرفع أنشودة

الشكر والثناء من أجل تلك التى يجب أن تمجد الغبطة والحرية وعقيدة الطفولة البسيطة قلقة كانت أم هادئة بأمل حديث العهد لا يزال يصطخب فى صدره ، ولكن من أجل هذه الأمور المتشبثة بالحس وظواهر الاشياء وما يتساقط منا وما يتوارى عنا ، وشكوك المخلوق الزائغة نطوّف فى عوالم غير محققة وغرائز سامية تقف أمامها طبيعتنا الفانية مرتجفة كأنها شيء أثيم مذهول .

من أجل تلك المحبة الأولى وأطياف الذكريات التى هى — فلتكن ما تكون — ينبوع نور لكل أيامنا والضوء المتسلط على أنظارنا ، والتى تنظر الينا وتحفظ وتستطيع أن تجعل سنينا الصاخبة تظهر كأنها لحظات فى حياة الصمت الخالد ... إن الحقائق التى تستيقظ لا تفنى أبداً ، هذه الحقائق التى ليست كسلاً ولا نشاطاً جنونياً ، وليست رجلاً ولا طفلاً ولا أىّ شيء عدو للفرح ، تستطيع أن تنسخ أو تدمر حتى لو كينا فى فصل هادىء الطقس متغلغلين فى اليابس .

فأرواحنا التى ترى ذلك البحر الخالد الذى قذف بنا الى هنا تستطيع فى لحظة أن تذهب بنا الى هنالك ، وترى ملاعب الأطفال على الشاطىء وتسمع المياه الجبارة تصطخب أشدّ وأكثر ...

* * *

إذن فلتغنّى أيتها العصافير ! غنّى، غنّى أنشودة الفرح ! ودعى صغار الخراف تجتمع على أنغام الساقية ، فاننا سنشاركك بأفكارنا . أنتِ التى تصفرين وأنتِ التى تلعبين وأنتِ التى تشعرين اليوم بفرح الربيع يسرى فى قلوبك !

ومع أن ذلك الضوء الذى لمع مرة قد اختفى الآن من أعيننا الى الأبد .

ومع أنه ما من شيء يعيد الينا ساعة الروعة فى الحشائش ، والرواء فى الأزهار ، فاننا لا نبتئس ، بل إننا نجد قوة فيما تبقى خلفها فى ذلك الشعور المتبادل والعطف الأول الذى يجب أن يكون كما كان فى تلك الأفكار المسكنة التى تنبعث من الألم ، وفى تلك العقيدة التى تبرز خلال الموت ، وفى السنين التى تكوّن العقل الفيلسوف .

* * *

أيتها الينابيع والمراعى والتلال والحراج لا تنذرى أحبابى بسوء ، وان كنت أشعر به فى قرارة قلبى بسلطانك ؛ لقد هجرت ذلك البهاء لأعيش تحت سلطانك الدائم

إن جداول الماء التى تحفر مجاريها أحب إلىّ من وطء الأرض بأطراف أصابعى .
إن البهاء البرىء لليوم الجديد محبوب ، ولكن السحب التى تتجمع حول الشمس الغاربة تنتزع اللون الهادىء من العين التى راقبت فناء الانسان .
فنوع كان وأنواع أخرى تكتسب .
شكراً للقلب البشرى الذى به نحيا
شكراً لرقته وأفراحه ومخاوفه
إن أحقر الأزهار التى تنشر أريجها تبعث فىّ أعمق الأفكار التى تستدرّ الدموع !

* * *

شرح وتعليق

من الصعب أن ندرك كل ما عناه وردزورث فى هذه القصيدة فهى تبدو دقيقة الفهم بعيدة الادراك ولكنها تدنو منا شيئاً فشيئاً كلما تعمقنا فى استيعابها .

تميل هذه القصيدة فى أغراضها غير المباشرة الى الاعتقاد بأن الروح خالدة تعيش للأبد . وقد أدرك الشاعر هذا من ذكريات طفولته الأولى ودقة ملاحظاته لسائر الأطفال الآخرين .

قال بعض الناس إن وردزورث يثير فينا أعمق الذكريات فنشعر عند قراءته أننا نعيش مرة أخرى فى عالم طفولتنا الغامض الجميل.

يفصح وردزورث فى مستهل القصيدة عن ذلك الشعور الذى استولى عليه وهو أن الحياة كما ظهرت له فى الطفولة فقدت فى بعض نواحيها نورها ومجدها ، فبالرغم من أنه لا يزال يرى جمالاً فى الطبيعة وفى الاشياء المحيطة به إلا أن « مجداً قد توارى عن الارض »

ثم يشرع فى دراسة هذه الظاهرة التى تكشف له فيتساءل : لمَ يكون هذا صحيحاً؟

وعندما يتمكن من الاحاطة بهذا السؤال يرى سعادة حياة الطفولة حوله ويحكم بأن «هاتف الحزن قد هتف به وحده» . هو يعتقد أن هذه هى حالته الخاصة وليست حال جميع الناس ولذلك يحاول أن يتخلص من ذلك الشعور أو ينفض عنه هذا الاعتقاد وينغمس فى «روح المخلوقات المباركة التى تحيط به» . ولا يلبث ــ بعد أن يقف على جانب من الطبيعة فى صورها المختلفة وسعادة حياة الطفولة حيثما ذهب ــ أن ينجح فى اقناع نفسه أن هذه كانت حالته الخاصة التى أتت له بخاطر الحزن.

ثم تقع عينه على شيء معين : شجرة ، حقـل ، زهرة البنسيه . ويدرك أثر كل هذه فى نفسه واختلاف شعوره تبعاً لاختلافها ، فيعتقد أنه لم يكن خاطئاً وأن مجداً حقيقياً قد توارى عن الحياة .

ثم يعجز الشاعر عن أن يفصح عن هذا التغيير فيترك القصيدة عند هذه النقطة ولا يرجع اليها إلا بعد عامين .

فى المقطوعة الخامسة « إن ميلادنا ماهو إلا نوم ونسيان... » يتدبر الموضوع من جديد ويأتى بحل لهذا السؤال فيعتقد أن الروح ما دامت تعيش بعـد الموت فيجب أن تـكون قد عاشت قبل هذه الحياة القصيرة على الأرض ، وأن الطفل عند ما يولد تأتى روحه من ذلك العالم الجميل « ولـكن تجرّ وراءها سحب المجـد الذى نتلقاه من إلٰهنا : ملجأنا » .

وعلى هذا فهو فى طفولته قريب جداً من مجـد العالم أى أن نور العالم ومجـده يحيطان به . وعند ما يتقدم به الزمن ويصل الطفل الى دور الشباب ثم الى دور الرجولة تبدأ الدنيا تمسك به وتطبق عليه ويفقد شيئاً فشيئاً المجـد الذى عرفه حتى يدرك الرجل أخيراً أن مجده قد تلاشى فى حياة اليوم العادى ثم يصف لنـا الشاعر كيف تأخـذ الأرض ابنهـا المتبنى وتدّعيـه لنفسها وعلى ذلك فهو ينسى ذلك القصر الملكى الذى جاء منه .

فهذه الأشياء التى تحدث فى مجرى حياة الرجال والنساء تـكون شغلهم الشاغل . أما الطفل فيأخذ هـذه الأشياء كلعب ثم لا يلبث أن يقع تحت أعبائها الثقيلة كالجليد ، العميقة كالحيـاة . وهـكذا يبتعد شيئاً فشيئاً عن مجـد العالم ويقترب أكثر فأكثر من سلطان الحياة وعاداتها .

وعند ما نقترب من آخر الحيـاة ندرك جمالا أكثر جدة مما عرفنا فى المـاضى فنتبين أن سنىّ حياتنـا المضطربة ليست إلا لحظات فى حيـاة الروح العظيمة التى عاشت قبل أن تأتى الى عالمنا الأرضى وستعيش بعد هذه الحياة الأرضية .

وعلى هذا كانت هذه الايحاءات لطفولة الأولى آراء وحلقات فى سلسلة الاثبات الذى يقوم على خلود الروح ؟

نظمى خليل

(بكالوريوس فى الادب الانجليزى)



الغزل بين جرير والفرزدق

(١) غزل جرير عفة ، وغزل الفرزدق فسق

خرج جرير من طبقات الشعب وفاخر ثمانين شاعراً فغلبهم بأب كان يمص ضرع العنز مصاً لئلا يسمع صوت الحلب فيطلب الناس منه لبناً ! ومهما يكن نصيب الرواية من المبالغة فلا شك فى أن جريراً كان فقير الحال وضيع النسب ولم يكن فى أهله وعشيرته ما يفتخر به

ورأسُ مال الشريف فى الحياة شرفه يحترمه الناس لأجله ، ورأس مال الغنى ماله يحبه الناس من أجل ماله ، أما رأس مال الفقير فأخلاقه ، وأما رأس مال الوضيع فعفته يتحلى بها ، حتى اذا لم تكن رذله الناس واحتقروه ، وطمعوا به وأبغضوه . ولذلك تعهد جرير جرثومة العفة فى نفسه وربَّاها وتحلى بها وأنماها فكانت له زينة رفعت من قدره فى أعين العامة والخاصة .

وأحبَّ جرير زوجته ، ولعلها كانت امرأة فاضلة أهلاً للحب فأثرت فضيلتها فى حياته . والمرأة الفاضلة لا تقوَّم بثمن ، ولعلها كانت تلطف من حدته وتقوده الى الفضيلة . ولنا من توبيخها ولدها عندما عقَّ أباه دليل على عفتها وتأثيرها . وقد شهد الفرزدق بفسقه وعفة جرير وكفى بالخصم شاهداً ، قال : «ما أحوج جريراً مع عفته الى صلابة شعرى ، وما أحوجنى الى رقة شعره مع شدة فسقى !» فلماذا كان الفرزدق فاسقاً ؟

كان هذا الشاعر شريفاً له من شرف آبائه ما يمنع الناس من احتقاره ، ومن مجد أجداده ما يحترمه الناس لأجله ، ولم يكن فى حاجة الى العفة يتحلى بها ويتخذ منها رأس مال لحياته . وكان ينحت الشعر نحتاً فأولى به أن يقلد الشعراء ويتشبه

بقائدهم ، ولا غرو فذاك أميرٌ وهذا شريفٌ . ومن يسرق الشعر لا يعف عن سرقة مواقف الشعراء .

ولم يكن الفرزدق موفقاً معزوجه فلم يرَ فى العفة حلية ، وكثيراً ما كان يفسق بلسانه فقط !

كان جرير عفيفاً يخاف كلام الناس ويخشى شكهم فى عفته ، ويفرق من زيارة الطيف حتى فى الليل فيرجعه بسلام على شغفه وحبه ، قال :

طرقتك صائدةُ القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعى بسلام !

وربما لم يكن فى البيت عفة جرير ، ولكن فيه ما يدعو الى العفة ويغرى بها ، ويبعد عن الفسق والفجور ، وكفى بسكينة بنت الحسين شاهداً على ذلك .

واذا كان جرير عفيفاً فأولى بمن يحبه أن يكون كذلك ، وأولى أن يزوره لماماً وأن يكتفى كل منهما بالطيف ، ولعلّ فى طلب العصاميين المعالى وصعودهم درجات المجد والنبوغ ما لا يفسح لهم المجال للانهماك بالملذات ، ولعل العفة سجية يتحلى بها بعض الناس دون بعض لولا أن فى ذلك تسليما والظن خير من التسليم . قال جرير :

بنفسى مَن تجنبه عزيزٌ علىَّ ، ومَن زيارته لمامُ
ومَنْ أمسى وأصبح لا أراهُ ويطرقنى إذا هجع النيامُ

أما الفرزدق فكان فاسقاً متهوراً يزور حبيبته — وحبيبته متزوجة — ليلاً فى قصرها حتى اذا حاذر دخول المساكن من أبوابها أصعدته حبالها كالسارق ! قال :

فما زلت حتى أصعدتنى حبالها اليها ، وليلى قد تخامصَ آخرُهْ

حتى اذا قضى وطره أراد الرجوع فحاذر بوّابين يحرسانها وباباً اذا فتح سمع صوت مساميره ولا يحاذر البَوّاب غير الفسقة الفجار ، قال :

أحاذر بوّابين قد وُكلاَ بها وأسمر من ساج تئط مسامِرُهْ

فاذا دلتاه كما أصعدتاه ولى هارباً والسارق أبداً خائف ، والفاسق أبداً جبان . قال :

فقلت ارفعا الأسباب لا يشعروا بنا ووليت فى اعجاز ليلٍ أبادرهْ

(٢) تغلب الرقة فى غزل جرير على الطبع
أما الفرزدق فلا رقة ولا طبع

قال جرير : « ما عشقت قط ، ولو عشقت لنسبت نسيباً تسمعه العجوز فتبكى على مافاتها من شبابها» . ونرانا نجهل مبلغ هذا الكلام من الصدق ، ونصيبه من الحقيقة المجردة . ولكننا لا نشك فى أن جريراً أحبَّ والحب غير العشق . وتأثر بجمال المرأة وفضيلتها ، والتأثر غير التحسر . وربما بكى لفراق حبيبه ولكن فنه غلب بكاءه ، ونبوغه غلب حبه . وظهر الطبع فى غزله ولكن الرقة أظهر ، وغلب الحب على شعره ولكن الفن أغلب ، قال :

ان الذين غدوا بلبك غادروا وشلاً بعينك ما يزال معينا
غيَّضن من عبراتهن وقلن لى : ماذا لقيت من الهوى ولقينا ؟!

واذا تكلمت الدموع سكت اللسان ، واذا تحرق القلب غاض الدمع ، واذا كانت النفوس كباراً كتمن الحزن ، وغيضن الدمع ، واكتفين بالعتاب المر وهو على مرارته حلو ، وعلى تعذيبه لذيذ . وأظهر ما يكون الفن فى هذا الاستفهام الانكارى الذى يضم بين جناحيه كل هناء الحب وشقائه .

نقرأ هذا الغزل فيطربنا ، ونتذوق ذلك النسيب فيعجبنا .وانما تطربنا فيه تلك الرقة الحلوة ويعجبنا بين سطوره ذلك الفن الجميل . أما ألم الشاعر فبعد فنه ، وأما شوقه فبعد رقته ،وكأنه فى غزله شاعر فنان لا عاشق وهان . قال :

لقد كتمت الهوى حتى تهيمنى لا أستطيع لهذا الحب كتمانا

وعبثاً يحاول ذو الحب كتمانه فالحب لا يقبل الكتمان ، وعبثاً تريد الجبابرة قهره فالحب لا يقهر، ولا عار فى ذلك فسلطانه أقوى من سلطان الرشيد :

ما ذاك إلا أن سلطان الهوى وبه قوين أعزُّ من سلطانى

وقوته أعظم من قوة القيصر .

ولكن الرقة فى بيت جرير على طبعه أظهر من الطبع ، والفن على حبه أقوى من الحب . قال :

لا بارك الله فى الدنيا اذا انقطعت أسباب دنياك عن أسباب دنيانا
يا أمَّ عثمان ان الحب عن عرَض يصبى الحليم ويبكى العين أحيانا

والحبيب للحبيب الدنيا كلها ،ولعنها الله إن لم يكن فيهامحب . ولـكن جريراً على اصابته كبد الحقيقة بسهام فنه لم يقرن القول بالعمل ولم تـكن الدنيا عنده حباً كلها.

وليس فى البيت الثانى ما يبكى العين مع رقته وجماله ، وليس فى غزل جرير كله ما يحزنك لحزنه أو يؤلمك لألمه ، نقرأه فلا نبكى لبـكائه كما بكينا لبكاء عنترة مثلا ، ولا نهتف متألمين : «ما أشقاه !» بل نصرخ معجبين : « ما أبدع فنـه وما أجمـل شعره ،وما أرق نسيبه !»

أما الفرزدق فلا رقة فى غزله ولا طبع ، أراد أن يزور حبيبته ليلا لا لأنه عاشق بل لأن امرأ القيس زارها قبله ، واذا كان امرؤ القيس قد سما اليها سمو حباب الماء فالفرزدق يتجاوز المـاء الى الجبال وكأنه لم يحب ، فـكان غزله جافاً لا رقة فيه ونسيبه مصطنعاً لا طبع يحليه ، قال :

هما دلتانى من ثمانين قامة كما انقض باز أقتم الريش كاسره

وليس فى ذلك الانقضاض غير قوة تخيف رقيقة الحس ، وتزعج لطيفة الشعور ، وليس فى ذلك التدلى فن أو رقة . أما الـكذب فأظهر ما يكون فى تلك القامات الثمانين . ولسنا ندرى أى شيطان وسوس فى صدر الشاعر بها ، ولعل أحداً من المتنطعين لا يدعى بأن العرب عرفوا ناطحات السحاب قبل أميركا بدليل شـعر الفرزدق !

(٣) أسـلوب جرير حضرى يعنى به وأسلوب الفرزدق جاهلى بدوى

جرير أموى نشأ فى بادية اليمامة ولـكنه كان ذا هبة شعرية نشلته من طبقة العامة، ورفعته عن مقام أسرته ، ولولا تلك الهبة لانصرف جرير الى شأن آخر ، فـكأن الشعر طلبه ليكون شاعراً ، وكأن الفن غذاه ليخلق منه فناناً . ولذلك غرف الشعر من بحر ولم ير مظاهر الحضارة حتى أخذ بأسبابها .

لم يتعب جرير نفسه فى عمل الشعر كما أتعبها الفرزدق فـكان شعره بحراً ، ولم ينحته من صخر كما نحته صاحبه فـكان رقيقاً ، وكان من طبقة الشعب رقة تختلف عن عظمة الخاصة وشدتهم ،والشعب أقرب الى التطور من الأشراف وأسرع تأثراً بعوامل الحضارة منهم .

وقد ظهرت هذه الحضارة فى شعر جرير كله وتلك الرقة فى غزله ورثائه حتى غنى بذاك وندب بهذا ، ولما ماتت زوج الفرزدق ندبتها النادبات برثاء جرير فى زوجته ، وفى ذلك دليل على قرب شعر جرير من الموسيقى وأفضل الشعر لفظاً أقربه الى الغناء .

وقد أعجب الشعراء برقة جرير ، وغنت بشعره القيان ، وضمنه بشار بن برد أول المحدثين احدى قصائده ، قال :

وذات دل كأنَّ البدرَ صورتها باتت تغنى عميدَ القلب سكرانَا :

« ان العيون التى فى طرفها حورٌ قتلننا ثمَّ لم يحيين قتلانَا »

وفى هذا الغناء دليل على شهرة شعر جرير ورقته وحلاوته ، وفى هذا التضمين برهان على منزلة الشاعر فى قلوب الشعراء ، وفى هذا القتل تبعثه العيون الحور لذة دونها لذائذ الحياة ، وقتل العيون فى الحب أجمل من الحياة !

وقال جرير :

يصرعن ذا اللبِّ حتى لا حراكَ بهِ وهنَّ أضعفُ خلقِ الله أركانا

ولا يزال هذا المخلوق الضعيف يفتك بالأقوياء ويصرع العقل المعتدّ بنفسه ، المترفع عن ملاهى الحب فى زعمه .

ولكن فى بيت جرير غير هذا المعنى الخالد ، فيه تلك الرقة الفتانة ، وذلك اللطف الساحر ، وقد أراد ابن الرومى هذا المعنى فقال :

ومن عجائب ما يمنى الرجالُ به مستضعفاتٌ لنا منهن أقرانُ

ولكن فى بيت ربيب البادية جرير الأموى من الرقة والموسيقى ما لا نجده فى بيت ربيب الحضارة ابن الرومى العباسى وربما كان فى الثانى معنى عميق مستقعر .

وقال جرير وقد ضمنه بشار وغنت به الجارية :

يا حبذا جبلُ الريان من جبلٍ وحبذا ساكنُ الريان مَنْ كانا

واذا أحب الانسان حبيباً أحب دياره وأهله ، ونسيماً يهبّ من بلاده ، ورائحة تفوح من جهته :

وحبذا نفحات من يمانية تأتيك مِنْ قِبَلِ الريان أحيانا

ولا تشعر بتأثير البيتين الا اذا أبدلت الريان وطنك أو وطن حبيبتك ، وقريتك

أو محلة حبيبتك . أما الرقة ففي لطف البيتين وأسلوبها ، وأما الحضارة ففي صورها على رغم اليمن والريان، وأما الموسيقى فلا أسهل من انشادها والتغنى بهما كما تغنى القدماء .

أما الفرزدق فقد كان ارستوقراطياً صلباً ، وكان قوى الارادة صعب الشكيمة قيد نفسه بالشعر كما قيدها بحفظ القرآن ، وكان له من شرف آبائه وأمجاد أجداده ما جعله يطلب الشعر ليفتخر بهم فنحته نحتاً وأتعب نفسه فى عمله جهداً ، واذا طلب الشاعر الشعر كان الشعر قوياً صلباً واذا طلب الشعر الشاعر كان رقيقاً بديعاً ، وهذا الفرزدق نفسه يرق عند ما طلبه الشعر ليمدح زين العابدين فلا يزاحمه جرير فى غزله والأخطل فى خمرته .

وأعجب الفرزدق بالجاهلية ومفاخرها فكان أسلوبه بدوياً ، وكان غزله جاهلياً مع ما بين الطبع والصنعة .

قلد الفرزدق فى غزله فكان دون شعراء الطبع من العصر الجاهلى ، وكان قوياً فى نفسه ، صلباً فى ارادته ، غليظاً فى طبعه ، فكان شعره قوياً صلباً لا يمت الى الغزل بصلة ، ولا يمكن أن يغنى به . قال يفضل الأعرابية على الحضرية بشعر قوى :

لعمرى لأعرابيــة فى مظـلة تظل بروق بيتها الريح تخفقُ
أحبّ الينا من ضناك ضفنة اذا وضعت عنهـا المراوح تعرقُ

وفى الابتداء بلام القسم تتلوها لام الابتداء صنعة فى الشعر ظاهرة ، وفى اضافة المثنى قوة لفظية وفى الروق والضناك والضفنة كلمات جاهلية ، ولكن فى عجز البيت التالى سهولة لعل سببها أن الفرزدق أراد به الهجاء .

وقد كان لتقليد الفرزدق وجاهليته وغلظ طباعه أثر فى وحشية صوره ، قال :

فيا ليتنا كنا بعيرين لا نرى على منهل الا نشل ونقذفُ
كلانا به عر يخاف قرافه على الناس مطلى المساعر أخشفُ

وفى هرب الحبيبين من غلاظة الناس وكيدهم ونقل دمهم راحة نستحسنها فى شعر الفرزدق ، ونعجب بها فى معناه ، ولكن فى البعيرين الأجربين صورة يمجها الذوق ، ويقذف بها قذف الناس بالاجرب .

ولسنا ندرى رأى المحبين المتيمين فى صور الفرزدق وألفاظه ، وما قول رأى محبي اللطف والرقة والجمال من الجنسين الخشن واللطيف فى مثل هذه الكلمات وتلك

الصور : نشل وعر وقراف ومساعر وأخشف ، وقـد أصبح الناس يكرهون طلاء الحمرة والبودرة فما رأيهم بطلاء القطران ؟ !

وربما كان لمثل كلمات الفرزدق وصوره أثر مقبول فى عصره ، ولكن الأرجح بل اليقين أنها كانت كما لا تزال قبيحة قبح الفرزدق فى حبه ؟

حنا نمر
(مدرس الآداب فى كلية الشرق — طرطوس)

فى الشعر المرسل

كلُّ مَنْ تذوَّقَ الشعر الانجليزيَّ تذوُّقاً تاماً يعرف المتانة التى لا تفارق نماذجه العالية ويعرف طواعيةَ الألفاظ طواعيةً تامة فى الشعر المرسل بصفة خاصة وكيف يتقبَّل الشعراءُ ألفاظاً معبرة ، ومنها ألفاظ علمية وفنية وجغرافية وما الى ذلك ، ما دامت تأتى طبيعية فى مناسباتها .

ولكن جرى العرفُ الآسرُ المتحكم بأن يعيب علينا عائبٌ ذكر كلمة « ايطاليا » فى أحـد أبيات قصيدتنا « صرّار الليـل » المنشورة فى ديوان (الشفق الباكى) — ص ٧٢١ : ٧٢٢ — ولو كانت محلّها كلمة « نجد » أو « الشام » مثلا لما وجد مجالاً للعيب ! الى هذا الحدّ بلغ تحكمُ العادةِ وعبودية الألفاظ فى بعض المتصدّرين للنقد ، ولو أنصفوا أنفسهم قبل غيرهم لتدبروا سماحةَ التعبير فيما ينتقدون اعتباطاً ولتبينوا معنى حرية النظم التى وراءها غرضٌ فنى صريح ولأحجموا حينئذ عن مثل هذا العبث النقدى (راجع كتاب Active Anthology جمع وتأليف إزرابا وند).

إنّ قصيدة « صرّار الليـل » ذات مغزى نفسانى صريح الى جانب ما فيها من البيان الوصفى لذلك المخلوق الغريب « الجدجد » والترجمة لسيرته وأوطانه ! ولـكن بعض النقاد لا يشغله شىءٌ من هـذا ، وانما كلّ ما يعنيه أنّ هـذا اللفظ مألوف الاستعمال أو غير مألوف بغضّ النظر عن ملاءمته التامـة لموضعه ومناسبته ! ومن هذا القبيل ما وُجِّه الينا من نقدٍ لوصفنا أحد الأحياء الوطنية القـذرة البشعة مما يدخل فى باب الأدب الواقعى ، كأنمـا النفاق فى الوصف هو الأشرف الأكرم، أو كأنما الأكيس لدى هؤلاء قول امرىء القيس :

ترى بَعرَ الآرام فى عرصاتها وقيعانها كأنه حبُّ فُلفلِ !

ومثل هذا النقد يذكرني بمؤاخذة بعض النقاد للنحات الشهير إبستين من أجل تمثاله البديع « تأمل الرجل — Behold the Man » لا لأىّ نقص فى مظاهره وروحه التعبيرية ، بل لمجرد مخالفته المألوف من متابعة الفنّ الاغريقى أو الفنّ الحديث واستقلاله بروح طبيعية فطرية يحسبها النقاد السطحيون ضعفاً ، وما هى الا استقلال الفنان وحريته التامة حسب مزاجه فى التعبير عن فكرة تشبّع بها ، وقد اختار أن يكون فطرىّ البيان وإن كانت فكرته الفنية بعيدة الغور . وكذلك الشعر المرسل فهو فطرىّ النظم وإن كانت الفكرة التى يحملها من طراز آخر .

ولا نعرف ناقداً نزيهاً مثقفاً يعلم شيئاً يذكر عن مقارنة الفنون وفلسفتها يجرؤ على التورّط فى مخالفتنا إلا عن طريق المكابرة ، وهذه ليست من طباع أىّ فنان أصيل مؤلّفاً كان أم ناقداً .

هواجس نقدية

نعرض فى هذا الباب على سبيل المثال طائفةً من الهواجس النقدية الشائعة وتعليقاتنا عليها لأجل الفائدة الأدبية المحضة . ولولا أن التهافت على النقد الأدبى أصبح عادةً منفشية بين الشبان حتى الذين لم يستكملوا بعد أهمّ أدواته ، وبين من لا تؤهلهم ثقافتهم المحدودة لنصب موازين الأحكام الأدبية ، لما نشأت أمثال هذه الهواجس وتفشت ، وإن كنا نعترف بأن من أسباب تفشيها تغلب الحزبية الشخصية أو السياسية التى لا تستحى فى سبيل أهوائها من أىّ مغالطة ومن أى تذبذب فكرى غير خاشية لومة لائم !

وقد أذاعت هذه الهواجس المفتعلة تلك المؤامرةُ المعروفةُ التى حُبكت حولنا فى شتى الصحف فى العهد الأخير دون أن تكون لها أىّ نتيجة أدبية تمسنا ، وإن كانت لها نتيجةٌ مخجلةٌ فى تصوير بعض كبار الأدباء المصريين الذين عملوا على مناوأتنا ، مما كان له وقعٌ سيئٌ فى نفوس الكثيرين من المستشرقين . ويشهد الله أن ذلك يؤلمنا وإن مسّ من يضعون أنفسهم موضع الخصومة الوضيعة نحونا ، مستغلين مالهم ونفوذهم للتغرير حتى بالشباب الذى نخدمه ليسىء الينا بأحط الوسائل ! نعم ،

إن مثل هذه الحالة تؤلمنا أشدّ الألم لان سمعة أدبنا وأدبائنا هى عندنا فى المحل الأرفع من الاعتبار إذ أنها رمزٌ لكرامتنا القومية ولا يماننا بالشرف والنبل ، خصوصاً فى الوقت الذى تتهم فيه السياسة أبناء مصر بالغدر والجحود وتنفى مثل هذا الخلق عن اخواننا السودانيين .

فمن الهواجس النقدية التى وجهت الينا أننا نتنقص أبنـاء الوطن بتقريعنا ، فى حين أننا لا نرمى الى أكثر من استفزاز الهمم والتنبـه الى عيوبنا كما كان يفعـل كبار خطباء العرب وكما يفعل كلُّ مخلص لوطنه يؤمن بقول ابن حزم « صـديقك مَن صدقَك لا من صدّقك » . وبهذه الروح كان ينظم المرحوم حافظ ابراهيم بك معظم شـعره الوطنى المأثور وقد اتخذ من قلمه المؤدِّب كرباجاً قاسياً .

والملحوظ أن أغلب مَن ينتقدون هذا النقد هم من المترفين البعيـدين عن معارك الحيـاة ، المكفول لهم الرزق والراحة ، العازفين عن تحمّل الأعباء الاجتماعية ، الناصـبين أنفسهم للنقد والمؤاخذة دون أىّ جهد انشائى يبذلونه ، فليس لهم علم حقيقى بعيوب بلادهم ومفاسدها ، أو هم يتعامون عن كلّ ذلك ليظهروا بمظاهر البرّ بها على حساب المصلحين !

ومن هذه الهواجس أن يُعابَ علينا الحنينُ الى المستقبل أسوة بالحنـين الى الماضى ، والأولُ مما يوحيه العقلُ الواعى المفكّر والثانى مما يوحيه العقل الباطن المتّصل بطفولة الانسانية . فهل فُرِضَ على الشعر أن يحنّ الى المـاضى وحده وينسى المستقبل العظيم بما فى ثناياه من معجزات مقدَّرة يكاد لا يلحق بها الخيالُ الجامح ؟ وكان صديقنا الشاعر الهمشرى قد أشار منذ زمن بعيد الى حنيننا القوىّ للمجهول واستـكناه أسراره ، ونذكر أن أحد الأدباء وقتها عدّ ذلك ظاهرة جنونيـة ! ولمـاذا يكون هذا الحنين ظاهرة جنونية وهو ابن التطلـّع الى سرّ الحياة ومعانى الاضمار فى الـكائنات والبواعث الخفيَّة لـكلّ ظاهرة وكلّ موجود ؟ وأىّ جنون فى أمثال قصائدنا « أقصى الظنون » و « حياتى » و « سـفينة الشمس » و « الذروة » و « فى الطريق الحزين » و « الاضمار » و « الخلود » مع أنّ هذه القصائد وأمثالها بناتُ النفس الباحثة الظامئة التى تتطلع الى الـكمال الفنى تطلُّعها الى أسرار الوجود فى عوالمه وفى دقائقه على السواء ؟!

ومن هذه الهواجس أن تُعابَ علينا ملكةُ التصوير الشعرى واسرافنا المزعوم فى تطبيقها المحسوس والمتخيَّل ، كأنما الشعر وقفٌ على التصوير العاطفى وحـده

وليس له أن يصوّر المظاهر الفنية فى الكائنات والأشياء ولا أن يجسّم الأخيلة الفنيــة التى هى بمثابة حقائق للشاعر وإن كانت عدماً أو وهماً لغيره ! وما يُنعَتُ بالاسراف فى هذا التصوير ليس فى الواقع الا الدقة المنَوَّعة فى إبراز شتى الحالات من الخيلة والوجدان فى تصاوير مختلفة نابضة بالحياة سواء أ كانت تصاوير ذاتيّة أم تصاوير قصصيّة .

ومن هذه الهواجس أن يسخر فريقٌ من الروح الافلاطونية فى شعرنا الغزلى حينما يسخر فريقٌ آخر من الروح الابيقورية (كما ينعتها) ،ولو تدبر كلا الفريقين ووقف على معانى الفلسفة الجنسية (أنظر مثلا «موسوعة المعارف الجنسية» Encyclopaedia of Sexual Knowledge لتذوّق كلا اللونين من الشعر ولعلم معناها الصادق ، ولابتعد عن الهراء الذى يتمشدق به عن فلسفة الغزل حتى كاد السذج يوهمون بأن الحبّ اللائق بالرجال هو نوعٌ من الاغتصاب ، وان الغزل الشعرى اللائق بالشعراء الكبار هو عبارة عن تمرين انشائى مدرسى ! أما أن يكون الحبُّ تجاوباً ، وأما أن يكون شعر الحب صادقاً معبراً عن شتى الحالات النفسية وليس عن بعضها فقط ، وأمّا أن يكون الغزل بعيداً عن الجهامة أو بعيداً عن التصنع ، فهذا مما يعدّ خارجاً عن صفات الرجولة !

ومن هذه الهواجس انتقاص شعر الفكر والعلم خصوصاً اذا امتزجَ بالتصوّف والفلسفة ، فهل من الكمال الفنى التعلق بشعر الوهم وحده ؟ أليست العبرة بالتناول الشعرى للموضوعات لا بالموضوعات ذاتها ؟ أليست قصيدة يوب عن الانسان من أجلّ الموضوعات ومع ذلك ليست من أجلّ الشعر ؟ ألم يحن الأوان مثلا للتسامى بالتصوُّف فى الشعر عن الخرافات الفرضية الكثيرة ؟ أليست مظاهر الكون وأسراره ودقائقه العلمية ملاحم شعرية تنتظر الينا وتوحى بنظمها فى بياننا ؟ ألم يقرأ هؤلاء الناقدون الجاهلون ديوان (حملة المشعل The Torch Bearers) للشاعر الكبير ألفرد نويز رئيس جمعية الشعر الانجليزية ؟ وأى داع الى الانتقاص وأى نافٍ للشاعرية فى أمثال قصائدنا « شعر النجوم » و «البداية والنهاية» و « ما وراء المجرة» و « الأشعة الكونية » و « رُسُل السماء » ونحوها مما تمازج فيها العلم والفكر والروح الشعرية تمازجاً موسيقياً ، اللهم إلا اذا كان الجهل والأمية وتكرار خواطر السلف وأساليبهم هى البضاعة الفنية الوحيدة التى يجب أن نحفل بها ؟ !

ومن هذه الهواجس مؤاخذة الشاعر على صراحته وصدقه فإن بكى قيل هذا ضعف ، وإن تجلّد قيل هذه كبرياء مصطنعة ! وفى الحقّ لا يُحمد الشاعر إلاّ على صدقه كيفما كان تصرّفه ، فنحن نحبّ مطران فى قصيدته « الأسد الباكى » كما نحبّ ناجى فى قصيدته « الشك » لأننا نشعر بالاخلاص فى شعر كلٍّ منهما وإنْ اختلفا جدّ الاختلاف . الصّدقُ أولاً وأخيراً هو ما نطالب به الشاعرَ الى جانب أدائه الفنى ، وإلا كان محضَ صانع . ولسنا نحن ممن يهوى تهالكَ بوديلير على الشهوة ، ولكننا مع ذلك نهوى شعره لأننا نحسّ فيه باخلاصه العميق ، وهكذا لا نستطيع تجريح شعره من الوجهة الفنية المحضة . وبديهى أنّ أحوال النفس الانسانية كثيرةُ التقلب ، فالشاعرُ الذى يكبت احساسه ويكتم تعابيره عن كثير منها لأجل أن يتظاهر فى المجتمع بمظهر خاص لا يستحقّ احترامنا الفنى . . . ليست الآهاتُ والدموعُ ولا التجلّدُ والصلابةُ مما يُعاب لدى الشاعرما دامَ وراءَ ذلك طبعٌ شعرىٌّ صادقٌ ، وانما الذى يُعاب هو التصنّع وحده لهذه الانفعالات والتظاهر بخلاف ما يضمر .

ومن هذه الهواجس الطعنُ فى الرمزية مع أنها من صُوَر التعبير المثقّف ومن الأساليب الشعرية العميقة المستوعبة . مثال ذلك هذان البيتان فى « الطاووس الأبيض » وقد قيلتا فى حسناء لبست البياضَ وجافت الأصباغَ والدّرور :

أنتَ فى الحُسْنِ مُضْمَرُ اللّوْنِ والجِلْـ ـدِ كالنُّورِ يُضْمِرُ الألوانا
إنْ يَعِبْكَ الذين لم يَشعروا بَعْـ ـدُ فيكفى اجتذابُكَ الفنّانا

والواجب على هؤلاء المنتقصين أن يقرؤوا كتاب (الرمزية — معناها وأثرها : Symbolism, Its Meaning and Effect) للدكتور هوايتهيد أستاذ الفلسفة فى جامعة هارفارد ليروا بأعينهم أىّ حكم قاس يحكمه ذلك الأستاذ العبقرى على الكافرين بالرمزية !

ويطول بنا التعليقُ لو تتبّعنا الهواجسَ الأخرى (وما أكثرها !) فحسبنا ما ذكرناه على سبيل المثال ، وهو شاهدٌ كافٍ على أن النقد الأدبى فى مصر لا يزال فى بداية السلم تعبث به الأهواء ذات اليمين وذات اليسار فيعوقه ذلك عن الصعود المرموق ، وأن معظم جرائدنا ومجلاتنا تترك صفحاتها الأدبية تحت رحمة الأدعياء وتلاميذ المدارس حينما يُشغل أصحابُها بمسائل السياسة وبمواردها المالية !



جمال والوحش

Beauty & the Beast

القصة

كان لأحد تجار الشرق ثلاثُ بنات دُعيت صغراهنّ بـ (جمال) لما لها من جمال مفرط لا يُكيَّف . وفي ذات يوم اعتزم والدهنّ رحلةَ إتجارٍ فمضى يودّعهن سائلاً كلاً منهن عن التحفة التي تشتهيها ليختارها لدى جولانه . فاشتهت الكبيرةُ عقداً يخطف اللحظ من نفيس اللآلىء ، واشتهت الوسطى ماسةً غلت تغزو بهـا النجوم الغوالي ، وأما بنته الصغرى فلم تنشد سوى محض وردةٍ بيضاء فقد كانت مشغوفة بالأزهار مفتونة بجمالها ورموزها .

ومضى التاجرُ في رحلته مجدّاً غانماً واستطاع أن يظفر بما اشتهته كلٌّ من بنتيه الكبرى والوسطى ، ولكنّه خاب في إحراز وردة بيضاء لبنته الصغرى ، فأنساه حزنُ فؤاده لذلك ما غنمه في رحلته ، وأبى إلا أن يثابر على بحثه فهي صفو (جمال) أماني حياته . وهو أنى مضى سائلاً عن وردة بيضاء كان يقابَلُ بالضحك والسّخر ، لأن الناس في تلك الجهات لم يسمعوا قط عن وردة بيضاء ، فأمنيته في نظرهم إنما هي ضربٌ من إعجاز السحر . وهكذا تولته الحسرةُ لفشله فأضلته سبيل الرجوع في وسط غابةٍ ، فاذا به يرى فجأةً قصراً هناك ، واذا به فجأة يلاصق بابه . وينفخ بوقه فاذا بالباب ينفتح وتبدو كالسحر ردهة قصر دون أن يرى أحداً ، ويزداد حيرة حينما تمتدّ اليه يدان سحريتان من غير جسم تقودانه بعطف وودّ الى غرفة الطعام حيث يأكل ما طاب من شهيّ الاطعمة بعد صومه وجوعه الشديد ، ثم الى غرفة النوم حيث ينعم بنوم عجيب هنيء . وفي اليوم التالي يجد هاتين اليدين

السّحريتين مهيّأتين لخدمته المنوّعة وإيناسه وتسليته ، فتقودانه الى الحديقة الجميلة حيث يرى وردةً بيضاء ، فيهتف فرحاً بها ولا تمنعه كبرياؤه من قطفها وفاءً بعهده لابنته (جمال) ، وقد تخيّل أنّ مضيفه الكريم صاحب هذا القصر السحري يسره قطفها تحفةً لابنته . ولكنه ما يكاد يفعل ذلك حتى يصمّ سمعَه زئيرُ أسدٍ عاتٍ وقد ظهر أمامه منذراً بالهلاك ، فارضاً عليه الموت جزاء قطفه تلك الوردة البيضاء ! فيروّعُ التاجرُ الأسيفُ ويرجو الوحشَ أن يصفح عنه ، إذْ أنه ليس باللّص وانما أراد إسعاد ابنته بمثل هذه الهدية ، ولم يكن يعلم أنّ هذا مما يغضبه أو أنّ القصر له ، ولو علم لما سَعَى الى موته بهذه الصورة . . . ثم يسأل الأسد الحانق اذا كان هناك سبيلٌ لصون حياته وهو يتعهد له بما يريد ؟ فيجيبه الوحش بأنه لا مُنقذَ له سوى التعهّد بالعودة بعد شهر من سفره صاحباً أول مَنْ يلقى عند عودته الى بيته، وإلا فانه لن يفلت من يديه . وفي حالة رضائه بذلك يمكنه أن يأخذ معه تلك الوردة البيضاء هديةً لابنته . أمّا اذا رفض فله أن يعتبر لحمه حلالاً للأكل ! ويقبل التاجر شرطه ويسافر عائداً إلى بيته ، آملاً أن يكون أول ما يصادفه عند العودة كلباً من كلاب الطريق فتهون الضحية وينقذ حياته ويسعد بناته.

عاد التاجرُ إلى بيته فقضى سوءُ طالعه أن تكون بنتُه الصغرى الوفية المتطلّعة إلى رؤيته أولَ مَنْ يلاقيه ، وقد هرعت الى لقائه شوقاً وحناناً. فبكى حزناً وأسفاً وأطلعها على ما جرى له ، وأخيراً صرّح لها بأنه لا ينوي الوفاء بوعده لذلك الوحش الذى قد يكون مآلُها عنده العذاب أو الموت الكريه . ولكنها أبتْ عليه هذا الشعور بل لامته على هذه الرغبة في النكث بالعهد وأعلنت تصميمها على الذهاب اليه آملةً أن تستطيع بالتحايل أن تغنم حظاً من الحنان لديه .

ويجيء موعدُ الرجوع فيسافران الى ذلك القصر المسحور فيجدان كلّ شيء من الحسن والمجد على ما عهده والدها من قبل . وبعد تناول الطعام والاستراحة يسمعان طرقة ، واذا بالأسد يدخل عليهما كالموت يبدّل الأمنَ ذعراً ! وقد جاء في كساءٍ مزيّن ، وراح بعد التحية يجلس مزهوّاً مسائلاً التاجر عن (جمال) . فيخبره التاجرُ أنها كانت أول مَنْ التقى به أمام بيته ، وقد أتى بها اليه برّاً بوعده ، وأنه يرجو أن يكون السلامُ في ذلك . فيطمئنه الأسد ، ويخبره أن كلّ ما في القصر طوعٌ لابنته (جمال) ، ويسأله أن يرحل في الغد ويدعها لصونه .

وجاء الغدُ الرهيبُ فودّع الأبُ ابنته وداعا مشجياً ، وقد أخذ كلٌّ منهما يؤمّن الآخر أمام الخوف من المخاطر البادية . وما كاد يذهب والدُها حتى رأت في كلّ شيء حولها عزاءً لقلبها الحزين بين الكثير من الأغاني والأزاهير الفوّاحة والأثاث المنمق والرسوم البديعة . وهكذا مرَّ وقتها هنيئاً في ذلك النهار الذي بدأته ملبّداً بالغيوم . ثم جاء الليل فاذا بالأسد الطارق يعود لزيارتها في حبور ومذهباً روعها بفرط حنانه وحديثه مما لم يكن في تقديرها . وهكذا أصبحت تحنّ اليه وتراه زميلها المحبوب وغدت تشتهي سعادته الكبرى كما خصّها بأحنى القلوب .

وذات يوم سأل الوحشُ (جمالاً) : « هل تكونين زوجتي يا (جمال) ؟ » فأجابته سلباً ، ولكنها أكدت له بقاء وفائها لسعادته وأنها لن تغفل واجبها نحوه بروح رشيدة . فتولته حسرةٌ آلمتها وقد صرّح لها بأنها اذا أصرت على رفض الزواج منه فالموت عقباه ولا دافع لهذا المآل !

ولم تكن (جمال) في كل ما مضى بالتي تسلو أباها لو أنه قد سلاها ، وتمنّت رؤيته فرأته في مرآتها السحرية طريح الفراش مسجى في نضال الآلام مما يعاني . فبكت غاية البكاء ، وباحت لمضيفها وصديقها الأسد بأشجانها فارتضى سؤلها بزيارة والدها اذا ما وعدته بالرجوع في القريب لا أن تهجر قصره هجراً . فوعدته بذلك وأعطاها لتيسير رحلتها نفحة من السحر في وردة ، ثم ودعها ومضى ... فاشتهت لقاء أبيها وسرعان ما كانت في بيته ، فهرعت اليه شوقاً وحناناً ، ففرح أيَّ فرحة بلقائها بعد أن أسقمته الهمومُ والقلقُ عليها . ومن فرحتها بهذا اللقاء نسيت وعدها للأسد ، وقد أخذت تلك الوردة السحرية تجفُّ وكاد حسنها يغيب ، فتجلى لها عهدُها ، فشاءت الرجوع كما وعدت ، خفقت لها الوردةُ ذلك في ثوان .

عادت (جمال) الى القصر السحري فوجدت ثمة كلَّ شيء على حاله القديم الوسيم ، ولكنها لم تجد اللحن الجميل الذي تعوّدته ، فانه قد تولّى ولم تدر لماذا ؟ كذلك كان حالها كالسقيم . ولحظت غيابَ الأسد وهو الذي يعشقها ولم يكن ليغيب ، فمضت الى الحديقة تبحث عنه بين خوف ومأمل ووجيب ، وأخيراً رأته في رقدة الموت على العشب في سكون أليم ، فجرت نحوه يهددها الحزن وتوبيخ قلبها المكلوم لتأخرها في العودة اليه ... ورآها الأسدُ فقال لها : إيه يا (جمال) ! انك لم تبرّي بوعدك المحبوب ، وعَودُكِ هذا ما هو الا عَوْدُ النسيان لا عَوْدُ البرّ الصحيح ، فلم يبق لي الا الموتُ عزاءً بعد أن فقدتُ عزاء القلوب !

وكان هذا الموقف شاقاً جداً على (جمال) التى ودّت أن تفتديه بأىّ ثمن وفاءً له وتبرئة لضميرها ، فقالت له : حاشا أن نلاقى المهالك قربى يا أسدى الغالى ! خبرنى أى فرض تريد حتى أؤدّيه ولو أننى أضحى بحيى ؟ فأجابها الأسدُ فى نزعهِ : ذاك أن تقبلى زواجى ! فقالت : لك هذا ! فقد رضيتُك زوجاً !.. وما كادت تلفظ هذه الكلمات حتى استحال ذلك الوحشُ انساناً جميلا يرجو هواها ويُرْجَى ! ففرح كلٌّ منهما بحظه من الآخر فرحاً عظيماً . وصرّح لها بأنه كان مسحوراً بفعل ساحرة أنذرته بالعذاب الأليم فى كلّ آنٍ حتى تُتاحَ له الزّيجةُ بالحسنِ من فتاةٍ فريدةٍ ، وقضى حسن حظه بأن تستجيب (جمال) الى مناه ، وهكذا أنيلا معاً حياةً سعيدة .

مرامى القصة

لهذه القصة الخرافية اللطيفة مَرامٍ أدبية عالية تُلخَّص فيما يأتى :

(١) التنويه بالمتعة المعنوية وقيمتها فى سرور النفس (ورمزُ ذلك فى القصة الوردة البيضاء) ، وأن الحصول على هذه المتعة قد يستوجب متاعب وتضحيات كثيرة ولكنها تستحقّ ذلك .

(٢) تصوير الحبّ الأبوىّ فيما عاناه التاجر فى جميع أدوار القصة من أجل بنته (جمال) ، وتصوير الحبّ البنوى فى برّ (جمال) به ، وتصوير العاقبة الحسنة لكلّ هذا .

(٣) تصوير غاية الكدّ والسعى الشريف من النجاح والتوفيق ، وتصوير عامل الاتفاق أيضاً فى تهيئة ذلك ، إذ أن الحياة ليست مجرد أسباب ونتائج بسيطة بل لها عوامل مركبة كثيرة تؤثر فيها وتكيفها .

(٤) تصوير عاطفة الحبّ وأثرها فى تجميل الحياة والتغلب على الشدائد والمخاطر من حيث لا يُرجى القضاء عليها .

(٥) الاشادة بالوفاء مهما غلا ثمنه وتصوير نهايته الجميلة ، والاشادة بعرفان الواجب وأدائه وإن حفّ به الهلاك .

(٦) أن التضحية المشتركة مع تجاوب الاخلاص جديرة بالمكافأة المشتركة .

التصوير الشعرى

هى أغلى البنات للتاجر المثرى فى المجد والغنى والجلال
خلقت من ملاحة لم تكيف فدعوها (جمال) دنيا الجمال
كان طبع الحنان من حسنها الصافى وأجمل بالحسن رمز الحنان
وتفانت فى حب والدها حبا هو الصدق وحده فى التفانى

* * *

ذات يوم قبيل رحلة إتجار مضى يبتغى وداع بناته
سائلا أى تحفة ترتجى منه ليختارها لدى جولاته ؟
فاشتهت بنته الكبيرة عقدا يخطف اللحظ من نفيس اللآلى
واشتهت ماسة غلت أختها الوسطى لتغزو بها النجوم الغوالى
حينما بنته الصغيرة لم تنشد سوى محض وردة بيضاء
كاسمها طبعها النقى فلم تحفل بغير الملاحة الزهراء

* * *

ومضى التاجر الحصيف مجدا غانما كل ما أباح الرجاء
حالف الظفر حظه حينما خاب باحراز وردة بيضاء
نسى الغنم كله من أساه قلبه المشتهى رضاء بناته
وتولى فى البحث لابنته الصغرى ففى صفوها أمانى حياته
وهو أنى مضى يسائل لم يغنم من الناس غير ضحك وسخر
ما رأوا مثل ما تمنى من الورد فما يشتهيه إعجاز سحر
وتولته حسرة فأضلته سبيل الرجوع فى وسط غابة
فاذا فجأة يرى ثم قصرا ، واذا فجأة يلاصق بابه
نافخا بوقه فينفتح الباب فتبدو كالسحر دهشة قصر
زينت بالنفيس من كل ما تهوى فنون لكل عين وفكر !

* * *

حارَ فيما رأى وأعجبُ منه أنه لم يجد هنالك فردا
إنما قد رأى يدين بلا جسمٍ تقودانه ولاءً وودّا
ورأى غرفةَ الطعامِ وقد مُدّ خوانٌ بمستطابِ الطعامْ
فمضى يغنمُ الشهيَّ مِن الأكلِ وقد جاع أيَّ جُوعٍ وصامْ
ثم قادتْه نحو غرفةِ نومٍ هُيّئتْ للجمالِ والأحلامِ
فتلاقى والنّومَ فوقَ سريرٍ مِن نعيمٍ ومِنْ أغانى السّلامِ
واذا باليدينِ فى يومه التالى بَدا خدمةٍ وبرٍّ جميلِ
قادتاه الى الحديقةِ فيما قادتاه الى الجمالِ النبيلِ
وهنا صاح فى سرورٍ وقد لاحتْ له وردةٌ زهتْ بيضاءْ
خلقتْها يدٌ مِن السحر جادت بالنعيم المغرِّدِ الوضّاءْ
ومِن الفرحةِ التى غلبتهُ ما حمته عن قطفها الكبرياءْ
بل تراءى له الوفاءُ بها زهراً مِن النورِ ناصعاً كالرجاءْ
ودعاه الغُلوُّ فى الوهمِ أن يحسبَ فى قطفها رضاءَ مُضيفِهْ
كيف لا وهو مَنْ حَبَاهُ جزيلاً مِنْ نعيمٍ ما زال بين رَفيفِهْ
عند هذا أفاقَ مِنْ نَشْوَةِ الفرحةِ إذْ ضمَّ سَمْعَهُ مِنْ زَئيرْ
وتَجلى أمامَهُ أسَدٌ عاتٍ يَروعُ الكَمِىَّ قبلَ الأسيرْ
مُنْذِراً بالهلاكِ : « يا أيها التاجرُ كيف استبحتَ ما قد خطفتَ ؟
إنما الموتُ ما يُجازَى به مِثلُكَ ، فلْتَلْقَ شرَّ ما قد صنعْتَ ! »
رُوِّعَ التاجرُ الأسيفُ وقال : « الصفحَ ! إنى أردتُ إسعادَ بنتى
ولو انّى عرفتُ أنكَ ربُّ القصرِ ما كنتُ قد سعيتُ لموتى !
لستُ لصّاً ، ولستُ غيرَ أبٍ حانٍ على مُشْتَهى ابنةٍ لا يُرَدُّ
هل سبيلٌ لكَىْ تصونَ حياتى ولكَ العهدُ فى الذى قد تَوَدُّ ؟ »
قال : « كلا ! ما لم تَعِدْنى بأن ترجعَ بعدَ ارتحالِ شهرٍ اليّا

صاحباً مَنْ تراه أوّلَ مَنْ تلْقى ، والاّ فلن تفوتَ يدَيَّا !
فاذا ما قبلتَ فارحلْ وخُذْ أيضاً الى بنتِكَ الهديةَ منى
واذا ما رفضتَ فلتعتبرْ لحمكَ أكلى ... وليس هذا بغبْنِ »
فارتضَى التاجرُ الرحيلَ بهذا العهدِ: عهدِ الصديقِ نحو الصديقْ
راجياً أن يكونَ أوّلُ ما يَلْقى لدى العَوْدِ مِنْ كلابِ الطريقْ
فتهون الضحيةُ التى يَرتجيها ذلك المُعْتِقُ الحيفَ القديرْ
ومَضَى نحو بيتهِ فى حُبورٍ ليس صفواً مِن مطمئنّ الحُبورْ

* * *

أسفاً ! كانَ أولَ مَنْ لاقته فى العَوْدِ بنتُهُ المحبوبهْ
هَرَعتْ للّقاء مِنْ شوقها الجمّ فأبكتْه ! . . . يا لَوَقْعِ المصيبهْ !
قال : « يا بنتىَ الحبيبةَ قد جئْتُ بما شئْتِ . . . يا لَذنبى الخطيرْ !
إنما قد غنمتُ بالثمنِ الفادحِ ما شئْتِ مِنْ جمالٍ عسيرْ
هو وَعْدِى المصدوقُ للأسَدِ المالكِ تلكَ الحديقةَ الغناءْ
أنْ ينالَ الذى أقابلهُ الأوّلَ فى عودتى . . . . فيا للجزاءْ !
ذاكَ عهدٌ لا بُدَّ مِنْ أنْ أفيهِ ، وعزيزٌ علىَّ أنى أفيهْ
قد يكون المآلُ فى صحبةِ الوحْشِ عذاباً أو المماتَ الكريهْ »
ثم أفضَى لها بكلّ الذى مرَّ عليه فى الرحلةِ المشؤومهْ
وأخيراً أبى عليها وفاءَ الوعْدِ ، لكنها رأتْ أنْ تلومهْ !
وأجابتْه : « كيف يا أبتِ تنكثُ بالعهدِ ؟ سوف أمضى اليهِ
رُبما استطعْتُ بالتحايُلِ أنْ أغنمَ حظّاً مِنَ الحنانِ لديْهِ ! »

* * *

وأتى مَوْعِدُ الرُّجوعِ ، فلمّا عادَ للقصْرِ حافظاً صِدْقَ وَعْدِهْ
وجدا مثلما تراءى له قبلاً مِنَ الحُسْنِ والتناهى بمجْدِهْ
واستطابا الطعامَ ، حتى اذا ما فرغا منه واستراحا وقرّا

سمّا طرفةً من الأسد الداخل كالموت يُبدل الأمن ذُعرا !

* * *

فى كساء مزيّن دخل الوحشُ وحيّا وراح يجلسُ زهوا
سائلا عن (جمال) ... قال له التاجرُ : « تلك ابنتى كوعدى قبلا
من حنان تطلّعتْ للقائى حيث كانت أُولى الذين لقيتُ
فأنتْ فى وفاء عهدى ، فأرجو أن يكون السلامُ فيما أتيتُ »
فأجاب المُضيفُ : « لا تخشيا شرّا ، ولن تعدم الجميلةُ عونى
كلُّ شىء فى القصر طوعٌ لها ... فارحلْ إذن فى غد ودعها لصونى »
ثم جاء الغدُ الرّهيبُ وما أفنى وداعيهما أمامَ الخاطرْ
غلبا الخوفَ بالتأسّى ولكنْ يغلبُ الخوفُ فى المدى بأسَ صابرْ
ومضى الوالدُ الحزينُ وفى النفس شجونٌ جازتْ معانى الشجون
فرأتْ بعدَ أن مضى كلَّ شىء حولها بسمةً لقلب الحزين
كم أغان وكم أزاهيرَ فاحتْ وأثاث منمّق ورُسُومْ
وكذا مرَّ وقتُها فى نهار بدائه ملبّداً بالغيومْ
وأتى الليلُ ... حينما الأسدُ الطارقُ قد عاد زائراً فى حُبورْ
مُذهباً روعَها بفرط حنان وحديث ما كان فى التقديرْ
وكذا أصبحتْ تحنُّ اليه وتراهُ زميلَها المحبوبْ
وغدتْ تشتهى سعادته الكبرى كما خصّها بأحنى القلوبْ

* * *

سأل الوحشُ ذاتَ يوم (جمالا) : « هل تكونين زوجتى يا (جمالْ) ؟ »
فأجابت سلباً ، ولكنها قالتْ : « وفائى باق على أىّ حالْ
ستراني دوماً أهشُّ لما ترجو من الأنس فى حياة سعيدهْ
لستُ أنساكَ ما حييتُ ولن أغفلَ عن واجبى بروح رشيدهْ
فتولّته حسرةٌ آلمتها ، حسرةٌ ضوعفت بهذا المقالْ :

« إنْ أبيتِ الزواجَ فالموتُ عقباىَ ولا دافعٌ لهـذا المآلْ »
وهي في كلِّ ما مضى لم تـكن تسلو أباهـا لو أنه قد سَلاها
وتمنَّتْ مَرآهُ حتى رأته في مَجالي مِرآتِهـا عيناها
قد رأته على فراشِ مُسَجّىً في نضالِ الآلام مما يُعانى
فبـكتْ غايةَ البـكاء وباحت للصـديق المضيف بالأشجانِ
وتمنت عليـه رؤيته حتى تؤدّى فروضَها نحو برّهْ
فارتضَى سؤلَها اذا وعدته في القريبِ الرجوعَ لا هجرَ قصرهْ
فأجابتْ بما اشتهى ، ثم أعطاها لهذا الرحيلِ سحراً بوردهْ
قائلا : « هذه دليلك ، لـكن أذكرى الوعدَ ، يحفظ الحرُّ وعْـدَهْ »
ومضى ... فاشتهت لقاءَ أبيها وَسَرِيعاً كانت بدار أبيها
فجرتْ نحوه بفرحة طفل واحتواه للحبِّ ما يحتويها



كان فى السّقم مِنْ هموم عليها فأزالت تلك الهمومَ يداها
ومن الفرحة التى شملتها نسيت وعدها وما قد عداها
نسيت وعدها وقد جفّت الوردةُ أو كاد حُسنها أن يغيبْ
فتجلى لها ، فشاءت رجوعاً ، فاذا العودُ فى توانٍ قريبْ !

* * *

وجدتْ ثَمَّ كلَّ شيء لدى القصر على حالِهِ الوسيمِ القديمْ
انما اللحنُ قد تولّى ولم تدرِ لماذا ؟ وحالُها كالسقيمْ
ولقد غاب ذلك الأسدُ العاشقُ عنها ولم يكن مَنْ يغيبْ
فمضت تسأل الحديقةَ عنه بين خوفٍ وتأملٍ ووجيبْ
وأخيراً رأتْهُ فى رقدة الموتِ على العشبِ فى سكونٍ أليمْ
فجرتْ نحوه يُبدّدُها الحزنُ وتوبيخُ قلبها المكلومْ
ورآها فقال : « ايهِ (جمالُ) ! لم تبرّى بوعدك المحبوبْ
ذاك عوْدُ النسيانِ ، والموتُ لم يبق سواه العزاء بعدَ القلوبْ !»
فأجابتْ : حاشاك يا أسدى الغالى تُلاقى المماتَ ، حاشاك قربى !
أىّ فرضٍ تريدُ حتى أؤدّيه ولو أننى أضحّى بحبّى ؟ »
قال : « أن تقبلى زواجى » فقالت : « لك هذا ! لقد رضيتك زوجا ! »
عندها صار ذلك الوحشُ انساناً جميلاً يرجو هواها ويُرجَى !
فتناهت بفرحةٍ وتناهى بعد أن كان شبهَ ميتٍ يعانى
سحرته شيطانةٌ أنذرتْه بالعذابِ الأليمِ فى كلّ آنِ
أنذرتْهُ حتى تُتاحَ له الزّيجةُ بالحسنِ من فتاةٍ فريدهْ
فاستجابتْ الى مُناهُ (جمالٌ) وانيلا معاً حياةً سعيدهْ

أحمد زكى أبو شادى



يوناله

اليوم الأول

(على الشاطىء)

هي : ما لعينيكَ يا رهيبُ تثيرا ن طيوفَ الأوهام حولَ أمانى

هو : أنا يا فتنةَ الوجودِ ؟

هي : أجَلْ أنتَ !

هو : وكيف اتَّهمتِ ؟

هي : مجنونتانِ !

فيهما حيرةٌ وغمرةُ شكٍّ ومَعانٍ ما تُرجمتْ بلسانِ

كم علتنى غشاوةٌ عند لقيا كَ فأنكرتُ رؤيةَ الانسانِ

لستَ كالناسِ !

هو : هل أكون ملاكاً ؟

هي : حيرتى فى الملاك والشيطانِ !

هو : أنتِ يا مَنْ سكبتِ خمرةَ إلحا دى وأترعتنى من الايمانِ

عند عينيكِ تنتهى أعينُ النــــــــه فأنَّى مضيتُ شارفتانى

سهدُ جفنيهما من السرمدِ الخا لدِ مهما يطول لا يغفوانِ

غير أنى أحسُّ سراً دفيناً وهما دون سرِّهِ مغلقانِ

هي : ثم ماذا ؟

هو : أهواكِ يا هيكلَ الحسنِ !

هى : وماذا أعددتَ للقربانِ ؟

هو : كل ما شئت لا يعزّ وإن كا ن محالاً فانه لكِ دانِ

هى : قم بهذا السكراز أنضب لىَ البحر !

هو : وهل أستطيع ما فوق شانى ؟

هى : خلِّه عنك ! قم وأنضبْ من الشا طىء بعضَ المياه !

هو : يختلطانِ !

هى : كاختلاط الشهوات بالأثرة العمياء فى لجةٍ من الوجدانِ

واختلاط الغرام — عندك — والعقل فتبنى من المحال الأمانى

أوَما قلتَ إنه لىَ دانٍ مالك الآن تؤت بالبرهانِ ؟

هو : لستُ ربّاً !

هى : وما أنا ؟

هو : أنت عندى ربّةٌ فوق عالم الفنّانِ

هى : كيف تبغى اذا هواى وما أنت بصنوٍ ، مكانه مِن مكانى ؟

هو : اجعلينى فيما ملكت قطيناً أو هبينى موكّلاً بالجنان

هى : هل رأيتَ الجنانَ ؟

هو : فى جسم أنثى عبقرىّ الظلالِ والألوان

جسدُ المرأةِ الجميلةِ أنأى مُتمنًّى النّساكِ والكهانِ

فعلى صدرها الثمارُ وفى الثغرِ مِن الخمر سلسبيلُ المعانى

وعلى شعرها المذهّبِ أشبا حُ قُصورٍ ما شيدتها يدانِ

اليوم الثانى

(هى وهو خارجان من الصومعة)

هى : كنتَ فى الليل راعياً فى الجنانِ !

هو : ليلُ أمسِ فى ذمّة النسيانِ

كنتِ فيه السّهةَ !

هي : ما أنا الساعة ؟

هو : لا شيء ، أنتِ كالجثمانِ

أنت مخلوقةٌ تعيشين بالجسم وتُفنيكِ شهوةُ الحيوانِ

هي : قبلةً !

هو : ما وراءها ؟

هي : هي معنًى

هو : هتكتْ شهوةُ الجسومِ المعاني

ونضتْ سترَ ناظريك وذاع السِّرُّ فيما فقدت من أكوانِ

هي : أوَ أنزلتَني عن العرش لمَّا ذاع سري لديك ؟ أيّ بيانٍ !

هو : ليس بين الإله والناس الا سرّه المنطوى الخفيّ المكانِ

ظلّ في معزلٍ عن الناس حتى لا يُداني الخفاء منهم مُداني

هي : كيف ؟

هو : سرّ لو أنهم عرفوه بات قدرُ الإله كالانسانِ !

وأنا مَن يقيم عندك بالجسم ويحيا بالروح فوق الزمانِ

هو : غادرٌ أنتَ !

هو : نحن للفنِّ نحيا ونراكم له من القربانِ

فنضحي بكم على مذبح الفكر ليهدَى بالفكر جيلٌ ثانِ

صالح جودت



الصمت

أيها الصمتُ ! أيها الصاحبُ العا ... قلُ ، دعني أعِشْ بدنياك دعني !
الجأتني اليك أحداثُ دنيا ... أسلمتني الى شقاءٍ وغبنٍ !
قد سئمتُ الكلامَ في فارغ العيش ، وفي كلِّ مأملٍ ليس يُغني
ما غِناءُ الكلام ؟ رُبَّ كلامٍ ... زادَ في لوعتي ، وأطلق حزني

* * *

أيها الصمتُ ! أيها الصاحب الوا ... دعُ دعني أنمْ بظلك دعني !
فالصحارى التي أطوِّفُ فيها ... لم أجد في فجاجها أيَّ أمنِ
أيها الصمت ! خلِّ هـذا المُعَنّى ... يتلهّى بروضك المُرْجَحِنّ
ما أحبَّ المُقامَ في ظلك الوا ... رفِ ، بين المُنى وبين التمني

* * *

أيها الصمتُ ! أيها الصاحبُ الحا ... ني أنلني بعضَ العزاء أنلْني !
طرقَ الشكُ ساحتي مستبداً ... مِن أناسٍ قد خيَّبوا اليوم ظني
طرق الشك ساحتي يا لضيفٍ ... ترك القلبَ في وساوس تضني
فاحمني مِن قساوة الشك لِي ... أجدُ الآن ما يُبَرِّئُه عني
في سبيل الضلال ما ضاع مني ... من جهادي ، ومن شبابي وسِني

عبد العزيز عتيق

عيد البائس

مرّوا على الدار يومَ العيدِ ضيفانا ... يستمطرون نداها كالذي كانا
والدارُ حين رأتهم مقبلين لها ... تعاورتْ في البكا أهلاً وبنيانا
لم يترك الدهرُ إلا شيخة عكفوا ... من فاجعات الردى صُمّاً وعميانا
ليت العبادَ كلابٌ! إن كلبتنا ... لما تزلْ لحفاظ الودّ عنوانا
تحمّلتْ قسطها في البؤس صابرةً ... لم تشك جوعاً ولم تستجدِ انسانا
مَن كان يحسدني فليرتقب سحراً ... أني على الجوع أطوى الأرض حيرانا
ليلتمسني لدى الخمّار يحبسني ... بالقسم [1] انا وفي حانوتهِ آنا

* * *

في غرفتي

أفي غرفتي يا ربّ أم أنا في لحدي ... ألا شدَّ ما ألقى مِن الزمن الوغدِ!
وهل أنا حيٌّ أم قضيت وهذه ... إهابةُ إسرافيل تبعثني وحدي؟
لقد كنتُ أرجو غرفةً فأصبتُها ... بناءً قديمَ العهدِ أضيقَ مِن جَدّي
فأهدأ أنفاسي تكاد تهدّها ... وأيسرُ لمسٍ في بنايتها يُردي
أرى النمل يخشى الناس إلا بأرضها ... فأرجلهُ أمضى من الصارم الهندي
تساكنني فيها الأفاعي جريئة ... وفي جوّها الأمراض تقتلُ أو تعدي
تراني بها كلّ الأثاث فمطفي ... فراشٌ لنومي أو وقاءٌ من البردِ
وأمّا وسادتي بها فجرائدٌ ... تُجدّدُ إذ تُبلى على حجرٍ صلدِ
تعلمتُ فيها صبرَ (أيوب) في الضنى ... وذقت هزال الجوع أكثر من (غندي)
جوارُك يا ربي لمثليَ رحمةٌ ... فخذني الى النيرانِ أو جنة الخُلدِ

عبد الحميد الديب

---

(١) قسم الشرطة



إليها

أيُّها الماضي الذي أودعتُه حفرةً قد خيَّمَ الموتُ بها
أيها الشعرُ الذي كفنتُه مقسماً لا قلتُ شعراً بعدها !
أيها القلبُ الذي مزقتَه صارخاً : عهدُكَ يا قلبُ انتهى!
قسماً ما مات منكم واحدٌ إنها رقدةُ يأسٍ ! إنها !
آهِ لو قام رسولٌ ضارعٌ أو شفيعٌ منكمو يمضى لها !
آهِ مَنْ يخبرها عن طائرٍ نَسىَ الاوكارَ إلا وكرها !

* * *

كأس كوكتيل

وفى الكأس من ماء الخدود عصارةٌ أحلَّ الهوى للعاشقين شرابها
وما كنت أدرى قبلها أن وجنة تنفَّسُ فيها عاشقٌ فأذابها

* * *

بعد الحب

أرى سمائى انحدرتْ وانطوتْ لا تحسبْ النجمَ هوى وَحْدَهُ
فيا نجومَ الليل لا نجمَ لى ولا أرى لى أفقاً بَعْدَهُ

ابراهيم ناجى

القبلة الممنوعة

يا غلة الصدر من حرِّ الجوى زيدى أبتْ شفاهك حتى بالمواعيدِ
سحريَّة الفمِ لو مسَّتْ بقُبلتها فمَ العيِّ لحلَّتْ كلَّ معقودِ
تكاد من رقةٍ تغرى مقبِّلها أن يحتسيها رحيقاً غير مورودِ
قد صاغها اللهُ لما أشركت أممٌ به،وقال : اشهدوا برهانَ توحيدا!

قل للبخيلة: جودى لا لقيت جوًى ! — إن كان يشفع لى قولى لها: جودى !

وساعة تحت أفياء الهوى سلفت — يا ساعة تحت أفياء الهوى عودى !

ما ضرّ لو أنها فى قبلةٍ سمحت — مَنَّتْ بوعدٍ وإن ضنّت بموعودِ ؟

هل حاذرت حرّ شوقى حين ألثمها — أن تذبل الورد أنفاسى بتصعيدِ ؟

رحماك لليائس المطول يقنعه — من الوجود خيالٌ غير موجودِ

ظمآن لا رشفاتُ الماء صافيةً — تروى صداه ، ولا بنتُ العناقيدِ

شفاؤه قبلةٌ لو أنّ محتضراً — داوى بها الموت ردت غير مردودِ

فكم أقبّل ثغر الزهر من شبهٍ — بثغرك العذب فى حسنٍ وتوريدِ

عينٌ من الخلد من ينهل بكوثرها — وردَ الحياة يفز منه بتخليدِ

صوتٌ من القلب أمليه على فمها — وعهد حبٍّ على الأيام ممدودِ

وللقلوب لغاتٌ ليس يدركها — سوى فؤادٍ بنار الوجد معمودِ

حديث شوقٍ بلا حرفٍ ولا كلمٍ — تفضى به شفتى للخدّ والجيدِ

معنًى من الحبّ يسمو أن أؤديه — بكلّ لفظٍ من الألفاظ محدودِ

اللفظُ يثقل بالترديد موقعُه — وتلك تحلو معانيها بترديدِ

دع الرسائلَ فيما لا تحيط به — تلك اللغات ودعْ صوغَ الأناشيدِ

فللشفاهِ على أمثالها لغة — أحلى على السمع من مزمار داودِ

أدّت على القلب ما يعيا اللسانُ به — كمنطق الطير غرّيدٌ لغرّيدِ

كم قبلةٍ لا أرى الدنيا لها ثمناً — فلا تبعْ غير معدودٍ بمعدودِ !

أحمد الزين

فتنة الروح

الى فتاة الاحلام الباذخة العلو

يا طريرَ الشبابِ فى مَيعةِ العمرِ — وريحانةَ الأمانى البهيّةْ !

مَنْ أذابَ الجمالَ والسحرَ فى فيك — وهذى البدائعَ القدسيّةْ ؟

شهدَ الحسنُ ما عبدْتُ سواهُ | في خُدُودِ فتانةٍ خمريَّهْ
جُمِّعتْ حولك المفاتنُ تُغْرى | وتغنَّتْ لحونُها الأبديَّهْ
أنت ضوءٌ منغمٌ سرمديٌّ | طافَ بالروح في سماء عليَّهْ
أنت صهْباءُ شاعرٍ بات يزجى | لك أنشودة الغرام السنيَّهْ
أنت فجرٌ معطرٌ لؤلؤيٌّ | ذائبُ الطلِّ في الزهور النديَّهْ
أنتِ لحنٌ موقَّعٌ في الدَّياجى | فوق ناىِ المحاسنِ العُلويهْ
رنَّ في حالكِ السكونِ صَدَاهُ | مُستثيراً منى الدّموعَ العَصيَّهْ
أنت يا موقظ الغرامِ ملاكٌ | صِيغ مِنْ رقَّةٍ لروحٍ شقيَّهْ
أنت فجرُ الحياةِ في صَفحةِ الحبِّ | وذكرى مِنَ المُنى الذهبيَّهْ

حسن محمد محمود

انداء القلب

(إن أقلّ العاشقين حباً يظل سيد الآخر)

مهدُ الغرام معطَّلٌ (بالمنيلِ)[1] | وصمدتَ أنتَ اليه لم تتحوَّلِ
ودعاكَ صحبك للمسير فلم تشأ | عيناك بُعدَ حنانه المتمثِّلِ
وتركتَ نفسك بالخيال حياله | تطويه طيَّ التائهِ المتعجِّلِ
أسوان كالأمل المخيِّب تائهاً | في نفس مَنْ أمَّ السراب ليجتلى
حيران .. تبسمُ ثم تبدو عابساً | كالومض في جوف الظلام المسدَلِ
وتُخال بسّاماً وأنت محطَّمٌ | كالورد جفَّ وطاف ذكرُ البلبلِ
لولا اختلاجُ العين منك وأنةٌ | لحَسِبتَ تمثالاً لروح المبتلى
عتبٌ يفيضُ وداعةً وعذوبةً | كالزهر مال الى النسيم المقبِلِ
وتفيضُ تحناناً شجياً مائلاً | في دمعةٍ كندى الصباح المرسلِ
وتئنُّ كالصوت الحزين وقد جرتْ | ريحٌ خلال الشاطىء المتآكلِ
أو صوتُ إعصارٍ يهبُّ محطماً | في الليلِ صومعةَ الحزين المختلى

محمد احمد رجب
(المحامي)

(١) المنيل : جزيرة المنيل المشهورة بالقاهرة

ثورة القلب

لكَ يا حبيبَ الروحِ ما تهواهُ — فارحمْ محبَّكَ واستمعْ نجواهُ
يا فتنةً للناظرينَ وساحراً — تاهتْ عقولُ الناسِ فيكَ وتاهوا
قدَّمتَ لى كأسَ الهوى فشربتُه — وشربتُ من خمرِ الرِّضا أحلاهُ
لكم التقينا يا حبيبي والهوى — فى نفسنا يسرى بها مسراهُ
بين المروج الناضراتِ يضمنا — صدرُ الحنين وقلبهُ ويداهُ
كم مرّةٍ والليلُ أرخى ستره — والبدرُ أرسلَ للوجود سناهُ
والكونُ نام وكلُّ شيء هاجعٌ — وأنا وأنتَ سواهرٌ والله
والنيلُ يسبحُ هادئاً متباطئاً — تحنو عليه مروجُه ورُباهُ
وكأنّ أعناقَ النخيل تمايلتْ — طرباً لسحرِ جمالِهِ ودُواهُ
ما أجملَ الليلات فى ظلِّ الهوى — ورياضه ونخيله وسماهْ
بدرٌ يطلُّ ونخلةٌ إلفان حوْ(م) لهما رُبىً وحدائقٌ ومياهُ
لمَ يا حبيبي لم تصن عهدَ الهوى؟ — أنسيتَه وقريبةٌ ذكراهُ ؟
يا شدَّ ما ألقى وأكتمُ زفرتى — وأقولُ إنى فى غدٍ سأراهُ
بعدَ الغدُ المنشودُ وانقطع المنى — واليأسُ شاع بمهجتى معناهُ
عد للمحبِّ يعد اليه هناه — قد طال يا روحى عليك نِداهُ
كم كنت تضحك إن سمعت وشاية — مِن عاذلٍ واليوم . . وا أسفاهُ !
اليوم تتركنى فتترك مقلة — تبكى ، وقلباً خافقاً بجواهُ
يا هاجرى آمنتُ أنك ساحرٌ — سلبت رقادَ نواظرى عيناهُ
ما كنت قبل هواى الا دمية — مجهولة واليوم قيل إلهُ
قد كنتَ مغموراً وحسنك نائياً — قصرت عيون الناس عن مرآهُ
لما عشقتك ضجَّت الدنيا لنا — وتحدثت بجمالك الأفواهُ

أنا من أشدتُ بحبك السامى أنا وجَلوْتُ فى شعرى لهم معناهُ
وزففتُ حسنك للوجود بحفه نغمُ القريض وسحرُه وضياهُ
أسبلت من شعرى عليك غلالة فتطلعتْ لك أعينٌ وشفاهُ
يا هاجرى أخشى عليك من النوى فتعالَ قبلَ وقوع ما أخشاهُ
فى القلب بركانٌ وإنْ يك هادئاً فغداً سيطلق نارَه ولظاهُ
وغداً تثور جوانحى بسعيرها وغداً يضلُّ القلبُ عنْ مثواهُ
وغداً ستعلم ما هوايَ وقدره وغداً ستذكر كلَّ ما تنساهُ
وغداً ترى الدنيا عليك تقلبتْ وتكاثرت مِنْ نوْعك الأشْباهُ !

مأمون الشناوى

امس !

يا حبيبى بَرَدُ المِقدُ ولم يبرد على الرشف — صداىْ
وانقضى أو أوشكَ الليلُ ولمَّا أقض مِن فِيك َمُناىْ !

* * *

آه ما أحلاكَ فى قلبى وعينى وذراعى ولسانى !
ليتنى أفنى بعينيك فأحيا فى نعيمٍ غير فانِ !

* * *

لو َعبرْنا الدّهرَ ضماً واعتناقاً لا أرى يُشفى غليلى
ياحياتى ! ساعةٌ تعدل منك الدهر ليست بالقليلِ !

* * *

أنت دنياى ودينى ومعادى وضلالى وهداىْ
ليت شعرى عنك يا روحى أنفسى أنت أمْ أنت سواىْ ؟

* * *

يا حياةَ الرُّوح هل صاغك ربىّ من فؤادى وهواهْ
أم برانى الجسدَ الهامدَ مَنْ أودعَ لى فيك الحياهْ ؟

* * *

ذاك أوهذا فانا مهجةٌ واحدةٌ فى جسدينْ
فاذا نحنُ أعتنقنا فتَصَلٍّ ضمَّ لله اليدينْ !

* * *

واليوم !

وانطوى العهدُ، وأفردتُ لأشقى عائشاً فى نصف روحٍ
ليته نصفٌ سليمٌ غير ممنىٍّ بأشتاتِ الجروحِ!

* * *

فلأمتْ بعدكَ كى ألقاكَ ، أو فلأحيَ بالذكرى لحين
وعزائى فى يقين أننى ألقاكَ فى دار اليقينْ

على احمد باكثير

فى بيداء الذكرى

تبدّتْ شموسُ الوجدوانمحق الصبرُ وأطربنى ماضٍ يهيّجه الذكرُ
ولاحت رسومُ الحبّ حمراً كأنها مقاييسُ نيرانٍ بليلٍ ولا بدرُ
فهل من دم العشاق تروى رسومه وهل من سنا الآهات يلتهب القفرُ ؟
هنالك ريعانُ الشباب ممزّقٌ وثَمَّ فِضالٌ للفتوة مُنْطرِ
قضينا به حيناً نُدارى به الهوى وشمنا به حسناً يخرُّ له السحرُ
يذيع رسولُ الحب فينا رسالةً : عزوفٌ عن التقبيل فى شرعها كفرُ
وتعمى عيون لا ترى الحسن نورها ويحرق قلبٌ ما عليه له قسرُ

أقمنا منار الشوق والحبُّ مدلجٌ ... فلم يعره عسرٌ ولا نابَهُ هجرُ
إذا الدهر عادانا ففي الحب ناصرٌ ... أو اللهو نادانا تنزى بنا الصبر
لنا من مُباحات الطبيعة شافعٌ ... ومن دولة العشاق ذو شوكةٍ بَرُّ
ومن عنفوان الحبِّ هادٍ وحافزٌ ... اذا نحن أذنبنا وضاق بنا الأمرُ
فكم من ليالٍ أغمض الدهرُ عينه ... بها عن تملاهينا وفي قلبه جمرُ
تشبُّ بها الأشواق شبّاً مروّعاً ... فتطفأ حتى ما يحسُّ لها إثرُ
عناقٌ وتقبيل وضمٌّ ورقة ... وسكر حديث ليس يشبهه سُكرُ
فنثمل حتى لا نرى غيرَ جنةٍ ... جناها الهوى الريانُ والملتقى الزهرُ
يُصيخ الينا الدّهر من برج سجنه ... فيسمع ما فيه السعادة والنصرُ
كففنا عداء الدهر عن أمنِ حبنا ... وأهنأُ حبٍّ ما يكفُّ به الدهرُ

* * *

يقولون لى: بالغتَ في وصف حبها ... فقلت لهم: كل الذى قلتُه نَزْرُ
أغار عليها أن تكلم واحداً ... وإن بسمت للناس أدركني عسرُ
وتظلم نفسى إذ تغيب فانها ... أضاءت لىَ الدنيا فطاب لىَ العمرُ
وربتما ثار الدلالُ برأسها ... وأيّده روحُ الشبيبة والمكرُ
فتنفر منى كى أراها عزيزةً ... وأسمع عنها ما يراد به الزجرُ
ويظهر لى منها إباءٌ وقسوةٌ ... وتمنعُ حبى أن يكانفه اليسرُ
وما كنت بالمغضى اليها تودّدى ... ولكنها ودّت فكان لها الأمرُ
وأحسبها جدّت فأنصاع تائباً ... وأهجرُها فاللومُ يأنفه الحرُّ
وآسى على ما قد أضعت بحبّها ... وأطفىء قلبى كى يقرّ به الصبرُ
فتغضب منى غضبةً لا أرى لها ... مزيلاً سوى أن يوقد القلب والعذرُ
فأصبح ذا ذنبٍ وقد كنتُ معذراً ... وأرجع مهزوماً وكان لىَ النصرُ
وتظهر لى حباً يريني خُلوجَها ... لقلبي فيهتاج التشوّقُ والجبرُ
فأغفرُ ما قالت وأنسى الذى أتت ... ويدرك حبي بعد موتته النشْرُ

* * *

أخادع نفسى بالتنامى لعلها ... يهون عليها الحبّ أو يبدل الأمرُ
وأصرف بالى أن يطور بذكرها ... مخافة أن أشقى ويطغى بىَ العسْرُ
فوالله مُذْ خادعت نفسىَ أسرفت ... بتحنانها المضنى وزاد بها الشرُّ
فقولوا لها إنْ تحتمل شدّة النّوى ... فانى لذو حزنٍ يهونُ به القبرُ



مصطفى جواد

أهان عليها أن يرى الناس أننى ... على حالةٍ يأسى لها الشامتُ الغرُّ
هو الحبّ لا نارٌ فأرجو خمودها ... هو الشوق لا قصدٌ يعين به الصبرُ

* * *

شباتى المبتسرات

أُحنَ مثل النجوم فى الظلماء ... فهدينَ الأسى الى مرّأئى
ولقد كنتُ قبلهنّ منيعاً ... فتداعَى حصنى وطاحَ لوائى
لم أجد من بياضهنّ شفيعاً ... فبياض الأكفانِ للأرزاء

حُجج لانقضاء عهدِ شبابى ناطقاتٌ لدى احتجاج القضاء
كلما رمت خضبها أوعدتنى بنماء يزيل ستر الرياء
هنّ فى موطن[1] النُّهى كسيوف مصلتاتٍ لقطع كل هناء
إن تنزّى فى القلب لهو فأبرق ن له خرَّ صاعق الاغماء
نذر الهمّ واقتراب المنايا وارتحال الصّبا وبعد الفتاء

باريس : مصطفى جواد

عهـــد المياه

(مهداة الى الدكتور ابى شادى)

تظلُّ تعاودنى الذكرياتُ وترقص فى خاطرى كل حين
وتضحك فى القلب مجنونةً بعهدِ المياه ! فهل تذكرين ؟

* * *

هناك على الشاطىء اللؤلؤىّ وتحت مظلتك الوارفه
جلسنا نغنى نشيد الغرام على نغم الموجة العازفه
وتسعى الينا قلوبُ المياه لتسمع ما تنشد العاطفه
تودُّ الموجات لو داعبتنا وفاضت على روحنا الهاتفه
فتلقى مؤامرةً فى الرمال فترتدّ للبحر كالخائفه
وتشتعل النار فى جسدينا وتلهبها الشهوةُ العاصفه
فنمضى لنطفئها فى المياه فتهتزّ فينا اهتزاز الحنين
وتضحك فى القلب مجنونةً بعهدِ المياه ! فهل تذكرين ؟

* * *

فذوّبتُ قلبىَ فى قطرةٍ وذوّبتِ قلبكِ فى أختها
ووحدتُ الشهوةُ القطرتين فبدّدتا السحب عن كبتها

(١) هو الرأس كما جاء فى شعر أبى تمام.

واطلعتـــاها مجوســــيةً تحشرجت النارُ فى صوتها
فرحنا الى صخرةٍ فى الميــاه أجادت يد البحر فى نحتهـا
ولم تُبقِ ساكنةً فى النوازع إلا عـدونا على بيتهـا
نكفر عن عهد حرمانها ونصرخ بالبعث فى ميتها
فغنَّتْ مع الصيف حتى انتهى فعادت الى يأسـها تستكينْ
وتضحـك فى القلب مجنونةً بعهدِ المياه ا فهل تذكرينْ ؟

* * *

فيا جسداً أفرغ الله فيــه أجـــلَّ نهاه وألوانهِ
وأنزله نـيراً كالرســول وأوحى اليـــهِ بقرآنهِ
سجـدتُ لتمثاله العبقريِّ وطهّرتُ روحى لفنـانهِ
فكم آية فى ثنـايا العيونِ تردّ الشرودَ لايمـانهِ
ويا هيكلا للهوى والشبابِ وهبتُ الحيـاة لأوثانهِ
وأحرقتُ روحى وقرَّبتهـا بخوراً يضيـع بأركانهِ
تمـاودنى خطرةٌ عـذبةٌ تجوس خلال مكانى الحزينْ
وتضحك فى القلب مجنونةً بعهدِ المياه ا فهل تذكرينْ ؟

صالح جودت

البيت الموحش

تحدَّثْ وثُرْ يا بيتُ ثورةَ حانقٍ وحدِّثْ ففى قلبى رنينُ الخوافقِ
تحدَّثْ عن الذكرى وقصَّ حديثها ففى قلبيَ المكلوم زفرةُ وامقِ

* * *

لئن كانت الذكرى تقرّبُ ساعتى وتحبس أنفاسى وتخرس ناطقى
فانى فـداء الحب والموت أرتجى لعلى أرى فى الموت راحةَ عاشقِ !

محمد مصطفى الطنبولى

الزورق المحطم

(من ديوان « الغمائم » المعدّ للطبع)

بكى الشاعرُ بهذا الموشح زورقاً كان مسرحاً لملذاته ونزهاته مع حبيبة قضى عليه أن يهجرها ، وقد حطمت العواصف هذا الزورق الصغير على صخور جزيرة الحب (إيليا دوس اموريس) وهى من الجزر المشهورة بجمالها فى عاصمة البرازيل يؤمّها العاشقون للنجوى

طافياً والريح فى تحطيمه ... لاتنى — والموج يرغى ويفورْ
كافح التيارَ حتى لم يَعُدْ ... من سبيلٍ يتقى سوءَ المصيرْ
فاحتواه الشطُّ ، لكن قِطعاً ... بعثرتها الريحُ مابين الصخورْ
تهمس الأمواجُ فى أخشابهِ ... همسات الفأس فى الغاب الكبيرْ
رُب سرٍّ صانه الموجُ الى ... زمنٍ باح به للزورقِ
انما الناس سفينٌ تائهٌ ... فى عباب الدهر رهن الغرقِ !

* * *

أيها الزورق ! كم من نزهةٍ ... فى حواشى الليل تُغرى الشفقا
كنتَ للذّة عشاً دافئاً ... كنتَ للآمال روضاً مورقا
كنت دنيا الحبِّ بل جنّتَها ... لحبيبين عليك اعتنقا
قطع الفجر شراعاك اذا ... صفقت كفُّ النسيم اصطفقا
والمنى أغنيةٌ مسكرةٌ ... يختفى فيها أنينُ الألمِ
والهوى كأس لذيذ ، انما ... فى قرار الكأس طعم العلقمِ !

* * *

كنتَ كوخَ الحب بل قصر المنى ... يوم زيّناك بالشىء العجبْ
يوم ليلى عقدت من شعرها ... بمجاذيفك أسلاك الذهبْ

وحبتك الورد فى ألوانه حُللاً تسطع بالشمس لهبْ
زينةً فى عُرُسِ الوصل على قُبَلٍ تسترقص الموج طربْ
يا لها من ذكريات حلوة تختفى (ليلاى) فيها وتعودْ
فيريني الهوى ماثلةً تحت ضوء البدر فى الشط البعيد!

* * *

ها بنانُ الفجر فيما زركشت فوق بُسْط الرمل من شتى الصُّوَرْ
والمجاذيفُ التى خطّت على لوحة الأمواج آياً وسُوَرْ
والتماثيلُ التى شدنا على مذبح اللذة فى ضوء القمرْ
قد محاها الليل فى قسوته فتلاشت أثراً بعد أثرْ
هكذا الأحلام فى عهد الصِّبا بعد ما حنطها القلب الكئيبْ
قد توارت فى دجى الذكرى كما تتوارى الشمسُ فى نعش المغيبْ!

* * *

أيها الزورق فليطغ الدجى وليئنّ الموج ولتعوِ الرياحْ
هل ترى الصياد يخشى بللاً بعد أن أعياه فى اللجّ الكفاحْ
هل يبالى الطير والزهر ذوى ان غدت أنغامه الفرحى نواحْ
ما عنى الروضة إن جردتها من سناها غاب أم لاح الصباحْ
أيها الزورقُ ما أوجعنى انّ أحلامىَ ولّت كالربيعْ
مثلما أوجعنى أنى أرى كيف لذاتىَ محطوماً خليعْ!

ريودي جانيرو : شكر الله الجر
(صاحب الاندلس الجديدة)



ذكريات

حينما كنّا على عرشا الهوى وتعلقنا بأذيال المُنى
هتف الليلُ بنا أنْ أسرعوا قبل أن يأتيكمُ عهدُ الضنى

* * *

شهد الليلُ علينا أننا في رياض الحب كنا راتعينا
شهد النجمُ علينا أننا في انتهاب السهد كنا مسرفينا
شهد الروضُ علينا أننا من زهور الوجد كنا قاطفينا
فغدا الليلُ صباحاً مسفراً يخجل الشمس ضياءً وسنا
فنود الليلَ يبقى سرمداً ونهاب الصبح إن وافى لنا

* * *

حينما بتنا على عرش الهوى فغدا العالمُ لا شيء لدينا
ليس الا الحبّ فيه ماثلاً نعبد اللقيا ونخشى بَعدُ بيننا

* * *

أقبلت تحت الدجى من خوفها تسرع الخطوَ وتخشى الرقباءْ
وبدا ثغرٌ لها في بسمةٍ جعلت ذاك الدجى صبحاً أضاءْ
رحمة الله لها مِن مهجة فقدت غير فؤادى الرحماءْ
فرض الناس عليها رأيهم ورأت في صدّها كذباً ومينا
وافقتهم في خداعٍ وانثنت لتقول الحبُّ ياذ الحب أينا؟!

* * *

حينما بتنا على عرش الهوى صمتَ السكونُ وكنا ناطقينا
شفتّها ماشفّ جسمى من جوى فالتقينا وافترقنا خائفينا

* * *

كلما آلمنا جرحُ الهوى ضحك لحسنُ وكلٌّ في عنادهْ

كلنا من جرحه في ألمٍ ... ويرى الحَيْنَ على كفٍّ بعاده
نفد الصبر فصرّحنا ولم ... يتمكن ذو رشادٍ من رشاده
فغرقنا بدموعٍ لججٍ ... مذ غدونا بهوانا ظالمينا
لست أنسى ليلة بتنا بها ... بكؤوس الوجد غرقى ثملينا

* * *

حينما بتنا على عرش الهوى ... صمت اللفظ وناجتني العيون
أسفاً ! لم أدر يوماً أن ما ... أوحت الألحاظ للقلب المنون

* * *

نظرت نحوي وأوحت بالوداع ... نظرة طالت وطالت واستقرت
فتنهدت ولم أملك دموعاً ... هي فوق الخد كالغيث استهلت
عجباً للوصل كم ولى سريعاً ... ولياليه سنا البرق تولت !
وانقضى العهد فلا شيء سوى ... ذكرياتٍ هي في القلب شجون
ذاب منها الجسم يا صاح جوًى ... قائلاً للحين : أيان تحين ؟

عبد الغني السكني



تكريم الدكتور ناجي

(هذه هي القصيدة التي ألقاها الدكتور ابراهيم ناجي وكيل جمعية أبولو في الحفلة التكريمية التي أقيمت لمناسبة صدور ديوانه وقد أشرنا اليها من قبل)

يا صفوةَ الأحبابِ والخلانِ ... عفواً اذا استعصى عليَّ بياني
الشعرُ ليس بمسعفٍ في ساعةٍ ... هي فوق آيِ الحمد والشكرانِ
وأنا الذي قضّى الحياةَ معبراً ... ومترجماً لخوالج الوجدانِ
أقفُ العشيةَ بالرفاق مقصّراً ... حيران قد عقدَ الجميلُ لساني
يا أيها الشعرُ الذي انطلقت به ... روحي وفاض كما يشاء جناني
يا سلوتي في الدهر ، يا قيثارتي ... مالي أراكِ حبيسةَ الألحان ؟!
أين البيانُ وأين ما غنيتني ... أيام تنطلقين دون عنانِ ؟!
نجواكِ في الزمن العصيب مخدِّرٌ ... نامت عليه يواقظ الأشجانِ
والناسُ تسأل ، والهواجسُ جمةٌ : ... شعرٌ وطبٌّ ، كيف يتفقان ؟!

* * *

الشعرُ مرحمةُ النفوسِ وسرُّهُ ... هبةُ السماء ومنحةُ الديانِ
والطبُّ مرحمةُ الجسومِ ونبعهُ ... من ذلك الفيض العليّ الشانِ
ومن الغمامِ ، ومن معينِ خلفهُ ... يجدانِ إلهاماً ويستقيانِ

* * *

يا أيها الحبُّ المطهِّرُ للقلو ... بِ وغاسلَ الارجاس والأدرانِ
ما أعظمَ النجوى الرفيعة كلما ... يشدو بها روحان يحترقانِ !

أنِفا من الدّنيا وفى جسديهما ذلُّ السجين وقسوةُ السجّانِ
فتطلعا نحو السماء وحلّقا صُعُداً الى الآفاق يرتقيانِ
وتعانقا خلفَ الغمام وأترعا كأسيهما من نشوةٍ وحنانِ

* * *

أكتُبْ لوجهِ الفنِّ لا تعدلْ به عرضَ الحياة ولا الحطامَ الفانى
واستلهم الأُمَّ الطبيعةَ وحدها كم فى الطبيعة من سرىٍّ معانى؟
الشعرُ مملكةٌ وأنتَ أميرها ما حاجة الشعراء للتيجانِ ؟
(هومير) أمرّه الزمان بنفسه وقضت له الأجيال بالسلطانِ

* * *

اهبطْ على الأزهار وامسح جفنها واسكب بذاك لظامىءٍ صديانِ
فى كلّ أيك نفحةٌ وبكل روض طاقةٌ من عاطر الريحانِ

ذكرى الشابى

فى التاسع من شهر اكتوبر المنصرم مات بذات الصدر أبو القاسم الشابى شاعر تونس الفذّ ومن نوابغ شعراء الشباب فى العالم العربى . وُلد أبو القاسم فى « توزر » ودرس القرآن فى جامع الزيتونة ، وحصل على شهادة الحقوق من كلية الحقوق التونسية وقضى حياته كلها فى تونس لم يبرحها ، ومنحها عصارة روحه وذهنه فى روائع قصيده فى الوطنية والحديث الى الشعب بآلامه وآماله ، حتى وهو فى (طبرقة) يصارع الدّاء الذى صرعه . ولكن الشابى مع ذلك لم يكن فقيد تونس بمفردها لتبكيه ، بل كان فقيد العالم العربى بأجمعه ، فكان لزاماً على مصر والعراق وسوريا وبلاد العرب أن تبكيه كلسان من ألسنة الشرق التى وقفت للغاصب ، وهبطت من عليائها لتتحدث عن الحرية وتدعو اليها . ولكن العالم العربى الذى بكى الشابى يوم أن نعاه النعاه نسى الشابى عند ما مرت بموته ساعات ، ونسيت كل أمة بضحاياها فقيد

العرب ، وكان كل ما قدمته تونس للشاعر الفيلسوف حفلين أقيم أولهما فى الحادية والعشرين من أكتوبر والثانى (موسم تأبينه) فى الثالث والعشرين من نوفمبر ، وكان نصيب الشاعر الفيلسوف حفرة من الأرض فى الوطن الذى ضاق به ، وكانت هكذا نهاية الشاعر الذى قال :

« فتهافتُّ — كالهشيم على الأرض »
« وناديتُ : « أين يا قلب رفشى ؟ »
« هاته ، علَّنى أخطُّ ضريحى »
« فى سكون الدجى ، وأدفن نفسى ! »

وقد وافانا بريد تونس الأخير بحديث طويل عن الحفلين فى رسالة وُسمت بعنوان « ذكرى الشابى » نشرها صديقه الأديب الطيب العنابى خريج جامعة الزيتونة الأعظم ومدرسة ابن خلدون . . وعدد من مجلة (العالم الأدبى) التى يصدرها الصديق الألمعى زين العابدين السنوسى . وفى العالم الأدبى قرأنا حديث حفل التأبين : الموسم الذى جمع أدباء تونس وشعراءها للاحتفال بذكرى الشاعر النابغ . وفى ثانى الحفلين — موسم التأبين — ساهمت الأمم العربية فرادى فصدح صوتٌ من القاهرة نيابة عن جماعة أبولو ومحبى الشابى بمصر فى قصيدة رائعة للصديق الشاعر مختار الوكيل فأشجى سامعيها ، وغرَّد صوتٌ من لبنان فى قصيدة للشاعر حليم دموس فأبكى ، وقرئت رسالة سورى من القاهرة بعث بها الصديق الأديب الناثر حبيب جامانى فناب قلمه عن قدمه وتحدثت كلماته بعبراته .

وقد أقام الحفل الأول جماعة الشبيبة المدرسية التونسية فرع جمعية قدماء الصادقية وافتتحها السيد الصادق المقدم رئيس الشبيبة المدرسية بكلمات مؤثرة فى الحثّ على تخليد ذكرى الشابى ، وخطب فى الحفل السادة محمد العربى أحد طلبة جامع الزيتونة والصحفى الطيب بن عيسى صاحب « الوزير » الغراء ، والصادق حمادة ، ومصطفى خريف ، ومصطفى التملاغى ، ثم قرئت كلمة نثرية للشاعر محمود ابى رقيبة وقصيدة للشاعر السيد مفدى زكريا ، وارتجل الشيخ مصطفى المؤدب المتطوع بجامع الزيتونة بحثاً بليغاً عن مظهر البؤس فى شعر الراحل الكريم ، وتحدث عن تبرُّم الشابى بالحياة فى قصيدته التى جاء فى مطلعها :

يا صميم الحياة ؟ انى وحيدٌ مدلج تائهٌ فأين شروقك ؟

يا صميمَ الحياة ! انى فؤاد   ضائعٌ ظامىءٌ فأين رحيقُكْ ؟
يا صميمَ الحيـاة ! قد وجم الناىُ   وغام الفضا فأين بروقُكْ ؟
يا صميمَ الحيـاة ! أين أغانيك ؟   فتحت النجوم يصغى مشوقُكْ

والتى جاء فيها :

سأمٌ هـذه الحياة مُعادٌ   وصباحٌ يكرُّ فى إثر ليلِ
ليتنى لم أفد الى هـذه الدنيـا   ولم تسبح الكواكبُ حولى
ليتنى لم أزل كما كنتُ ضوءاً   شائعاً فى الوجود غيرَ سجينِ

ووقف الأديب الفاضل عند هـذا الحديث من التبرم والضيق ، وهـذا التبرم كبير الصلة بما رُمى به الشابى فى حياته من زندقة وما اتهم به من الحاد . فالناس لم يفهموا فلسفة الشابى حيـاً ؛ فلمـا مات نسوا زندقته وإن كانوا لم يفهموا فلسفته بعد ، فأقيمت له حفلات التأبين وأشيد بفضله على الشعر فى عصر التطور والتجديد .

وأقيم حفـل التأبين فى القاعة الكبرى لمسرح الجمعيات بشارع باريس فى تونس وخطب فى هذا الحفل السادة محمد الصادق مازيغ وزين العابدين السنوسى ومحمد الفائز القيروانى ومحمد الحليوى ومحمد عبدالخالق البشروش ومحمد بدره والبشير القرنى ، وأنشد الشعراء الأفاضل محمود بيرم ومحمود أبو رقيبه وجلال الدين النقاش ومحمود الرخصى ومفدى زكرياء مراثيهم، ثم تلقيت مراثى أدباء الأمم العربية الذين أحبوا الشاعر حياً فتوافروا على رثائه ميتاً ، من ذلك جاء فى قصيدة الشاعر مختار الوكيل :

يا صاحبَ الناى الذى   أنغامهُ فِتَنُ الربيعْ
ومحركَ الآمال والآ   لام باللحن الرفيعْ
ومعانق الشفق المذهّب فى خيالات القصيدْ
هجى لصمتك والصباحُ   ضياؤه يُغرى الفنونْ
والصادحاتُ الوادعاتُ طفرن ما بين الغصونْ !

وبعث الشاعر حليم دموس من الجبل مرثيته وفيها يقول :

الى تونس الخضراء من أرز لبنانِ   لواعج أشجانٍ وآيات تحنـانِ
سلامٌ عليهـا فهى دارُ أحبةٍ   ومجمعُ آدابٍ وشرعةُ عرفانِ

* * *

أبا القاسم الشابي عليك تحيةٌ من الأرز من صنين من أرض لبنانِ
ومن كل مصرٍ يعشق الضادَ أهلُه ومن كل قطرٍ يزدهي باسم عدنانِ
فنم في ظلال الخلد فاسمك خالدٌ يردده التاريخ في العالم الثاني

وكان خير ما قيل في رثاء الشابي الدراسة القيمة التي ألقاها السيد محمد الحليوى ، وقد جاء فيها عن قدسية الشعر : « وليس في ديوان الشابي بيت واحد قاله في غرض من الأغراض الزائلة أو في مطلب من المطالب العارضة أو في خصوصية من الخصوصيات أو في شخصية من الشخصيات بينما لا يخلو ديوان معاصريه في الشرق العربي من قصائد في الاخوانيات والخصوصيات ، هذا إن لم تكن في توديع المسافر ، واستقبال القادم ، وتكريم الممثلة والمغنى ، والباني والمتصدق ، وحتى الناجح في مباريات لعب الكرة . وهذا هو فضل الشابي على الشعر العربي الحديث وعظمة قصيده كانتاج شاعر فرد ، فقد ضرب الشابي للشعراء أحسن الأمثال في الخروج بالشعر عن الأغراض الدنيوية ، وايقافه لحديث السياسة ، وبثّ روح الوطنية في قلوب أبناء الوطن المنكوب للدفاع عن حريته ، ولم ينصرف الشابي الى الدنيا حتى في حديثه عن المرأة . وللمرأة في شعر الشابي نظرة جديدة : فالمرأة في الأدب العربي ملهاةٌ يجد الرجل عندها متعة الجسد ، والشاعر في الأدب العربي القديم والحديث اذا ما تحدّث عن المرأة ذكر الخصر والردف والقامة والعينين والفم والوجه ، ولكن الشابي رآها النصف الجميل الذي يحمل في قلبه رحيق الحياة . وجمال المرأة في نظر الشابي طيف من ضوء الجمال الكلي في الوجود . واسمعه يقول فيها :

أنتِ ! ما أنتِ ؟.. أنت رسمٌ جميلٌ عبقريٌّ من فنّ هذا الوجودِ
فيكِ ما فيهِ من غموضٍ وعمقٍ وجمالٍ مقدّسٍ معبودِ

وقد عرض السيد محمد الحليوى الى أثر لامارتين في شعر الشابي وخرج بهذا على زعم أن الشابي قد قرأ كل ما عرب للامارتين وخصوصاً (روفائيل) وقاس الصلة بينهما بقياس التشبيه الذي تماثلا فيه قال : « فالشابي شبه الطبيعة بالمعبد ولامارتين شبه السماء بالمعبد والسحاب بالبخور والنجوم بالشموع التي تضيء ذلك المعبد ، على أني أعتقد أن الصلة بعيدة فالشابي كان أبداً أسمى معنى من لامارتين ، فهذا يقول في

قصيدته (البحيرة) : « أيتها الأرض قفي دورانك ، وأنتِ أيتها الساعات قفي جريانك ودعينا نتمتع بعاجل لذاتنا وننعم بأجمل أيام شبابنا ! » ولكن الشابي يقول في قصيدته (الحانى السكرى) :

قد سكرنا بحبنا واكتفينا   طفح الكأسُ فاذهبوا يا سقاةُ !

نحن نحيا فلا نريد مزيداً   حسبنا ما منحتِنا يا حياةُ

وأعتقد بالاضافة الى هذا أن روح الشابي لم تتصل الا بروح جبران ، وأن الصلة لم تبد بينهما الا فى الأحزان . وأذكر أنني قلت عن هذه الصلة فى مقالي عن أبي القاسم الشابي الذى كتبته لمجلة (الامام) : « وقلت لك إن الشابي وجبران روح واحدة فى جسدين ، ولكن ليس معنى هذا بحال ما أن الشابي نما على مائدة جبران ، وقد تكون الصلة التى ربطت بين آرائهما ووجهتهما فى الحياة أن كلا منهما عاش حائراً فى الوجود ، وتقرأ للشابي قصيدته (الأشواق التائهة) وتطالع لجبران مقطوعته المنثورة « الشاعر » فتدرك لهذه الحيرة عواملها وأسبابها .. »

وبهذين الحفلين انتهت ذكرى الشابي التى دُعى لها فى العالم العربي بأجمعه ، وقد حملت الينا الصحف فى الشهر الماضى بضعة أحاديث عن شعر الشابي لجماعة من أدباء تونس وشعرائها ولكن هذا كله فى مجموعه لا شيء الى جانب جهاد الشابي من أجل العرب والعربية ، وهى تقدمة تافهة مدت يدها بها تونس لشاعرها الفذ بعد أن وُوري فى أشبار من الأرض كانت هى كل نصيبه فى الحياة الدنيا ! رحم الله الشابي ، وعزاء لتونس ، وعزاء للغة الضاد !

عبد الفتاح ابراهيم



ندوة الثقافة

مـــذكرة

مرفوعة إلى أصحاب الدولة والسعادة وزراء الداخلية والزراعة والمعارف والمالية

تتشرف ندوة الثقافة بعرض ما يأتي : —

تشمل هذه الهيئة جمعيات مختلفة لخدمة الصناعات الزراعية والاقتصاد والشعر والأدب الشعبي ، ومن أجل ذلك تصدر خمسّ مجلات هي أبولو والأمام ومملكة النحل والدجاج والصناعات الزراعية .

وقد لقيت هـذه الهيئةُ شيئاً من المعاونة من الحكومات المصرية المختلفة لأنّ صبغتها الثقافية المستقلة جعلتها دائماً أهلاً لذلك ، ولكن هـذه المساعدة لم تكن كافية لموازنة ماليتها فكانت النتيجة بعد مرور هذه السنين تراكم الديون عليها مما يجعلها مضطرة الى ايقاف جميع أعمالها ابتداءً من سنة ١٩٣٥ اذا لم تجـد المناصرة الكافية من الوزارات والمصالح المختصة سواء باعانة مالية أم باشتراكات كافية في مجلاتها التى هى الوحيـدة من طرازها فى العالم العربي وتسدّ فراغاً محسوساً فى الثقافة العربيه المنوّعة .

وهناك عاملٌ آخرٌ هامٌ له كلّ الاعتبار فى استمرار أعمال الندوة أو ايقافها : ذلك أن مشروراتها الفنية كانت ولا تزال تجد مقاومة عنيفة فى بيئات بعينها من الموظفين بسبب البيروقراطية المتفشية ، على أن أكبر الأمل أن تتحوّل هـذه الحالة فى العهد الجديد الى ما هو أصلح منها ، فلا يرى ذلك الطرازُ من الموظفين أن من الواجب عليهم تستّر بعضهم على بعض ولو ضاعت المصلحة العامة ، ولا يرى أىّ غضاضة فى التعاون المشترك بين الفنيين داخل الوزارة وخارجها لخير الوطن .

ولا تتعدّى مالية الندوة اشتراكات المجلات والاعانات المحدودة وكلّها توضع فى بوتقة واحدة يُنفق منها على جميع أعمالها ، فاذا جاء التقصيرُ فى بعض نواحيها فذلك بسبب قـلة الموارد نسبياً . وأما المحررون وبينهم سكرتير الندوة فيتبرعون بجهودهم بدون أىّ مقابل . وانّ هدفنا هو تحويل الندوة الى هيئة تعاونية مساهمة

تحت اشراف قسم التعاون ضمانة لشمول منافعها واستمرارها وأسوة بما هو جار في مملكة الدنمارك بصفة خاصة ، وهذا لا يتحقق قبل أن تنال الندوة ما يكفي أولا من المؤازرة الاعتيادية من فنية ومادية من شتى الوزارات والمصالح المختصة .

لذلك نتشرف بعرض هذه المذكرة على حضرات أصحاب الدولة والسعادة وزراء الداخلية والزراعة والمعارف والمالية تمهيداً لمقابلة وفد من أعضاء الندوة لحضراتهم وكلنا أمل أن تنال العناية التي يستحقها موضوعها وجهودنا في السنوات الماضية وهي خير تزكية لنا ؟

السكرتير العام لندوة الثقافة

نقد وتعليقات

نقد الشفق الباكي

(٢)

يرى الدكتور طه حسين أن النقد الأدبي هو تعبير تأثري يقوم على «الفوضى» وليس أحكاماً قضائية واجبة الطاعة . وكنا نؤثر أن يضع كلمتي «الاستقلال والحرية» في موضع «الفوضى» فالحرية روح الفن الذي تدعمه المواهب والقدرة ، والشخصية عنصر حيوي للفن ، ولكننا لا نستطيع أن نتصور الفوضى من عناصر الفن كما لا نتصور أنه يخدم بترحيب الصحف بكل من هب ودب .

فنحن مثلا نتذوق كتابة الدكتور طه حسين ولوجاءت ضدنا، لأنه أستاذ في نقده له دراساته وله نضوجه، فمهما تكن المؤثرات الوقتية عليه فآراؤه بلا شك جذابة في أسلوبها ، حتى ولو لم تكن مطابقة للحقيقة ، ونستطيع أن نتقبلها ونناقشها . ومثله في مكانته أهل لابداء الرأي النقدي كما أن للصحف أن تحفل الحفاوة الواجبة به مهما تكن ظروفه .

والعكس هو ماينطبق على الشباب الذي يغرر به لتسفيه معلميه . ولكن جريدة

(الوادى) لها نشوة خاصة فى الترحيب بهذا العبث ضدنا .ونحن اذا غفرنا لأحد محرريها المشهورين بالمناوشة والمهازحة قوله عن «آراء فى الشعر» : «وهناك رأىٌ ثالث يقول بتحرير الشعر من الوزن والقافية والمعنى واللغة ، وصاحب هذا الرأى وعلى الأصح أصحاب هذا الرأى جماعة أبولو » ـ اذا غفرنا مثل هذا الكلام الذى يقال جزافاً وما يتفرع عنه لانه أبعد ما يكون عن الجدّ ، فكيف نغفر لصحيفةٍ محترمةٍ مثل (الوادى) تسويد صفحتها الأدبية بكتابات الناشئين المتهجمين عن جهل وغرور على معلميهم ؟ !

ونحن اذا تناولنا بعض هذه الكتابات بتعليقنا فانما ذلك للفائدة الأدبية العامة ، لا لأن الكتابات ذات قيمة أدبية فى عناصرها ، راجين فى الوقت ذاته أن نقنع رجال هذه الصحف بخطأ التهاون ازاء ما يسمى بالنقد الأدبى من أقلام الناشئين ، وما هو إلا عين الفساد الأدبى والفوضى والتغرير الجانى على الشباب المفتونين ببلوغ الشهرة من أهون سبيلٍ ، ولو على حساب أساتيذهم !

* * *

يلهو ناقدٌ (الشفق الباكى) فى جريدة (الوادى) بالكلام عن الشعر المرسل والشعر الحرّ مقتطعاً التعابيرَ اقتطاعاً لتظهر سخيفةً لا رابط لها ولا معنى ثم لينعت ذلك « باللعب الفارغ » ، وهو بين الفينة والأُخرى يبكى على همزة وصل أُبدلت بهمزة قطع دون أن يفهم أنّ فى هذا لفتاً للذهن وتوكيداً خاصّاً لمناسبات فنّيّة توجب ذلك كالاشارة الى اسم الجلالة (ص ٨٠٣) .

وعزيزُنا هذا يرى أن « ترنيمة أتون » (وهى من نظم الفرعون الشاعر العظيم أخناتون) قد بلغت من التفاهة مبلغاً عظيماً ، وما ذلك الا لجهله بروحها التصوفية التى أكسبتها شهرة عظيمة . و « زيَّن » جهلَه بانتقادِ كلمةِ « حالٍ » فى مطلع هذه الترنيمة (ص ٩٦٣) :

تَبَلَّجُ الفجرِ حالٍ بأُفْقِ هذى السَّماءْ

فقال حرسه اللهُ إنّ صوابها أن تُكتَبَ « حالياً » كأنما لم يسمع فى حياته بوجوب رفع خبر المبتدأ !

وهو يلعن قصيدة « مملكة إبليس » (ص ١٠٢٣) ويلعن وشمَها الفلسفيَّ ومَراميها لا لذنبٍ جَنَتْهُ سوى طُولها وبُعْدِها عن النظم الايقاعيّ المعبود !

ولو فرضنا أنّ جميعَ الشعرِ المرسلِ والحرّ الذى فرضناه لم يكن شيئاً مذكوراً فليس هذا بالذى ينهض عُذْراً للسخرية من جميع شعرنا على اختلاف نماذجه ، حتى أدّى التغريرُ بصاحبنا العاجز هذا الى اعتبار قصيدتنا فى « الربيع » (ص ٥٧٤) خاوية « ليس فيها بيتٌ واحدٌ جميلٌ يُشعرك بأنّ هنالك ربيعاً حقّاً ، بل هى تشعرك بشتاءٍ موحلٍ قذرٍ » فليرجعْ اليها القراء ليروا الى أىّ حدٍّ تهبط الأحكام الأدبية ويبلغ إسفافُ الرأى ، فهذه إحدى قصائدنا التى نوّه بها غيرُ واحدٍ من كبار الأدباء .

وتجىء قصيدة « الشفق الباكى » (ص ٦٤٢) المصوِّرة لمشهد الغروب فى جهةٍ أثريةٍ ، وقد جاء فى مطلعها :

لا الشعرُ شعرٌ ولا الأوزانُ أوزانُ   إنْ فاتَهُ مِن شُعورِ الكونِ ميزانُ

فشاءت ألمعيَّةُ الناقد أن ترى فى البيت خطأً قبيحاً باعادة الضمير فى (فاته) على الشعر ؛ وأن الأصحّ أن يعود الضمير على الأقرب أو يشملها جميعاً فيقال « إن فاتها من شعور الكونِ ميزانُ » .. ولو تدبر حضرتُه لوجد أنّ فى هذا التوجيه الى « الشعر » معنى الحفاوة الخاصة بروحه قبل « الأوزان » التى تأتى تابعةً .

وفى هذه القصيدة وصفٌ لبعض الآثارِ عند الغروب كقولنا :

وذلك الهيكلُ المصدوعُ يَعلوُهُ   حُزْنٌ ؛ وتَطفُو على مَرْآه أحزانُ .

وهذه العُمُدُ — اللاّتى يُشقِّقُها   ذِكرٌ ووجدٌ — يَرَاها الآنَ تحنانُ

لها الشعاعُ غذاءٌ تَستعينُ به   على الزمانِ ، إذا لم يَقْوَ إنسانُ

وهذه الشمسُ فى الأجيالِ تحرسُها   كأنما هىَ بَعْدَ الله رحمنُ !

فهل يصدِّق أىُّ قارىء له مسكةٌ من الشعور والروح الادبية أن ناقدنا هذا تبلغ به السخافةُ أن يقول إنَّ هذا البيتَ الاخيرَ مسخٌ لبيت العقاد :

والشعرُ مِن نفسِ الرحمنِ مقتبَسٌ   والشاعرُ الفذُّ بين الناس رحمنُ

لا لسببٍ سوى أنّ كلمة « رحمن » وردت قافيةً لكلٍّ من البيتين وإن اختلف المعنيان كلَّ الاختلاف ؟! ومثل ذلك قوله إنَّ بيتنا فى ذكرى دنشواى (ص ٧١١) :

صادوا النفوسَ كأنهنَّ حمائمٌ   واسترسلوا فى الموبقاتِ وجاوَزوا

مأخوذٌ من قول حافظ ابراهيم :

إنما نحن والحمامُ سواءٌ لم تغادر أطواقُنا الأجيادَا

والبيتُ الأول يشير الى صيد النفوس كصيد الحمام ، والبيت الثانى يشير الى حالة الأمر التى عاناها المصريون . والاشارة الى « الحمام » طبيعية فى الموقفين وليست تقليدية ، كما أنَّ المعنيين مختلفان لكل ذى بصرٍ بالشعر .

وقضَى تمحُّكُ ناقدنا الألمعى بأن يرى فى مستهلّ قصيدة « النقد السليم » (ص ٧٣٠) انتهاباً لشعر أبى الأسود الدؤلى . فأمّا مستهلُّ قصيدتنا فهو :

إنْ تَطلبْ النقدَ السليمَ فلا تكنْ متحاملاً أو جاهلاً وعجولاَ
إبْدَأْ بنفسكَ مرشداً ومهذِّباً وتَلقَّ مِن درسِ البيان أُصُولاَ
واعلمْ بأنَّ الفنَّ غيرُ روايةٍ للفظِ كم نُشِرَتْ عليكَ فُصُولاَ
تَتعاقبُ الاجيالُ وهى بعينِها وتَدومُ مُلقاةً عليكَ فُضُولاَ
وتَنَوِّعُ الاصباغَ وهى مَريضةٌ فيَخالُ مظهرَها الغبيُّ جميلاَ !

وصاحبُنا العزيزُ يَرَى أنّ البيت الثانى أو شطره الأول مأخوذٌ من قول أبى الاسود الدؤلى :

إبدأ بنفسكَ فانهَها عن غيِّها فاذا انتهتْ عنه فأنتَ حكيمُ

وفاته تقدير التعابير الانسانية المشتركة فى المعانى العامة التى ليست من صميم الشعر ، ولكن حيلة العاجز المتعنّت أن يتمسّح بالنقد كما يفعل صاحبنا غافلاً عن الروح الشعرية المسيطرة على القصيدة وعن غاياتها !

ويروقه أن يؤاخذنا لترجمة البيت الأول من قصيدة كبلنج القصصية الشهيرة (ص ٧٤٦) التى يقول فى مطلعها وفى ختامها :

Oh, East is East, and West is West, and never the twain shall meet,
Till Earth and Sky stand presently at God's great Judgment Seat;
But there is neither East nor West, Border, nor Breed nor Birth,
When two strong men stand face to face, tho' they come from the ends of the earth!

وقد أسخطه أن نترجم كلمة «twain» بالتوأمين قائلاً إن الصواب « الاثنان » لا « التوأمان » لان التوأمين دائماً متصلان (كذا) ، وكما فاته معرفة صحة هذا الشعر الانجليزى فنشره مشوّهاً مُثبتاً أنه لم يقرأه فى حياته ، فكذلك فاته أن يعرف أن « twain » تأتى بمعنى « شطرين » وأنّ روح القصيدة عُلى الترجمة التى لم تعجبه ، وانّ هذه الترجمة اعتمدها من قبل غيرُ واحدٍ من الأُدباء الضليعين فى اللغة الانجليزية ولهـا صبغةٌ شعريةٌ ، بعكس كلمة « الاثنان » ، فالترجمة إذن ليست خطأً وإنما هى أدقُّ مما يتوهم صاحبنا المسكين ومَنْ يوسوسون له .

ولا عجب بعد ذلك اذا شقّ عليه أن يفهم معنى هـذه الأبيات فى قصيدة « لغتى » (ص ٧٤٧) :

قلْ للذى ما دَرى ما عبرت لغتى ... بهِ عن النفس مِنْ حِسٍّ وتفكيرِ
وقال ذلك زنديقٌ بلهجتهِ ... خفِّفْ مَلامَكَ!... لا تلجأْ لتكفيرِ!
لعلنى أفهمُ الرّحمنَ خالقنا ... فهماً جديراً بالهامى وتفسيرى
أعيشُ عيشةَ صُوفىٍّ بهجتهِ ... فى كلِّ آنٍ ، وحسبى روحُ تعبيرى
وكم دَعِىٍّ بتفكيرٍ وفلسفةٍ ... وكلُّ أحلامه أضغاثُ تغريرِ!

ولا عجب اذا قال : « إن هنا نفسية تشهد بخطئها ولكن فى أسلوب سقيم » .

ويعود صاحبنا المسكين الى حيرته فى استعمال علامات النداء التى قد تحل محلها علامات الوقت القصيرة فى اللغة الانجليزية والى حيرته فى الجوازات العروضية وفى معنى الحال ونحو ذلك من المسائل البديهية ... ويدفعه جهله بأسرار البيان الانجليزى الى تخطئة ترجمتنا لقصيدة الشاعر الغنائى و . ه . ديفز « تعالىْ ! تعالىْ ! حبيبة قلبى » تخطئة مضحكة فليرجع القارىء الى الترجمة والأصل فى الديوان (ص ٧٥٨ — ٧٦٠) . ولكنه معذورٌ على هذا التبجُّح مادام يجد من صحيفةٍ كبرى التشجيع الكلى لانتقاصنا عا يتفنن فيه من تعابير سمجة وقحة كما وجد غيرُه من بعض المجلات والصحف التشجيع العظيم للنيل من أخلاقنا وشرفنا فى حركة عدوانيةٍ واسعةِ النطاق خدمةً للمغرضين العابثين الذين لايجدون منا نصيراً لأنانيتهم الحمقاء .

وحسبك من هذا العاجز الذى تعتزّ جريدة (الوادى) ببطولته فى الهذيان والشتائم بين من تعتزّ بهم من أمثاله — حسبك منه إظهاراً لملكته الشعرية عجزه عن تفهم قول الشاعر ديفز لحبيبته : بادرى الى رؤية الصباح الجميل المنتظر افترقّ علينا المعية هذا الناقد العجيب بقولها : « لا يعنى الشاعر أن يقول لحبيبته إن الصباح انتظر! أو هو

منتظراً ولكنه يقصد أن يقول: تعالى قبل مضيّ الصباح لنتمتع نظرنا بسحره! هذا ما يريد الشاعر الانجليزي أن يقول ، ولكن أبا شادي يمسخه ويريد أن يغير أحكام الطبيعة! . . »
أما الشاعرُ فلا يعني هذا قبل أن يعني أن الصباح الجميل يترقبها وينتظر رؤية جمالها، وهذا المعنى الضمني الذي توحيه كلمة « ينتظر » أقرب الى الروح الشعرية من ترجمة كلمة « waits » بمعنى « لا يزال » .

وعاب علينا الناقدُ الحصيفُ أن نقرض الشعرَ في مناسبات شتى ، وتفضّل علينا فلقّبنا « بشاعر المناسبات » . وهذا تنازلٌ عظيمٌ منه لا نظنّ أننا نستحقه ، فكم مِن شاعر عظيم هو أولى منا بهذا اللقب ، وليست المناسباتُ بالتي تنفى الشاعرية العظيمة وانما هي الروحُ السطحيّةُ الفجّةُ كروح ناقدنا الهمام .

وقد هدَتْهُ ألمعيّتُه الى اكتشاف غلطةٍ لغويةٍ في أبيات صديقنا الشاعر عبدالله بكرى « كهرباء الحياة » (ص ٨٤٩) إذ يقول مداعباً :

إنّ (شمّ النسيمِ) في المعملِ البَكْــ ترْيلوجيّ يا صديقي العزيزُ
في هدوءٍ وراحةٍ تفحص الميكْــ روبَ بالمجهرِ الذي كم يَميزُ
فأنا عاملُ التلغرافِ يُضنيـ ـنى مِنَ الكهرباءِ دوماً أزيزُ
فمتى أيها الصديقُ سنغدو في غِنًى عن وظيفةٍ ونفوزُ ؟!

والشاهدُ هو كلمة « العزيز » التي ظنها صاحبنا صفةً لكلمة « صديقي » وفاته أنها خبر « إنّ » ، وقد كان الشاعر يقارن بين حالتنا وحالته في اضطرار كل منا الى العمل الرسميّ في يوم شم النسيم وكان ذلك بمدينة بورسعيد سنة ١٩٢٦ ، هو بمكتب التلغراف وصاحب (الشفق الباكي) بمعمل بور سعيد البكتريولوجي . وقد رددنا عليه حينئذ بهذه الأبيات :

يا صديقي العزيزَ ! أسعدكَ اللـ ـهُ بشمّ النسيمِ فهو الحبيزُ
رُبَّ حَبْسٍ يُعَدُّ حظّاً سنيّاً يعرفُ الحبسَ قبلنا الابريزُ
كنْ صبوراً ! كذا الحياةُ احتجابٌ وانطلاقٌ ، وكم سجينٍ يفوزُ
يُسْجَنُ الجسمُ بينما الفكرُ جوّا لٌ له في الوجودِ مُلكٌ عزيزُ
إنما العيشُ كلهُ كهرباءٌ ومِثالُ الحياةِ ذاك الأزيزُ
أنتَ في سمعهِ وفي الردِّ كالملـ ـقِ رُوحاً لقدرِها التعزيزُ !

وقد اعترض على لفظ « المجيز » في البيت الأول ولم يفهم معناه الذي يدركه أيّ ناشيء مطلع على الأدب العربي : فالمجيزُ انما هو المعطى الكريم ، وقد تأتي هذه الكلمة بمعنى المعين على اجتياز العقبات ، وكلا المعنيين صحيح في هذا الموضع .

كذلك اعترض على رفع كلمة « شعر » في البيت الأول من قصيدة « تذكرة طبيب » وكنا قد وجّهناها الى صديقنا الأديب الفاضل الشيخ عبد العظيم حجاب أثناء مرضٍ مُنهكٍ ، وهذه بعض أبياتها :

وسُئِلتُ تذكرةَ الطبيب فهاكها !	شعرٌ من الأدبِ السليمِ مذابُ
ردِّده ترديدَ المُدامِ ، فطالما	شُفِيَتْ ببعضِ سُلافِهِ الألبابُ
وتأسَّ ... صَوْمُك كالزكاة وربّما	في الصَّوْمِ — إنْ لجّ السَّقامُ — ثوابُ
أنتَ الأديبُ ، وللأديبِ مَناعةٌ	ولديهِ عن صِغَرِ الزَّمانِ حِجابُ
ليْسَ الفِراشُ بحابِسٍ لك هِمّةً	روحُ الأديبِ لها الوجودُ رحابُ
ومِنَ النفوسِ حرائرٌ وثوائرٌ	ومِنَ النفوسِ إسارُها الجلبابُ
والناسُ منهم في سجونِ جسومِهم	بينَما يُقِلُّ النابهينَ سحابُ

هذه الأبياتُ وأمثالها هي صورةُ السخافة البارزة في نظر ناقدنا الألمعي فلا تستحقّ شيئاً من تقديره ، وأمّا الذي يستحقّ اهتمامَه فهو رفعُ كلمة « شعر » في البيت الأول ، وفاته أنّ ابتداء الشطر الثاني بجملة جديدة على تقدير « هي شعرٌ من الأدب السليم مُذابُ » فيه تنبيهٌ قويٌّ مما يُكسب المعنى قوة على قوة ، ولكنْ أنّى لحضرته أن يفهم الأساليب البيانية ودقائقها وأسرار اختيار الشاعر لها ؟

ولعلّ الحسنة الوحيدة في مقاله هذا الذي نعلّق عليه (وقد ظهر في جريدة « الوادي » المؤرّخة ٣ نوفمبر الماضي) هو ختامُه بأبياتنا « الببغاء وطفيليّ النقد » (ص ٩٧٢) ونحن بكلّ ارتياحٍ نهديها اليه !

* * *

أشار الشاعرُ الناقدُ طلبة محمد عبده في بحثه « النقد الحديث وألوان الشعر » (أبولو م ٢ ص ٧٥٢) الى بُغضنا شعر المناسبات السطحي وإن كنا لا نحتقر المناسبات العاطفية والتصويرية لفرض ألوان شتى من الشعر العالي . فمن العجيب بعد هذا أن يدّعي ناقدنا الذي يريد أن يتّسم بنزاهة الأدب أننا لا نعني الا بشعر المناسبات

السطحية ، مستشهداً بأبيات متفرقة لها مواضعها من شعر الدعابة المستملح فى جملته، ولكن ناقدنا العزيز لا يريد منا الا الصرامة والجهامة ، وما عدا ذلك فليس الا سوقية فى رأيه الارستقراطى الذى يُعَدّ من أمارات هذا الزمان المقلوب !

وهو يحتقر أن تكون لنا مواويل فصيحة — وكان قد أشار الى عنايتنا بالأوزان الشعبية الدكتور زكى مبارك فى (البلاغ) — ولكننا نعذره على مبلغ فهمه كما نعذر ذلك الأديب الذى راح يُعلق على كلمة الدكتور زكى مبارك ويتهمنا بافساد اللغة العربية لا لسبب سوى أننا أبينا أن يستأثر شعراء العامة بتلك الأوزان المحبوبة وأردنا أن لا يخلو شعرُ اللغة الفصحى منها !

ثم تتساءل أرستقراطيةُ ناقد (الوادى) حرسه الله عن هذين البيتين من قصيدة « الأحياء والأموات » (ص ١٠١٢) :

لا تَنهروا الأحياءَ : مَنْ فُتِنُوا بها وسَمَوْا ولبُّوْا داعياتِ هباتِها
العاشقينَ جمالها ، الناشرينَ جلالَها ، الساجدين لِذاتِها

ومن أىّ وزنِ البيت الأول ، ومن أىّ وزن البيت الثانى ؟ فهل خلا قلم تحرير (الوادى) ممن يبلّغ عظمتَه أنهما من بحر واحد ؟ وهل لا يوجد لدى الزميلة الكريمة مَن يُفهمه القيمة البيانية التوكيدية من استقلال مقاطع البيت الثانى ومن استعمال همزة القطع فى موضع همزة الوصل ما دام يكاد يجنّ هذا المسكين بجهله سرّ ذلك ؟!

ومثالٌ آخر لسطحية هذا الناقد مؤاخذته لنا لاستعمالنا كلمة « خياراً » فى أحد الأبيات الآتية من قصيدتنا « يوم بيروت » التى وجهناها الى الاستاذ جبر ضومط فى يوبيله الخمسينى :

وهو العظيمُ بعلمهِ وبطبعهِ ما زال يُنكرُ برّهُ إنكارا
ويعدُّ أكرمَ ما أفادَ ضريبةً للعلمِ يدفعُ قسطها مختارا
ويعافُ ألقابَ الامارةِ والعلى شرفاً ويصحبُ للنبوغ خِيارا
هم جمعُ أسفارٍ لديه [1] ونخبةٌ فى الطالبين تقدّس الاسفارا

فبرغم هذا البيان الواضح يفوت الناقد النابه أن « خياراً » هنا هى بمعنى « أخيار »

---

(١) اشارة الى مؤلفات المحتفل به .

ومفردها «خَيِّر» وليست بمعنى «اختيار». وقد انتقل كعادته من هذا الخطأ الى ما هو أقبح منه ما بين مؤاخذة وسوء تفسير !

ومثالٌ آخر لأبجدية الناقد أنه يرى البيت الثاني من قصيدة «كروانه المسرح» (ص ١٠٤٠) مكسوراً ولا نرى الكسر الا في ذوقه الموسيقي الخائر ، واليك مستهلّ هذه القصيدة :

ملكتِ تقديرَ أهلِ الفن في وطنٍ   الفنُّ أعلامُه أصحابُ تيجانِ
مَنْ نالَ ما نالَ (كاروزو) بصدحتهِ   فيه ، وما نال (دانْتزْيُو) بأوزانِ ؟!
وما أُتيحَ (لبُتْشيني) ودولتهِ   وقد بَنى ما بَنى من مُلكِ ألحانِ ؟!

وقد فاته كيف تُنْطَقُ تلك الأسماء الفرنجية وإدغامُ حروفها !

وقد صوَّرنا في قصيدتنا «مقابر الأحياء» (ص ١٠٦٤) سوء حالة مواطنينا المنكوبين في كثير من الأحياء الوطنية بينما ينعم أمثالُ ناقدنا المترف ، فهل تراه خجل من هذا التصوير الواقعي خجلَ الوطني الغيور على الاصلاح ؟ كلا وألف كلا ! وانما كلُّ ما عناه أن يعيبَ هذا التصويرَ الواقعيَّ الذي يشترك في «جريمته» عشراتٌ من كبار الأدباء في الغرب لأنهم يفهمون كما نفهم أن الأدب ليس مقصوراً على الترف وحده ، وليس الذوق الشعري محصوراً فيه .

وانتقد رفعنا كلمة هاوٍ في قولنا : «فاذا به هاوٍ بغير رجاء» محتماً نصبها ، وهو مخطيء في ذلك كعادته (أنظر «شرح المفصّل» لابن يعيش ج ٤) .

وقد برع ناقدنا الهمام في الاختلاق الذي عُرف به العجزة أمثاله فقال حرسه الله إننا ننعت الوفد والوفديين «بالأمّية الكبرى» وهذا كلام لا يقوله انسانٌ له عقلٌ في رأسه يقرأ شعرنا وكتاباتنا في مجلاتنا المختلفة برغم ظروفنا الرسمية المقيدة ، ولكنه غير غريب من حضرة الناقد فله أسوة بمن سبقوه من الآبقين الى التهم السياسية المختلفة بعد هزيمتهم في ميدان الأدب ، فلا يستحون من الطعن في وطنية أمثالنا وفي اتهامنا بالقدح في ممثلي الديمقراطية المصرية التي يزخر (الشفق الباكي) بالدفاع عنها وعنهم كما تزخر مجلاتنا المختلفة ، وفي ديواننا التالي (مختارات وحي العام) قصيدتان من خير شعرنا في تكريم صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا : أولاها «وليّ سعد» (ص ١٨) والثانية «صوت الحرية» (ص ٨٠) ؛ وفي ديواننا (فوق العباب) قصائد وطنية أخرى لا تقلّ روعة وقوة . ودولة رئيس الوفد أعلم

الناس بغيرتنا الوطنية وغيرة أسرتنا عامة ومناصرتها التاريخية للوفد ومحبتنا الشخصية لذاته ولأنصاره الامجاد ، فما شأن هذا الفضولي وأمثاله بكل ذلك ؟ وهل نحن الذين نتعرض للسياسة في كتاباتنا أم نحن الذين ندفعها دفعاً عنا ؟

ولو كنا ممن يقبل التقرب للحكوميين على حساب المبادىء الوطنية لما لقينا ما لقينا من العنت والخذلان من أولئك الحكوميين ، ونحن نحن الذين دافعنا عن كرامة الزعماء في أشد ظروف الدكتاتورية السياسة ، ولم نقبل أي مبرر لانتقاصهم ولم نسمح للصداقات العائلية على خطرها بأن تقف في سبيل صراحتنا . وقد أوذي أقرب الناس الينا في عهد صدقي باشا ، دع عنك أن دولة النحاس باشا عضوٌ جهيرٌ في ندوتنا ، ولم يغنم محرر هذه المجلة كموظف حكومة أيّ غنم في العهد الماضي بل قد مضى عليه أحد عشر عاماً في درجة واحدة !

وراح صاحبنا يتخبط في تفسير قصيدة « الزعيم » (ص ١٠٧٣) تفسيراً سياسياً ، مع أنه ليس لها بالسياسة أدنى شأن ، بل هي صورة اجتماعية لبيئة من الادباء البوهيميين ! وكان الأَولى به أن يقصر همَّه على اظهار أخطاء العروض حيث لا توجد أخطاء عروضية ، أو على عيوب النحو والصرف بينما هو أجهلُ الناس بهما وبجوازات الأساليب الشعرية ! ولسنا نحن الذين قلنا :

فألفيته غيرَ مستعتبٍ ولا ذاكرَ الله إلاَّ قليلا

فحذفنا التنوين من « ذاكر الله » ، وانما هو من صميم الشعر العربي القديم . فليذكر ذلك ناقدنا العزيز قبل أن يهرع الى نقدنا .

وقد ختم مقالاته السبعة في نقد (الشفق الباكي) بالتعرُّض لمقطوعة « الصرصور » (ص ١١٠٠) ، ولو أنه ممن يعرفون شيئاً عن « الهيكوات » اليابانية ، وعن الشعر الضِّمني الذي يُقرأ ما بين السّطور ، لفهمَ على الفور أنَّ الغرضَ من هذه المقطوعة تصويرُ سخرية القدر بالانسان في أهون وقائع الحياة تصويراً لا يخلو من الرّمزية الى تَصَرُّفِ المقادير في شؤون الوجود الكبرى برغم حيطة الانسان . ولكنّ ناقدنا النابغة — الذي يفصل بيننا وبين أمثاله جيلٌ من السنّ والثقافة والخبرة — أبى بفضل تغرير العابثين به الا أن يجعل نفسَه سخريةَ النقاد ، وحسبنا نحن أن ندلّل بما كتبنا وما نكتب على مظاهر ذلك ، محاولين أن نستخلص بعض الفوائد الأدبية على قدر الامكان ، ولولا اعتبارنا لكلّ هذا لتركنا

هؤلاء العابثين يصولون ويجولون كيف شاؤوا بين التبجح والتلفيق والدعاوى الفارغة التي اشتهروا بها .

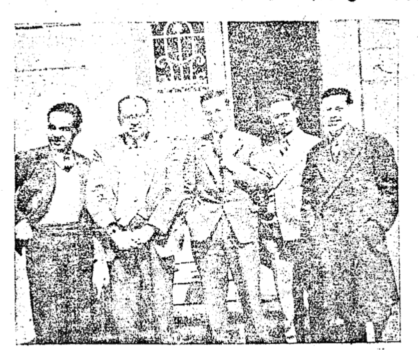
* * *

ولا نريد أن نُلقى القلمَ بعد هذا التشريح لنماذج النقد السَّخيف التي يوجّهها الكائدون الينا دون أن نقوم بأمانة التبليغ عن صاحب مكتبة معروفة في الاسكندرية أغار عليه أحدُ المتطفلين على الأدب وأخذ منه كتباً شتى (بينها بعضُ تآليفنا) بقيمة جنيهات ، ومرّت الشهورُ وهو يتهارب من دفع هذا الحقّ ، وأخيراً استنجد صاحبُ المكتبة بزميلينا الأديب علي محمد البحراوي سكرتير (جماعة الأدب المصري) بالاسكندرية والشاعر حسن كامل الصيرفي عضو مجلس (جمعية أبولو) . ونحن إشفاقاً على ذلك المسكين نكتفي بهذه الاشارة ، لعله يجد من الكرامة — ولو في هذه الساعة الأخيرة — أن يسدّد حقّ صاحب المكتبة بدلَ أن يتهافت على النقد الأدبي الذي لا تؤهله له مواهبه وتعليمه المحدود ، وبدلَ اختراع النقائص لمن لا يرتضونه في عداد تلاميذهم !

وليس هذا المسكينُ الا أحد الضحايا الكثيرين الذين يحسبون نبعَ الأدب في أركان المقاهي وعلى موائد المغرّرين الذين كثروا في هذا البلد كثرة مصائبه وهمومه ! إن الكرامة الأدبية الحقة هي في احترام الأدباء بعضهم لبعض ، وفي غيرتهم على انصاف بعضهم لبعض ، وفي تَعشُّقهم لخير الانتاج الأدبي فلا يقف بعضهم حجرَ عثرةٍ في طريق البعض الآخر ، ولا يَقِفُ جهودَه على أساليب الكيد الخسيس بدل التشجيع النبيل الكريم . إن تاريخ مصر الأدبي مملوءٌ بعواصف الحزازات والدسائس الشخصية ، وكم لها من أثر سيء في تعطيل النهضة الأدبية ، وكم لها من وقع أليم في نفوس الأدباء المستقلين ومؤرخي الأدب الحديث . وهذه العواصفُ الجديدةُ تنقضي كما انقضت سابقاتها ، ولكن يبقى الحكمُ المخجلُ بأن المجتمع الأدبي في مصر منحطٌّ ، وأنّ انحطاطه أساء الى الوطن شرَّ اساءةٍ ، ولو لم يكن منحطاً لكان مَبعثاً للمُثُل العُليا بدل أن يكون مَسرحاً للسفاسف والمكائد وتجارة الألقاب على حساب الأدب وأنصاره المخلصين وعلى حساب النهضة الوطنية .

الثقافة الانجليزية العربية

أنسنا بزيارة جناب المستر كراير المدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية لدار (أبولو) وقد وجدنا جنابه حريصاً مثلنا على تبادل الثقافتين الانجليزية والعربية . وقد تحدّث اليه محرر (أبولو) عن الحاجة الى اخراج مجلة أدبية عامة باللغة الانجليزية لتحقيق هذا الغرض فوجد عنده استعداداً كبيراً للسعي الى ذلك . وكنا سمعنا نقداً لهذه الفكرة على اعتبار أنها تشغل أدباءنا عن العناية بالأدب العربي ، وهذا نقد لا نفهمه فالتعريف بالادب العربي للانجليز لا يعدّ انصرافاً عنه ، فضلاً عن أهمية الثقافة الانجليزية لنا من الوجهة العالمية الشاملة .



امام دار جمعية أبولو

من اليمين الى اليسار : الأدباء حسن محمد محمود ، محمد احمد رجب المستر كراير ، احمد زكي أبوشادي ، مختار الوكيل

وفي الواقع ان اصدار مجلة أسبوعية من هذا القبيل نافع لتبادل الثقافتين إذ لا توجد مجلة تسدّ هذا الفراغ ، ولا توجد في مصر سوى مجلة The Sphinx الاسبوعية الانجليزية ، وهي مجلة انجليزية محضة وإن كانت محلية الصبغة الى حدّ ما ، وليست موضوعاتها الأدبية بذات خطر .

فلعل المستر كراير وزملاءه من الادباء الانجليز وأصدقاءهم المصريين المتـأثرين بالثقافة الانجليزية كناجي وأبي شادي والمـازني وعبـدالله مصطفى وسلامة موسى والعقاد وعلى أدهم وغيرهم يوفقون الى تحقيق هذه الأمنية ؟

محمد احمد رجب
(المحامى)

غربلة الشعر

هذا واحدٌ من التعابير الجديدة التى ينادى بها مَن يتصدّرون للنقد وهم ليسوا أهله ، فالنقد يجب أن يكون آخر مراحل الأدب لا أولهـا ، ولـكنه فى مصر ممـا يتسلى به لا طلبـة المدارس ومتخرّجوها الأحـداث فحسب بل كلُّ عاطل يعرف القراءة والـكتابة !

إنّ المنطق يعترف بأن كلَّ شاعر ناضج له الذوقُ المنقحُ لشعره من تلقاء نفسه ، فيخرج الشعرُ بعد ذلك فى طابعه الخاص لاطابع غيره . فلم يبق «لغربلة» الشعر معنى بعد هذا سوى التخلى عن نماذج من الشعر لا يرضى عنهـا الناقد حينما هى متممةٌ لشخصيـة الشاعر ومصورةٌ لبعض حالاته النفسية . وكـيف يستطيع أديب مثقفٌ غيورٌ أن يدعو الى هذه «الغربلة» فى الوقت الذى يهمنا فيـه أن نعرف عواطف الشاعر وتفـكيره وتفاعله مع الظروف المتباينة وفى شتى المواقف وازاء أعظم الأمور وأحقرها على السواء ؟! إذن ليست هذه «الغربلة» سوى دعوة من الدعوات العامية التى تتلقنها الببغاوات وترددها فى غير وعى انتقاصاً للشعراء المنجبين وحباً فى التعالم الرخيص !

أيها النقّاد الأعزاء ! أريحوا الناس من هذا الهذيان ، وابدأوا بأنفسكم فعلموها وثقفوها التثقيف الأتم ، ثم بعد ذلك راجعوا ماتـكتبون الآن وانقدوا إذاكانت لديكم موهبـةُ النقد الأدبيّ ، فستـكونون أنتم أول الساخرين حينئـذ من فتاوا كم الحاضرة !

محمد عبد الغفور

الأدباء المعاصرون

مما يجدر بنا تسجيله مغتبطين اهتمامُ الكتاب بالأدباء المعاصرين بالرغم مما نلاحظه من التحزُّب أو التحامل فى كتابات معظمهم . وشتّان بين هذا التحوُّل وما كان مألوفاً فى الجيل الماضى من التهالك على سِيَرِ الأدباء القُدامى فقط . ولكن فى سبيل الصِّدق والأمانة وفى سبيل الأدب ذاته أقول أيضاً إننا فى حالةٍ غريبةٍ من الفوضى الأدبية سببُها التحزُّبات الشخصية التى قد تفتح البابَ للطلبة فى صحيفة كبيرة وتصدُّه فى وجهِ أديب عظيم ! ومن علامات هذه الفوضى أن يجرؤَ على الكتابة عن الأدباء المعاصرين مَنْ ليس منهم ، وأن يكتب كتابة العليم عمَّن لا صلة له بهم على الاطلاق ، حتى اذا تأمَّلتَ كتاباته تبيَّنتَ أن الغرض من كلّ هذه الجلْبة خدمة أديب أو اثنين على حساب الآخرين فيفخّم الأولين ويتجاوز عن عيوبهم ، ويتحامل على الآخرين ويخترع لهم العيوبَ كما يسمح له الخيال المريض وحاجاتُ نفسه!

وأصحابُ هذا الطراز من الأقلام المأجورة معروفون فى مقاهى العواصم المصرية ، وقد لوّثوا الحركة الأدبية فى مصر ، وأصبح الأديبُ الذى يقف موقفَ التحدّى أو الخصومة ازاء هذا الفساد — كما فعل محرر (أبولو) — عرضةً لأن تُلقَى عليه صنوفُ الموبقات دون أىّ رادع لأولئك الطغام من حياءٍ أو كرامة ! وقد بلغنى عن أحد شعراء الشام الذين زاروا مصر حديثاً أن هذا المرض الخُلُقى يسمَّى فى بلادهم « المرض المصرى » . . . . فيا للعار !

إنى أفهم أن يكتب أنطون الجميِّل بك عن خليل مطران ، ومصطفى عبد اللطيف السحرتى عن أحمد زكى أبى شادى ، وابراهيم المصرى عن ابراهيم ناجى ، وعبد الرحمن صدقى عن عباس محمود العقاد ، وأحمد الصاوى محمد عن توفيق الحكيم ، وأحمد الشايب عن طه حسين ، وأحمد حسن الزيات عن أحمد أمين ، فكل أولئك من ذوى الصداقة المتينة بالأدباء المؤرَّخ لهم ، وكلُّهم من ذوى المقدرة الأدبية ، ولكنى لا أفهم كيف يجرؤ بائع أحذية أو تاجر ابن محدودُ الثقافة منبوذٌ من صفوة الأدباء ومأجورٌ لذوى الأغراض على الظهور بمظهر الكاتب الناقد المحقق الحصيف كائنةً ما كانت صفاقتُه ! هذا « المرض المصرى » يجب أن نتبرأ منه ويجب أن نحاربه أشدَّ المحاربة ؟

محمد عمر عبد الرحيم

فوضى الألقاب

منذ عشر سنوات أو أكثر وأنا أطالع بانتظام مجلة John o'London's Weekly الأدبية الانجليزية ، ولا أذكر أنها تورطت مرة في مثل ما تورط فيه معظم صحفنا ومجلاتنا من فوضى الألقاب حتى استبيحت نفس الألقاب الجامعية وضاعت كرامتها في بلادنا . وكذلك حال جميع الصحف الانجليزية بل والغربية عامة في تعففها ورصانتها.

ولن يُنسى في تاريخ الصحافة العربية موقف (أبولو) المشرف ازاء هذه الفوضى في مصر ، فقد أبتِ هذه الألقاب لنفس رجالها بالرغم من مكانتهم الوطيدة في عالم الأدب وكانت خير رائدة بتصرفها الدقيق الحكيم . وهذا أحد أسباب التطاول عليها من أقلام الادعياء والمأجورين ومَن يُغرَّر بهم من طلبة المعاهد إكراماً لخاطر المتكالبين على الزعامات الفارغة حتى انتقل المرض الى كتبة الدواوين الحكومية وصار بينهم مَن يطمح الى أن يعد عميد الادباء او بات بين مصححي الطبع في الصحف مَن لا يقنعون بأقل من وصف العباقرة والفلاسفة نظماً ونثراً ! فانا لله وانا اليه راجعون !

وعلم الله لست من يقف في طريق الشباب الناهض ولا من يثبط لاحظاتهم الأدبية النقدية ، ولكن كثيرٌ جداً أن نرى بعض أقلام الشباب تسخَّر باسم النقد الأدبي لتجريح أعلام أدبائنا تجريحاً سفيهاً من باب الكيد الخسيس لمصلحة هذا الاديب المتزعِّم أو ذاك. فهل سمع أحدٌ في مصر عن شيء من هذا الصَّغار يحدث بين أدباء الانجليز أو الألمان أو الفرنسيين أو غيرهم من الشعوب الراقية ؟ وهل سمع أحدٌ في خارج مصر عن مثل المناورات المفضوحة التي تجرى في الصفحات الأدبية لجرائدنا حيث يتحكم فيها صنائعُ هذا المتزعِّم أو ذاك فيفتحون أنهارَها حتى لمهاتَرتهم من طلبة المدارس ويغلقونها في وجوه كرام الكتاب المستقلّين !! أيُّ زعامةٍ هذه وأيُّ أدبٍ هذا !! إنَّ الزعامات لا تُفتعل ولا تُشترى ، والأدب الحقّ ليس مجرَّد حبر على ورق بل هو سيرة الأديب نفسها قبل تحبيره ، وهو تعلّقه بمثله الأعلى لا الانحدار الى السفاسف .

لقد جرَّتْ فوضى التهافت على الألقاب — الى درجة عمل رواشم ثابتة لها — شرَّ النتائج على أخلاق الأدباء في مصر ، وأساءت بصفةٍ خاصةٍ الى الجيل الناشيء الذى أصبح يُستَغلُّ مطايا للشهرة ، دع عنك مناورات الصحف الوضيعة التي تعتمد

فى غنمها على الاعلانات الفضائية والتهريج . وقد نشأ عن هـذه الحالة تمرضُ «لوصولية» بأحطّ معانيها ، تلك «الوصولية» التى لها أن تضحى بمكارم الأخلاق فى سبيل الصيت الكاذب . فكم من تلميذ جحود صار يستبيح تمزُّقه الطعن فى أساتذته والتنكّر لهم قولاً وكتابة ، وذلك ليصعد على أكتافهم أو ليبيع نفسه ووفاءه لقاء دراهم معدودات أو لقاء مدائح وهمية شفاء لغليل حاقد موتور !

هذه حالة شنيعة لا يكفى احتقارُ ممثّليها ، بل يجب تأديبُهم فى صراحة تامة وشجاعة ، وتطهير الجوّ الأدبى من سمومهم . وهذا الواجبُ التأديبى يقع على عاتق أدبائنا وصحفيّينا النزهاء المستقلين ، فالى أقلامكم المسنونة أيها السادة !

على محمد البحراوى

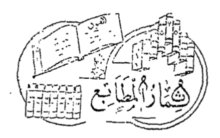
المرأة والادب

من المظاهر الاجتماعية لنهضة الأمة حرصها على كرامة المرأة . وقد كان هـذا شأن الأمة العربية إبان مجدها (أنظر كتاب «المرأة العربية» للأديب المعروف السيد عبدالله عفيفى) . وقد كانت مصر الى الجيل الماضى تذكر أديباتها بكل اجلال ولا تسمح لسيرهنّ بالتسرب الى الصحف لا بالحق ولا بالباطل، وذلك مبالغة فى إعزازهنّ . ثم ظهر التطوّر فى المجتمع كما ظهر فى الأدب فرأينا الكاتب الشهير احمد الصاوى محمد يقف معظم جهوده على التنويه بالمرأة المصرية والدفاع عن قضيتها ، وقد تعرض بالخير لسير نابغات الأمة وفضلياتها ضارباً بهنّ الأمثال ، وجهودُه الرائدة فى هذا السبيل مما يسجّل له بالشكر الدائم فى الادب المصرى .

وحدث أخيراً أن تزاحمَ العاطلون على موائد الصحافة ، وبينهم من هم أولى بغيابة السجون ، فافتتنوا باثارة القال والقيل حباً فى ترويج الصحف الكاسدة التى لولا الاعلانات الفضائية لماتت غيرَ مأسوف عليها . وشَغَلَ هؤلاء الأوغاد باتخاذ أقلامهم مدى ومسدّسات لتهديد الأديبات وللاختلاق عليهنّ وعلى الأدباء المعروفين ! وانتقل شرُّهم حتى الى الجامعة المصرية فلم يتعففوا عن اختراع الأباطيل تعريضاً بالطالبات ظلماً وعدواناً ، مما أسخط أساتذة الجامعة فضلاً عن طالباتها وأولياء أمورهنّ أشدَّ السخط على هذا الانحطاط الاجتماعى الشائن .

إنّ نهضتنا الأدبية موصولة باحترام المرأة كلّ الصلة ، وتركُ التحرير الصحفي الشعبي في أيدي الأوشاب الذين لا يتورعون عن الكيد للأدباء والأديبات أمر يؤسَفُ له أشدّ الأسف وجدير بالاهتمام الكلّي من قلم المطبوعات ما داموا يتحايلون على مداراة القضاء ؟

أحمد كامل الشربيني



الأدب التونسي في القرن الرابع عشر

جمع ونشر زين العابدين السنوسي — جزءان عدد صفحات كلٍّ منهما ٣٢٠ صفحة ، بحجم ١٤ × ٢٢ سم . الثمن ٣٥ قرشاً مصرياً .طبع مطبعة العرب بتونس مع تصدير بقلم محمد البهلي النيال ودراسة عامة لكل شاعر

أخذت الحركة الأدبية في العصر الحاضر يشتدّ ساعدها ويقوى عودها اللدن كما أخذت تتجه اتجاهاً جديداً في الاساليب والخواطر والمعاني والأخيلة ، وكان لشعراء مصر وسورية في ذلك نصيب وافر . ومن الامثلة لذلك الكتاب الذي بين يديّ ، فقد جمع فيه ناشرُه الفاضل مختارات لصفوة من شعراء تونس المبدعين ،فأرانا ناحية كنا نجهلها أو نكاد نجهلها من هذه الحركة الفنية . وحسبك أن تعلم أن بعض ما اختاره لبعض الشعراء يكاد يكون ديواناً مستقلاً .فهو بذلك أدى للحركة الادبية خدمة لا تنكر . وهذا السفر الرائع الحافل بأشعار الوجدان والحب والطبيعة والرثاء أطلعنا على اتجاهات شعراء تونس المحدثين. وقد أعجبنا ما في ثنايا بعض أشعارهم من روح شعرية نابضة بالحياة،وطبيعة قوية أخاذة بأسباب السموّ تتطلع الى الكمال. واذا قارنا بينهم وبين شعرائنا ألفينا بوناً شاسعاً من ناحية التفكير ، واتجاهاً خاصاً

يميز كلاً من الفريقين عن الآخر ، ولكن يجب أن نذكر أن تباين الثقافة عامل من عوامل الاختلاف . واذا كان لنا من نقد لشعراء المغرب على العموم فهو كرهنا لهذه الروح التقليدية التي تجلت في كثير من كتاباتهم وإن كنا نحمد لبعضهم نزعة التحرر من القديم البالي من الأخيلة والخواطر . ومن بديع ما انبثّ في هذا الكتاب قول الشاعر سعيد أبي بكر (ص١٠٤، ج ١) :

أينَ عينٌ كلّما لحَتْنَا لهـا أحرقتنا ؟
أين كفٌ كلما لُذْنا بها فرّقتنا ؟

وكذلك قوله في صفحة ١٢٥ :

فالطمي الناسَ يا حياتي اذا ما أخبر النـاسُ بعضُهم بممـاتي
واسكتي يومَ يرفعون على الأل واح جسمي ، وكفكفي العبراتِ
بعدَ حينٍ سيجعلون فراشي مِن ترابٍ وتمسندي مِن حصاةِ
ثم يلقون بي هناك وحيداً وحياتي هناك خيرُ حياةِ

ومن الشعراء الذين أعجبتُ بآثارهم الأدبية في هذا الجزء حسين الجزيري والهادي المدني وأبو القاسم الشابي واحمد خير الدين وعلى النيفر ، وأرجو أن تتاح لي الفرصة في القريب لأتناول شاعرية هؤلاء بشيء من التحليل والنقد حتى يتهيأ للقارىء المصري أن يطلع على صورة من صُور الشعر في بلاد تونس الخضراء التي آلمنا موت فقيدها النابغة الشابي رحمه الله .

وإني لأقدم للأديب زين العابدين السنوسي أخلصَ الشكر على أن تفح عشاقَ الأدب بهذا السفر الشامل الذي أرجو أن نرى أمثالَه عن كلّ بلدٍ من بلدان العربية ؟

حسن محمد محمود

المشوّق

تأليف الخورى إيسيدورس فتّال مدير مدرسة الروم الكاثوليك فى حلب .
خمسة أجزاء مصوّرة للصفوف المتوسّطة والعالية ، بأحجام مختلفة .
طُبع بمطبعة القدّيس بولس فى مدينة حريصا (لبنان) .

مؤلّفُ هذا الكتاب من أفضل المعلمين للغة العربية ، وقد كان زمناً مدرساً لها بمدرسة القدّيسة حنة الاكليريكية فى القدس ، وهو الآن يشغل منزلة محترمة فى ادارة التعليم بحلب ، فهو من أخبر الرجال بالتأليف المدرسى . وسلسلته (المشوّق) من أجمل كتب المطالعة ، ومنها ما يخص المدارس الابتدائية والصفوف الأوّلية ، ومنها ما يخصّ الصفوف المتوسطة والعالية . وهى ستة أجزاء صدرت منها خمسة حتى الآن وقد راجت رواجاً عظيماً نظراً لغزارة مادّتها الأدبية التعليمية ، وهذه الأخيرة هى التى تهمّ قراء (أبولو) .

وفى هذه الأجزاء الخمسة التى بين يديّ موضوعات متنوّعة وفيرة تجعلها بمثابة دائرة معارف للناشئين وتمعرض مختارات جميلة لكثيرين من كُتّاب العالم العربى وشعرائه مع صُوَرهم وترجمة سِيَرهم وصور كثير من الموضوعات فى غير تعصّب لبيئة أو معهد ، وذلك مما يجعل لها مكانة عامة من الاحترام ، ومما يكسبها قوة وروعة . واذا التفتنا الى المختارات الشعرية التى تعنينا بصفة خاصة وجدنا المؤلف الفاضل موفّقاً فى اختيار معظمها بالنسبة لقوتها وأصالتها وإنْ لحظنا على البعض الآخر الضعفَ والتقليدَ ، وربما اعتذر عن ذلك برغبته فى التمثيل للأذواق الأدبية المختلفة . وخيرُ ما أُعرّف به الجانب الشعريّ من الكتاب لقرّاء (أبولو) أن أنقلَ بعضَ النماذج الجميلة التى لا شيوعَ لها فى مصر .

فمنها قصيدة إلياس طعمة المعنونة « إلى أمّى » (ج ١ ، ص ٩٥) :

كنتُ يا أُمّاهُ أرعَى الأنجُما ... وإذا ثغرُكِ فيها ابتسَما
فتشوّقتُ إلى قُبلاتهِ ... إنّها كانت لجُرْحِى بلسَما
وكذا عينُكِ فيها سطعتْ ... فأنارتْ من فؤادى ظُلَما
ففؤادى بشعاعٍ طائرٌ ... خافقٌ ما بين أرضٍ وسَمَا
كنتُ وحدى ساهراً فى روضةٍ ... وإذا فيها النسيمُ تمتما

فتذكّرتُ غناءً مُطْرِباً فوقَ مَهْدِي وأحاديثَ الحِمَى
ذلك الصوْتُ الذي علّمني مثلَ شِعري وشعوري النَّسجا
وله بين ضُلوعي نغمةٌ أصبحتْ بين شفاهي نغما
ليتَ لى فى البُعْدِ تقبيلَ يَدٍ يَجْلُبُ السَّعْدَ ويَشفى الألَما
إنَّ صرفَ الدَّهرِ لا يَسمَحُ لى فأنا أشكو على ماءِ الظَّما
فاقبلى مِنْ وَلَدٍ أحببتِهِ رَسْمَ قلبٍ فوقَهُ الدَّمعُ همَى
واذكُريهِ إنْ تُصَلِّى فى الدُّجَى فله قلبٌ يُحِبُّ الأنجُما !

ومنها قصيدة « أغنية المغيب » لالياس أبى شبكة (ج ٢ ، ص ٦٨) :

أُسْجُدِى للهِ ، يا نفسى ، فقد وافى المَغيبْ
واستريحى مِن عناءِ الفكرِ ، فالفكرُ رهيبْ
واستُرى الآلامَ حيناً بابتسامات الحبيبْ
فغـــداً ترجعُ آلامُكِ والآتى قريبْ !

* * *

هو ذا الفلاَّحُ قد عادَ مِن الحقلِ الجميلْ
فى يديْهِ المِنْجَلُ الحاصدُ والرَّفشُ الطويلْ
وعلى أكتافِهِ حِمْلٌ مِن القمحِ الثقيلْ
فهو منهوكٌ وفى عينيه آثارُ اللهيبْ
أُسْجُدِى للهِ ، يا نفْسى ، فقد وافى المغيبْ !

* * *

إستريحى فترةً قُرْبَ مياهِ الجَدْوَلِ
وانظرى المَعْزَ يرتاحُ بِسَفحِ الجَبَلِ
والقطيعُ الشاردُ الهائمُ مِثلُ الابلِ
أنظريهِ تائهاً كالفكرِ فى الوقتِ العصيبْ
أَسْجُدِى للهِ ، يا نفسى ، فقد وافى المغيبْ

* * *

أسجدي لله واسلَيْ فترةً ذكرى العَذابْ

قبلما تزحفُ فى الوديانِ أشباحُ الضَّبابْ

واستعيدى ذكرياتٍ لاوبقاتٍ عِذاب

لم يكنْ ماضيكِ كالحاضرِ دمعاً ونحيبْ

أسجدى للهِ ، يا نفسى ، فقد وافى المغيب !

* * *

اسمعى الأجراسَ مِن قُبَّةِ دَيْرِ الراهباتْ

حَمَلَ الوادى صَدَاها للنفوسِ الزّاهداتْ

فهى أنّاتُ صدورٍ وبقايا زفراتْ

صَعَّدَتْها ساكناتُ الديرِ قُدَّامَ الصَّليبْ

اسجدى لله ، يا نفسى ، فقد وافى المغيبْ !

ومنها قصيدة « بكاء الأطفال » لنقولا فياض (ج ٣ ، ص ١٥٥) :

أسمعتَ الأطفالَ يا صاح تبكى قبلَ أن تعرفَ الأسى والشقاءَ ؟

كلُّ طفلٍ فى حضنِ مَنْ وَلدَتْهُ يَتعزّى لو كان يرضَى العزاء

العصافيرُ فى الرياضِ تغنى وثُغاء الظّباء يحكى الغناء

وابتسامُ الأزهار كلَّ صباحٍ بشذاها يعطّرُ الأرجاء

إنما الطفلُ وَحْدَهُ يا صِحابى باتَ يبكى ويستلذُّ البكاء

هل سألتَ الطفلَ الصغيرَ لماذا راحَ يبكى ، ودهره ما أساء ؟

يَذرفُ الشيخُ دمعهُ لشبابٍ ضَيَّعَ الصَّبْرَ بعدَهُ والرجاء

وغُصونُ الأشجارِ تحزنُ ، إذْ تخْـ لَعُ أيدى الخريف عنها الرداء

وجراحُ الأبدانِ تُؤلمُ ، إنْ قَصَّرَ طولُ الزمانِ عنها شفاء

إنما الطفلُ وحدَهُ لستُ أدرى ما الذى فى البُكا له يتراءى

إنَّ فى أدمعِ الصغارِ لَسِرّاً لمْ تَنَلْهُ أرواحُها الشعراءَ :

« أرضُكم غُربةٌ ، ونحن صغارٌ ولنا أرجُلٌ تحاكى الهواءَ
ما مَشينا عليكِ يا أرضُ إلاّ خطواتٍ ، وقد سقطنا عياءَ
فمتى نستريحُ ، والقبرُ ناءٍ ومِنَ العُمرِ ما يطيلُ العناءَ ؟
فسلوا الشيخَ ما دواعى بكاهُ لا صِغاراً فى أرضهم غُرباءَ
راحةُ القبرِ للشيوخِ ولكنْ نحن جئنا هنا نقاسى البقاءَ ! »

ومنها قصيدة « فتّش لقلبك عن رفيق ! » لميخائيل نعيمة (ج ٤ ، ص ٧٠) :

عَجَباً يروّعكَ الظّلامْ فتبيتُ مرتجفَ العظامْ
ويودّ قلبُكَ لو ينامْ فى صدرِكَ النومَ الأخيرْ
أفما لقلبكَ مِنْ جليسٍ أو سَميرْ ؟

والفجرُ إذْ يبدو يَراكْ أبداً بهمٍّ وارتباكْ
فيميلُ عنكَ الى سِواكْ وسِواكَ يَفهمُ ما يَقولْ
أفما لقلبكَ تَرْجُمانٌ أو رسولْ ؟

وتخوضُ ميدانَ الكفاحْ وَسْطَ النّهارِ بلا سلاحْ
فتخُرُّ مِنْ ألمِ الجراحْ وتئنُّ ، لكنْ لا مُجيبْ
أفما لقلبكَ مِن مُؤَسٍّ أو طبيبْ ؟

وتجُولُ وحدكَ فى القِفارْ وعليكَ سِترٌ مِن غُبارْ
كمسافرٍ يبغى الدّيارْ لكنّهُ فقَدَ السّبيلْ
أفما لقلبك فى مسيركَ مِن دليلْ ؟

أسفى عليك ، فلا الذّهابْ سَهْلٌ عليك ولا الايابْ
ستظلُّ تخبطُ فى ضبابْ حتى يُنيرَ لك الطريقْ
قلبٌ يكونُ لقلبك الواهى رفيقْ !

ومنها قصيدة « خيال سوريًّا » لرشيد سليم الخورى (ج ٥ ، ص ١٦٠) :

رأيتُ النهرَ هدّاراً طليقا وقد داسَ الشرائعَ والحقوقا

فكدتُ أضمُّ للتّيار نفسي كأني قد لمحتُ به غريقا
لأنَّ خيالَ سوريّا أمامي !

رأيتُ النار مستعراً لظاها كنفسي ، حين جدَّ بها جَواها
فكدتُ الى اللهيبِ أمدُّ كفّي لأُنقذَ مَنْ سبى نفسي هواها
لأنَّ خيال سوريّا أمامي !

رأيتُ نوادباً تَندري الجمانا وقد بلَّتْ مدامعُها البنانا
فلم أعجبْ لترجيع الثكالى ولم أحزنْ لأنّاتِ الحزانى
لأنَّ خيــــال سوريّا أمامي !

وليس الكتابُ وقفاً بأجزائه على الأحداث المبتدئين القراءة ولا على تلاميذ الصفوف المتوسطة والعالية بل هو حديقة أدبية لكل أديبٍ تشوقه القراءةُ المنوعةُ فجاء مصداقاً لاسمه ، وجاءت طريقته التي شرحها المؤلفُ الفاضلُ في مقدمته من خير ما كتب في بابها لارشاد المعلمين . وقد أعجبني صراحته وصدقه في قوله : « لا يزال السواد الاعظم من أدبائنا أنفسهم دون مستوى الأدب الغربيّ ، لأنهم لم يتلقنوا في المدرسة أصول الأدب التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان وسائر ظروف الحياة ، لأنها ثابتة مطابقة لنواميس علم النفس والمنطق وفلسفة الكلام ، وكل هذه لا يطرأ عليها أدنى تغييرٍ جوهريٍّ » . فليبارك الله جهودَ هذا المعلم العامل الذي لا يقتصر فضله في تكوين الجيل الجديد على قطرٍ دون قطرٍ من أقطار العالم العربي ، ولا على طائفة دون أخرى ، ولا يعرف أدبه معنى للعصبيات المهدية التي تُعَدُّ للأسف من الأمراض المفسدة للأدب المصري عما لا يقلّ عن إفساد الحزبية السياسية له ؟

محمد عبد الغفور

الجمهور

مجلة أسبوعية سياسية اقتصادية فنية تصدر عن مدينة الاسكندرية . بدل اشتراكها السنوي ٣٠ قرشاً في مصر والسودان و ٥٠ قرشاً في الخارج

نُهنئُ الكاتبان الفاضلان حسن صبحي وأحمد علي عوض بتعاونهما على إصدار (الجمهور) في الاسكندرية . وسيساعد على ترويجها قسمها السياسيّ الوطنيّ ، وهو

ما لم تكن تملكه مجلة (الامام) لمّا كانت تصدر فى عاصمة القطر الثانية إذ أن الأخيرة أدبية اجتماعية فقط . وقد سرّنى أن تتمكن (الجمهور) من نشر الجديد من شعر عبدالرحمن شكرى فضلا عن مختارات لطيفة لبيرم . وشعر شكرى وحده كاف لاقبال محبي الادب عليها فهو معدود فى الطبقة الاولى من الشعر العصرى . ولعل (الجمهور) يُوفّق الى نشر الجزء الثامن ديوانه والى إعادة طبع الاجزاء السبعة القديمة، فمن الخير لا دبنا ابرازهذهالنفائس المستورة ، خصوصاً بعدأن انقضت نهائياً الدواعى القديمة الى سترها . وقراء (أبولو) يسرّهم بصفة خاصة أن يمتعوا عواطفهم بقراءة هذا الشعر الجديد ، وهذا مثال منه بعنوان «العودة» وهى قصيدة ترحيب شكرى بعودته الى الاسكندرية . قال هزازنا الغرّيد :

عاود الروضَ فى الصباح هزارُهْ ... ثم غنى ففتّحتْ أزهارُهْ
ثم غنى للورد وهو على الغصـ ... ـن خجولاً فزاد منه احمرارُهْ
ثم غنى للفلّ فانتعشَ الفـ ... ـلُّ طروباً وطار عنه وقارُهْ
وحبَا نسمة الصباحِ من العطـ ... ـرِ زكياً فى روحهِ أسرارُهْ
ثم غنى للياسمـاتِ مِن الزّهـ ... ـرِ فأغضى ولاحَ منه افترارُهْ
فكأنَّ الصباح يسمعُ أنغا ... مَ مغنٍّ فى صوتهِ أوتارُهْ
حين سادته هـداَةٌ وسكونٌ ... لم يَشبها بالصاخباتِ نهارُهْ
غير صوتٍ يطنّ من طرب الطيـ ... ـرِ إذا داعبته ثمّ صِغارُهْ
ساعةٌ تلكَ فى الزمان تملاَّ ... ها فؤادٌ مِن حُسنها أشعارُهْ
وكأنى أنا الهزارُ وروضى ... بلدٌ فيه للهزارِ شعارُهْ
بَلدٌ عُدْتُها فعدتُ الى الخلـ ... ـدِ ، وقدكان ملءَ قلبى ادّكارُهْ
وسواءٌ علىَّ أن يتجنّى ... أهلهُ أو يودّنى سُمّارُهْ
فله فى الضميرِ أخلصُ ودّ ... لم يُشبْنى لريبةٍ إضمارُهْ

محمد عبدالغنى بخيت

أحسن ما كتبت

بأقلام طائفة من خيرة العلماء والأدباء فى الشرق العربى ، ١٩٥ صفحة بحجم ١٦ × ٢٤ سم . عنيت بنشره دار الهلال بالقاهرة . الثمن ١٥٠ مليماً .

دار الهلال ومطبوعاتها أشهر من أن تُعرَّف ، وقد أخرجت فى هذا العام هديةً لمشتركى مجلة (الهلال) ولمحبى الأدب العربى الحديث هذا الكتابَ الممتع حقاً بما فيه من مختارات كثيرة ما بين نظمٍ ونثرٍ ، بيد أنى مع ذلك لا أرى مطابقة العنوان للكتاب ، وأوثر أن يسمَّى (من أحسن ما كتبت) لأنَّ المؤلفين أنفسهم لا يدَّعون ولا يمكن أن يدَّعوا أنَّ ما فى هذا الكتاب هو أحسن ما كتبوا على الاطلاق .

وقد اجتمع للناشرين فيه ثلاث وسبعون كلمة فى موضوعات شتى لسبعة وستين كاتباً وشاعراً من المعروفين ، ولم تسمح الظروف للناشرين بأكثر من هذا القدر وهم مشكورون على أىّ حال لهذه العناية والفضل فى تسجيل هذه النماذج من الأدب العصرى ؟

السيد عطية شريف

مطبوعات ندوة الثقافة

أشارت هذه المجلة غيرَ مرَّةٍ الى مطبوعات (ندوة الثقافة) المنوَّعة التى كانت مزمعةً إصدارَها الى جانب مجلاتها لولا الاعتباراتُ المالية ، ومن هذه المطبوعات « مدرسة البيت » و « تقويم الأطفال » و « راديو الأطفال » ، غير المطبوعات الفنيَّة المختلفة ، وغير طبع المخطوطات العربية المفيدة وأخصُّها بالذكر الدراسات الشعرية والدواوين القيِّمة المنسيَّة مثل « ديوان ابن سناء الملك » و « معجز أحمد » و « ذكرى حبيب » .

وأمرُ كلّ هذا متوقفٌ على نجاح مشروع (الندوة) ، فاذا أصابت النجاح المنشودَ فى العام المقبل (أنظر المذكرة المرفوعة الى حكومة جلالة الملك —

ص ٧٦٢) فسيكون تحقيق هذه الأمنية فى مقدمة برنامجها ، وستتوسَّع (الندوة) فى ذلك لخدمة المؤلفين وفى التعاون مع المجلات الأخرى المحترمة على نشرها فى السوق بدل تركها تحت رحمة الأمِّيين من الموزِّعين الذين يتعمَّدون قبرَها .
أمَّا اذا كانت المؤازرة التى تنالها غيرَ كافيةٍ فرجال (الندوة) يؤثرون الاستغناء عنها ، لأنَّ مثل هـذا المشروع الثقافى وحدةٌ لا تجزَّأ ، فامَّا أنْ ينفَّـذ كاملاً بحذافيره وإمَّا أن يُتخلى عنه ، فليس ثمة جانبٌ منه أهمّ من الآخر ، وما على رجال (الندوة) الا أن يعتبروا حينئـذ أنَّ مشروعهم سابقٌ لأوانه ، وإنْ آمنوا أنه يسدّ فراغاً فى الثقافة الفنِّية والادبية لا غنى للبلاد عن سدِّه ، ولكن روح التضامن الثقافى وما يدعو اليه من تضحية وتآزر مايزال معدوماً ، فلا الشعب يحسّ به بعد فى الناحية الاجتماعية الثقافية كما أحسَّ به فى الناحية الوطنية ولا الحكومة أيضاً تحسّ به ، وفى هذا الجوّ ضاعت وتضيع الجهود الاصلاحية والتضحيات الفردية ؟

محمد عبد الغفور
(المراقب العام لندوة الثقافة)

فتح الأندلس

تأليف فؤاد باشا الخطيب : ٩٦ صفحة بحجم ١٥ × ٢٢ سم . طبع مطبعة ابن زيدون بدمشق ، مع مقدّمة نثرية بقلم خليل مطران

مؤلف هذه الرواية المسرحية أديب من كبار أدباء العربية فى العصر الحاضر وعلم من أعلام الشعر وكاتب تلمح فى كتابته التعصب للعروبة واجلالها . وقد عمد فؤاد باشا الخطيب الى التاريخ فقلّب صفحاته ، فاذا به يقف هنيهة وقفة الاعجاب أمام تلك البطولة العربيـة التى تجلتْ فى فتح الأندلس وكيف تغلب العرب على أوربا المتحفزة للوثوب عليهـم ، واذا بهـذا الاعجاب يطغى على نفس المؤلف فيملؤها إكباراً للعرب ، ويستحيل هذا الاكبار الى ونظم هذه الرواية التى تعدّ سفراً تاريخياً قيماً لمن يريد أن يقف على تطوّر الحوادث حتى تمكن العلم العربى من أن يرفرف فوق تلك البـلاد ، وأن يتخذ مكانه تحت شمس أوربا .

فالدرامة تبحث عن ناحية خاصة من نواحى التاريخ الاسلامى ، وقد استفاض المؤرخون فى التكلم عن هذه المرقعة وما أظهره العرب من بطولة وشهامة لم تزل الى اليوم يرن صداها فى آذاننا فيملؤنا عجباً وتيهاً .

وقد استطاع فؤاد باشا الخطيب أن يوفق بين الحوادث بعضها وبعض ، ويجعل منها هذه الدرامة التى يقول فى مقدمتها خليل مطران : « على أن ما ضاق به التاريخ من معجز فتح الأندلس قد وسعته رواية شعرية عنونت باسمه ، وفتح الله على ناظمها بوحى سلسل فيها الحوادث كأحسن مايستحب تسلسلها وبشعر وافق لغة أولئك الأبطال فى ذلك العصر أجمل موافقة فلا يستطيع من يقرؤها الا أن يقول تلقاء هذا الفتح الأدبى كما قال أشهاد ذلك الفتح العربى : الله أكبر ! »

وقد كتبت هذه الدرامة على نسق جميل ، وان تسلسل الحوادث فيها لمما يشوق المرء الى نهايتها حتى اذا كان فى النهاية ود لو كان لم يزل بادئاً فى تلاوتها . وقد صيغت فى أسلوب عربى قويم ، ولا غرو فناظمها أحد أعلام الأدب العربى فى العصر الحاضر ، وشاعر فحل تتسابق اليه القوافى فيجمع شاردها ، ويؤلف بينها فى أداء خال من التكلف أو العجمة .

وقد اشتملت الرواية على كثير من العظات الغاليات ، والحكم الثمينة : الا ترى المفترين وقد حكموا الشعب رغم ارادته ، وتقولوا عليه باطل الأقاويل فيقول على لسان ناصر بن مزيد وهو ملحق سياسى فى حاشية طارق (ص ٢٠) :

يقولون قال الشعب ، والشعب لم يقل وإن هىَ الا فرية وتشدقُ

كما يقول على لسان طارق بن زياد تلك الحكمة الغالية :

وما عرف التاريخُ كالظلم آفةً تدمر أخلاقَ الشعوب وتسحقُ

يجرعهم موتين : موتَ نفوسهم بذل ، وموتَ الأرض بالفقر تمحقُ

وقد وفق فؤاد باشا الخطيب كل التوفيق فى نظم خطبة طارق بن زياد ، تلك الخطبة العصماء والدرة اليتيمة التى وجهها الى جنوده البواسل حين حطوا رحالهم بالأندلس ، وذلك يفصح لنا عن مهارة الناظم وشاعريته المتدفقة ، حتى لتثار فيك النخوة والحماسة وأنت تقرؤها ، فيقول (ص ٨١) :

ألا أين يا قومى المفر ؟! وما العذرُ وقد كشرتْ عن نابها الفتكة البكرُ ؟!

أمامكم الاعداءُ والبحرُ خلفكم ... وليس لكم الا العزيمةُ والصبرُ
وأنتم مِن الايتام أضيعُ موقفاً ... بمأدبة القوم اللئام وهم كثرُ
تلبّب يجتاب الدّلاص عدوّكم ... له الوفرُ والاقواتُ والجحفلُ المجْرُ
وما القوتُ الا ما ابتززتم مِن العدى ... فتطعمكم مِن جنبها البيضُ والسمرُ

ويقول فيها أيضاً :

أجل أنا منكم لستُ عنكم بنجوةٍ ... وإن أدع لم أحجم ولم يلونى الزجرُ
وسوف أشقُّ النقع أبدأ قبلكم ... بنفسى ، فامّا الحتفُ فيه أو النصرُ

وينتهى مؤلفها الفاضل بدخول طارقٍ ، وهو ينادي جنده أن هيّا الى طليطلة من شعب جيّان ! وهذا الختام الذى اختاره فؤاده باشا الخطيب هو أروع وأوفق ما تختتم به مثل هذه الرواية ، حتى يذكر القارىء بهذه الروح العربيــة التى لم تكن ترهب شيئاً غير الله ، ولا تخشى غير جبروته ، وقد وهبت نفسها فى سبيل الله والوطن فخلدت على صفحات التاريخ ، وطأطأ الغرب هامته إعجاباً بهذه النخوة الكريمة .

فليقرأ الشباب العربي تلك الرواية ، ليتعرّف منها كيف كان صناديد العرب وكيف كانت مطامعهم ، وليقرأ فيها صفحة من صفحات الاسلام وعدله فى الاندلس ، فهى مرآة صافية قد انعكست عليها صور التاريخ الاسلامى ، وان القارىء حين يختتم هذه الرواية الجميلة لا يملك نفسه من أن تهتف «فلتحيا العروبة» ولا يملك نفسه من أن تحبس دمعة تطفر فى المآقى أسفاً على مجدِ العرب البائد... فليفخر الأدب العربى (بفتح الاندلس) وليفخر فؤاد باشا الخطيب بروايته ؟

حسن محمد محمود

يتيمة الدهر

للامام أبى منصور عبدالملك الثعالبي النيسابورى ، أربعة أجزاء عدد صفحاتها ١٦٣١ بحجم ١٦ × ٢٤ سم . طبع بمطبعة الصاوى على نفقة حضرة على أفندى محمد عبداللطيف صاحب المكتبة المصرية

اسمان توأمان لهما فى سجل الأدب العربى مكانتهما الجليلة ، ولهما أثرهما فى

تاريخ أدباء هذه اللغة ، هما أبو منصور الثعالبي وكتابه (يتيمة الدهر) . وليس أبو منصور فى حاجة الى الكلام عن أياديه التى قدمها لهذه اللغة المجيدة ، وكفاه هذا الكتاب وكتاب (فقه اللغة) أثراً قيماً وفخراً مؤثلاً .

(يتيمة الدهر) مَعرضٌ حافلٌ للأدب العربى فى عصر آل حمدان وآل بويه والدولة السامانية ، عرضه أبو منصور الثعالبي بأسلوب هو درةٌ من درر الأدب أناقة وصقلاً .

يُعنى بشعر الشاعر أو أدب الكاتب ومنزلتهما وما دار بين الشاعر أو الكاتب وبين معاصريه مِنْ تقارُض الهجاء أو الثناء . وفى خلال ذلك ينقد لنا ما يعرض من منظوم القول ومنثوره متعقباً المعانى بتبيان المسروق منها وردّه الى أصوله والتفريق بين المستحسن والمستهجن منها ، وقد فرد فى كتابه قسماً كبيراً للمتنبي أورد فيه كثيراً من شعره مع دراسة تحليلية قيّمة له كما عنى بشعر أبى فراس والشريف الرضى عناية خاصة ، ونحن ناقلون جزءاً من مقدمة المؤلف ليطلع القراء على عناية أبى منصور بألفاظه ومعانيه ، وليتعرفوا الى العناية التى بذلها فى تأليف يتيمته ، قال :

« وقد سبق مؤلفو الكتب الى ترتيب المتقدمين من الشعراء والمتأخرين ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين كلماتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم فكم من كتاب فاخر عملوه ، وعقد باهر نظموه . لا يشينه الآن الا نبوّ العين عن اخلاق جدّته ، وبلى بردته ، ومجّ السمع لمردّداته ، وملالة القلب من مكرراته . وبقيتْ محاسن أهل العصر التى معها رواء الحداثة ، ولذة الجدّة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد ، غير محصورة بكتاب يضمّ نشرها ، وينظم شذرها ، ويشدّ ازرها ، ولا مجموعة فى مصنف يقيد شواردها ، ويخلد فوائدها . وقد كنت تصدّيت لعمل ذلك فى سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، والعمر فى اقباله والشباب بمائه . فافتتحته باسم بعض الوزراء مجرياً إياه مجرى ما يتقرب به أهل الأدب الى ذوى الأخطار والرتب ، ومقيماً ثمار الورق مقام نثار الورِق . وكتبته فى مدة تقصر عن اعطاء الكتاب حقّه ولا تتسع لتوفية شرطه . فارتفع كعجالة الراكب وقبسة العجلان ، وقضيت به حاجة فى نفسى وأنا لا أحسب المستعيرين يتعاورونه والمنتسخين يتداولونه حتى يصير من أنفس ما تشحّ عليه أنفُس أدباء الاخوان ، وتسير به الركبان الى أقاصى البلدان . فتواترت الأخبار ، وشهدت الآثار بحرص أهل الفضل على غُدُره ، وعدّهم إياه من فرص العمر وغرره ، واهتزازهم لزهره وافتقارهم لفِقَره .

وحين أعرته على الأيام بصرى وأعدت فيه نظرى تبينت مصداق ماقرأته فى بعض الكتب : « ان أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة الا أحب فى غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه » ،هذا فى ليلة واحدة فكيف فى سنين عدة ! .. ورأيتنى أحاضر بأجواب كثيرة مما ينسب فيه وقعت بآخرة الىّ، وزيادات جمة عليها حصلت من أفواه الرواة لدىّ . فقلت : إن كان لهذا الكتاب محل من نفوس الأدباء ، وموقع من قلوب الفضلاء كالمادة فيما لم يقرع من قبل آدانهم ، ولم يصافح أذهانهم . فلم لا أبلغ به المبلغ الذى يستحق حسن الاحماد ، ويستوجب من الاعتداد لوفر الأعداد ؟ ولم لا أبسط فيه عنان الكلام ، وأرمى فى الاشباع والاتمام هدف المرام ؟ فجعلت أبنيه وأنقضه ، وأزيده وأنقصه ، وأمحوه وأثبته ، وانتسخه ثم أنسخه . وربما أفتتحه ولا أختتمه ، وأنتصفه فلا استتمه ، والأيام تحجز ، وتعد ولا تنجز ، الى أن أدركت عصر السنّ والحنكة ، وشارفت أوان الثبات والمسكة . فاختلست لمعة من ظلمة الدهر ، وانتهزت رقدة من عين الزمان ، واغتنمت نبوة من أنياب النوائب ،وخفة من زحمة الشوائب ، واستمررت فى تقرير هذه النسخة الاخيرة وتحريرها من بين النسخ الكثيرة ، بعد أن غيرت ترتيبها ، وجددت تبويبها ، وأعدت ترصيفها ، وأحكمت تأليفها . وصار مثلى فيها كمثل من يتأنق فى بناء داره التى هى عشه ، وفيها عيشه ، ولا يزال ينقض أركانها ويعيد بنيانها ، ويستجدها على أنحاء عدة وهيئات مختلفة ويستضيف اليها مجالس كالطواوس ، ويستحدث فيها كنائس كالعرائس ، ثم يقورها آخر الأمر فوراء توسع العين قرة والنفس مسرة ، ويبدعها حسناء تخجل منها الدور ، وتتقاصر عنها القصور » .

* * *

هذه هى يتيمة الثعالبى التى تولى اخراجها فى ثوب قشيب حضرة على افندى محمد عبد اللطيف صاحب المكتبة المصرية ،ولعله يدقق فى تصحيحها اذا أعاد طبعها حتى لا تكون الاغلاط المطبعية بمثابة ثقوب فى ثوب جميل شأنه فى معجم (المحيط) وغيره من الكتب التى أخرجتها هذه المكتبة فى دقة وأناقة بالغتين كل حد .

وقد أحسن حضرة الأديب محمد اسماعيل الصاوى الذى تولى تصحيحها فى كتابة المقدمة التى عرض فيها الى الكلام عن اليتيمة فأحسن .

ونرجو أن ينال هذا الكتاب من أنفس القراء ما هو جدير به من الحرص والتقدير .

الأدب العربي وتاريخه

في العصر الجاهلي

تأليف محمد هاشم عطية — ٣٧٣ صفحة بحجم ٢٤ × ١٦سم .
طبع بمطبعة العلوم بالقاهرة

العصرُ الجاهليُّ بحث مفروغ منــه ، وكل بحث قرأته هو بعينه صورة من سابقه الا كتاب الدكتور طه حسين الذى اتجه وجهة أخرى ، ولـكن المربي الفاضل محمد هاشم عطية المدرس بدار العلوم طريقة في البحث طريفة : فهو يعرض الصورة ثم يستعرض أجزاءها ودقائقها ويبني أحكامه بعد ذلك ؛ فترى أنك متفق معه في كثير من الاحايين في حكمه على هذه الدقائق أو هذه الاجزاء .

وكتابُـه هذا هو بحث في تاريخ الأدب في العصر الجاهلي عرض فيه في مقدمة الـكتاب أقوالَ العلماء في هذا العصر بعد أن عرّفه بكلمة . ثم انتقل الى الـكلام عن الادب وتاريخه وفائدته وعلاقته بالتاريخ العام، ثم نشأته . ثم ينتقل الى اللغة العربية وأصلها وعوامل نموها وخصائصها . ثم يتـكلم عن النثر الجاهلي والشعر وأيهما أسبق من صاحبه ، وفي هــذا الباب يناقش آراء القائلين بأسبقية الشعر ويرى أن النثر كان السابق بدليل أن القرآن انما أنزله الله معجزة لقومه يتخذون النثر صناعته والقرآن نثر انبثَّ فيه الشعر، إلا ان خلود الشعر دون النثر انما كان سببه تلك الحدود الموسيقية التي قربته الى الاسماع ومكنته من الحافظة فخلد ... وهو بعد الـكلام عن النثر الجاهلي ينتقل الى الشعر الجاهلي ونشأته وشاعرية العرب الخ .

وبعد أن يعرض المؤلف للمعلقات السبع الممتازة عن سائر الشعر الجاهلي بأوليتها وسعــة قوافيها وأغراضها المتنوعة وأسلوبها البدوى المشتمل على اثارة من الحسن في الجزالة والرقة مع المعاني الـكثيرة والأدب الشعرى الذى كانت هــذه القصائد خير مثال منه مضى في أثره الشعراء من بعد ، ينتقل الى الـكلام عن أوصاف الشعر أو مميزاته فيقول : « أما من حيث اللفظ فهو كما ترى تغلب عليه الجزالة ويكثر فيه الغريب وخاصة عند تعاطي الوصف للشيء من حيوان وجماد وطير ونبات، وهو أيضاً لفظ معرَّب لا ترى فيه لحناً ، وقد قدَّمنا أن ذلك كان جبلة وكان طبعاً، والمعروف انه لم يؤثر عن واحد من أهل هذه الجاهلية لحن يذكر. ومن أوصاف

الالفاظ أنها كانت غالباً تستعمل في معانيها الحقيقية كما أسلفنا في النثر، الا ما كان في باب الوصف والغزل وبعض المدائح من التشبيهات البارعة المصوّرة وبعض الكنايات الرائعة الحسن مثل نؤوم الضحى في قول امرىء القيس وان كانت نؤومة الضحى قد أصبحت ، وعسى ألا تعجب أهل هذا العصر النشيط المتحرك ، . إلا أنها مع ذلك كانت ولا تزال تدل على مقدار النعمة والفراغ . . . أمّا معاني الشعر الجاهلي فأظهر أوصافها أنها كانت معاني فطرية قريبة التناول متزحزحة عن هذه النزعات الفلسفية وذلك الاستقصاء العميق في استخراجها من مظانها ، وكانت في الغالب بريئة من المبالغات المفرطة المفوّتة لمحاسن الكلام مفرغة في هذه الزاهية من الصراحة والصدق تكتسب من هذه السذاجة الظاهرة في ترتيبها وقلة الاكتراث لتحقيق التناسب الظاهر بينها لوناً آخر من جمال الفطرة المحبوبة » .

ثم يختم الكتاب الاول فيبدأ في الكتاب الثاني عن النقد ونشأته وأثره ومعناه وأركانه وتاريخه، ثم ينتقل من ذلك الى الترجمة لتسعة شعراء من شعراء ذلك العصر ، وذلك في أسلوب هادىء وتفكير منظم .

الشرق

مجلة جامعة مصوّرة : تصدر عن سان باولو بالبرازيل مرتين في الشهر ، سنتها عشرون عدداً — اشتراكها خارج البرازيل ليرتان انكليزيتان .

الأندلس الجديدة

مجلة جامعة مصوّرة : تصدر عن ريودي جانيرو بالبرازيل — اشتراكها خارج البرازيل ليرتان انكليزيتان

لاخواننا السوريين واللبنانيين في المهجر نشاط يدعو الى التقدير والاحترام ، ويدعو الى الدهشة والعجب : الدهشة لقوم يحافظون على لغتهم في وسط بعيد عن هذه اللغة وينشرونها بينهم وبين أبنائهم بحرارة وايمان ، والعجب لصحائفهم التي يخرجونها في أثواب قشيبة قد لا تتاح لمجلات كثيرة تصدر عن بلاد اللغة العربية .

وأكبرُ دليل على ذلك هاتان المجلتان الراقيتان البارزتان وكل منهما تعنى بالأدب

عناية فائقة وتجمل من صحائفها رياضاً نضرة تنفح الأدب العربي بشذى الورود الجميلة المتفتحة فى العالم الجديد .

ولا عجب فمجلة (الشرق) يحرّرها موسى كريّم وهو رجلٌ حرٌّ بمعنى هذه الكلمة يعطى الشرق من حبه ومن الدفاع عنه ما يجب على أبنائه نحوه ، وهو أديبٌ مثقفٌ يعنى الى جانب الأدب بالمسائل الحيوية فى شئون الحياة الوطنية والاجتماعية والاقتصادية فى البرازيل .

ومجلة (الأندلس الجديدة) يحرّرها شاعرٌ معروفٌ هو شكر الله الجرّ صاحب ديوان (الروافد) الذى تكلمتُ عنه فى عدد سابق. وهذه المجلة كشعره لوحة مجلوّة حافلة بصور جديدة للأدب العربى ، ولمحرّرها الفاضل جولاتٌ طيبةٌ فى السياسة الشرقية يدبج مقالاتها قلمٌ رائعٌ يقظ .

وفى هاتين المجلتين نطالع روائع أدباء المهجر ومفكريهم الذين نقدّرهم التقدير اللائق ونعتز بأدبهم الحيّ كشفيق المعلوف والشاعر القروى والياس فرحات ورشيد أيّوب وعقل الجرّ وحبيب اصطفان وحبيب البشعلانى ويوسف البعينى وفائز السمعانى والياس قنصل وسليم نادر وأنطون سليم سعد ويوسف كرباج وموسى الحداد وغيرهم ممن يخدمون لغتهم فى تلك البلاد النائية خدمة طيبة .

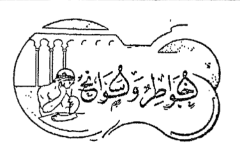
وفى طليعة الواجبات على كل أديب فى الأقطار الشرقية أن يكون على صلة تامّة بالفروع الممتدة فى أقاصى العالم وأن يساعد مثل هاتين المجلتين بالاشتراك فيهما حتى يعرف مدى تطوّر هذا الأدب ، فان من المؤلم أن نكون على اتصالٍ دائمٍ واطلاعٍ مستمرٍّ على نتاج الآداب العالمية ولا نعرف شيئاً عن فروع أدبنا !

حسن كامل الصيرفي

فهرس المجلد الثالث

نُلحقُ بهذا العدد الممتاز من (أبولو) فهرساً تفصيلياً شاملاً للمجلد الثالث إذ رأينا أخيراً على أىّ حال أن نختم المجلد الثالث بهذا العدد ، حتى اذا قُدّر لهذه المجلة أن تستأنف صدورها بدأ مجلدُها الرابعُ من أوّل العام الميلادى الجديد .

ومن أجل هذا أصدرنا هذا العدد الختامى فى حجمٍ كبيرٍ توفيةً لحقوق المشتركين . وقد تفضّل بوضع هذا الفهرس الشامل زميلنا الشاعر الفاضل حسن كامل الصيرفى ، كما تفضّل من قبل بوضع فهرسىْ المجلد الأوّل والمجلد الثانى .



وحى الهدهد

من الطيور التى شاقتنا فوصفناها أو ناجيناها « الهدهد » ، وهو من أرشق الطيور وأشجعها ، ولكن لقنزعته فى الأدب العربى خرافة غريبة جعلت الشعراء على ما يظهر يصدفون عنه ، وجعلت بعض النقاد المحافظين يعتبر قصيدتنا « الهدهد فى القرية » من أحط الشعر بالرغم مما حوته من الصُّوَر والتأملات وحبّ الطبيعة ! ولو أنصفوا الشعرَ الحديثَ لوجّهوا الشعراء المحافظين وجهتنا ، ولنصحوهم بتجنّب الصور التقليدية المفتعلة وحبّبوا اليهم الأخذ عن جمال الطبيعة مباشرةً ، وليس الهدهدُ بأهون عناصرها إيحاءً .

ومن عادتنا الضنّ بفراغ هذه المجلة على ما يخصنا شخصياً ، ولكنّ أصدقاءنا الأدباء يرون فى نشر هذا الشعر غير ما نرى ، ويعنيهم ذيوعُ مثاله ، فتلبية لرغبتهم ننشر هنا هذه القصيدة :—

مَرْحباً بالهدهدِ الوافى الأَبَرّْ ... ملأَ القريةَ حُسْناً وخَطَرْ !

عَدَّ كلَّ الناسِ أتباعاً له ... غيرَ أهلِ الشعرِ أو أهلِ الصُّوَرْ !

جاءنى منه رسولٌ كلُّهُ ... فى شُعاعِ الشمسِ نُورٌ ما استقرّْ

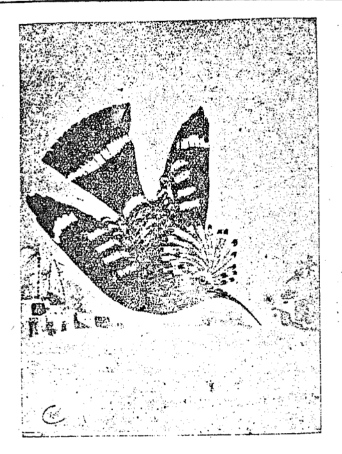
حائماً حولى ، وفى ترحيبهِ ... مِنْ نُهى الشمسِ وَمِنْ معنى المطرْ

جمعَ الأصباغَ فى زينتهِ ... مِنْ حُلى القوس[1] ومن وحى السحرْ

ثم ولى مُنبئاً رِفقتَهُ ... فاذا هُمْ مِلءُ فِكرى والنظرْ

لابسو التيجانِ أبهى زينةً ... مِنْ نُضارٍ هو أضغاثُ البشرْ

(١) قوس قزح



الهدهد فى القرية

عن (سليمانَ) لهم حِكمتُهمْ حينما عافوا الغرُورَ المحتقَرْ (١)

وأبوْا تيجانَ تبرٍ مرهِقٍ فاذا التيجانُ ريشٌ وشَعَرْ !

* * *

مَرْحباً بالفنِّ فى أعلامهِ بين آدابٍ غوالٍ وصُوَرْ

كلُّ فردٍ منكمو مُهجتُهُ وحُلاهُ مِنْ ضياءٍ وزَهرْ

تُنفقون العمرَ فى البحثِ ، فكم تشتكى منكم حقولٌ وحَجرْ

دائمى التنقيبِ حتى جلسةٌ لكمو فى الشمسِ ما فيها مَقرّ

كلُّ ما حولكمو فيه وَطَرْ بينما ليس لكم فيهِ وَطَرْ

(١) اشارة الى قصة الهدهد وسيدنا سليمان.

صُورةُ الفنَّانِ فى أخلاقهِ كلما نالَ أمانيه نَفَرْ

* * *

مَرحباً يا هُدهدى ! حسبى اذا زُرْتُ هذا الريفَ مَرآكَ الابرّْ

نحن صنوانِ بروحٍ ودمٍ وحنانٍ وأمانٍ وذِكرْ

غير أنى رهنُ جسمٍ آمرٍ بينما أنتَ عزيزٌ ما أُمِرْ

وأنا الباكى على عمرٍ مضَى بينما تضحك مِن معنى العُمُرْ !

لك دينٌ أوحَدِىٌّ خالدٌ حينما المؤمنُ منا قد كفرْ !

التجاوب فى الحب

مما تمليه الأهواء على بعض النقاد المغرضين سخافات كثيرة لا يعدمون ببغاوات لترديدها ، وأظهرُها أخيراً أن شعر الغزل الملائم للرجولة يجب أن يكون فى صورة التهجم أو فى صورة الخطبة التى تتحدّث عن فضائله ، وأمّا ماعدا ذلك فخنوثة ! ونظنّ أن جانباً من قرّائنا لم يفتهم أن يلحظوا فى الأغانى التى تذيعها محطة الامبراطورية الانجليزية (ولا نظن أن الخنوثة من صفات أهلها الذين سيطروا على بلادنا !) ما يناقض ذلك تماماً ، وهذا شيلى الشاعر الانسانى الثائر الكامل الرجولة أعطى للخلود أبياته التالية :

O lift me from the grass !
I die ! I faint ! I fail !
Let thy love in kisses rain
On my lips and eyelids pale,
My cheek is cold and white, alas !
My heart beats loud and fast; —
Oh ! press it close to thine again,
where it will break at last .

ولكن ماذا نقول فيمن يتصنّعون الغزل وفلسفة الغزل الجوفاء ثم يلقون بحجارتهم على شعراء الغزل المطبوعين كناجى والصيرفى وصالح جودت ، دون أن نجد موسيقاهم وعواطفهم صدى فى تلك القلوب المتحجرة وإنما تنال الانتقاصَ وحده من ألسنتهم البذيئة !!

تصـــويبات

صفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤١٥	٢٥	الاختصاصيىن	الاختصاصيين
٤٢٣	١١	الالّـهية	الإلّـهية
٤٢٣	١٢	بن	ابن
٤٢٤	٩	عظة	عدته
٤٢٥	٦	تدر	تدرى
٤٢٥	١١	وتمنحه	وتمحنه
٤٢٧	١٠	بغى	بقى
٤٢٧	١٢	بن	ابن
٤٢٨	٦	نرق	ترق
٤٢٨	١٤	وعتبـة سلمى	وعتبة وسلمى
٤٣٠	١١	دجل	رجل
٤٣١	٢٣	بالتفريع	بالتقريع
٤٣٣	٤	للفرية	للغربة
٤٣٤	٥	فارتاح	فأرتاح
٤٣٤	٧	فكل	فـكلّى
٤٣٥	٢٤	وبنينا	وبيننا
٤٣٦	١٠	من ذكر	من ذكرى
٤٣٦	١١	القرب	الغرب
٤٣٦	١٦	الرسم	الرقم
٤٣٧	١٦	فانه	فانه
٤٣٧	٢٣	وكان	وكأنْ
٤٣٩	١٢	،عزاه	عزاء
٤٣٩	١٥	الشابى	لشابّ
٤٤٠	١١	بشتى من ضروب	بشتى ضروب
٤٤١	١٠	Wates	Vates
٤٤١	١٣	وكلا	وكلتا
٤٤٢	١٤	ذاتِ	ذاتُ
٤٤٤	٨	الفنيين	الفتيّـين
٤٤٦	٦	العمر وشـك	العمر على وشك

صفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٤٨	٩	نفساً	نفسى
٤٤٨	٢٣	فلسفة	فيها فلسفة
٤٥٣	٣	عليها	علينا
٤٥٤	٧	فيها	فيه
٤٥٦	١٤	عيشة	يعيش عيشة
٤٥٨	٩	هازات	لى هنت
٤٥٩	١٩	أنوارى	أنوارك
٥٠٧	١٢	لربيع	الربيع
٥١٠	٢٤	البالسية	البانسيه
٥١١	١٦	قصائده	قصائد
٥١٢	٢٢	وجموحُ	وجموحِ
٥١٣	١٢	الرافد	الروافد
٥١٤	١٥	الوطنى	الوطن
٥١٤	١٨	قاس	قاسى
٥١٦	١٥	اصفرار	احمرار
٥٨١	٣	والوهدِ	والوهدَ
٦٤٥	١٤	الأبية	الأدبية
٦٤٧	٢٣	أدرقُ	أرَقٌ
٦٤٨	٢٦	الذى	التى
٦٧٤	٢	تجدوا	مجّدوا
٦٧٤	٧	نصُ	نصُه
٦٧٤	١١	المياةَ	المياهَ
٦٨٨	١٤	العانيه	العاتيه
٧٠٠	١٨	الموحزة	الموجزَة
٧٢٦	١٩	يقرؤوا	يقرأوا
٧٣٢	٢٣	اليّا	اليّا
٧٣٩	١٥	هو	هى
٧٤٠	٨	المرجّحن	المرجَحِنٌ
٧٤٠	١٣	لى	علىّ
٧٥٣	٤	الشاط	الشط
٧٨٦	٥	الثامن من	الثامن من



صفحة

كلمة المحرر

تراجم ودراسات

النقد الأدبي

أعلام الشعر



تحت الطبع

اتجاهات جديدة

في الشعر العربي ـ تأليف محمد احمد رجب المحامي

ديوان
مأمون الشناوي

يرسل الاشتراك وقدره ٥ قروش صاغ باسم صاحب
الديوان بعنوان (مجلة أبولو)

اغاني الكوخ

ديوان محمود حسن اسماعيل
يصدر في يناير الآتي مزيناً بالصور الفنية

في النثر الحديث

اعلام اربعة

حلقة ثانية من دراسات مختار الوكيل ، تشمل : انطون الجميل — محمد حسين هيكل — طه حسين — ابراهيم عبدالقادر المازني
(تصدر في الربيع القادم)



مجموعة من شعر الدكتور أبي شادي





مجلة فنية لخدمة الشعر الحي

المجلد الثالث

سبتمبر ١٩٣٤ — ديسمبر ١٩٣٤

مطبعة التعاون

فهرس لأبواب المجلد الثالث



فهرس لموضوعات المجلد الثالث

فهرس الأعلام المجلد الثالث

(ص)

(ط)

(ع)

(ق)

(ل)

(م)

